مكتبة الدراسات التاريخية
والعلاقات الدولية
- ٨ -

العرب

دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر

دكتور
رأفت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
وكيل كلية الآداب - جامعة الزقازيق

١٩٨٣

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
تليفون ٩٠٤٦٩٦

مقدمة

درجت فى كتاباتى التاريخية على اختيار موضوعات تمثل ظواهر تاريخية ذات دلالة فى فهم التاريخ وفى تحقيق الأهداف من دراسته سـواء كان ذلك يخص تفسير الحاضر فى ضوء الماضى أو تقدير قيمة الذكاء الانسانى أو تفسير الاحداث فى ضوء الاطار العام للزمن الذى وقعت فيه هذه الأحداث .

وبهذا الفهم جاء كتـابى الأول عن « أفريقيا فى العـلاقات الدولية » وكتابى الثانى الذى نشر تحت عنوان « فى تاريخ العرب الحـديث » والذى عالجت فيه موضوعات تشمل الوطن العـربى تحت الحكم العثمـانى ، والحركات الاستقلالية فى الوطن العربى ، و الدعوات السـلفية فى الوطن العربى، والاستعمار الأوروبى فى الوطن العربى .

وبالمثل عالجت موضوعات تاريخية تمثل ظواهر فى المجتمع العربى فى كتابى « التعليم المصرى فى ليبيا » وكتابى (مصر والسودان فى العـلاقات الدولية) وكتابى « أمريكا والعلاقات الدولية » وكتابى « قضايا اسـلامية معاصرة » ، وأخيرا كتابى « أفريقيا فى التاريخ المعـاصر » حيث عالجت فيه حدوث التسابق الاستعمارى نحو القارة الأفريقية وحـركات الشعـوب الافريقية من أجل الاستقلال ، والعلاقات العربية الأفريقية ، ومنظمة الوحدة الأفريقية .

ويأتى هذا الكتاب الذى بين أيدينا عن تاريخ العرب الحديث والمعاصر ليعالج موضوعات شتى تمس معظم أقطـار الوطن العـربى فى تاريخها الحديث والمعاصر بصورة لاتهتم بالترتيب المنطقى القائم على دراسـة كل قطر عربى وتتبع تاريخه الحديث والمعاصر وانما اهتمت الدراسـة بالترتيب السيكولوجى الذى يقدم للقارىء موضوعات يميل الى دراستها ويسعى الى فهمها .

فهذا الكتاب يتناول الدراسة التاريخية فى بابين : الباب الأول عبارة عن دراسات عامة تتصل بتاريخ الاقطار العربية دون ان تركز على قطر عربى بعينه . وأما الباب الثانى فهو عبارة عن دراسات خاصة تتصل بأقطار عربية كل على حدة ، وجملة فصول الكتاب ثلاثة عشر فصلا .

وموضوعات الكتاب عبارة عن بحوث اما نشرت فى مجلات علمية متخصصة داخل مصر وفى الوطن العربى او القيت فى مؤتمرات علمية عالمية سواء عقدت هذه المؤتمرات داخل مصر او خارجها . اردت من جمعها ونشرها فى هذا الكتاب ان تكون فى متناول الدارس للتاريخ سواء طالب العلم او الراغب فى الاطلاع على تاريخ العروبة .

ورغم اتساع موضوعات الدراسة بهذا الكتاب فانها تعمقت فى كل موضوع بصورة احاطت به بصورة وافية ، ورغم تعدد موضوعات الدراسة فانها لم تشمل كل الاقطار العربية وان كانت مستها من خلال الدراسات العامة .

وهذا الكتاب يختلف عن كتابنا الأول الخاص بتاريخ العرب الحديث حيث اختلفت موضوعاته عن كتابنا الأول ، مما يشير الى التكامل بين الكتابين نظرا للتكامل بين موضوعاتهما بصورة توسع من دائرة الفائدة للدارسين فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

واذ أتقدم هذا الكتاب للقارىء فاننى أرجو أن أكون بهذا الكتاب قد قمت بجهد علمى فى المكتبة العربية ، داعيا الله التوفيق والسداد .

وأتقدم بالشكر والعرفان للاستاذين رشوان جاب الله وعبد العليم خلاف مدرسا التاريخ الحديث المساعدان بآداب الزقازيق وعبد العزيز حجازى المدرس المساعد بتربية عين شمس على قيامهم بمراجعة بروفات الكتاب .

دكتور رافت غنيمى الشيخ

الزقازيق — يناير ١٩٨٣ م

الباب الأول

دراســـات عامة

مقدمـــة

الفصل الأول : الجهاد البحرى الاسلامى فى البحر المتوسط .

الفصل الثانى : الجهاد البحرى الاسلامى فى الخليج العربى .

الفصل الثالث : التربية الخلقية كما ابرزها المجددون الاسلاميون.

الفصل الرابع : النشـــاط المصرى فى الجزيرة العربية والخليج فى النصف الأول من القرن ١٩ .

الفصل الخامس : العلاقات المصرية الســـعودية فى النصف الأول من القرن العشرين .

الفصل الخامس : الولايات المتحدة وانشاء الجامعة العربية .

مقدمـــة

تتناول فصول هذا الباب دراسات عامة تتناول قضايا تهم أكثر من قطر عربى او تعنى كل العرب ، ولهذا اطلقت عليها تعبير دراسات عامـــه ، وسى تشمل ستة فصول تتناول جوانب دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية ، كما تتناول موضوعات هـــذه الفصول احداثا تاريخيـــة تظهر الترابط بين مشرق العالم العربى ومغربه .

فالفصل الأول يعالج قضية الجهاد البحرى الاسلامى فى البحر المتوسط ، بينما يتناول الفصل الثـــانى الجهاد البحرى الاســـلامى فى الخـــليج العربى ، ويناقش الفصل الثالث التربية الخلقية كما ابرزها المجددون الاسلاميون ، واما الفصل الرابع فيعالج موضوع النشاط المصرى فى الجزيرة العربية والخليج فى النصف الأول من القرن التاســـع عشر ، ويناقش الفصل الخامس العـــلاقات المصرية السعودية فى النصف الأول من القرن العشرين ، واما الفصل السادس فيعالج موضـــوع موقف الولايات المتحدة الأمريكية من انشاء جامعة الدول العربية .

وهذه الموضوعات تبرز جوانب محددة فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر بما يلقى ضوءا جديدا على هـــذه الجوانب بصورة تهم الباحث والمهتـــم بتاريخ العرب الحديث والمعاصر فى اطار العلاقات الدولية .

الفصل الأول

الجهـــاد البحرى الاسلامى

فى

البحر المتوســـط

- □ مقدمـــة .
- □ رجال البحر المراكشيون .
- □ رجال البحر الجزائريون .
- □ رجال البحر التونسيون .
- □ رجال البحر الطرابلسيون .

الجهاد البحرى الاسلامى
فى البحر المتوســط *

مقدمــة

أطلق المؤرخون الأوربيون لفظة قرصنة على العمليات البحرية الحربيـــة العربية الموجهة بالدرجة الأولى ضد سفن الدول الأوربية وغير الاوربيـــة التى تخالف العرب فى عقيدتهم الدينية ، وقد تابع بعض المؤرخين العرب زملائهم الأوروبيين فى هذه التسميه حتى اختلط الأمـــر على المواطن العربى واخذ يتساءل :

هل كل عمل بحرى حربى تقوم به سفن عربية ضـــد أخرى غير اسلامية وفى البحار العربية من أعمال القرصنة ؟

وما الفرق بين القرصنة والجهـــاد الاسلامى فى مجال الحروب البحرية التى شارك فيها المسلمون ضد اعداء الاسلام ؟

وهل للقرصنة الأوربية التى اتخذت من مياه المحيطين الاطلنطى والهندى بصفة خاصة مجالا لنشاطها ، مثيلا بين سفن العرب المسلمين ؟

وماذا يمكن أن نسمى الصدام بين سفن العرب المسلمين بعضهم البعض ، هل هى قرصنة أم حرب ؟

وبالتالى مـــا هى مواصفات القرصنـــة ، والحرب ، والجهـــاد البحرى الاسلامى ، والمغامرات البحرية ؟

واخيرا ما دور الاســـتعمار فى تشويه صورة النشـــاط البحرى العربى الاسلامى ومحاربة هذا النشاط ؟

ونحن من جانبنا سوف نحاول الاجابه على هذه التساؤلات حتى نستجلى حقائق تصحيح وجه التـــاريخ العربى الاسلامى وتعطيه صـــورته الحقيقية ، موضحين الفرق بين نشـــاط العرب المسلمين الحربى فى البحار ، وقرصـــنة الأوربيين سواء ضد بعضهم البعض أو ضد غيرهم ممن أوقعهم سوء حظهم فى طريق القراصنة الأوربيين .

---

* نشر هـــذا البحث بالمجلة الاسلامية التى تصدرها رابطة الجامعات الاسلامية بمدينة الرباط بالمغرب العددين ١٢ ، ١٣ لسنة ١٩٨٢ م .

لتحديد معنى لفظة القرصنة بالطريقة العلمية الاجرائية يمكن القول بأن كلمة القرصنة تطلق على كل عمل يقوم به فرد أو جماعة محدودة العدد بهجوم مسلح في البحر مستخدمين السفن المسلحة لسلب ما تحمله سفن الغير دون أن تكون هناك عداوة سابقة او حروب معلنه بين الطرفين .

وبمعنى آخر يمكن القول ان قيام سفينة مسلحة او اكثر باعتراض سفن تابعة لدولة اخرى او بلد آخر او جماعة ما في البحر وسلب ما تحمله تلك السفن بدون وجه حق ، ودون أن يكون هناك ادعاء سابق بأن هذا الهجوم رد لعدوان أو ثأر لعمل سابق ، كل ذلك يعطى مفهوم القرصنة بالطريقة الاجرائية ، واعنى بالطريقة الاجرائية ارتباط الصفة بالموصوف اى توصيف العمل بطريقة محددة لا زيادة فيها ولا نقصان ، فاذا حدث فعل تنطبق عليه تلك المواصفات اطلقت عليه نفس التسمية . . . هذا هو المقصود بالطريقة الاجرائية علميا .

وبنفس التوصيف العلمى يمكن القول بأن كل عمل حربى تقوم به سفينة او مجموعة سفن تابعة لدولة ما بهدف الاضرار بسفن تابعة لدولة اخرى او بلد آخر معادية عند مرورها في المياه الاقليمية او هجوما على سواحل البلد المعادى ، صار ذلك العمل حربا بين دولتين او بلدين بحكم وجود عداء وحالة حرب قائمة ، ولا يمكن اطلاق تعبير قرصنة على مثل هذا العمل .

كذلك يمكن القول — استنادا الى نفس التوصيف العلمى — بأنه اذا حدث صدام بين سفينة او عدة سفن تابعة لحاكم او لقبيلة واخرى تابعة لحاكم آخر او قبيلة اخرى ترتبط مع القبيلة المهاجمة بروابط معينة كالجنس واللغة والدين مثلا ، فان هذا العمل الحربى لا يمكن اعتباره قرصنة ، ولا يمكن اعتباره حربا بالمعنى الصحيح ، وانما يمكن تسميته باسم المغامرات البحرية بحكم التنافس بين الاطراف ذات الارتباطات الاجتماعية الواحدة ، كما كان يحدث بين بعض القبائل العربية في الخليج العربى .

كما يمكن القول ايضا — استنادا الى نفس التوصيف العلمى — بأن هجوم السفن الاسلامية ضد السفن المسيحية جهادا بحريا اسلاميا بامتداد الجهاد الاسلامى من الارض الى البحر ، لأن المسلمين استندوا الى مبدأ الجهاد الاسلامى في محاربة اعداء الاسلام سواء على الأرض او في البحر ، ورد اعتداءاتهم .

وبهذا فاننا نطلق على العمليات البحرية التى قام بها المسلمون فى مياه البحر المتوسط ضد سفن اسبانيا والبرتغال وفرسان القديس يوحنا طوال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر جهادا بحريا اسلاميا جاءت بدايته ردا على اعتداءات تلك القوى المسيحية الصليبية على المسلمين فى اسبانيا وملاحقتهم فى أثناء فرارهم من الاضطهاد الى اقطار شمال افريقيا العربية الاسلامية .

ويجب من البداية ان نلاحظ ملاحظة هامة ان تلك العمليات بين البحرية العربية الاسلامية والبحرية الأوربية انما حدثت من منطلق دفاع العرب المسلمين ضد أطماع الأوربيين الصليبية وروحهم العدائية لكل ما هو اسلامى ، تلك الأطماع التى صورها اصحابها بأنها ثأر من العرب المسلمين الذين تجرأوا يوما ما فغزوا الارض الاوربية ، ومن ثم لا نعجب أن نسمع الملكة أيزابلا ملكة اسبانيا تقول لشعبها أواخر القرن الخامس عشر : ان تحرير اسبانيا (تعنى اخراج المسلمين منها) لا يتم الا بفتح افريقيا (أى الاستيلاء على أقطار المغرب العربية الاسلامية) وجهاد ابنائها الكافرين (أى المسلمين) فى سبيل العقيدة المسيحية .

ومن هذا المنطلق يمكن لنا استعراض بداية الصدام بين العرب المسلمين فى شمال افريقيا والقوى الأوروبية المعادية فى البحر المتوسط ، ذلك الصدام الذى أطلق على الدور العربى الاسلامى فيه من جانب المؤرخين الأوروبيين لفظة قرصنة ، بينما أطلق عليه العرب المسلمون المعاصرون لتلك الأحداث تعبير الجهاد الاسلامى ضد أعداء الاسلام من الأوروبيين .

كانت اقطار المغرب العربى (المعروفة الآن وهى ليبيا ، تونس ، الجزائر والمغرب) تعيش عصر وحدة وقوة تحت قيادة دولة الموحدين حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، وانضم اليها فى هذه الفترة اقليم الأندلس الذى كان يعتبر من اكبر الدرر الموجودة فى العالم العربى والاسلامى فى ذلك الوقت .

وعندما انهارت دولة الموحدين ظهرت ثلاث امارات فى أقطار الشمال الأفريقى تنافست فيما بينها مما ادى الى ضعفها ، هذه الامارات هى سلطنة بنى مرين فى اقليم المغرب الاقصى التى تحملت اكثر من غيرها عبء الدفاع عن العروبة والاسلام ضد هجمات الأسبانيين والبرتغاليين ، وامارة بنى حفص فى اقليم تونس ، وامارة بنى عبد الواد فى الجزائر (المغرب الأوسط) واتخذت من تلمسان عاصمة لها .

وفى الوقت الذى ضعف فيه المسلمون بشمال افريقيا نتيجة تفكك وحدتهم منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد بدات شبه الجزيرة الايبيرية مرحلة تكوينها السياسى ، فأسبانيا توصلت فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الى وحدتها الوطنية فى عهد « فرديناند » و « ايزابلا » ملكا أسبانيا على أسس دينية كاثوليكية معادية للمسلمين فى الأندلس والمغرب ، كما حققت البرتغال وحدتها الوطنية وقيام حكومة مركزية قوية فى لشبونة معادية هى الأخرى للمسلمين ، وعملت الدولتان — اسبانيا والبرتغال — على بناء السفن والاهتمام بشئون الملاحة ومن ثم قامت حركة الكشوف الجغرافية منذ أوائل القرن الخامس عشر على اكتاف البرتغاليين ثم اعقبهم الأسبان ، تلك الكشوف التى كان من دوافع القيام بها محاربة الاسلام والمسلمين فى افريقيا وفى البحار الهندية .

ظهر الصراع واضحا بين الأسبان والبرتغاليين من ناحية واقطار شمال افريقيا العربية الاسلامية من ناحية أخرى ، باحتلال « هنرى الملاح » ابن ملك البرتغال مدينة « سبتة » المغربية عام ١٤١٥ م ، ثم احتل الأسبانيون « المرسى الكبير » عام ١٥٠٥ م تقع هذه المدينة بالجزائر الحالية وفى عام ١٥٠٨ م استولوا على مدن «حجر باديس» ، و «وهران» و «بجاية» ، وفى عام ١٥١٠م احتلوا مدينة « طرابلس الغرب » ثم تنازلوا عنها عام ١٥٣٥ م لفرسان القديس يوحنا المغامرين القراصنة الذين اتخذوا من جزيرة « مالطة » مركزا لهم بعد أن طردهم الأتراك العثمانيون من جزيرة « رودس » وهم فى الأصل من بقايا الصليبيين الذين طردهم المماليك من فلسطين .

لم يكن استيلاء البرتغاليين والأسبان على المدن العربية بشمال افريقيا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر بالأمر السهل والدائم ، ذلك انه رغم تفكك وحدة المسلمين فى هذه الأقطار المغربية الا انهم تذرعوا بمبدأ الجهاد الاسلامى فى مقاومة القوى المسيحية الغازية ، بل وفى مهاجمة سفن الدول الأوروبية فى البحر المتوسط ، واستمر هذا الهجوم حتى ظهرت قوة الدولة العثمانية باستيلائها على القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ، ثم استيلائها على

العراق والشام ومصر عامى ١٥١٤ ، ١٥١٧ م ، فاستعان المغاربة (عرب شمال افريقيا) بالدولة العثمانية « الاسلامية القوية » للوقوف أمام القوى المعادية للمسلمين .

كان دخول الدولة العثمانية الى ميدان الصراع الدينى بين العـــرب المسلمين بشمال افريقيا من ناحية وتحالف البرتغاليين والاسبان وفرسان القديس يوحنا من ناحية اخرى منذ عام ١٥١٨ م ، حلقة اخرى فى سلســلة الجهاد الاسلامى ضد اعداء الاسلام ، كان ميدانه الأكبر الحـوض الغــربى للبحر المتوسط عدته وعتاده السفن المسلحة للقوى العربية الاســـلامية بأقطار شمال افريقيا وسفن الأسطول العثمانى من جهة فى مواجهة ســـفن القوى الاوروبية المتحالفة من جهة اخرى .

والغريب فى الأمر انه مع تسجيل الحقائق التاريخية بأن ارض العــرب المسلمين فى اقطار الشمال الافريقى ارض محتلة من جانب القـوى الاوروبية المسيحية المتحالفة الا أن المؤرخين الأوربيين اطلقوا على دفاع العـــرب المسلمين عن ارضهم وحياتهم ضد اعدائهم بأنها عمليات قرصنة ، وامتــلات كتبهم بتعبيرات هجمات القراصنة العرب المسلمين من اقطار الشـــمال الافريقى بينما هى فى الواقع دفاع مشروع عن الأرض والعرض ، وحــرب وجهاد اسلامى كما اطلق عليها مؤرخو ذلك الزمان من العرب المسلمين .

وكان ذلك الصدام البحرى بين سفن المسلمين المغاربة وسفن القوى الأوروبية المتحالفة صداما طويلا استغرق طوال القـــرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ولم ينته الا بوقوع اقطـــار الشمال الأفريقى تحت الاحتلال الفرنسى (فى الجزائر وتونس والمغـــرب) والاحتلال الايطالى (فى ليبيا) .

ورغم وقوع كل من الجزائر وطرابلس الغــرب ثم تونس تحت الحكم العثمانى خلال القرن السادس عشر ، فان الصراع البحرى بين المغـــاربة المسلمين من ناحية والقوى الأوروبية « المتحالفة » المعادية من ناحية اخرى استمر وبقوة ، هذا على الرغم من اعتبار كل قطر من اقطار المغرب العربى ولاية عثمانية تخضع للامبراطورية العثمانية ويتم تعيين الوالى من عاصـــمة الامبراطورية استامبول (او اسلام بول) .

وانطلاقا من هذه الحقيقة فسوف نستعرض مراحل الكفاح البحرى للمسلمين المغاربة ضد المسيحيين الاوروبيين فى الحوض الغربى للبحر المتوسط، من خلال نشاط كل ولاية فى هذا المجال طوال القرون الخمسة من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع عشر ، اى من وقت نزول البرتغاليين والاسبان على الشواطىء المغربية حتى وقوع الاحتلال الفرنسى ثم الايطالى للاقطار المغربية بكاملها .

ومما تجب ملاحظته فى هذا المجال ان حكام الاسبان والبرتغاليين اصروا فى معاداتهم للمسلمين فى الاندلس وشمال افريقيا على التذرع باللون المسيحى حتى يضمنوا الحماس الشعبى ، وان هذا اللون الدينى كان يخفى وراءه صراعا على السلطة وبالتالى صراعا للسيطرة على الموارد الاقتصادية ، ومن ثم وجه هؤلاء الحكام انظار شعوبهم نحو الخارج ، والى اخضاع بقايا المسلمين واليهود فى شبه جزيرة ايبيريا لمحاكم التفتيش مما اضطر اعدادا كبيرة منهم الى الهجرة الى المغرب الكبير فرارا بأرواحهم واعراضهم واموالهم .

وحينما تعقبت سفن الاسبانيين الفارين من المسلمين كان من الطبيعى ان يخرج رجال البحر المغاربة لتامين المسلمين النازحين من الاندلس والدفاع عنهم ضد سفن المتعقبين لهم من الاسبان الذين اتخذوا اسلوبا وحشيا فى التعامل مع المسلمين الذين يقعون فى ايديهم مما ادى الى صدام بحرى بين سفن المغاربة المسلمين والسفن الاسبانية ، وقد ادى ذلك الصدام الى ظهور قيادات بحرية اسلامية قوية عندها القدرة على منازلة الاعداء والقيام بعمليات الجهاد الاسلامى البحرى .

وكان رجال الجهاد الاسلامى البحرى يخرجون على سفنهم المسلحة لاستقبال سفن المسلمين الفارين من شبه جزيرة ايبيريا والدفاع عنها ، وكانت سفن المسلمين مجهزة بالتسليح الذى يمكنها منازلة الأعداء فى البحر ، ولكنها كانت خاضعة لسلطة القيادات التى تحكم اجزاء من ساحل المغرب الكبير ، او خاضعة لسلطة الامارات القائمة فى الأقاليم المغربية .

لذلك فلا يمكن أن نساير المؤرخين الاوروبيين المغرضين فى اطلاق لفظ قرصنة على عمليات الجهاد البحرى الاسلامى هذه ، فان سفن القراصنة كانت تخضع لبعض رؤساء البحر الذين يشبهون فى عملياتهم الى حد بعيد عمليات قطاع الطرق ولايتراجعون عن مهاجمة اى سفينة ، حتى وان كانت خاضعة لجيرانهم أو لحكومتهم ، حتى يتمكنوا من أسرها او الاستيلاء عليها وعلى حمولتها على الأقل .

ومن ثم فاننا لا يمكن الا أن نطلق على العمليات البحرية للسفن المغربية بانها عمليات جهاد اسلامى بحرى من أجل الاسلام وضد قوى معادية متربصة بأرض المسلمين ودفاعا عن حرية موانى المغرب العربى وابنائه وأرزاقهم ، وقد عملت هذه الحركة — حركة الجهاد البحرى الاسلامى — على ظهور قيادات جديدة اثرت فى تاريخ المغرب الكبير .

رجال البحر المراكشيون

بعد أن سقنا فى كلامنا السابق عمليات الجهاد البحرى الاسلامى فى البحر المتوسط فى مواجهة النشاط المسيحى الصليبى فى هذا البحر ضد السفن والأراضى العربية الاسلامية فى شمال أفريقيا نناقش فى هذا المقال دور رجال البحر فى القطر العربى المراكشى .

ان مراكش القطر العربى الاسلامى الذى يحرس الجناح العربى فى الغرب من الوطن العربى ، تسلمت زمام الحكم فيه اسرة شريفة هى الأسرة السعدية منذ أوائل القرن السادس عشر واستمرت تحكم المغرب حتى منتصف القرن السابع عشر ، ودخلت أثناء هذه الفترة فى صراع مع الأسبان والبرتغاليين من أجل طرد هذه القوى المعادية من المدن والأراضى المغربية .

ورغم حدوث بعض الخلافات بين أفراد الأسرة السعدية وبين أمراء الأسرة وحكام الجزائر ، وكذلك بين أمراء الأسرة والدولة العثمانية ، فان السعديين حرصوا على مواصلة الجهاد البحرى ضد القوى الأوروبية المتحالفة المعادية ، وكان استرداد المدن المغربية من تلك القوى المعادية هى بداية حركة الجهاد ، حتى لم يعد للبرتغاليين فى المغرب فى منتصف القرن السادس عشر سوى مدن «طنجة» و «سبتة» و «مزاغان» مما دفعهم الى الدخول فى معركة فاصلة ضد جيش السعديين بقيادة المتوكل عرفت بمعركة وادى المخازن فى أغسطس ١٥٧٨ م انتهت بهزيمة البرتغاليين هزيمة منكرة ، وانتهت محاولات البرتغال للتدخل فى شئون المغرب بعد ذلك .

واتبع احمد المنصور ، الذى حكم المغرب فى الفترة من عــام ١٥٧٨ م الى عام ١٦٠٣ م سياسة الجهاد الاسلامى بمواجهة تقدم البرتغــاليين على الشواطىء الافريقية بنشر الاسلام بين الافارقة ومد نفوذ دولته فى حــوض نهر السنغال حتى نهر النيجر،وقد نشأت فىتلك الجهات حكومة تحتفظ بالولاء الاسمى لسلطان المغرب استمرت مدة قرنين من الزمان ، كما ان استمرار الجنود المغاربة فى هذه الجهات — السودان الغربى — وتزاوجهم مع الأهالى انشأ مجموعة من المولدين ظلت مرتبطة بالمغرب ، وكانت تلك اولى الحقوق التاريخية التى استندت اليها الحكومة المغربية الحالية للتحدث عن سيادتها على موريتانيا والصحراء المغربية وحتى السنغال والنيجر .

وقد حاول احمد المنصور فى حركة الجهاد البحرى ضد القوى الأوروبية المعادية ان يهادن ويتحالف مع قوى اوروبية اخرى وخاصة انجلترا وهولندا وهما الدولتان المعاديتان لأسبانيا آنذاك ، وان كانت انجلترا قد حرصت على عدم التحالف مع احمد المنصور السلطان المسلم ضد اسبانيا المسيحية ، فقد دخلت هولندا فى معاهدات مع السلطان لتنظيم الملاحة والتجارة . وان بقيت للبرتغاليين والأسبان قواعد فى الأرض المغربية تدعمت نتيجة خــــلافات المغاربة فيما بينهم بين رجال الجهاد البحرى ، وبين انصار الحــق الشرعى او التاريخى وبين من يجعلون السلطة والحكم هدفا لهم ، مما ســيؤدى الى انتهاء حكم الأسرة السعدية الشريفة لتحل محلها أسرة شريفة اخـــرى هى الأسرة العلوية التى لاتزال تحكم المغرب حتى الآن .

وفى عهد اسرة الاشراف العلويين بالمغرب الذى بدأ عام ١٦٦٦ م على يد المولى الرشيد استمر الجهاد الاسلامى ضـــد قواعـــد الدول الأوروبية المعادية — اسبانيا والبرتغال — فى الأراضى المغربية ، فتم اســترداد مدن «المهدية» و «العرائش» و «اصيلة» أواخر القرن السابع عشر ، واسترداد ميناء « طنجة » ومدينة « مزاغان » من يد البرتغاليين ، وحــاول المولى اسماعيل سلطان المغرب اقامة علاقات متحالفة مع الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا من اجل الوقوف ضد الأسبان أعداء الطرفين .

ومما تجب ملاحظته انه حتى مع لجوء سلاطين المغرب الى مهادنة القوى الأوروبية سواء المعادية او غير المعادية وعقد معاهدات تجارية مع هـــذه القوى ، فان بعض المجاهدين المغاربة من انصار الجهاد البحرى الاســلامى ما كانوا يلتزمون بهذه المعاهدات ومن ثم كانوا يقومون بعمليات بحرية ضد سفن القوى الأوروبية دون أوامر من السلاطين وفى شكل يتضـــــارب مع المصالح العامة للسلطنة المغربية .

وحرص المولى محمد بن عبد الله الذى استمر حكمه للمغـرب من عام ١٧٥٧م الى عام ١٧٩٣م على عقـد معاهدات تجارية وصداقة مع القوى الاجنبية التى لاتجاهر بعدائها للمسلمين ، ومن ثم رأيناه يتعــاهد مع دول شمال أوربا ومع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٧٨٦م — بعـد اعـلان استقلالها بعشر سنوات — بل انه توسط لدى حكام تونس وطرابلس الغرب حتى تمتنع سفنها عن مهاجمة سفن الولايات المتحدة الامريكية ، وتبــادل الرسائل مع الرئيس الامريكى جورج واشنطن مما اعتبر كأول اعتراف دولى بحكومة الولايات المتحدة الامريكية التى لم تنس للمغـــرب هذه المبــادرة وستكون قنصليتها فى طنجة التى انشئت عام ١٨٢٠ م أول قنصلية أجنبيــة فى المغرب (١) .

ويبدو أن حدوث الثورة الفرنسية وانشغال اوروبا بأحداثها وتأثيراتها قد دفع بالمغرب — على غير المتوقع — الى سياسة العزلة ، فلم تهاجم سفن الاسبان أو البرتغاليين بل لم تهاجم سفن الدول الأوروبية الاخــرى ، وكان الاحتلال الفرنسى للجزائر عام ١٨٣٠ م نذيرا بالتفوق الفرنسى فى الحــوض الغربى للبحر المتوسط وعدم اتاحة الفرصة امام انصار الجهاد البحـــرى الاسلامى المغاربة ليمارسوا نشاطهم ضد سفن القوى الأوروبية المعــادية والتى صارت فرنسا احداها .

ورغم أن السلطان سليمان قام عام ١٨١٦ م بتحـــرير بقية الأسرى المسيحيين الموجودين فى المغرب نتيجة لعمليات الجهاد البحرى الاسلامى ، والغى رسميا فى العام التالى (١٨١٧م) عمليات الجهاد البحرى الاســلامى

(١) د. جلال يحيى : المغرب الكبير (العصور الحديثة) ص ٧٤ .

حتى لايثير عداء الدول الأوروبية ، الا ان الأزمة المالية التى مرت بالمغـــرب جعلت السلطان عبد الرحمن منذ عام ١٨٢٥ م يعيد التفكير فى احياء عمليات الجهاد البحرى الاسلامى ، مما جعل بلاده هدفا لاعتـــداءات من جـــــانب الانجليز والنمساويين والاسبان ثم الفرنسيين ، وهى الدول التى مست سفنها عمليات الجهاد البحرى الاسلامى المغربية .

كان احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م دافعا لعزلة المغـــرب ، وان استمرت محاولات السلطنة المغربية لاقامة علاقات تجارية ودبلوماســـية مع الدول الاوروبية غير المعادية واهتمت حكومة المغرب بالأمور الداخلية ، بينما كان البحارة الأوروبيون مازالوا يخشون سواحل المغرب ومياهه الاقليمية ، كما كانوا يخشون النزول فى الموانى نظرا لأن انصار حركة الجهاد البحـــرى الاسلامى مازالت لهم قواعدهم فى المغرب وعملياتهم التى تزداد حينـــــــا وتتناقص احيانا اخرى ، خاصة ان المغاربة شعروا بعد احتلال فرنســــا للجزائر ، بارتفاع الشعور بالتضامن الاسلامى لديهم الى مستوى واضح .

ونتيجة لاهتمام انجلترا بصفة خاصة ودول غرب اوربا عامة بالملاحة فى البحر المتوسط كطريق يوصل عبر الاسكندرية والســــويس الى الهنـــد فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فقد حرصت تلك الدول على تأمين الملاحة فى هذا البحر ومن ثم جـــاء فى نصوص معاهـــدة عـــام ١٨٥٦م بين انجلترا والمغرب مايدعو الى حرية الملاحة والتجارة والقضاء على عمليات الجهـــاد البحرى المغربى التى كانت تركز نشاطها عند سواحل الريف .

الا أن العداء القديم بين اسبانيا والمغرب مالبث أن احيته روح التعصب المسيحية فى عهـــد الملكة ايزابلا الثانية التى انتشرت فى كل اسبانيا ضـــد المسلمين فى الوقت الذى كان فيه المغاربة يتطلعون الى تحرير مدنهم من يد الاسبان وانتهى الأمر بصدام بين الطرفين استمر من اواخر عام ١٨٥٩ الى أواخر عام ١٨٦١م ، كانت نتيجته فى غير صالح المغاربة حيث فرضت معاهدة على المغرب ظهرت من نصوصها روح التعصب المســـــيحية ضد المغرب الأسلامية ، كدفع غرامة حربية كبيرة قبل أن تجلو القوات الأســـبانية عن

مدينة « تطوان » التى كانت مركزا للاشعاع الاسلامى ، الى جانب اجبار المغرب على السماح لرجال بعثات التبشير الاسبانيين بالعمل فى الاراضى المغربية .

وزاد الأمر سوءا أن البحرية الاسبانية المؤيدة بسفن انجليزية وفرنسيه نجحت فى القضاء على سفن حكومة المغرب وسفن رجال الجهاد البحرى الاسلامى فى وقت واحد وقامت قوات الاحتلال الاسبانى فى مدينة « تطوان » بتحويل أحد مساجدها الى كنيسة وبطريقة تعطى للاحتلال الأسبانى المؤقت شكلا دائما . فانتهت بذلك الفكرة الموجودة فى اوروبا عن حصانة المغرب وهيبة رجال البحر المغاربة ، وبعد هزائم المغاربة امام الفرنسيين عام ١٨٤٤ م جاءت انتصارات الأسبان الذين تحدثوا عنها فى كل مكان وشرحوا كيف انهم حملوا الاعلام الأوروبية المسيحية الى قلب المغرب وافريقيا .

ومنذ ذلك الوقت أى منذ أوائل الستينات من القرن التاسع عشر حتى حدوث الاحتلال الفرنسى للمغرب عام ١٩١٢ م زادت المصالح الأوروبية فى المغرب وقدمت اعداد متزايدة من الاجانب يقيمون فيه يمثلون جاليات اجنبية لها قناصلها وقساوستها واطباؤها وكل مقومات حياتها الاجتماعية ، وهذه القوى اخذت فى الضغط على المغرب الذى عجزت حكومته عن وقف هذا التيار كما عجزت عن العودة الى حياة البلاد السابقة ، واعتمد الأوروبيون على العملاء من اليهود وعلى المتمتعين بالحماية ، من أجل زيادة مصالحهم ونفوذهم فى المغرب .

وفى وسط هذه الصورة الجديدة اختفت صورة الجهاد البحرى الاسلامى فى المغرب امام القوة القاهرة للدول الأوروبية الطامعة فى استغلال امكانيات المغرب ، تلك القوة التى تسلحت بما انتجته المصانع المتزايدة من اسلحة ومن ترسانات بحرية تفرض بها سطوتها وتهدد بها القوى الوطنية المدافعة عن حقها فى اراضها وفى مياهها الاقليمية .

رجال البحر الجزائريون

لمعت أسماء لرجال الجهاد البحرى الاسلامى وارتبطت بالجزائر فى القرن السادس عشر مثل « بابا عروج » واخيه خير الدين الذى عرف باسم « باربا روسا » (اى صاحب اللحية الحمراء) وغيرهم ممن دافعوا عن الاسلام فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ضد أعداء الاسلام من الاسبان والبرتغاليين وفرسان القديس يوحنا .

ومنذ عام ١٥١٠م ذاع اسم « بابا عروج » كمدافع عن المسلمين بالمغرب الكبير (تونس ــ الجزائر ــ المغرب) حتى قتل عام ١٥١٨ م ، عاش خلال الثمانى سنوات هذه محاربا ضد الاسبان فى البر والبحر مستخدما سفنه السريعة فى تعقب ومهاجمة سفن اعدائه المسيحيين بمساعدة رجاله النظاميين والمتطوعين الجزائريين الراغبين فى الجهاد ضد اعداء الاسلام وقد نجح « بابا عروج » فى ضم صفوف الشعب الجزائرى وقرب بينه وبين غيره من الشعوب العربية والاسلامية فى وحدتها امام العدو المشترك .

جاء بعد « بابا عروج » اخوه (خير الدين) الذى واصل قيادة عملية الجهاد البحرى ضد الاسبان وحلفائهم ، وطلب من الدولة العثمانية ــ القوة الفتية الاسلامية التى ضمت الشام والعراق ومصر الى ممتلكاتها ــ مساعدته فى محاربة اعداء الاسلام واستجاب السلطان سليم لطلب خير الدين عام ١٥١٨م فأمده بألفى جندى من الانكشارية وساعده على تجميع المتطوعين من البلاد الاسلامية للدفاع عن اسلام أقطار شمال افريقيا ، منذ ذلك الوقت صارت الجزائر تابعة اسمية للامبراطورية العثمانية(٢) .

صرف خير الدين معظم جهوده فى مباشرة عمليات الجهاد البحرى ضد الأسبان الذين كانوا تحت قيادة ملكهم شارل الخامس يعادون بصفة مستمرة الدولة العثمانية لذلك اعتبر العثمانيون خير الدين الحارس الامامى لامبراطوريتهم فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، ومن ثم منحه

---

(٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٤ ــ ٢٥ .

السلطان العثمانى لقب « بيكلر بك افريقية » اى بك بكوات المغرب ومنحه لقب قبودان باشا اى قبطان البحر — واعطاه القيادة العامة للاساطيل العثمانية ، فصار منذ ذلك الوقت — فى العشرينيات من القرن السادس عشر — اكثر من مجرد امير للبحر بل اصبح رئيساً لدولة وان كانت غير تامة السيادة .

وقد اثبت خير الدين بالفعل انه المجاهد البحرى الأول فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ضد القوى المتربصة بالاسلام والمسلمين ، ومن ثم دخل فى صراع بحرى وأرضى مع هذه القوى استطاع خلاله من استعادة الأراضى المغربية من ايدى الاسبان وانشأ مدينة الجزائر عام ١٥٢٩م ، واتخذها عاصمة لامارته المجاهدة،ثم رد على غزو الاسبان لتونس عام١٥٣٥م بغارة مفاجئة على جزر البليار الاسبانية استولى خلالها على ستة آلاف اسير عاد بهم الى الجزائر ، كما تعاهد مع الفرنسيين ضد اعدائه وساعد على التقريب بين العثمانيين والفرنسيين مستغلا العداء القائم بين الأسبان والفرنسيين ، بل انه ساعد الفرنسين عام ١٥٤٣ م على استخلاص مدينة نيس من أيدى الاسبان .

وقد استمر كفاح رجال البحر بعد خير الدين وظلوا يسمون بلقب بكلربك ويتولون قيادة الأسطول العثمانى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط، واشتهر فيهم حسن باشا ابن خير الدين و « صالح ريس » و « العلج على » وقد نجح الاخير فى تصفية القواعد الأسبانية فى تونس عام ١٥٦٩ م مما أقلق العالم المسيحى ودفع البابا الى اصدار نداء لتكوين حلف مسيحى ضد محاولات المسلمين اجلاء القواعد الأوروبية المسيحية فى أراضى المغرب ،ومن ثم دارت معركة بحرية قرب سواحل جزيرة مالطة عام ١٥٧١ م بين المسلمين بقيادة « العلج على » وبين التحالف الاوروبى المسيحى كانت نتائجها انتصار التحالف المسيحى وعجز المسلمين عن الاستيلاء على جزيرة مالطة وعن تحرير القواعد التى احتلتها اسبانيا والبرتغال على سواحل المغرب الأقصى وحتى وهران بالجزائر التى بقيت فى أيدى الأسبان حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر .

ومما تجب ملاحظته أن رجال البحر الجزائريين وجدوا معاونة أثنــاء صدامهم مع القوى الأوروبية المسيحية المعادية ، من جانب عدد من الرؤساء وقادة البحر الموجودين فى موانى المغرب الأقصى ، أمثال « يحيى ريس »الذى اتخذ من احد خلجان شواطىء المغرب الشمالية قاعدة له ، وكون اسـطولا سمح له بأن يفرض سيطرته على الملاحة حتى عرف باسم « سيد المضيق ».

وعندما ضعف رجال البحر بالجزائر أخذت الحكومة العثمانية ترسـل باشوات لحكم الجزائر منذ عام ١٥٨٧ م كما هو الحال فى باشويات القاهرة ودمشق وغيرها ، حتى اذا كان عام ١٦٥٩ م صار أولئك الولاة يختـارهم الجند وعرفوا بالأغاوات واستمروا يحكمون حتى عام ١٦٧١ م ومن ثم عاد رؤساء البحر من جديد لحكم الجزائر نتيجة استمرار العداء بين الجزائر التى تمثل الجناح الاسلامى القوى بشمال أفريقيا واسـبانيا التى تمثل الجناح المسيحى المتعصب الصليبى فى أوروبا ، وعرف رؤساء البحر الذين امتـد حكمهم من عام ١٦٧١ م حتى عام ١٨٣٠ م — عام الاحتلال الفرنسى للجزائر — باسم الدايات .

ومنذ انشاء مدينة الجزائر صارت مركزا لعمليات الجهاد البحرى ضد سفن الدول الأوروبية المعادية ، وكثر فيها بالتالى عدد الأسرى المسيحيين، وزادت فيها كمية الغنائم كما كانت عملية الجهاد البحرى والتعرض للسـفن أو للموانى الأوروبية فى جنوب أوروبا وفى الحوض الغربى للبحر المتوسـط تمون المجتمع الجزائرى بعدد من الاسرى من النساء ينهى بأغلبهن المطاف فى حريم الرؤساء (رؤساء البحر) والقادة .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسـع عشر وحتى الاحتلال الفرنسى للجزائر تعرضت عملية الجهاد البحرى الاسلامى لضغوط انتهت دورها فى النهاية فقد ضغطت فرنسا أثناء الثورة وفى عهد نابليـون بونابرت من أجل ايقاف تلك العمليات ضد السـفن الأوروبية وشـعر الجزائريون بالارتياح عندما استولى نابليون على جزيرة مالطة مقر فرسان القديس يوحنا عام ١٧٩٨م وهو فى طريقه الى مصر ، ثم استيلائه عـلى اسبانيا ذاتها عام ١٨٠٧ وحتى عام ١٨١٣ .

الا ان مؤتمر التسوية الأوروبية فى فينا عام ١٨١٥ م قد أظهر روحـــا صليبية عدائيه ضد عمليات الجهاد البحـــرى الاســـــلامية ، والادعاء بأن المسلمين يأسرون مسيحيين ويستخدمونهم فى التجديف فى السفن وفى الأعمال الدنيا ، ومن ثم خرجت دعوات لتحطيم سفن رجال البحر المسلمين فى شمال افريقيا وضرورة حراسة دولية لمياه البحر المتوســـــط ضـــد « القرصـــــنة الاسلامية » . وغير ذلك من الدعوات ، ونظـــرا لتضارب مصـــــالح الدول الأوروبية خرج المؤتمر بدعوة لتحريم القرصنة والرق ، وان كانتقد تشكلت فى انجلترا جمعيات تحت اسماء براقة تخفى عداء لعملية الجهاد البحـــــرى الاسلامى ، فوجدنا ما عرف باسم « جمعية محاربة القراصنة » و « جمعية الفرسان محررى الرقيق الأبيض فى أفريقيا » .

الا أن بعض الدول الاجنبية لجأت الى العدوان على الجزائر بدعـــوى وقف عمليات « القرصنة » ، ففى عام ١٨١٥ م ارســــلت الولايات المتحـــدة الأمريكية الى الجزائر عدة سفن حربية لكى تجبر الداى على وقف المطالبة بالجزية السنوية المفروضة على سفنها فى البحر المتوسط ووقف عملية زيارة وتفتيش السفن ، وقد نجحت الولايات المتحدة فى عقد معاهدة مع الجـــزائر حققت فيها الشروط الأمريكيةبعد أن قامت السفن الحربية الأمريكية بالاعتداء على سفن الجزائر بل وعاصمة الولاية نفسها .

وفى عام ١٨١٦ م حاولت بريطانيا اخضاع الداى لشروطها وهى فك الأسرى الاوروبيين واحترام قوانين الملاحة والغاء « القرصنة » ، وانضـــم الاسطول الهولندى الى الأسطول البريطانى فى تهديد الجزائر لتوافق على تلك الشروط ، ونتيجة لرفض الداى هذه الشروط دارت معركة انتهت لغــير صالح الجزائر حيث تم اغراق معظم قطع الاسطولالجزائرى وتدمير جزء من تحصينات مدينة الجزائر ، فاضطر الداى تحت الضغط الحربى الى اطـــلاق سراح الأسرى المسيحيين وكانوا من الأسبان والطليان وعددهم حـــــوالى ١٢٠٠ أسير .

وبدات المؤتمرات الاوربية تناقش اتخاذ اجراء موحـــدا ضد عمليات الجهاد البحرى الاسلامى المنطلقة من الجزائر بصفة خاصة وأساســــية ، واطلق عليها الاوربيون اسم القرصنة فتمت مناقشة الموضوع فى مؤتمر لندن عام ١٨١٦ م ومؤتمر « اكس لاشابل » عام ١٨١٨ م ، ولكن الدول الأوربية التى لم تتفق على عمل موحد اكتفت بانذار الجزائر للكف عن « القرصنة » واسترقاق الأوروبيين الأسرى مع التهديد باستخدام القوة .

ويمكن التأريخ لنهاية القوة البحرية للجزائر باشتراك سفن الأسطول الجزائرى فى موقعة نوارين البحرية — باليونان — مع الأســطولين المصرى والعثمانى ، ولقيت سفن الجزائر نفس مصير الأسطولين المصرى والعثمانى، وكان هذا اضعافا بحريا واضحا للجزائر ، وتقليلا من وسائل الدفاع عنها أمام المعتدين ، كما كان سببا فى أن تواصل الدول الاوروبية اتهامها للجزائر بالتعصب ضد المسيحيين وفى أن تعمل على القضاء نهائيا على خطر بحريتها فى البحر المتوسط ، متذرعة فى ذلك بضرورة القضاء على القرصنة وضرورة تأمين المواصلات والتجارة فى ذلك البحر ، وانتهى امر الجهاد البحرى باحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م .

رجال البحر التونسيون

وأما نشاط تونس فى عملية الجهاد البحرى الاسلامى فقـــد قام على اكتاف قادة الدولة العثمانية أمثال « درغوث باشا » والى ولاية طـرابلس الغرب منذ عام ١٥٥٣ م والذى شارك فى الدفاع عن تونس ضد الأســبان وضد فرسان القديس يوحنا واستخلص منهم مدينة قفصـــــة عام ١٥٥٦ م وبعدها بعامين استخلص مدينة القيروان ، ودخل فى صراع بحرى ضـــد الاسبان وفرسان القديس يوحنا انتهى باستشهاده أثناء حصاره لجزيرة مالطة .

ولكن عملية الجهاد البحرى الاسلامى الفعلية تحملها رجال البحـــر الجزائريين ، فقد تحمل هؤلاء مسئولية طرد الأسبان من الأراضى التونسية ومهاجمة السفن المعادية المقتربة من السواحل العربية بشمال افريقيا ، حتى اذا انضمت تونس الى الممتلكات العثمانية عام ١٥٧٤ م اعتبرت بكوية تابعة

لبك البكوات المقيم فى الجزائر حتى اختار التونسيون احد رجالهم العسكريين حاكما لولايتهم باسم « الداى » منذ عام ١٥٩٠ م بموافقة الحكومة العثمانية ، ومالبث اللقب ان تغير ليصبح « الباى » تمييزا عن لقب حاكم الجزائر .

وقد حكمت تونس بايات من الاسرة المرادية منذ اواسط القرن السابع عشر تلتها الاسرة الحسينية منذ عـــام ١٧٠٤م والتى ظلت حتى اعـــلان الجمهورية التونسية المعاصرة عام ١٩٥٧ م ، ومما يلاحظ على هؤلاء الحكام اهمالهم لسياسة الجهاد البحرى الاسلامى ، خاصة وانهم كانوا من رجـــال البرلا من رجال البحر ، هذا على الرغم من قيام حكام الجــــزائر وطرابلس الغرب بعمليات جهاد بحرى ضد سفن الدول المسيحية المعادية ، بينمـــــا اتخذت الدول المسيحية موقفا عدائيا ضد عمليات الجهاد البحرى الأسلامى وخاصة فى وقت نما فيه القانون الدولى العام مستندا الى مجتمــــع الدول الأوروبية المسيحية .

ورغم ان موقع تونس الجغرافى وطبيعة سواحلها على البحر المتوسط تتيح لها مباشرة عمليات الجهاد البحرى ، الا ان نشاط التونسيين فى هذا المجال كان ضئيلا ومن ثم فقدت تونس اسطولها الذى انشىء فى أول عهـــد الاسرة الحسينية ، حيث بقيت سفن الأسطول راسيه فى الموانى التونسية دون حركة حتى تلفت ، وما ذلك الا نتيجة لاستجابة حكام تونس لضـــغط الدول الاوربية المستمر على تونس بدعوى أن الاسطول يعمل فى «القرصنة».

وكما قامت الدول الأوروبيـــة عـــام ١٨١٥ م بالضغط على الجزائر لايقـــاف عمليات الجهـــاد البحـــرى ضغطت نفس الدول عـــلى تونس التى كانت اكثر استجابة من الجزائر لهذا الضغط كما ان الأسطول البريطانى الذى قام بحملة تاديبية على الجزائر عام ١٨١٦ م قد وصل الى تونس ووجه اليها نفس التهديدات التى وجهها الى الجزائر ، مع فارق ان الجـــزائر لم تستسلم للانذار البريطانى وعمليات الاسطول البريطانى العدائية ضد مدينة الجزائر واستمرت سفن الجزائر تباشر عمليات الجهاد البحرى ، بينما نجد أن باى تونس كان اسرع استجابة من داى الجزائر فى الرضـــوخ للضـــغط الأوروبى ، فسارع بالتعهد للدول الأوروبية بمنع سفن التونسيين من فرض

الاتاوة على سفن الأوروبيين وبمنعهم من اسر المسيحيين فى عرض البحر أو حتى فى مياهه الاقليمية (٣) .

وكان لاستسلام باى تونس هذا نتائج سيئة على تونس وعلى علاقتها بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على تونس ، ذلك ان قوة تونس البحرية ضعفت بل تتهقرت بسرعة حتى انه عندما طالب السلطان العثمانى مساعدة الأسطول التونسى فى حرب اليونان مع سفن مصر والجزائر وطرابلس الغرب ، لم يجد خسرو باشا قبطان الأسطول العثمانى كثيرا من السفن التونسية التى يمكنها مساعدة الدولة فى أزمتها مع اليونان .

كما اثر هذا الموقف المتخاذل لباى تونس على موقف تونس من احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠م ، بل خضع الباى بسرعة للشروط التى املتها الفرنسية البحرية عليه ، وتعهد بوقف التعرض للسفن الأوروبية والغاء عمليات الجهاد البحرى وحماية السفن الأوروبية فى المياه الاقليمية لتونس ومنع اسر الأوروبيين واسترقاقهم ، وكان خضوعه هذا فى رايه حماية لتونس من غزو فرنسى مرتقب ، ومع ذلك لم يمنع هذا الخضوع من دخول القوات الفرنسية تونس عام ١٨٨١م وفرض الحماية عليها فى عام ١٨٨٣م .

رجال البحر الطرابلسيون

عاشت طرابلس الغرب قبل مجىء العثمانيين اليها عام ١٥٥١م فى جهاد بحرى ضد القوى الأوروبية المعادية ، وقد شهد الحوض الغربى للبحر المتوسط فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر نشاطا بحريا لسفن الدويلات التى تعاقبت على الحكم فى طرابلس الغرب ، وكان الصدام الرئيسى مع الاسبان الذين قادوا الحركة الصليبية ضد المسلمين فى شمال أفريقيا وانتهى الأمر باستيلائهم على مدينة طرابلس الغرب عام ١٥١٠م ثم اهدوها لزملائهم فى التعصب فرسان القديس يوحنا عام ١٥٣٥م ، الذين بقوا بها حتى انتزعها منهم الاتراك العثمانيون عام ١٥٥١م .

---

(٣) د. جلال يحيى : المرجع السابق ص ٩٣ .

تولى العثمانيون مسئولية قيادة الجهاد البحرى بعد احتلالهم طرابلس الغرب وجعلها ولاية عثمانية ، ومن ثم رأينا ولاة طرابلس العثمانيين يقودون اساطيلهم ضد تحالف الاسبان وفرسان القديس يوحنا ، وقد رأينا أن « درغوت باشا » ثانى الولاة العثمانيين يستشهد اثناء حصار اسطوله الذى قاده بنفسه من طرابلس لحصار جزيرة مالطة ، وكانت غزواته ضد السفن الأوروبية تأتى له بمغانم كثيرة استخدمها فى انعاش حياة الطرابلسيين ، وفى بناء المزيد من السفن حتى صار له اسطول ضخم،وعندما كان يتهيأ للولاية باشا قوى تستمر عمليات الجهاد البحرى ذات المردود المشجع للاستمرار فى هذه العمليات .

حتى اذا استولى « احمد القرمانلى » على الحكم فى ولاية طرابلس الغرب عام ١٧١١م وجعل الحكم فيها وراثيا لمدة ١٢٤ سنة تحت السيادة العثمانية اتخذت عمليات الجهاد البحرى سياسة ثابتة عند كل امير من امراء الأسرة القرمانلية ، فنجد « احمد القرمانلى » مؤسس هذا الحكم الاسرى الوراثى يهتم بالأسطول ويعيد له شهرته التى كانت له أيام « درغوت باشا » ويعلن الجهاد البحرى ضد السفن المسيحية الاوروبية ، وقد كسب من وراء مهاجمته لتلك السفن الأموال والغنائم الكثيرة ، وقد أدى تهديده المستمر لسفن الدول الأوروبية الى القاء الرعب فى قلوب الأوروبيين من القوة البحرية الاسلامية القرمانلية فى عهده ، كما ضمن عدم مهاجمة الشواطىء الطرابلسية من جانب السفن الأوروبية .

وكانت علاقات « أحمد القرمانلى » مع الدول الأوروبية تتسم بالعداء بسبب سياسة الجهاد البحرى القائمة على توجيه سفن الاسطول التى بناها لمهاجمة سفن الدول الأوروبية فى عرض البحر المتوسط ، وفرض على هذه الدول دفع اتاوات تنظمها معاهدات نظير عدم تعرض سفن اسطوله لسفنهم وتجارتهم، وكانت معظم الدول الأوروبية تخضع لشروطه ضمانا لسلامة سفنهم وكانت كل من انجلترا وهولندا من اوائل الدول الأوروبية التى سارعت الى دفع الجزية المعتادة لقاء عدم مهاجمة سفنها العاملة فى البحر المتوسط .

وجاء بعد احمد باشا ابنه محمد الذى حرص على تحسين علاقاته مع كل من فرنسا وانجلترا لانهما لم تجاهرا بالعداء للمسلمين كما فعلت كل من اسبانيا والبرتغال ، ورغم ذلك فقد استمر نشاط اسطوله ضــد سفن الدول الأوروبية التى ليس بينه وبينها اتفاقات ، فأقلق ذلك الدول البحرية واسرعت الى عقد المعاهدات معه لتأمين مهاجمة سفنه ، فتم عقد معاهدة مع حكومة النمسا عام ١٧٤٩م ومع الدانمرك فى نفس السنة ومع انجلترا عام ١٧٥١م ومع فرنسا عام ١٧٥٢م وكانت المعاهدات بين ولاية طرابلس الغرب والدول الضعيفة بحريا مثل النمسا والدانمرك تنص على ان تدفع هذه الدول جزية معلومة للباشا ، واما الدول القوية مثل انجلترا وفرنسا فكانت تمارس الضغط على باشا طرابلس وتقوم بتظاهرت عنيفة فى ميناء المدينة ، واما الباشا فكان يعرف كيف يفرق بين هذين النوعين مـــن الدول فيتقبل هـــدايا النوع الأول بثقة ويقدم الترضيات للنـــوع الثـــانى .

ويصف المؤرخ الطرابلسى المعاصر لتلك الاحداث احمد النائب الانصارى عمليات الجهاد البحرى التى قام بها اسطول محمد باشا القرمانلى بقوله: وكان امراء الاساطيل ــ يقصد السفن ــ أصحاب شجاعة واقدام ، وكانوا يهجمون بمراكبهم على الأعداء بسواحل البحر الأبيض فيقتلون ويسلبون . ويعلل النائب عقد الباشا معاهدة مع انجلترا بأنه جاء بعد ضغط من انجلترا نتيجة اســـتمرار الغزوات التى قام بها اسطول طرابلس فى تلك الفترة (٤) .

وكان محمد باشا القرمانلى حريصا كما ذكرت منذ ولايته على اســـتمرار العلاقات الطيبه بين الولاية والدول الأوروبية واحترام المعـــاهدات المبرمة بين الطرفين فأعلن ذلك امام قناصل الدول الأوروبية الذين توجهوا لتهنئته بالولاية حاملين الهدايا فى ايام حكمه الاولى خوفا مـــن نتائج الصدام ، الا ان اعضـــاء الديوان مارسوا على الباشـــا ضغطا لكى يستجيب لاستمرار اعمال الجهـــاد البحرى ضد السفن الأوروبية انطلاقا من أن تلك الاعمال جهاد اسلامى ضـــد المسيحيين ، وقد استطاع الباشا بصعوبة وبعد معارضة شديدة الحصول من

---

(٤) أحمد النائب : المنهل العذب ص ٣٣١ .

الديوان على استثناء لسفن فرنسا وانجلترا ، وان كان هذا الاستثناء لم يتحقق بالكامل بسبب قيام قادة السفن الطرابلسية بمهاجمة السفن الفرنسية مما أوقع الباشا فى خلاف مع فرنسا ، وعندما حاول استرضاءها ثار عليه جند الانكشارية وخاصة من الألبان والأرناؤط المغامرين .

وتولى بعد محمد باشا ابنه على باشا الأول وله من العمر ثلاث وعشرون سـنة وقد ادرك قادة الانكشارية حداثة سـن الوالى الجديد فالتفوا حـوله وامسكوا بزمام السـلطة الفعلية فى البلاد ومارسوا سياسـة مهاجمة السفن الأوروبية مما افسد العـلاقات بين الولاية والدول الأوروبية ، ونتج عـن ذلك تعرض مدينة طرابلس لقصف من مدافع السفن الأوروبية .

كما نتج عن الصدام بين الولاية والدول الاوروبية حدوث احتكاك بين سفن الولاية وبين سفن جمهورية البندقية المؤيدة من جانب انجلترا وفرنسـا ، كان سببه ان سفن الانكشارية الطرابلسية استولت على سفينتين مـن سفن تجار البندقية فطلب قنصلها فى طرابلس استردادهما من على باشا ، ولم يستطع الباشا تحقيق هـذا المطلب لاصرار الجند ولضعفه بينهم ، حتى اذا قدم أحـد ضباط طرابلس بأسطوله الى موانى البندقية غازيا خرج اليه اسطولها واستولى على اسطول طرابلس بعد مقتل قائده ومجموعة مـن رفاقه ، ومن ثم قبل قادة الانكشارية الافراج عن سفينتى البندقية لقاء افراج البندقية عن سفن طرابلس. ومع ذلك لم تتوقف عمليات الجهاد البحرى التى قامت بها سفن ولاية طرابلس الغرب فى عهد على باشا الاول الذى حكم الولاية حوالى أربعين سنة ، ورغم المعاهدات بين الولاية والدول الأوروبية وذلك لأسباب كانتشار المجاعة والقحط منذ عام ١٧٦٧م أو تحت ضغط جند الانكشارية .

وكان يوسف باشا القرمانلى آخـر باشوات الأسرة القرمانلية اتباعـا لسياسة الجهاد البحرى ضد السفن الأوروبية فأجبر كلا من انجلترا وفرنسـا واسبانيا على دفع الاتاوات اللازمة لسلامة سفنها فى البحر المتوسط ، الا انه لم يستطع ان يجبر الولايات المتحدة الامريكية على دفـع اتاوة له مما ادى الى حدوث صدام بين الطرفين اضطر بعده يوسف باشا الى مسالمة الولايات المتحدة مما أطمع الدول الاخرى فتعرضت طرابلس الغرب لهجمات أساطيلها .

ولأهمية الصدام البحرى بين يوسف باشا القرمانلى والولايات المتحدة الامريكية وأثره فى انتهاء عمليات الجهاد البحرى على يد القرمانليين فى طرابلس الغرب نسوق القصة من بدايتها . . . ذلك ان يوسف باشا انذر الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٠٠م بأنه مالم تدفع السفن الأمريكية المارة فى البحر المتوسط مقابل الشواطىء الطرابلسية جزية سنوية وهدية سنوية ايضا لحكومته فان أسطوله سوف يهاجمها ويسلبها ما تحمله ، ولكن الحكومة الامريكية رفضت الخضوع لتهديدات الباشا .

أمر يوسف باشا أسطوله باعتراض سفن الولايات المتحدة الأمريكية وسلبها ما تحمله وعندما قام الأسطول الطرابلسى بتنفيذ أوامر سيده وتعرضت المصالح الراسمالية الأمريكية للخطر ، وتكرر اعتراض أسطول يوسف باشا للسفن الأمريكية أمر الرئيس الأمريكى بعض قطع الأسطول الأمريكى الحربى بمهاجمة ميناء طرابلس الغرب عقابا للباشا ، وبالفعل قامت هذه القطع بما أمرت به وضربت الميناء بالقنابل ودمرت بعض سفن اسطول يوسف باشا .

ولكن حدث أن جنحت سفينة من سفن الأسطول الأمريكى تدعى « فيلادلفيا » على شاطىء الولاية قرب ميناء طرابلس فى ٣١ اكتوبر ١٨٠٣م فأحاط بها جند يوسف باشا واخذوا بحارتها البالغ عددهم ثلاثمائة (٣٠٠) أسرى ، كما أخذوا ما تحمله من عتاد ومؤن ، وحاولت الولايات المتحدة التفاهم مع الباشا حتى يطلق سراح البحارة والسفينة خوفا من استرقاق هؤلاء الأسرى وتشغيلهم فى اعمال دنيا لا تناسب الجندى البحرى الا أن يوسف باشا رفض مطالب الولايات المتحدة مالم تتعهد بالاستجابة لمطالبه وتنصاع كغيرها فى دفع الاتاوات .

اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية الى اسلوب آخر تجبر به يوسف باشا على اطلاق سراح السفينة وبحارتها ، وتولى هذه العملية القنصل الأمريكى فى تونس ويدعى « ايتون » الذى استطاع اقناع احمد القرمانلى المقيم بمصر منذ أن فر من طرابلس الغرب امام بطش أخيه الأصغر يوسف باشا ، اقنعه بأن يرافق حملة عسكرية قوامها البدو والمرتزقة المالطيين واليونانيين لكى يستعيد حكم الولاية من يوسف ، باعتبار ان يوسف مغتصب للحكم منه أى من احمد .

وعندما تقدمت الحملة فى اقليم برقة — وهو الاقليم الشرقى من الولاية — باتجاه الغرب اى نحو العاصمة طرابلس ، وتمكنت الحملة من احتلال مدينة « درنة » فى ٢٦ أبريل ١٨٠٤م ، اضطر يوسف باشا الى طلب فتح باب المفاوضات مع الأمريكيين وقد انتهت المفاوضات باتفاقية نصت على تعهد يوسف باشا بعدم التعرض للسفن الأمريكية فى البحر المتوسط ، واطلاق سراح السفينة الأمريكية المحتجزة فيلادلفيا وبحارتها ، وفى مقابل ذلك دفعت الحكومة الأمريكية مبلغ ٦٠ الف قرش ليوسف باشا على سبيل الهدية ، وأعاد القنصل « ايتون » احمد القرمانلى الى مصر ثانية وانهى الحملة العسكرية ضد يوسف باشا .

استمر حكم القرمانليين الى عام ١٨٣٥ عندما عاد الحكم العثمانى المباشر الى ولاية طرابلس الغرب ، والذى استمر حتى جاء الاحتلال الايطالى عام ١٩١١م ، وفى خلال تلك الفترة خبا الجهاد البحرى من طرابلس الغرب نظرا لأن الدولة العثمانية التى شاخت فى القرن التاسع عشر حرصت على عدم الاصطدام بالدول الأوروبية بل وعدم الدخول فى حروب معها حتى اذا اعتدت احدى الدول الأوروبية على جزء من ممتلكات الدولة العثمانية ، كما حدث عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م اذ اكتفت الدولة بالاحتجاج .

الفصل الثانى

الجهـــاد البحرى الاســـلامى

فـــى

الخليج العـــربى

— خبرة عرب الخليج فى الملاحة .

— القواسم والجهاد البحرى .

— عرب الخليج الآخرون والجهاد البحرى .

— المغامرات البحرية .

خبرة عرب الخليج فى الملاحة *

يعتقد البعض ان قبائل شبه الجزيرة العربية على الاطلاق قبائل ذات صفة بدوية تمارس حياتها اليومية فى الصحراء بما تفرضه طبيعة الصحراء من اسلوب لحياة الناس ، وهم فى اعتقادهم هـذا لا يكادون يذكرون تأثير الخليج على القبائل العربية التى تعيش على سواحله ومن ثم فنحن مـع القائلين بأن حياة القبائل العربية التى تسكن شواطىء الخليج العربى تختلف الى حد ما عن حياة القبائل العربية الضاربة فى صحراء شبه الجزيرة العربية ، كما أننا مـع التسمية التى اطلقت على النوع الأول مـن القبائل وهى « القبائل البر مائية » تمييزاً عن النوع الثانى المعروف بالقبائل البدوية .

وانطلاقا من التأكيد على دور القبائل البرمائية التى عاشت وتعيش على شواطىء الخليج العربى فى بناء حياتها كان لابد أن نشير الى خبرة هذه القبائل فى الملاحة ، تلك الخبرة التى فاقت فى شهرتهـا حياة القبائل البدوية ، بل وساعدت على الاتصال بالعالم الخارجى بينما بقيت القبائل البدوية محصورة فى حياة البداوة بكل ايجابياتها وسلبياتها المعروفة بل ان القبائل البرمائيـة الخليجية تحملت الكثير للدفاع عن مياه الخليج ضد الغزاه ومن هنا نراها كما حملت رسالة الخير خارج نطاق الخليج بالعمل فى نقل المتاجر وقيادة السفن على امتداد الخليج من ميناء البصرة بشمال الخليج حتى شرق أفريقيا والهند والصين ، رأيناها كذلك تقف بصلابة ضد هجمات الاستعمار على مياه الخليج وأراضيه .

امتاز عرب الخليج اذن بالقدرة على ركوب البحر والطواف بسفنهم خارج نطاق الخليج وذلك قبل مجىء الاسـتعمار البرتغالى كأول قوة أوروبية معتدية على المياه العربية الجنوبية واشتهر من عرب الخليج ملاحون شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء بالمهارة فى الملاحة وركوب البحر ولعل اشهر هؤلاء الملاحين الملاح

(*) نشرت هذه المقالات بمجلة التربية التى تصدرها شعبة اليونسكو القطرية ـــ الدوحة عام ١٩٨١م .

العـــربى الخليجى « شـــهاب الدين احمد بن ماجد » الذى ولد « بجلفار » على ساحل عمان والذى قاد سفن « فاسكو دى جاما » المغامر البرتغالى مـــن « مالندى » بشرق افريقيا الى الهند ببراعة سجلها له « دى جاما » .

وبخبرة أهل الخليج الملاحية شاركوا فى نقل متاجر الهند فى المحيط الهندى والبحر العربى متجنبين القراصنـــة الهنود الذين اتخذوا من جزر هـــذا المحيط وذلك البحر مأوى لهم ، حتى تصـــل المتاجر الى البحر الاحمر فمصر فالبحر المتوسط فأوروبا او تصل الى الخليج العربى فالعراق فالشام فالبحر المتوســـط الى أوروبا اى ان عرب الخليج المهرة فى الملاحة والتجارة ساهموا بدور لا يمكن انكاره فى رخـــاء أوروبا وفى تزويدهـــا بمتاجر الشرق ، بل وفى بناء الحضـــارة الأوروبية الحديثة .

حتى اذا جاء البرتغاليون بقوتهم الصليبية ضد كل ما هو اســـــلامى سواء فى شمال افريقيا ، ثم فى شرق افريقيا حيث شارك عرب الخليج مع عرب الجنوب فى بناء حضارة عربية افريقية ذات مدن مزدهرة مثـــل « مالندى » و « سفالة » و « كيلوة » و « ممبسة » و « دار السلام » وغـــيرها ،وقف عرب الخليج مع القوى الأسلامية المهتمة بسلامة الملاحة فى المحيط الهنـــدى والبحر العربى ضد التدمير والعدوان البرتغالى وشاركوا فى معركة « ديو » البحرية عام١٥٠٩ م التى لم يكتب النصر فيها للتحالف الاسلامى بسبب قوة الأسلحة النارية للبرتغاليين .

وتحمل الخليجيون منذ أوائل القرن السادس عشر حتى اوائل القـــرن العشرين دورهم التاريخى فى مواجهة الغزاة المعتدين على الخليج واهله ، سواء كان هؤلاء الغزاة برتغاليون أو هولنديون أو بريطانيون ، ورغم عدم التكافؤ بين قوة اهل الخليج الحربية وقوة الغزاة الحـــربية فان الخليجيين استخدموا ما يمكن أن نسميه حرب العصابات أو عمليات الجهاد البحـــــرى ضد هؤلاء الغزاة أو العمليات التى امتلأت كتب المؤرخين الأوروبيين وصفا لها بالقرصنة ، وكانما من يدافع عن دينه وارضه وعرضه ضد عداون غاشم صليبي يتهم بالقرصنة ويطلب من المجتمع الدولى العمل على محاربته

وكان البرتغاليون بقوتهم الغاشمة قد نجحوا فى الاستيلاء على جزيرة « هرمز » ١٥٠٨ م ثم توالى استيلاؤهم على كل من مسقط والبحرين وبقية ساحل عمان ماعدا الاحساء ، واستخدموا الوحشية أسلوبا للتعـــامل مع عرب الخليج ولا عجب فى ذلك فان البرتغاليين صليبيون متعصبون ضـــد المسلمين اينما كانوا .

لم يسلم الخليجيون بالغزو والاستعمار من جانب البرتغال لبلادهم بل قاوموا ما وسعتهم المقاومة وشهدت الفترة من عام ١٦٤٠ م حتى عام ١٦٥٠ م انحسارا للوجود البرتغالى فى الخليج ساهم فيه الخليجيون بدور أساسى ، ومارسوا فيه عمليات الجهاد البحرى وشاركهم ايضا مغامرون اتراك مثـــل « بيرى بك » و « الريس مراد » و « على بك » الذين وقفوا ضد البرتغـــال فى الخليج والبحر العربى فى المــدة من عام ١٥٥١ حتى عام ١٥٨١ م . ومن الانصاف القول بأن القضاء النهائى على الوجود البرتغالى فى الخليج العربى اسهم فيه بدور كبير الانجليـــز والهولنديون عام ١٦٨٩ م وان كان ذلك من اجل مصالح انجلترا وهولندا لا من أجل مصالح عرب الخليج .

تمرس عرب الخليج اذن على عمليات الجهاد البحرى بمقدم الغـــزاة البرتغاليين ، ومن ثم فلن يصعب عليهم بعد جلاء البرتغـــاليين عن اراضى ومياه الخليج أن يواجهوا القوى الأوروبية التى حاولت ان ترث تركة البرتغال فى الخليج ، ومن المؤسف حقا ان يتسبب الاستعمار فى تحويل عرب الخليج من بناة رخاء وحضارة لأوروبا وللعالم بنقلهم المتاجر بين الشرق والغـــرب ونقلهم الثقافات المختلفة ، الى مجاهدين فى البر والبحـــر دفاعا عن دينهم وأرضهم وعرضهم وحياتهم ، ومن ثم يتضاءل دورهم الحضارى العـــالمى ، وهو أمر لا نشك فى انه مخطط من جانب الاستعماريين .

استمرت علاقة عرب الخليج بالبرتغاليين متوترة حتى بعد اجـــلاء الأخيرين عن الخليج ، فقد استطاع عرب الخليج بحملة بحرية انتزاع مدينة « ممبسة » الأفريقية العربية من أيدى البرتغاليين عام ١٦٦٠ م كما استمرت عمليات الجهاد البحرى للخليجيين ضد سفن البرتغاليين فى الخليج العربى

والبحر العربى والمحيط الهندى من عام ١٦٩٣ حتى عام ١٧٢٢ م ، وشهدت مياه الخليج سواء قرب الشواطىء الشرقية الايرانية او فى الميـــاه الاقليمية العربية من الخليج معارك ، وكانت سفن العمانيين فى مقدمة السفن الخليجية العربية فى تلك المعارك سواء أمام ميناء « كنج » الفارسى او مقابل « مسقط » العربية ، او عنـــد ميناء ممبسة الافريقية او باتجاه مدينة « ســـورات » الهندية ، واذا لم يكن النصر حليف العرب فى كل تلك المعارك الا انهم قاموا بعمليات الجهاد الاسلامى ثأرا من اعتداءات البرتغاليين السابقة على أراضى عرب الخليج .

وعندما جاء الهولنديون الى مياه الخليج اهتموا بالتجارة اكثر من اهتمامهم بالغزو والاستعمار ، وان كان هذا لا ينفى انهم اشتركوا مع الانجليز فى طرد البرتغاليين من الخليج العربى ، ولعل هذا من اسباب عدم تطبيق عــــــرب الخليج سياسة الجهاد البحرى ضد سفن الهولنديين ، ومن ثم مارست تلك السفن نشاطها فضـــلا عن سفن الانجليز وبعض المغـــــامرين العــــــرب الكارهين لكل ما هو أوروبى مسيحى .

واما بالنسبة للانجليز فقد حرصوا على توفير الأمان لسفنهم العاملة فى الخليج العربى وفى البحر العربى والمحيط الهندى لضمان انتقال المتاجر دون عقبات بين انجلترا والهند عبر مياه الخليج العربى والمحيط الهنـــــدى ، ثم ضمان المواصلات بين انجلترا ومستعمرتها فى الهند التى تكونت فى القـــرن الثامن عشر ، ومن ثم دخلت انجلترا فى منافسة مع الهولنديين للاستئثـــار بالنفوذ والعلاقات مع عرب الخليج ولحماية التجارة والمواصلات الانجليزية .

وما دمنا قد وصلنا الى القرن الثامن عشر والى بداية السيطرة البريطانية على مياه الخليج العربى فيجدر بنا ان نشير الى أن عرب الخليج كانت لهم السيطرة على مختلف الوان النشاط البحرى فى مياههم خلال القرن الثامن عشر ، حيث مارسوا صناعة بناء السفن والغوص على اللؤلؤ ، كما اداروا حركة الملاحة التجارية بين موانى الخليج بعضها وبعض ، وبينها وبين موانى

شرق أفريقيا والهند ، ومن ثم صارت لهم السيطرة على جزر الخليج وعلى أجزاء مختلفة من الشاطىء الشرقى للخليج ايضا .

كما يجدر بنا أن نفرق بين نوعين من العمليات البحرية العسكرية التى قامت بها سفن عرب الخليج ، النوع الأول موجه ضد سفن الدول الأوروبية انطلاقا من كراهية العرب لكل ماهو اوروبى بسبب ما لقوه على ايدى البرتغاليين من وحشية وهذا النوع هو مانسميه بعمليات الجهاد البحرى الاسلامى . والنوع الثانى من تلك العمليات تلك التى تقوم بها سفن عربية ضد سفن عربية اخرى فى الخليج لأسباب عدائية . كالتى تحدث فى الصحراء بين القبائل بعضها وبعض أو لمطامع رئيس قبيلة أو تنفيذا لسياسة قوة اخرى اكبر . ومن عجب أن يطلق الكتاب الأوروبيون على النوعين من العمليات البحرية اسم القرصنة .

وعلى هذا فاننا عند الحديث عن عمليات الجهاد البحرى نجد أن السفن الانجليزية العاملة بالخليج العربى لم تسلم من تلك العمليات على يد السفن العربية ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فنقرأ قرارا أصدره مجلس مديرى شركة الهند الشرقية البريطانية المنعقد فى لندن الى وكيل الشركة فى الخليج ما نصه : اذا فشلت جميع الجهود المبذولة لقمع اتجاهات القرصنة — يقصد الجهاد البحرى — لدى الأيرانيين والسلطات الأخرى فى الخليج فى تحصيل تعويضات عن الأضرار الناتجة عن القرصنة ، فان عليكم ابلاغ ذلك الى الرياسة لتعرض الأمر على قائد الأسطول الملكى فى جزر الهند الشرقية لمحاولة الحصول على المعونة فى الظروف والأحوال التى تقتضيها كل حالة بمفردها .

وكان ذلك نتيجة تأثر حركة التجارة الانجليزية منذ أوائل القرن الثامن عشر بعمليات الجهاد البحرى التى قام بها عرب الخليج والأيرانيين المسلمين ، وكان خط الملاحة الرئيسى فى الخليج يسير بمحازاة الساحل الشرقى ، ولم تغامر سفينة اوروبية بالتوجه الى القسم الغربى من الخليج منذ خروج البرتغاليين ، وكانت تتجنب دائما هذا الجانب من الساحل لأن القليل هو ما كان يعرف عنه ، وكان يعتبر منطقة غير مأمونة .

القواسم والجهاد البحرى

وفى هذا المقام سوف نناقش دور قبيلة القواسم فى العمليات البحرية ضد السفن الانجليزية ، ذلك الدور الذى بدأ عام ١٧٧٨م بهجوم قامت به ست سفن تابعة للقواسم على سفينة انجليزية تحمل رسائل رسمية واسرها واقتيادهــا الى رأس الخيمة ، وقيام ثمانى سفن تابعة للقواســم ايضا بمهاجمة السفينة البريطانية « سكسس » وهى فى طريقها من البصرة الى مسقط فى شـــهر يناير ١٧٧٩م ، ولكن هذه السفينة البريطانية نجحت فى الفرار ، كما هاجم أسطول القواسم السفينة البريطانية « اسستانس » فى فبراير ١٧٧٩م التى لاذت بالفرار والتجأت الى « بوشهر » .

واستمرت عمليات اسطول القواسم ضـــد السفن البريطانية ، فنجح فى اسر السفينة « بكلر بك » المبحرة تحت العلم البريطانى قرب « رأس مسندم » عام ١٧٩٠م ، وفى عـــام ١٧٩٧م هاجمت سفن القواسم السفينـــة البريطانية « باسين » بالقرب من جزيرة « قيس » وأسروها وقادوها الى رأس الخيمة ، وفى نفس العام هاجم الأسطول القاسمى الطراد البريطانى « فايبر » بينما كان راسيا بالقرب من « بوشهر » وان كان الطراد قد نجح فى الفــرار الا أنه خسر اكثر من ثلاثين من بحارته .

وخلال تلك العمليات زادت احتجاجات البريطانيين على عمليات القواسم وزادت تهديداتهم ، ومع ذلك كانوا يلجئون الى دفع التعويض والفدية المطلوبة أو قبول التبريرات التى يذكرها زعيم القواســـم بأنهم مثلا كانوا فى حالة دفاع عن النفس او أنهـــم اخطئوا الهدف وانهـــم يقصدون سفن العمانيين وغير ذلك من التبريرات ، وفى كل الأحوال لجأت السلطات البريطانية الى حماية الســـفن التجارية التى ترفع العلم البريطانى بسفن حربية مسلحة .

وعندما صار القواسم حلفاء للدولة السعودية الأولى واعتنقوا عقيـــدة التوحيد التى دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهـــاب ، وجدوا فى تلك العقيدة ما يوافق عملياتهم البحرية بمهاجمة السفن الأوروبية المسيحية ، حيث استندوا

الى مبدا الجهاد فى الدعوة الوهابية فباشروا عمليات الجهاد البحرى فى الخليج باسم الدولة السعودية ، وصارت هذه العمليات جزءا منحركةالجهاد وبالتالى فان الاسلاب تعد غنائم حرب ، كما ان هذه العمليات صارت امرا لازما ضد منكرى تعاليم الوهابية .

ونتيجة لتأييد امراء الدولة السعودية للقواسم ، مد هؤلاء نشاطهم البحرى الى المحيط الهندى حيث ظهرت سفنهم امام ساحل « المليار » شمال « بومباى » عام ١٨٠٨م ،وتعرضوا للسفن الأوروبية وغيرها فى اطار الجهاد الدينى حتى وصفهم الأوروبيون بأنهم يعطون مبررات دينية لكل عمل حربى يقومون به ضد السفن المعادية . وكان القواسم يرسلون خمس الغنائم التى يحصلون عليها من عملياتهم البحرية الى السعوديين .

ورغم عقد معاهدة بين بريطانيا والقواسم عام ١٨٠٦ م الا ان الخليج شهد منذ عام ١٨٠٨م نشاطا بحريا للقواسم بتولية زعيمهم الجديد « حسين بن على » امتد حتى هدد سواحل الهند نفسها ، بل واخذ القواسم بقيادة زعيمهم يطوفون فى المياه العربية بأعداد من سفنهم تراوحت بين خمسة وعشرين سفينة يقود كل منها قائد مسئول امام زعيمهم ، وقد اقلقت هذه العمليات انجلترا المرة بعد المرة حتى بدات تفكر فى اتخاذ اجراء لوقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية .

فقد عززت بريطانيا حراسة مصالحها فى الخليج العربى بعدة سفن حربية وطرادات تحمل مدافع متعددة ، ومع ذلك تمكنت سفن القواسم من اسر عشرين سفينة تجارية هندية ترفع العلم البريطانى اواخر عام ١٨٠٨ واوائل عام ١٨٠٩م فى البحر العربى والمحيط الهندى ، وقد أدى هذا النجاح الى مزيد من الجهاد البحرى قامت به سفن القواسم فى الخليج العربى والمحيط الهندى ، فهاجمت ٥٥ سفينة للقواسم بالقرب من راس مسندم سفينة تجارية ضخمة انجليزية تدعى « منيرفا » فى مارس ١٨٠٨م حيث تم اسرها ومن عليها وضمها الى اسطول القواسم ، ثم أطلق القواسم اسر البحارة لقاء جزية .

وقد بلغت جراة القواسم حدا جعلهم يهاجمون سفينة البحرية الملكية البريطانية الضخمة ذات الخمسين مدفعا خلال عام ١٨٠٩ . وكانت عملياتهم تقوم على محاولة الأسر بواسطة الاقتحام ، فتحاول سفنهم المناورة من اجل الاقتراب من الهدف لتلتصق به وعندها يندفع مقاتلوهم الى سطح السفينة المعادية مرددين عبارة الله اكبر . وكانت قوة القواسم قد وصلت الى ٦٣٠ سيفينةكبيرة و ٨١٠ سفينة اصغر حجما،وعدد الرجال العاملين على هذه السفن ٨٫٧٠٠ رجل ، استند عليهم زعيم القواسم فى مطالبة حكومة بومباى بدفع اتاوة من اجل السماح للسفن البريطانية بالمرور فى الخليج بحرية .

قررت بريطانيا التدخل ضد نشاط القواسم البحرى فجهزت ١٣ سفينة حربية محملة بالمدافع والمعدات العسكرية وعددا من الجنود والضباط يقدر بحوالى الف وخمسمائة رجل حملتهم ٤ سفن حاملة جنود ، واعطى قائد الحملة التعليمات اللازمة من اجل تدمير القوة البحرية للقواسم وبعدها عليه عقد معاهدة مع القواسم لفرض الشروط البريطانية على أن يتجنب الصدام مع الدولة السعودية حليفة القواسم .

وفى ١٢ نوفمبر ١٨٠٩م بدات عمليات الانجليز ضد مدينة راس الخيمة حيث مكث ضرب المدينة ثم الاستيلاء عليها والجلاء عنها بعد يومين أمام مقاومة القواسم ، وبعد ذلك توجه الانجليز فاستولوا على « لنجة » و« لافت » التابعتين للقواسم ثم عادت الحملة البريطانية الى مسقط ، وسجل قادتها ما يعتبر احسن شهادة على بطولة القواسم وما يؤكد أن القواسم وان خسروا معارك حربية فانهم لم يخسروا روحهم المعنوية ولن يتوقفوا عن سياسة الجهاد البحرى ، حيث سلمت من التدمير معظم سفنهم التى اختبأت فى الأخوار والخلجان العميقة فى الجانب الغربى من شبه جزيرة مسندم .

ومع ذلك ما كاد عام ١٨١٢م يبدأ حتى عادت السفن القاسمية الى مهاجمة السفن الانجليزية او تلك التى ترفع العلم البريطانى ، حيث اصبح القواسم من جديد اقوى قوة على طول خطوط الملاحة فى الخليج العربى . كما

ظهرت سفن القواسم مرة اخرى امام شواطىء الهند اواخر عام ١٨١٣م واوائل عام ١٨١٤م حيث تم اسر عدة سفن ترفع العلم البريطانى ، وعندما احتج المقيم العـــام البريطانى فى « بوشهر » رد زعيم القواسم « حسن بن رحمة » فى مايو ١٨١٤ بأنهم لم يأسروا اية سفينة تحمل ترخيصا بريطانيا ، وانه فى حالة وقوع مثل ذلك فانهـــم على استعداد لاعادة البضائع ، وانه قد اصـــدر تعليماته الى رجال قبيلته بعـــدم التحرش او الاقتراب من اية ســـفينة تبحر تحت العـــلم البريطانى .

وفى أكتوبر ١٨١٤ عقد القواســـم مع المقيم العام البريطانى فى الخليـــج معاهدة نصت على تناسى احداث الماضى بين الطرفين وان يحترم القواسم العلم البريطانى فلا يهـــاجموا الســـفن التى تحمله ، وان يسمح القواســـم للرعايا البريطانيين بالنزول والتجارة فى موانيهم وايضا للسفن البريطانية ، وأن ترفع سفن القواسم اعلاما حمراء مكتوب على كل منها « لا اله الا الله محمد رسول الله » وان يعيد القواســـم ما يغتنموه من السفن الأخـــرى ويخص الرعايـــا البريطانيين الى اصحابها .

وقد ظلت هذه الاتفاقية سارية لمدة عام حيث لم يتم القواســـم بمهاجمة السفن التى تحمل العـــلم البريطانى ، ولكن ما كاد عـــام ١٨١٥م ينتصف حتى عادت سفن القواسم الى سابق نشاطها ضد السفن الأجنبية حتى ولو رفعت الاعلام البريطانية ، كما شهد العام التالى ١٨١٦م نشاطا متزايدا ضـــد السفن الاجنبية وامتـــد نشاطهم حتى المحيط الهندى والبحر الاحمـــر الى جانب الخليج العربى ، وشملت السفن التى هاجمتها سفن القواسم ســـفن امريكية وفرنسية فى المحيط الهندى ، وثلاث ســـفن هندية ترفع العلم البريطانى عنـــد مدخل البحر الأحمر فى مارس ١٨١٦ م .

حاول الانجليز الرد على عمليات القواسم البحرية بمظاهرة بحرية لكنهم فشلوا حيث اكد زعيم القواسم انهم لم يهاجموا اية سفينة انجليزية ولم يستولوا الا على ممتلكات تعـــود للهندوس ووثنيين آخرين من الهند ، وانهـــم يحترمون اتفاقهم مع الانجليز . وقد زاد فشل المظاهـــرة البحرية البريطانية أمام جرأة

القواسم وازدياد نشاطهم مما دفع الانجليز الى مهاجمة مدينة رأس الخيمة فى عام ١٨١٩ وعندما نجحوا فى النزول الى البر بعد تدمير المدينة فرضـــوا على زعماء القواسم معاهدة صارت اساسا لمعاهدات اخرى وقعها مشايخ الخليج . ثم وفد على معسكر الحملة زعماء الشـــارقة سلطان بن صقر ، ووالد شيخ ابو ظبى المعـــروف طحنون بن شخبوط الفلاحى ، وشيخ دبى القـــاصر محمد ابن هزاع ، وشيوخ عجمان وأم القيوين وجزيرة الحمرا . وبحث معهم قائد الحملة عقد معاهدة لانهاء نشاط الجهاد البحرى . ومن عجب ان هذه المعاهدات التى وقعها هؤلاء الزعماء جميعا فى شهر يناير ١٨٢٠م صارت الأســـاس الذى ارتكزت عليه الهيمنة السياسية والاقتصادية البريطانية على اقطـــار الخليج العربى ، وتحددت علاقات بريطانيا بهذه المعاهدات باعتبارهـــا جزءا لا يمكن الاستغناء عنه من امبراطوريتها فى الهند .

عرب الخليج الآخـــرون
والجهـــاد البحرى

فاذا كان شـــهر فبراير ١٨٢٠م قد شـــهد انتهاء العمليات العســـكرية البريطانية ضد القواسم وبقية موانى الساحل العمانى التى تنطلق منها سفن الجهـــاد البحرى ، فقد اتجهت الحملة البريطانية الى بقية موانى الخليج التى شاركت سفنها فى مهاجمة السفن الانجليزية ، ولم يكن عسيرا عليها اتمام هذه المهمة ، ولكن رغم المعاهـــدات التى كبلت زعماء القبائل العربية فان النشـــاط البحرى لن يتوقف تماما .

ومما تجدر ملاحظته أن البريطانيين حين اصطدموا بالقواسم ادعـــوا ان ذلك من اجل القضاء على عملياتهم البحرية (القرصنة) ضد الملاحة فى الخليج العربى ، ولكن الدافع الحقيقى للموقف البريطانى يظهر من خلال شكاوى ممثلى شركة الهند الشرقية البريطانية فى الخليج التى انصبت على استيائهم مـــن منافسة التجار العـــرب لهم ، ومن ثم اســـتندت الســـلطات البريطانية على الادعاءات المتمثلة فى محاربة القرصنة ومحاربة تجارة الرقيق وهى تهـــدف فى

الأصل الى القضاء على التجارة والملاحة العربية . لأن معاهدات سنة ١٨٢٠م بين بريطانيا ومشايخ ساحل عمان كانت تمنع اشتباك سفن العـــرب بالسفن البريطانية او تلك التى تحمل أعلاما بريطانية ، وأن هذه المعاهدات لم تقصـــد منع الاشتباكات بين سفن المشيخات العربية المختلفة فيما بينها .

ورغم معـــاهدات ١٨٢٠م بين بريطانيا من ناحية ومشيخات الســـاحل العمانى من جهة أخرى فقد حدثت عمليات جهاد بحرى قامت بها ســـفن عربية ضد السفن الانجليزية كتلك التى حدثت للسفينة البريطانية المسماه «سنبرى» فى ميناء الشارقة عام ١٨٢٩م استولى العرب على حمولة هـــذه السفينة وان كان شيخ الامارة قد اقتص من المشاركين فى هذه العملية بحرق احد قواربهـــم المشترك فى الحادثة وجلد صاحبه .

كما حدثت عملية جهاد بحرى اخرى فى ابريل ١٨٣٥ م بين ست سفن تابعة لعرب « بنى ياس » وسفينة حربية بريطانية تدعى « الفينستون » . لم يكن النصر النهائى فيها للسفن العربية مما اجبـــرهم على قبـــول الشروط البريطانية المجحفة والتى تمثلت فى التعهد بتسليم ١٥ سفينة كانوا قد استولوا عليها وما بقى من حمولتها ، أن يدفعوا مبلغ ١٠ آلاف دولار كتعويض نقدى والتعهد بدفع مبلغ اضافى قدره ١٦٠٠ دولار ، واطلاق سراح جميع الأسرى الذين كانوا قد اسروهم ، وتسليم رجلين من رجال القبيلة تزعما العمـــلية البحرية .

اخذت السلطات البريطانية تستعرض قوتها البحرية فى الخليج بظهور السفن الحربية البريطانية فى دوريات مستمرة وزيارة موانى الخليج . وفرض ما عـــرف بنظام الهدنة البحرية والتى تحظر على سائر مشايخ الســـاحل العمانى ورعاياهم القيام بعمليات جهاد بحرى او مغامرات بحرية وتعـــاقب من يقوم بها وقد اقتصرت تلك المعاهدات فى أول الأمر على موسم الغـــوص على اللؤلؤ ثم زادت لتظل سارية لمدة سنة تتجدد ، واخيرا وفى عام ١٨٤٣ م تجددت لمدة عشر سنوات مرة واحدة .

ورغم أن نظام الهدنة أصبح سارى المفعول منذ عام ١٨٣٥ م الا أنه لم يشمل كل سواحل الخليج ، ومن ثم وجدنا عمليات الجهاد البحرى تستمر فى المشيخات التى لم تدخل فى ذلك النظام مما دفع اسطول البحرية البريطانى الى ضرب مدن الدوحة والوكرة والعديد عام ١٨٣٦ م بسبب قيام سـفن عربية من تلك الموانى بعمليات جهاد بحرى ضد السفن البريطانية والهندية التى ترفع العلم البريطانى . وتجددت اعتداءات البحرية الانجليزية ضد الدوحة عام ١٨٤١ م .

وعندما صار نظام الهندنة البحرية دائما بمعاهدة جديدة وقعها مشايخ الساحل العمانى وضمنتها السلطات البريطانية قلت الى حـد كبير عمليـات الجهاد البحرى ولم نسمع عن عمليات كبيرة كالتى كانت تحـدث قبلا . بل وجدنا فى الوثائق البريطانية تعبير الاضطرابات البحرية بدل تعبير «القرصنة» ومع ذلك حدثت عمليات فردية معظمها ضد السفن الهندية كتلك التى حدثت امام ساحل الأحساء أواخر عام ١٨٥٤ م كانت نتيجتها تدمير السفن العربية المشتركة فى هذه العملية ، وتلك التى حدثت عام ١٨٥٥ م فى الشارقة ضـد سفينة من بومباى وأيضا فى عام ١٨٥٦ م وعام ١٨٦٠ م فى أبو ظبى . وفى كل تلك الحالات حصلت السلطات البريطانية على تعويض لمستحقى السفن التى هوجمت كما تم توقيع العقاب على العرب المشاركين فى تلك العمليات .

ومنذ معاهدات عام ١٨٢٠ م بين السلطات البريطانية ومشـايخ الساحل العمانى ، جعلت تلك السلطات من نفسها رجل بوليس فى الخليج يستخدم القوة لحماية مصالحه هو ويدعى انه فى خدمة أهل الخليج والملاحة بل والمثل الانسانية عامة . فنجد هذا الوصف للسطات البريطـانية يتجلى بوضوح فى مشروع « الكولونيل بيلى » المقيم السياسى البريطانى فى الخليج الذى قدمه لحكومة بومباى البريطانية عام ١٨٦٣ م بهدف تثبيت النفـوذ البريطانى وانفراده فى الخليج العربى .

وجاء فى هذا المشروع أن هدف التواجد البريطانى — من خلال مقيمية سياسية — فى الخليج هو مكافحة « القرصنة » ومحاربة تجارة الـرقيق ،

وتنمية التجارة « البريطانية بالقطع » وأن عملية « القرصـــنة » قد تم كبح جماحها الى حد كبير وان كان الأمر يتطلب اســـتمرار المـــراقبة من جانب الأسطول البريطانى . اما تجارة الرقيق فمازالت قائمة . ومن ثم فهو يطلب جعل مقر المقيمية البريطانية فى « رأس مسندم » بدل « بوشهر » .حتى يمكن السيطرة على مدخل الخليج فيمكن منع السفن المحملة بالرقيق من دخـــول الخليج ، وكذلك السيطرة على عمليات الجهاد البحرى للعرب الخليجيين ، وبالتالى مد النفوذ البريطانى فى شبه جزيرة العرب من ناحيـــة وفى ايران من ناحية أخرى .

وثمة عمليات جهاد بحرى قامت رغم مظاهر القوة البريطانية فى الخليج من أمثال تلك العمليات هجوم سفن عربية على سفينة البريد التجـــــارية البريطانية المسماة « كشمير » أثناء القاء مراسيها فى البصرة عام ١٨٧٢ م ، وسلب ما عليها وقتل بعض رجالها وان كانت السلطات البريطانية قد تمكنتمن استعادة اغلب ما سلب على يد المهاجمين وكانوا من عربستان واعـــــدام سبعة من هؤلاء المهاجمين .

كما شهدت مياه اقليم الاحساء عملياتجهاد بحرى خلال اعوام ١٨٧٨ الى ١٨٧٩ م ، ولم تستطع السفن البريطانية العمل فى تلك المياه لأن هذا الاقليم كان بصفة رسمية خاضعا للسيادة العثمانية وان كانت سفينة بريطانية قد استطاعت اسر سفينة عربية خارج مياه القطيف عام ١٨٧٩ م . كما شهدت مياه شط العرب عام ١٨٨٠ م عملية ضد البريطانيين كان من ضـــحاياها المشرف على محطة البرق البريطانية فى « الفاو » . وقد تمكنت الســلطات البريطانية من تحصيل التعويضات اللازمة وحملت شيخ المحمـــرة — على الساحل الايرانى — على توقيع عقوبات شديدة ضد بعض اهله المســئولين عن مثل تلك العمليات .

وحينما استمرت عمليات الجهاد البحرى فى مياه الأحساء اصـــدرت السلطات البريطانية امرا عام ١٨٨١ م لقائد بحريتها فى الخليج بدخول تلك المياه وتعقب السفن العربية وعدم التقيد بمسألة السيادة العثمانية ومن ثم ظلت هذه المنطقة هادئة حتى عام ١٨٩٩ م حينما حدثت عملية بحرية عربية كبيرة قادها أحد أعضاء الاسرة الحاكمة فى البحرين والذى افلت من المطاردة البريطانية ، واستمرت تلك العمليات بدرجات متفـــاوتة حتى عام ١٩٠٥ م سواء أمام ساحل الأحساء أو على سواحل قطر .

وفى عام ١٩٠٠ م شهد شط العرب نشاطا بحريا كبيرا كان موجهـــا بالدرجة الأولى ضد السفن الانجليزية والهندية ، الى جانب اغارات متفرقة ضد سفن ايران والبحرين ولما كان شط العرب تحت ســيطرة كل من ايران وتركيا — كل على جانب — فقد حاولت السلطات البريطانية مع هاتين الدولتين لكى تضمن تعاونهما ضد من يقوم بتلك العمليات البحرية كما قامت السفن البريطانية نفسها بعمليات حربية ضد السفن العربية فى تلك المياه وحصلت السلطات البريطانية من شيخ المحمـرة على وعد بايقـــاف القائمين بتلك العمليات من بين عشيرته .

وشهدت سواحل قطر عمليات جهاد بحرى استاءت لها الســلطات البريطانية وحاولت اكثر من مرة ضرب مدن قطر . كما هددت بالضرب وقامت بمظاهرات بحرية لارغام الشيخ جاسم بن محمد آل ثانى ومنذ عام ١٩٠٠ م على التعاون معها للقضاء على القائمين بتلك العمليات البحرية من السواحل القطرية ، ومع ذلك لم تستطع السلطات البريطانية السيطرة على الساحل الا بعد فرض الحماية على قطر عام ١٩١٦ م ، وذلك بسبب عدم تعـاون شيوخ قطر تعاونا كاملا مع السلطات البريطانية فى فرض الســـيطرة على القبائل التى تعيش على الأرض القطرية .

المغامرات البحرية

ان موضوعنا يستلزم الأشارة الى تلك العمليات التى قامت بها ســفن عربية ضد سفن عربية اخرى ، تلك العمليات التى اطلقنا عليها اسم الحروب البحرية بين القبائل العربية او المغامرات البحرية للعرب .

ذلك انه حدثت بين القبائل العربية الخليجية حروب شهدتها مياه الخليج كما شهدتها صحاريه ، اى ان هذه الحروب امتدت من الداخل الى الساحل ومن الأرض الى البحر فهى اذن حروب لها اسبابها التى اهمها الصراع حول الامتلاك سواء للأرض او للمياه خاصة لأماكن الغوص على اللؤلؤ . ومن هنا لا يمكن ان نطلق على تلك العمليات اسم « قرصنة » لأن « للقرصنة » مفهوم آخر ذكرناه وليس لها من اسباب سوى الرغبة فى السلب والنهب وتتجه فى الغالب نحو السفن الأجنبية كما رأينا .

ولعل قائل يقول بان السفن العربية التى كانت تغير على بعضـــها البعض كانت تخرج من هذه الاغارات بمغانم واسلاب ، فهى لا تفترق عن عملية القرصنة اذن . ولكننا نرد عليه بالقول بأن الحروب المعلنة تعطى للمنتصر حق

الحصول على مغانم من العدو بل وأسرى ، وهى حـــروب رسمية بين طرفين يختار احدهما أو كليهما مكانهـــا ويحدد زمانها . بينما عمليات القرصنـــة غير مشروعة لأنها عدوان لا مبرر له وهى سرقة فى الظلام .

وفى هذا المجال سوف نسوق عدة أمثلة على صحة ما ذهبنا اليه ، وهو أن العمليات البحرية التى قامت بها سفن عربية فى الخليج ضـــد اخرى عربية ايضـــا كانت حربا أو مغامرات فى أقل القليل منها ولم تكن أبدا قرصنة لندرك ما رمى اليه المغرضون حين ساووا فى الوصف بين تلك العمليات وبين العمليات الموجهة ضد السفن الاجنبية المعادية .

يمكن التأريخ لتلك الحروب البحرية بين السفن العربية بعضهـــا وبعض بدخول القواسم النفوذ السعودى واعتناقهم لمبدأ التوحيد الذى دعا اليه الامام محمد بن عبد الوهاب ، ذلك ان القواسم اعترفوا بسيادة الدولة السعودية على ساحل عمان أواخر القرن الثامن عشر ، وصاروا اتباعا لتلك الدولة يطبقون مبادئها ، ومن ثم اعتبر القواسم عملياتهـــم البحرية ضد السفن العـــربية الخارجة على الوهابية جزءا من حركة الجهاد وبالتالى فان الاسلاب تعد غنائم حرب وعليها تأدية خمسها الى الحـــاكم الشرعى أى رئيس الدولة السعودية . وقـــد كانت معظم تلك العمليات موجهة ضد سفن ســـلطنة مسقط وعمان منذ أوائل القـــرن التاســـع عشر .

كمـــا حدثت تلك العمليات بين القواسم وبنى ياس منـــذ عام ١٨١٢م ، وعندما استطاع الانجليز القضاء على قوة القواسم البحرية وفرضوا عليهـــم معاهدة عام ١٨٢٠ م انضم مشايخ الساحل العمانى للمعاهدة التى فرضت عليهم عدم القيام بعمليات بحرية ضد أية سفينة بالخليج وأن تســـوى القبائل المتعاهدة الخلافات الداخلية فيما بينها ، وأن تخضع السفن العـــربية لتفتيش السفن البريطانية ، وأن تتعاون القبائل فى محاربة القبيلة التى تخرج على هذه الشـــروط .

كمـــا نصت اتفاقات الهدنة التى صارت دائمة منـــذ عام ١٨٥٣م على أن يتعهد مشايخ القبائل العربية الخليجية باحترام أمن الملاحة فى الخليج ويقـــدم هذا التعهد للمقيم العام البريطانى فى الخليج وأن يقبل الرؤساء العرب بمقتضى هذا النظام الأحكام التى تصدرها بريطانيا فى حالة نقض الهدنة . ثم صـــارت بريطانيا حكما مستديما تفرض الغرامات على القبائل العربية التى تهاجم سفنها

سفنا اخرى ومع أن هذا لا يعطى لبريطانيا حق التدخل الا فى الاشتباكات البحرية فأنها كانت تتجاوز اختصاصها فى كثير من الأحيان وتفرض وساطتها فى مشكلات تتعلق بالمناطق الداخلية .

ولقد نشطت عمليات الحرب البحرية بين سفن البحر الحربية العربية بعضها وبعض خاصة فى منطقة الأحساء والبحرين وباتجاه سواحل قطر ، لأن تلك المياه لم تشملها اتفاقات الهدنة ، وقادت قبائل بنى هاجر والعجمان وبنى مرة والمناصير وغيرهم تلك العمليات ، ونجد فى كتاب دليل الخليج شكاوى من بعض الملاحين المسلمين مقدمة للمقيم السياسى البريطانى بالخليج ضد سفن قبائل عربية خليجية لأنها هاجمت سفنهم واستولت على مافيها ، وقد كثرت هذه الشكاوى خلال اعوام ١٨٦٥ — ١٨٧٠م بصفة خاصة .

كما انتقلت الحرب البرية بين قطر والبحرين وبين قطر وابو ظبى الى الميدان البحرى وصارت عملية مهاجمة سفن اى من الطرفين لسفن الطرف الآخر امرا عاديا بحكم الحرب والعداء بين هذه الأطراف ، وشهدت السنوات الباقية من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى عمليات حربية فى البحر بين سفن عربية تابعة لمشيخة او قبيلة وسفن عربية اخرى تابعة لمشيخة او قبيلة اخرى .

ومما شجع على استمرار هذه العمليات وانتقالها من البر الى البحر ضعف الحكم التركى فى الاحساء وقطر ، وقيام النزاعات القبلية ودخول القبائل فى عمليات ثأرية ، كالنزاع بين « بنى على » وقبيلة « العمامرة » ، وكانت نتائج تلك العمليات الاخلال بالأمن واشاعة الفزع فى مغاصى اللؤلؤ مما كان له اكبر الاثر على حركة التجارة العربية فى الخليج وقد فرضت انجلترا نفوذها بالقوة فى الخليج لم تعد فى وسع السفن الشراعية العربية منافسة السفن الأوروبية ، ومن ثم صارت مشيخات الخليج فى حاجة دائمة للمساعدات الخارجية ، وقد ضمنت انجلترا هذه الحاجة لكى تحكم قبضتها على مشيخات الخليج .

ومما هو جدير بالذكر ان القبائل الخليجية لم تكرس كل نشاطها للعمليات الحربية البرية والبحرية ، بل انها ساهمت بدور فعال سواء كانت قبائل الساحل العمانى او قبائل قطر والبحرين والكويت ، وعرب سلطنة مسقط وعمان ، فى اعمال الغوص على اللؤلؤ وفى نقل التجارة بين الهند والخليج وشرق افريقيا .

ولا يمكن استكمال الموضوع دون ذكر بعض الحقائق عن نشاط غير العرب أوروبيين وهنود — فى عملية القرصنة فى المياه الهندية والعربية والافريقية لتتضح لنا الصورة كاملة بين ما يدعيه المؤرخون المغرضون عن « القرصنة » العربية ، وبين حقيقة القرصنة الأوروبية التى اتخذت لها نشاطا فى مياه المحيط الاطلنطى ، ونسوق الآن فصلا من عملياتها فى المياه الهندية والعربية .

يروى لوريمر فى كتابه دليل الخليج عن حدوث نزاع بين الانجليز والمغول فى الهند نتيجة اعمال القراصنة الأوروبيين وغيرهم خلال الأعوام من ١٦٩١ — ١٧٠٥م فيذكر أنه فى عـــام ١٦٩١م قامت سفينة انجليزية بعملية قرصنة ضــد الســفن الهندية مما دفع بسلطان المغــول الى فرض حظر على كل الســفن الأوروبية فى « سورات » وانه وجد قرصانا دانيمركيا يعمل فى المياه الهندية .

وتعددت عمليات القرصنـــة الأوروبية سواء فى المياه الهندية او فى ميــاه الخليج العربى ، ومن عجب ان نجد معظم القائمين بها انجليز يستخدمون سفنا تحمل العلم الانجليزى حتى اتفقت الدول الأوروبية فيما بينها عام ١٦٩٨م على أن تضمن انجلترا تطهير المياه الهندية من القراصنة ، وتتحمل فرنسا مسئولية حماية الملاحـــة فى الخليج العربى من القراصنة ، كمـــا تقوم هولندا بمتابعـــة القراصنة فى البحر الاحمر .

ولم تذكر المصادر أن الأوروبيين ابرياء من هذه العمليات ، بل ان المصادر الأوروبية تذكر ان المغامرين الأوروبيين هـــم الذين شجعوا بعض المغـــامرين العرب من مسقط وبعض الهنود على القيام بتلك العمليات ، بل ان المصـــادر نفسها تذكر أن سفنا تحمل العلم البريطانى تهاجم سفنا تحمل هى الأخرى العلم البريطانى حتى صـــار الانجليز مكروهين فى تلك المياه كراهيـــة البرتغاليين فى الهنـــد .

ورغم محاولات الحكومة الانجليزية المساهمة فى القضـــاء على القراصنة فى الميـــاه الهندية والعربية ، كما حـــدث عام ١٧٠٠م حين أعدمت تسعـــةمن القراصنة الانجليز ورئيسهم ، فان التجارة قـــد تاثرت بتلك العمليات حتى أن تقارير المسئولين الانجليز فى الخليج ذكرت أن ظهور قرصان انجليزى واحـــد فى مياه الخليج قد أضر بالتجارة الانجليزية اضرارا بالغا .

الفصل الثالث

التربية الخلقية كما ابرزهـــا

المجددون الاســـلاميون

- مقدمـــة .
- المتصوفون والتربية الخلقية .
- السلفيون والتربية الخلقية .

مقدمـــة (١)

يحتاج المسلمون بصفة مستمرة الى التذكير بأسس دينهم القويم انطلاقا من قول الله تعالى : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين صدق الله العظيم ، وما احوجنا كمسلمين فى عالم اليوم المضطرب ان نتذكر مبادىء ديننا العظيم لنزداد به تمسكا فى مواجهـــة موجات الالحاد والشيوعية ومغريات العصر التى تتسلط على عقول شبابنا المســـلم . وفى مواجهة ما نتعرض له كعرب ومسلمين مـــن هجمات شرسة من جانب الاستعمار والصهيونية ، وجميعنا يتطلع الى السماء ويتضرع الى الله ان يزيح عنا هذا البلاء . ونحن فى تطلعنا وتضرعنا فى حاجـــة الى تذكر الآية الكريمة : ان تنصروا الله ينصركم ويثبتاقدامكم صدقالله العظيم

ومنذ ان نزل القرآنالكريمدستور الاسلام الشاملوالمسلمون الأوائل صاروا امامنا منذ الأجيال التى تبعتهم حتى يومنا . قدوة فى السلوك نتطلع الى الاقتداء بهم ، وكلنا يعرفعنرحمةابى بكر الصديقخليفةرسول الله صلى الله عليهوسلم كما يعرف عن عدل عمر وهكذا ولكننـــا فى حاجة الى ان نتأسى بهم فى حياتنـــا الحاضرة ، ومن هنا كان دور العلماء المجددين فى الأسلام الذين ظهـــروا بصفة خاصة خلال القرنين الثـــالث عشر والرابع عشر الهجريين الموافق للقرنين التاسع عشر والعشرين الميلادين ، له اهميته فى تنبيه المسلمين الى حقيقة ما يحيط بهم وما يراد لهم مما يبعدهم عن دينهم .

---

(١) هذا الموضوع منشـــور بمجلة رسالة المعلم التى تصـــدر فى الأردن العدد الرابع السنة ٢٣ بتـــاريخ ١ يناير ١٩٨١م — وزارة التربية والتعليـــم عمـــان .

لقد شهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر الهجريان تدهورا فى اخلاقيات المسلمين فى انحاء العالم الاسلامى حتى صار المسلم مسلما بالاسم فقط او كما يقولون بشهادة الميلاد ليس الا . فأخذوا يتصارعون صراع الجاهلية الاولى حول مورد ماء او ارض عشب للرعى ، وأخذوا يقدسون الاحجار والاشجار ويتبركون ببعض الادعياء وبقبور الأولياء ، وينشغلون بتوافه الأمور عن عظائمها فبينما ينغمسون فى صراعهم ولهوهم اخذت مؤامرات الاستعمار والصهيونية تحقق اهدافها باقتطاع اراض عربية واسلامية من اهلها .

ولا عجب أن نرى من الأمة الاسلامية من ينهض لتنبيه المسلمين الى خطورة ما هم فيه ، ودعوتهم للتمسك بالاسلام نصه وروحه ، وفى هذا التمسك خلاص من شرور النفس وشرور العدو ، ومن ثم راينا جماعات من رجال التصوف الحقيقى تمارس دورها فى انحاء العالمين العربى والاسلامى لدفع المسلمين الى التمسك بالاسلام فى دينهم ودنياهم ، ورأينا جماعات من المصلحين عرفوا بأصحاب الدعوات السلفية كمحمد بن عبد الوهاب فى نجد ومحمد بن على السنوسى فى برقة بليبيا ومحمد احمد المهدى فى السودان وغيرهم وضعوا برامج شاملة لاصلاح احوال المسلمين .

وفى الصفحات التالية نماذج حية من التربية الخلقية كما دعا اليها هؤلاء المصلحون فى عصر بعد كثيرا عن عصر الرسول القدوة الكبرى ... صلى الله عليه وسلم .

المتصوفون والتربية الخلقية

التصوف ظاهرة اسلامية تقوم على طريقة أن المتصوفين فيها — كما يذكر الأمام الغزالى — على العلم والعمـل وكان حاصل علمهم قطع عقبـات النفس والتنزه عن أخلاقهـا المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بهـا الى تخلية القلـب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله ، وان اخص خواصهـم مالا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات (١) .

وقد كون المتصوفون فلسفة فى الأخلاق وفى السلوك وفى العبادة اذ أخذوا يجردون الأسباب من قوتها ويرجعون كل شىء الى الله سبحانه وتعالى فأكسبهم ذلك عزة خلقية وسعادة روحية قوامها الرضا بقضـاء الله وقدره واليقين بأن لا سلطان لقوة من قوى الأرض على مصائرهم وحياتهم (٢) .

واذا كان التصوف قد بدأ الظهور فى المشرق الاسـلامى — وبخاصة فى بلاد فارس — فان الهجمة الصليبية على بلاد الشام أواخر القرن الخامس الهجرى الموافق للقرن الحادى عشر الميلادى قد دفعت بالمسلمين الى التساؤل: كيف جرؤ أعداء المسلمين على قتل الأنفس المسلمة واستباحة اعراضها واموالها وممتلكاتها الا كونه غضب من الله على المسلمين لا يمكن رفعه الا بالرجوع الى الله وتنفيذ اوامره وتجنب ما نهى عنه (٣) .فاذا فعل المسلم ذلك صـار متصوفا

---

(١) أبو حامد الغزالى : المنقذ من الضـلال ص ١٢٣ — ١٢٤ ، تحقيق د . عبد الحليم محمود — القاهرة ١٩٧٢ .

(٢) طه عبد الباقى سرور : الحلاج شهيد التصوف الاسلامى ص ٢٦ ، القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) د . رأفت الشيخ : قضايا اسـلامية معاصرة ص ١٢٨ ، القاهـرة ١٩٨٠م .

واستحق أن يقال عنه انه رجل احب الله فآثره ، وكره الدنيا فزهد فيها (٤) .

وتعددت الطرق الصوفية على امتداد العالمين العربى والاسلامى ، وهى تمثل نشوة دينية لجأ اليها المجتهدون من ابناء الاســـلام تقربا الى الله واللجوء اليه فى مواجهة الأخطار الاستعمارية التى حاقت بالأقطار الاسلامية خاصة فى القرن التاسع عشر ، فهى اذن مظهر آخر لليقظة الاسلامية الى جانب الدعوات السلفية وفكرة الجامعة الاسلامية (٥) .

ونظرا لخروج البعض على فكرة التصوف الحقيقية صارت افكار الناس عن التصوف بأنه انقطاع عن الناس والقيام بحركات وشطحات وتمايل واذكار غير مقبولة من الدين ، ولكن التصوف الحقيقى يدافـــع عنه الامام محمد بن على السنوسى فى قوله : قد يسرى فى وهم من ليس له رســـوخ قدم فى علم القوم — المتصوفين — أن أحوال الصوفية بعضها مباين — اى مختلف — لما عليه علماء الشريعة ، كما فاه فيه بعض الجهلة تغالبا أو تنقيصا ، فاعلم أن سبيل القوم — اى المتصوفين — رضى الله عنهم اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجليـــل والحقير ، وكلما ازداد احدهم اتباعا ازداد كمالا لكون الكمال الكلى عنـــدهم فى كمال الاتباع والا فليس منهم أو ناقص عندهم ، فان اعمالهم موزونة بميزان الشريعة ، فما رجح فيه قبلوه وما لا يرجح نبذوه (٦) .

وهكذا تتضح التربية الخلقية عند المتصوفين الحقيقيين والتى تقوم على اتباع سلوك النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى كل صغيرة وكبيرة ، وان من

---

(٤) د . محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ص ٢٧٨ ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٥) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٦) د . أحمد الدجانى : احاديث عن تاريخ ليبيا فى القرنين ١٨ ، ١٩ ، ص ٧٨ — ٧٩ طرابلس ١٩٦٥م .

يبذل جهدا فى الاتباع اى فى الاقتداء برسول‌الله عليه‌الصلاة والسلام اقترب من الكمال اى اقترب من صورة المسلم الحق ، ولا عجب فى ذلك فان الله سبحانه وتعالى وصف نبيه الكريم بقوله : انك لعلى خلق عظيم صدق الله العظيم ، كما وصفه فى آية اخرى بقوله : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك صدق الله العظيم . فمن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح مسلما حقا . . ومن يستطيع ان يفعل ذلك امام صاحب الرسالة المحمدية الذى « كان خلقه القرآن » عليه الصلاة والسلام كما ذكرت السيدة عائشة .

ولقد تعددت طرق التصوف بتعدد الأشخاص والبلاد وارتبطت تلك الطرق بأسماء اصحابها . فهناك الطريقة القادرية التى تنسب الى عبد القادر الجيلانى بالعراق ، والطرق الرفاعية والأحمدية والبرهامية فى مصر ، والطرق النيجانية والشاذلية وغيرها فى المغرب العربى ، وقد تفرعت هذه الطرق الى افرع كثيرة . ورغم هذا التفرع فان جوهرها جميعا واحد وهو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كنا نأخذ على هذه الطرق فى معظمها جنوحها الى العلم والذكر دون العمل اليومى الحياتى فالمسلم الحق لا ينقطع عن الحياة للعبادة كما فعل المرابطون فى اربطتهم الذين حددوا شروط المرابط : بقطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق سبحانه وتعالى ، وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب — وهو الله سبحانه وتعالى — وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات ، واجتناب الفضلات ليكون مجاهدا مرابطا (٧) .

(٧) د . اسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ص ١١٣ .

السلفيون والتربية الخلقية

انتهج المصلحون السلفيون فى دعواتهم برامج لاصلاح احوال المسلمين الروحية والسياسية والاجتماعية ، وكانت التربية الخلقية ركنا اساسيا فى هذه البرامج انطلاقا من أن اصلاح احوال المسلمين يستند الى ان يتمسك المسلمون بدينهم لأن الدين المعاملة ، والمعاملة ذات اساس اخلاقى فى المقام الأول .

فالأمام محمد بن عبد الوهاب حرص على ابراز السلوك الخلقى للمسلم فى اطار تمسك المسلم بوحدانية الله ، وفى ذلك يقول : فاحرص ياعبد الله على معرفة هذا الحبل الذى بين الله وبين عباده ، الذى من استمسك به سلم ومن ضيعه عطب ، فاحرص على معرفة ما جرى لأبيك آدم وعدوك ابليس ، وما جرى لنوح وقومه ، وهود وقومه ، وصالح وقومه ، وابراهيم وقومه ، ولوط وقومه ، وموسى وقومه ،ومحمد صلى الله عليه وسلم وقومه ، واعرف ما قص العلماء عن اصحابه واحوالهم واعمالهم لعلك ان تعرف الاسلام والكفر ، فان الاسلام اليوم غريب واكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر ، وذلك هو الهلاك الذى لا يرجى معه فلاح (٨) .

فالامام محمد بن عبد الوهاب يريد تربية المسلمين خلقيا باتخاذ الرسل والانبياء قدوة يقتدون بها ، بل ويدعو المسلمين الى التعرف على احوال واعمال وصفات صحابة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للتأسى بهم فى حياة اليوم التى دخل الكثير منها الوان من السلوك الشركى . ولقد هاله ان يرى بعض المظاهر المبتدعة كخروج النساء خلف الجنائز الى القبور ، والاسراف فى الاحتفالات السنويه بموالد الأنبياء والأولياء وما يحدث فيها على يد الدراويش من رقص وتمايل وشطحات واذكار وغير ذلك من الأعمال المحرمة اصلا والتى تحتاج الى المحاربة (٩) .

---

(٨) محمد بن عبد الوهاب : مختصر سيرة الرسول ص ٦ فى مجلد الجامع الفريد .

(٩) د . رافت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث طبعة أولى القاهرة ١٩٧٥ ص ٢١٤ .

كمـــا أن عبد الله بن الامام محمد بن عبد الوهاب ذكر فى عـــام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣م حين دخل مكة مـــع الأمير سعود بن عبد العزيز ما يؤكد اهمية القدوة للمسلم الحق : فذهبنا فى الاصول مذهب اهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التى هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم ، وهى أننا نقر آيات الصفات واحاديثها على ظاهرها ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان مالكا — الامام مالك بن انس — وهو من اجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى صدق الله العظيم ، قال الاستواء معلوم والكيف مجهـــول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (١٠) .

أما الامام محمد بن على السنوسى فقد دعا المسلمين الى التمسك الكامل بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله اذ طلب منهم قائلا : نسألكم أن تطيعوا اوامر الله ورسوله فتؤدون الصـــلوات الخمس كل يوم ، وتصومون شهر رمضـــان وتؤدون الزكاة ، وتؤدون فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وتجتنبون ما نهى الله عنه من قول الكذب والغيبة وابتزاز اموال الناس بغير حق ، وشرب الخمر ، وتأدية شهادة الزور وغير ذلك مما امر الله باجتنابه ، فاذا فعلتم ما امـــر الله به ورجعتم عما نهى عنه أســـبل عليكم نعمة الاســـلام ومنحـــكم الخير والرزق الدائمين (١١) .

كما أن الامام محمد بن على السنوسى جعل تربيته للمسلمين عملية ، حيث قرن العمل بما جاء فى القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة بعدم الاكتفـــاء بالأذكار والأوراد ، او الاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمـــل الجدى ومراعاة احكام الشريعة الاسلامية فى الأعمال الخاصة والعامة كما كان العهـــد

---

(١٠) السيد رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ١١ القاهرة ١٩٢٥م.

(١١) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٤٥ — ٤٦ .

فى ايام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده(١٢) ودفع المسلمين الى أن يكونوا عبادا عاملين منتجين فى الزوايا السنوسية التى انشأها وتضم الى جانب المسجد والمدرسة والمزرعة والمتجر يقوم المسلمون فيها بالعمل فى شتى المجالات التى تحويها الزوايا ، ولعل خير ما يمثل هذه الروح التى ارادها صاحب الدعوة أن تكون روح الجميع هو أن بناء الزاوية نفسه كان يقوم به اهلها ، فالزاوية اذن منذ وضع حجرها الاساسى كانت مؤسسة اسلامية رمزا للنشاط والانتاج(١٣) .

كما ان الامام محمد بن علــى السنوسى حرص فى تربيته للمسلمين الى المؤاخاة بين المسلمين المتقاتلين ، ومن ثم جاءت دعوته لرجال زواياه المؤاخاة بين القبائل المتدابرة وان تؤلف الزوايا بين هذه القبائل وتعلمها كيف يــكون الاخاء وكيف يكون الايثار ، حتى اصبحت كلمة الاخوان تعنى الوفاء والاخلاص وتذكرنا بالاخوة الاسلامية فى عهدها الاول(١٤) . وقد خاطب القبائل قائلا : انا نريد ان ننشر السلام بينكم وبين الاعراب الذين يغيرون على بلادكم ويستعبدون اولادكم ، ويبتزون اموالكم . ومــن ثم تنصرفون الى اعمالكم وعبادتكم .

وجاءت فى وصايا الامام محمد بن على السنوسى لرجاله فى التمسك بالقيم الخلقية قوله : وحسنوا اخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير والصغير تطبيقا لقول الله سبحانه وتعالى : وقولوا للناس حسنا صدق الله العظيم ، وتطبيقا لما

---

(١٢) مصطفى بعيو : دراسات فى التــاريخ اللوبى ، القاهــرة ١٩٤٥ ص ٣٦ .

(١٣) د . نقولا زيادة : ليبيا من الاحتــلال الايطالى الى الاســتقلال ، ص ٧٠ ، القاهرة ١٩٥٨م .

(١٤) جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية ماضيها وحاضرها ص ١٦ ، طرابلس ١٩٦٥م .

قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرفقوا فأن الرفق ما كان فى شىء الا زانه ، وأن الحمق ما كان فى شىء الا شانه . وارفعوا همتكم عن الخلق ، وقال صلى الله عليه وسلم ، ازهد فى الدنيا يحبك الله . وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس ، عليكم بالمناصحة والمذاكرة وارشاد عباد الله اليه ، والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وعلى البر اعوانا (١٥) .

وأما الامامحمد احمد بن عبد الله المهدى فقد دعا الى الاجتهاد لمواجهة مشكلات المسلمين المعاصرة له ، واتفق فى ذلك مع الأمامين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن على السنوسى وقد قال فى ذلك : وما العبد الا الاعمال الموافقة للكتاب والسنة ، من لم يجتهد على ذلك بشق الأنفس خسر الدارين(١٦) . كما طالب باقامةالحدودالشرعية مثلقطعيد السارقورجم الزانى . بل انتهجطريقة المرابطين حين عاقب على ترك الصلاة(١٧) ، وحرم على انصاره استخدام فاحش القول وشرب الخمر وتدخين الطباق والحشيش وحرم عليهم كذلك الاشتراك فى الرقص والاستماع الى الموسـيقى واوصى بتبسيط حفـلات الزواج (١٨) .

وتأكيدا لدعوته فقد طلب من أنصاره ومريديه أن تكون البيعة التى يبايعونه بها على النحو الآتى : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله

(١٥) جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية — من رسالة بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٦٤ هـ .

(١٦) نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وجغرافيته جـ ٣ ص ١٤٥ ، القاهرة ١٩٥٣م .

(١٧) عبد المجيد عابدين : الثقافة العربية فى السودان ص ١٢٤ ، القاهرة ١٩٥٢ م .

(١٨) د . جلال يحيى : الثورة المهدية واصول السياسة البريطانية ص ٢٤ ، القاهرة ١٩٥٩م .

وبايعناك على توحيد الله والا تشرك به احدا ، ولا تسرق ، ولا تزنى ، ولا تأتى ببهتان ولا تعطيل فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن تفرض الجهاد (١٩) .

كما ان الامام محمد احمد المهدى شارك الدعوة السنوسية فى تبسيطها لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية للمسلمين مثل خفض المهر عند الزواج ، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة ، والنهى عن شعر العارية اى خروج النسوة مكشوفات الراس وعدم الاحتفال بالاعراس ، ومنع البكاء وراء الميت ، وابطال السحر والتعذيم (٢٠) وكل تلك مبادىء خلقية اجتماعية رأى محمد احمد المهدى انها تنقى المجتمع الاسلامى من الخرافات وتقوى من عوده لكى يواجه اعداء الأسلام(٢١) .

وهكذا كانت تلك امثلة عملية على التربية الخلقية فى الاسلام جاءت فى برامج المجددين للاسلام فى تاريخنا الحديث والمعاصر لعلنا نتأسى ونقتدى بهذه الأمثلة ونوجه ابناءنا الى الاقتداء بها ليعود للاسلام مجده الاول وتعود للمسلمين هيبتهم فى قلوب اعدائهم . وعلى الله قصد السبيل .

---

(١٩) نعوم شقير : نفس المرجع السابق جـ ٣ ص ١٣٩ .

(٢٠) د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص ٤٠٨ ، القاهرة ١٩٦٣م .

(٢١) د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ص ٣١٧ .

الفصل الرابع

النشاط المصرى فى الجزيرة العربية والخليج
فى
النصف الاول من القرن التاسع عشر

— ارتباط النشاط المصرى فى الخليج بالنشاط المصرى فى الحجاز ونجد .

— انشاط تركى ام مصرى ؟

— آل سعود ومشيخات الخليج .

— النشاط المصرى ومشيخات الخليج .

— النشاط المصرى والانجليز .

ارتباط النشاط المصرى فى الخليج
بالنشاط المصرى فى
الحجاز ونجـــد *

كان النشاط المصرى فى الخليج فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى وفى سنوات معدودات منه ، وعلى الساحل العربى للخليج ، نتيجة منطقية للحملات العسكرية التى أمر بها السلطان العثمانى والى مصر محمد على ضد الدولة السعودية الاولى راعية دعوة التوحيد فى الحجاز ونجد وضد الامتداد السعودى فى شبه الجزيرة العربية .

ذلك ان الحجاز ظل منذ الغزو العثمانى لمصر عام ١٥١٧ خاضعا للسيادة العثمانية ويحكمه فى ظل هذه السيادة نظام الشرافة القائم منذ القرن الرابع الهجرى حتى تم للسعوديين ضمه الى دولتهم فى نجد ، عام ١٨٠٣م (مكة) ، وعام ١٨٠٦م (المدينة المنورة) فى عهد أمير السعوديين سعود الكبير الذى امتد حكمه من عام ١٨٠٣ الى ١٨١٤م .

واما نجد فقد ظلت داخليتها بعيدة عن السيادة العثمانية . باعتبارها منطقة صحراوية تحكمها التنظيمات القبلية غير المستقرة ، وخضعت الأحساء للعثمانيين منذ دخلها جيش عثمانى عام ٩٦٣هـ الموافق ١٥٥٥م فى عهد السلطان سليمان القانونى حتى استخلصها منهم براك بن غرير بن عثمان بن مسعود آل حميد من بنى خالد عام ١٠٨١ هـ . وطرد الحامية العثمانية منهـــا ، وظلت فيهم السلطة حتى ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عام ١١٥٣هـ

---

* هذا البحث ضمن ابحاث مؤتمر تاريخ شرقى الجزيرة العربية المنعقد بمدينة الدوحة فى الفترة من ٢ الى ٨ ربيع الثانى ١٣٩٧هـ الموافق ٢١ الى ٢٧ مارس ١٩٧٧ م . تحت عنوان « النشاط المصرى فى الخليج فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » .

الموافق ١٧٤٠م واخذ يظهر دعوته المعروفة بالتوحيد فى « حريملا » ، ثـم « العيينة » حتى تم التعاون بينه وبين آل سعود فى الدرعية عـام ١١٥٧هـ الموافق عام ١٧٤٣م .

ومنذ تم التحالف بين آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ نشر الدعوة فى نجد بين قبائلها وفى الساحل العربى للخليج والعراق وامتدت الى الحجاز ، وكان ذلك دافعا للدولة العثمانية ان تغمض العين عن وجود هذه الدعوة العربية الدينية القوية وانتشارها فى الممتلكات العثمانية ، خاصـة والسلطان العثمانى يتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين وحامى الحرمين المقدسين .

أدركت الدولة العثمانية ان الدولة السعودية الفتية المندفعة بقـوة روحية هائلة تؤذن بقيام دولة عربية تناوىء سلطة الدولة وسيطرتها عـلى المنطقة العربية ، ومن ثم عملت الدولة العثمانية على محاربة الدعوة فى مكان انطلاقها قبل أن تمتد الى بقية الأقطار العربية فوضعت الخطط وعبأت علماء الدين الذين شرعوا اقلامهم والسنتهم يؤلفون الكتب ويخطبون الخطب على المنابر . يرمون أتباع دعوة التوحيد بالزندقة والخروج على الاسلام وعلى سلطة خليفة المسلمين السلطان العثمانى(١) .

وحيث عجز باشوات بغداد ودمشق فى القضاء على الدولة السعودية بقوتها الروحية فان السلطان العثمانى أوكل الى محمد على والى مصر أداء هذه المهمة ، وهو بهذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، التخلص من محمد على باضعاف قوته ، والتخلص من الدولة السعودية العربية راعية دعوة التوحيد الأصلاحية .

كان نشاط جيش والى مصر فى الحجاز ونجد من عام ١٨١١ الى ١٨١٨م تلبية لدعوة السلطان العثمانى بداية الاهتمام بساحل الخليج العربى ، وقد مرت الحرب بين جيش والى مصر وقوات آل سعود بثلاثة أدوار ، استغرق

---

(١) د . محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ص ٢٠ .

الدور الأول منها عامين من نزول جيش محمد على الى ينبع ميناء المدينة المنورة فى خريف عام ١٨١١م حتى وصول محمد على بنفسه الى جدة اواخر اغسطس عام ١٨١٣ م . وكان عدد جيش محمد على الذى شارك فى هذا الدور ثمانية آلاف جندى ، جاء ستة آلاف منهم بالسفن ، وجاء برا الفان من الخيالة الترك والعرب يقودهم طوسون بن محمد على (٢) .

ويبدأ الدور الثانى للحرب بين الطرفين بوصول محمد على الى جـدة حتى عودة ابنه طوسون الى مصر أوائل نوفمبر عام ١٨١٥ واختيار ابراهيم باشا بن محمد على قائدا للجيوش فى الجزيزة العربية . وتروى بعض المصادر أن محمد على حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين حاكم الدرعية سعود لأن المهمة التى اوكلت اليه وهى استرداد الحجاز قد انتهت ، وليست هنالك من فائدة من الحرب ، ولا مطمح لمحمد على فى نجد ، ولكن سعود أبى ، ويرجع البعض رفضه الى صرامة شروط محمد على القاضية بأن يدفع سعود المبالغ المالية التى صرفت على الحملة العسكرية ، ورد المأخوذ من الجـواهر والاموال التى كانت بالحجرة النبوية او ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد على (٣) ونحن مع الراى القائل بأن لمحمد على مهمة محددة فى الجزيرة العربية وهى القضاء على دولة آل سعود التى زعزعت هيبة الدولة العثمانية فى نفوس المسلمين واظهرت عجزها المادى امام دول العالم .

ويبدأ الدور الثالث فى الحرب بين الطرفين بتولى ابراهيم باشا قيادة الجيوش فىالجزيرة العربية ، وينتهىعام ١٨١٨باستيلائه علىالدرعية عاصمة آل سعود والقبض على الأمير عبد الله بن سعود(٤) ، حاكم الدرعية وارساله الى القاهرة ، ومما يؤثر عن ابراهيم باشا أنه عامل جميع أفراد العائلة المالكة السعودية بالتجلة والاحترام اللائقين بهم ، غير أن الحال يختلف بالنسبة الى انصارهم(٥) .

---

(٢) أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٧٢ .
(٣) حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٢٣ .
(٤) د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .
(٥) سنت جون فيلبى تعريب عمر الديراوى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ص ١٦١ .

كان لنجاح حملة محمد على فى الحجاز ونجد عدة نتائج بالنسبة لطموح محمد على نفسه من جهة ، وبالنسبة لمشيخات الخليج العربية من ناحيـــة اخرى . فقد كان الباشا يطمع قبل ذهاب جيشه الى الحجاز فى ضم الشام الى ولايته ، وانه سوف فى تنفيذ أوامر السلطان اليه من عام ١٨٠٦ الى عام ١٨١١ م مستخدما هذا التأخير كوسيلة ضغط على السلطان العثمانى لكى يوافق على مطلب محمد على فى الشام . الذى اخذ يظهر فى مراسلات محمد على الى السلطان منذ عام ١٨١٠م .

حتى اذا اعلنت انتصارات حملة الحجاز الاولى عاد محمد على من جديد الى المطالبة بضم الشام الى ولايته ، استنادا الى انه نجح فيما فشل فيـــه باشوات بغداد ودمشق وأن ضم المراكز الاسلامية المقدسة ــ مكة والمدينة المنورة ــ قد بعث فى نفس محمد على الطموح الى زعامة اسلامية لا عربية(٦) . وهذا يعنى أن انتصارات جيوشه فى الدور الاول من الحرب فى الجزيرةالعربية؛ قد اعطت محمد على فرصة المناقشة الجدية مع الباب العالى من اجل تحقيق طموحه .

ولم تكن هذه الانتصارات الأولى فى الحجـــاز بكافية فى نظر السلطان العثمانى كنهاية لأهداف الحملة العسكرية المرسلة من مصر ، لأن السلطان حدد منذ البداية تلك الأهداف بالقضاء على الدولة السعودية ، ومن ثم اخـــذ يحث محمد على ــ أثناء تواجد الأخير فى الحجاز ــ على ضرورة مهاجمة نجد ، واستغل الباشا الفرصة وطالب بدوره ، ومن جديد ، بولاية الشام مقابل اجابة مطلب السلطان .

كان هذا من نتائج انتصارات جيوش محمد على الأولى فى الحجاز بالنسبة لطموح محمد على نفسه واما بالنسبة لمشيخات الخليج العربية فقد كان نجاح جيوش محمد على فى الحجاز ونجد التى انتهت كما رأينا عام ١٨١٨م بالقضاء على الدولة السعودية الأولى ، ان تطلع محمد على بأنظاره تجاه منطقة الخليج ، اى ان هذا التطلع نحو الخليج كان نتيجة منطقية وثمرة من ثمار الوجود المصرى فى الحجاز ونجد .

---

(٦) Dodwell : The Founder of Modern Egypt P. 130.

انشاط تركى أم مصرى ؟

وقبل ان نتابع النشاط المصرى فى الجزيرة العربية امتدادا من ساحل البحر الاحمر حتى ساحل الخليج خلال سنوات النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لنا ان نتساءل عن هوية هذا النشاط حيث ثارت تساؤلات عن طبيعة هذا النشاط ، وهل هو مصرى أم تركى ، اى هل كان بأيد مصرية عربية ، ولتحقيق اهداف مصرية عربية ، أم بأيد تركية ولتحقيق اهداف تركية .

جاء هذا النشاط — كما ذكرنا — استجابة لنداءات متكررة من السلطان العثمانى احتوتها فرمانات تجديد ولاية محمد على لمصر منذ عام ١٨٠٦م . اذن كان الهدف من البداية تركيا لا مصريا . واذا كان النشاط قد جاء استجابة لأوامر السلطان العثمانى لواليه فى مصر ، فان هذا الوالى كان يطمح الى توسيع رقعة ولايته ، ورغم أنه كان يتجه بطموحه نحو سوريا ، حيث كان يعتبر نفسه — كما ذكر القنصل الفرنسى فى مصر دروفتى DROVETTI أمل الحركة الاسلامية واذا ما ساعدته الظروف ، فما الذى يمنعه من احتلال مكان السلطان ويصبح مجدد الامبراطورية العثمانية كلها(٧) .

وكان محمد على يأمل ان توافق انجلترا على مشروعاته بالاستقلال بمصر عن الباب العالى وسأل القنصل البريطانى فى مصر قائلا له : الا ترى من المستحيل الابقاء على الباب العالى ؟ لقد فقدت الحكومة ثقة الناس داخل العاصمة ، وفى المقاطعات .. ان الطريق الوحيد هو مساندتى . بالأنجليز كأصدقاء لى استطيع ان افعل اى شىء ، وبدونهم لا استطيع أن افعل شيئا(٨)

---

(٧) بيير رنوفان تعريب د . جلال يحى : تاريخ العلاقات الدولية ص ١٢٨ .

(٨) انتونى ناتنج تعريب د . راشد البراوى : العرب ، انتصاراتهم وأمجاد الاسلام ص ٣١٤ .

ولكن تطلعات محمد على هذه تحطمت على صخرة المعارضة الدولية فتبـــل توجيه نشاطه العسكرى الى شبه الجزيره العربية .

ومن ناحية اخرى كان هذا النشاط فى محتواه تركيا ايضا ، حيث كانت القيادة تركية والضباط والجنود الذين شاركوا فى الحملات العسكرية اتراكا من الأرناءود والانكشارية ممن تمرد على محمد على وأراد التخلص منهم(٩) ، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه تسمية هؤلاء الجند فى كتب مؤرخى نجد باسم الترك والروم(١٠) وما يؤيد ذلك ايضا أن محمد على فى تنظيمه للجيش الحديث اعتمد اولا على المماليك ، واقدم لأول مرة عام ١٨٢٣ على تجنيد المصريين من ابناء الفلاحين ، بالرغم من الاعتراضات والصعوبات .

وتكونت ستة آلايات(١١) من ابناء المصريين والسودانيين لأول مرة عام ١٨٢٣م ، أرسل منها الآلاى الاول الى سنار وكردفان فى ٥ يناير ١٨٢٤م ، ثم سار الآلاى الثانى الى القصير للأبحار منها الى جدة(١٢) ، وهذا معناه عـــدم

---

(٩) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهـــد الملك عبد العزيز جـ ١ ص ٣٩ .

(١٠) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ١ ص ١١٧ . كما ذكر محمد بن عبد الله الانصارى فى كتابه تحفة المستفيد ص ١٣٨ ان الدولة التركية جمعت من آلات الحرب ومن المدافـــع والقنابل والذخائر والأموال وعددا كبيرا من الجنود الى الديار المصرية ، وأمرت محمد على باشا والى مصر بحرب الامام سعود .

(١١) يذكر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه تطور الحركة القومية جـ ٣ انهم ست اورط ، والاورطه تتكون من ٨٠٠ جندى فقط ، بينما يذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه بناء دولة مصر محمد على ص ١٥٢ أن الكولونيل سيف قائد المدرسة العسكرية استطاع عام ١٨٢٣ م أن يعد ستة آلايات من الجند المشاه طبقا للتعاليم والانظمة المعمول بها فى فرنسا ، من العبيد (السودانيين) والفلاحين (المصريين) فى معسكر أسوان .

(١٢) د . محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ١٥٣ .

اشتراك المصريين فى جيش محمد على الذى اصطدم بالدولة السعودية الأولى ودمر عاصمتها الدرعية ، ورغم تجنيد المصريين فى هذه السنة المتأخرة الا انهم كونوا آلايات المشاة ، لأن بقية الأسلحة من فرسان وطوبجية مازال خليطا من ترك وارناءود ومغاربة ومماليك بيض(١٣) .

ولسنا فى حاجة الى تأكيد تركية محمد على ، فقد كانت سيطرته تستند الى الأتراك وحدهم والذين كانت تتكون منهم القيادات الادارية والعسكرية(١٤)، ليس فقط فى مصر بل حتى فى الحملات العسكرية الأولى (١٨١١ — ١٨١٨ م) والحملات الأخيرة (١٨٣٨ — ١٨٤٠) فى شبه الجزيرة العربية ، وظل وصف هذه الحملات عند اهل الجزيزة العربية بأنها تركية ، ذلك انه عندما تعاون الأمير « خالد بن سعود » مع محمد على للسيطرة على نجد ، واقام الأمــير فى « عنيزة » جاءه وفد من اهل الرياض يعرض عليه خضوع بقية نجد له فيما عدا « الخرج » « وفرعة » ، وكان زعماء هذين البلدين قد كاتبوا « خالدا » يعرضون عليه قبولهم به حاكما على نجد شريطة أن لا يكون للأتراك به علاقة ، ووصلت هذه الرسالة للامير لدى وصوله واسماعيل اغا — قائد جيش محمد على — الى الرياض فى بداية شهر مايو عام ١٨٣٧م ، فأصر اسماعيل اغــا على تأديب هؤلاء على وقاحتهم(١٥) .

وعلى أية حال فان الشيء الوحيد الذى جعل لهذا النشاط العسكرى اسمه المصرى هو اعتبار ان الحملة العسكرية خرجت من مصر واعتمدت على مواردها ، واشترك فيها شهبندر تجار مصر احمد المحروقى ، وبعض مشايخ الازهرفى مجالات السياسةوالدعاية المصاحبة للحملة(١٦)وانكان يجبان نلاحظ

---

(١٣) د . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) القرن التاسع عشر الميلادى ص ٣٤٧ .

(١٤) بيير رنوفان : المرجع السابق ص ١٢٧ .

(١٥) فيلبى : المرجع السابق ص ٢٠٠ .

(١٦) د . صلاح العقاد : الحملة المصرية فى شبه جزيرة العرب ، جلة دراسات الخليج والجزيرة العربية — ابريل ١٨٧٦ م .

ان فرسانا من بدو الصحراء المصرية شاركوا كمتطوعين الى جانب بدو الحجاز ونجد تحت قيادة ابراهيم باشا فى الدور الأخير مـــن العمليات العسكرية فى شبه الجزيرة العربية ١٨١٨/١٨١٩م ، الى جانب بعض المصريين الذين سيقوا لخدمة الجنود .

واخيرا نتساءل . . هل كان هذا النشاط المصرى لتحقيق وحدة عربية ، فى الواقع لم يكن ذلك واردا على الاطلاق فى ذهن محمد على الذى لم يؤثر عنه انه تحدث مرة لغة الضاد . ولا يمكن الاعتماد على اشادة ابنه ابراهيم باشا بالعروبة وتحدثه اللغة العربية والتعامل الطيب مع العرب فى نجد ، حتى نقول ان هذا النشاط كان لتحقيق وحدة عربية ، فاذا اضفنا ان فـكرة الوحـــدة العربية لم تكن مطروحة آنذاك بين العرب انفسهم لأدركنا ان هذا النشاط انما جاء لتحقيق هدف شخصى بحت لمحمد على بطموحه الذى قاسى من اجـــــل تحقيقه كل مصرى .

آل سعود ومشيخات الخليج

بعد استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية وقضائه على الدولة السعودية الأولى فى سبتمبر عام ١٨١٨م ، سار بنفسه الى اقليم الأحساء المطل عـــلى الخليج ، ويبدو انه كان يهدف الى ضم هذا الاقليم الى فتوحاته فى نجد ، ولذلك اقيمت فى الأقليم عدة مواقع عسكرية متناثرة(١٧). ولما كانت قوات ابراهيم باشا غير كافية للمحافظة على هذا الامتداد الواسع من الحجاز الى الخليج، فان القوات مالبثت ان انسحبت من الاحساء فى شهر يوليو عام ١٨١٩م وتركت الاقليم لحكامه قبل الوهابيين من بنى خالد ، على ان يبقى تابعا للبـــاب العـــالى(١٨) .

---

(١٧) خير الدين الزركلى : المرجع السابق ص ٣٩ .

(١٨) لوريمر : دليل الخليج (القسم التاريخى) ج ١ ص ٣٠٦ .

كان على راس الاسرة السعودية آنذاك بعد سفر عبد الله بن سعود الى القاهرة الأمير « تركى بن عبد الله » الذى حمل لواء الثورة ضد الاتراك من عام ١٨١٩ حتى اغتيل عام ١٨٣٣ فتولى زعامة آل سعود عندئذ ابنه فيصل ، الذي عمل على اخضاع كل اقليم نجد وساحل الخليج ، واعاد الأمن الى المنطقة ولم يخرج عن حوزة امارته سوى الحجاز التى كانت خاضعة لمصر(١٩) .

ولكن باشا مصر — محمد على — عمل على القضاء على دولة فيصل بن تركى فى نجد والخليج ، وبالفعل استطاع قائده خورشيد باشا أن يستولى على الرياض عام ١٨٣٨م ، ومن ثم استسلم فيصل لخورشيد الذى ارسله مــع اخيه « جلوى » وولديه « عبد الله » و « محمد » الى مصر (٢٠) فى ذلك العام ، وظلوا بها حتى فر منهــا فيصل عام ١٨٤٣ م وعاد الى نجــد لكى يؤسس الدولة السعودية الثانية .

ولنا ان نتساءل عن طبيعة علاقات آل سعود بساحل الخليج العربى ؟ من الثابت أن الدولة السعودية الأولى عملت على مد نفوذها الى مشيخات الخليج والاحســـاء منــذ بدات تخرج من الدرعيــة حملاتها لنشر دعـــوة التوحيـــد (الوهابية) وكانت اولى حمــلات آل ســـعود نحو الخليج غزو الأمير عبد العزيز بن محمد بن ســـعود عام ١١٧٦هـ لاقليم الاحســـاء ، حيث حقق من ورائها عدة مكاسب عسكرية ومالية ، ولكن الصراع استمر بـــين آل سعود وبين بعض زعماء الأحساء وجيشا من باشوية بغداد، كان النصر فى النهاية لصـــالح آل ســـعود الذين اكدوا سيطرتهم على الأحســـاء حتى مجيء الحملة المصرية .

---

(١٩) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٣١ .
(٢٠) حافظ وهبه : المرجع السابق ص ٢٢٤ .

وكانت حملات آل سعود نحو الخليج تخرج باسم الجهاد لتطبيق مبادىء دعـوة التوحيد بعمليات عسكرية وتفرض ضرائب باسـم الزكاة الى جانب غنائم الحـروب التى تحصل عليها اثناء العمليات العسكرية ، وقد استغرقت هذه الحملات سنوات الربع الأخير من القرن الثامن عشر تقريبا والسـنوات الأولى من القرن التاسع عشر حتى سيطرت القوات المصرية واقامت وجودا مصريا فى الجزيرة العربية فى الفترة من عام ١٨١١ الى ١٨٤٠م ، حيث انشغل السعوديون بالصراع ضد قوات محمد على ، ومن ثم خففوا قبضتهم عن الأماكن التى يسيطرون عليها فى الخليج(٢١) .

وكانت ردود فعل مشيخات الخليج نحو امتداد نفوذ آل سـعود الى اراضيهم مختلفا وفى رأينـا ان كل مشيخة اتخذت الموقف الذى يتلائم مـع مصلحتها وامكانياتها وتطلعاتها ففى الوقت الذى كانت فيه قبيلة بنى خالد التى تسكن الاحساء يعتنق معظم عشائرها المذهب الشيعى الذى يتعارض مع دعوة التوحيد السنية الشديدة التعصب لسنيتهـا ، فان بنى خالد امام قوة آل سعود اضطروا للخضوع ، وقبلوا ضم اقليم (الاحساء) للدولة السـعودية ، وان ظل الشيعة فى بعض مـدن الخليج غير موالين للدولة السعودية ، وبقوا شوكة تقلق آل سعود .

وأما قطر التى كان يسكنها عدة قبائل مثل آل مسلم ، وآل حسن ، والمعاضيد وغيرهم فقد كانت لها مكانة تجارية وزراعية كبيرة بالنسبة لاقتصاد العصر (٢٢) ورحب معظم اهلها بالدعوة الوهابية عندما قام ابراهيم بن عفيصان القائد السعودى فى ١٧٩٢م بغزو قطر ومعه جماعة من اهل الخرج والفـرع (٢٣) .

---

(٢١) لوريمر : المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(٢٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الاولى ص ٨٥ .
(٢٣) حسين بن غنام : تاريخ نجد ص ١٨٠ .

كما رحب أهل واحة البريمى فى عمان بدعوة التوحيد ، واستقبلوا رسول آل سعود ابراهيم بن سليمان بن عفيصان عام ١٧٩٥م ، حيث اعتبرت البريمى قاعدة ينطلق منها نشاط رسول آل سعود لنشر نفوذ الدولة السعودية فى بقية مشيخات الخليج حتى جزر البحرين ، كما دخلت قبيلة القواسم القوية فى ساحل عمان فى تبعية الدولة السعودية منذ عام ١٨٠٢ (٢٤) ومن ثم أصبحت نشاطاتهم الحربية على الأكثر يلهمها الوهابيون . وان كان آل سعود قد فشلوا فى اخضاع الكويت لسيادتهم بعد معارك بين الطرفين امتدت من عام ١٧٩٣ الى عام ١٨٠٤م .

وبهذا نلاحظ ان الدولة السعودية لم تستطع أن تمد نفوذها لتشمل كل ساحل الخليج العربى ، فاضطرت الى أن تقبل من كل ارض جديدة على الخليج اعلان التبعية — بواسطة الحكام المحليين او بواسطة زعماء القبائل ومظهر هذه التبعية الوحيد هو تقديم الزكاة أو نسبة من غنائم الحروب مع ترك جميع الشئون الأخرى بين الحكام السابقين (٢٥) .

وكان وجود القوات المصرية فى شبه الجزيرة العربية سببا قويا لكى يقاوم أعداء آل سعود فى الخليج مد النفوذ السعودى الى اراضيهم . فقد دارت معارك دامية بين سلطان عمان سعيد بن سلطان وبين قائد آل سعود وممثلهم فى البريمى « مطلق المطيرى » استغرقت السنوات ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣م واذا كان « مطلق المطيرى » قد نجح فى غزو سلطنة عمان واكتسح أقاليم مسقط وشرقى صحار وجعلان ، وضم الى جانب الدولة السعودية قبيلتين من القبائل الكبرى فى شرق عمان ، بعد أن اعتنقت هاتان القبيلتين دعوة التوحيد ، فان هذه الانتصارات انتهت دون عائد كبير ، اذ لقى « مطلق المطيرى » مصرعه نهاية عام ١٨١٣م ، كما توفى أمير الدولة السعودية سعود

---

(٢٤) ارنولد ويلسون تعريب عبد القادر يوسف : الخليج العربى ص ٣٣١ .

(٢٥) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٥٨ .

الكبير عام ١٨١٤م ، الذى كان زعيما ذا كفاءات سياسية وادارية كبيرة (٢٦) ، الى جانب تقدم القوات المصرية من الحجاز الى نجد ، كل ذلك اضعف من النشاط السعودى فى الخليج .

كما اضعف النشاط السعودى ايضا موقف الحكومة الفارسية من قيام وامتداد الدولة السعودية ، وهو موقف اتسم بالعداء ، وتجلى فى مساعدة آل خليفة فى البحرين على استرداد الجزر من سيطرة آل سعود عام ١٨١٠م . وكان آل سعود قد أرسلوا جيشا بقيادة ابراهيم بن عفيصان لمساعدة آل خليفة فى تخليص البحرين من صاحب مسقط ، ونجحت قوات ابراهيم بن عفيصان فى استردادها من صاحب مسقط عام ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٨م ولكن هذا القائد السعودى لم يسلم زمام أمورها الى آل خليفة ، بل اعلن ضمها لسلطان آل سعود حتى عام ١٨١٠م (٢٧) .

ولكن نشاط آل سعود ما لبث أن اخذ يستعيد مكانه فى الخليج بعد نكسة عام ١٨١٨م ففى عام ١٨٢٨م وصل الى الرياض وفد من أهل عمان يطلب مساعدة عسكرية سعودية مقيمة فى عمان ، وتعيين وال وقاض ، وقد استجاب الأمير « تركى » زعيم الأسرة السعودية لهذه المطالب بارسال عمر بن محمد بن عفيصان على راس قوة كافية لينصب عبد الله بن سعود من « القويعية » واليا على الاقليم ، على أن يتخذ مركزه فى البريمى ، وعين كذلك الشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى قاضيا ، ولدى وصولهم الضاهرة استقبلتهم وفودها مع عناصر اخرى من « البطينة » الواقعة فى المنطقة الساحلية من عمان بمظاهر الترحيب والتكريم (٢٨) .

---

(٢٦) لوريمر : نفس المرجع جـ ١ ص ٣٠٤ .
(٢٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ .
(٢٨) فيلبى : المرجع السابق ص ١٨١ .

وظهر النشاط أسعودى فى الخليج بوضوح أكثر باسم الامير « خالد بن سعود » الذى اعترف به قادة الحملة المصرية اميرا للدولة السعودية عام ١٨٣٨م ، وذلك كوسيلة لتفتيت قوة هذه الدولة ، وخالد هذا شقيق الامام عبد الله بن سعود ، الذى اخذ الى القاهرة عام ١٨١٨م ، من جارية حبشية نشأ فى كنف محمد على فتمصر ، وجاء يحكم نجد حكما عصريا فنفر النجديون منه (٢٩) ، ولكنه حاز رضا الاتراك ووالى مصر فاندفع يحاول استعادة نفوذ الدولة السعودية فى الخليج ، واستفاد منه النشاط المصرى هناك ، وانها لحركة بارعة من محمد على أن يشرك معه فى مشروع الاغارة على نجـد والامتداد الى الخليج شخصا يعتبره معظم النجديين الوارث الشرعى لأمجاد البيت الحاكم (٣٠)

وكان خورشيد باشا قائد الجيش المصرى فى نجد قد قبل ما عرضـه عليه فيصل بن تركى بأن يسلم نفسه بشرط ان يعفو القائد عـن الأهالى ويؤمنهم على ارواحهم واموالهم وفى ١٠ ديسمبر ١٨٣٨م الموافق ٢٣ رمضان ١٢٥٤ هـ سلم فيصل ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الخرج ، ثم سلم نفسه الى القائد فبر بوعده ، اذ عفا عن الاهالى ، وقد احسن معاملة فيصل فاستصحبه الى مصر ، وولى مكانه خالد بن سعود الذى انفـرد بزعـامة آل سعود (٣١) .

ورغم انتشـار القوات المصرية فى موانى القطيف وسيهات والعقير بساحل الخليج ، فقد ظل الأمير خالد رئيسا للدولة السعودية ، وقد اقام له الحكم المصرى عام ١٨٣٨م احتفالا كبيرا بتنصيبه ، وخلـع عليه ثـوب

---

(٢٩) أمين الريحانى : المرجع السابق ص ٩٤ .
(٣٠) فيلبى : المرجع السابق ص ١٩٩ .
(٣١) أمين الريحانى : المرجع السابق ص ٩٥ .

الشرف ، واكد والى مصر للدول الاخرى أن الوجود المصرى فى نجد انما هو بقصد ضمان حقوق الأمير خالد الشرعية فى الحكم ، وهذا لا ينفى أن خورشيد باشا تولى بنفسه ادارة شئون نجد وما وصل اليه النشاط المصرى على ساحل الخليج(٣٢) . وعندما عادت الاحساء الى سلطة الامير خالد بن سعود والمصريين — برحيل فيصل بن تركى الى مصر أرسل خورشيد باشا اليها محمد افندى لسن الضرائب وترتيب طرق الجباية التى لم تكن معروفة ولا مألوفة فى تلك البلاد ، واستمرت الحال على ذلك الى شعبان سنة ١٢٥٥هـ(٣٣) .

النشاط المصرى ومشيخات الخليج

يستدعى حديثنا عن النشاط المصرى فى الخليج أن نتناول هذا النشاط فى اجزاء الخليج الطبيعية المعروفة ، لنقف على المدى الذى وصل اليه هذا النشاط ، وموقف عرب الخليج من هذا النشاط ، الذى ادركنا انه كان منذ البداية نشاطا تركيا فى هدفه وفى حقيقته بحكم أنه يتم باسم السلطان العثمانى وتحت قيادة تركية للقوات العسكرية ، ولتحقيق مجد شخصى لوالى مصر العثمانى محمد على .

وعلى هذا فاننا سوف نتناول النشاط المصرى خلال اعوام ١٨٣٨ الى ١٨٤٠م فى كل من سلطنة عمان ، ثم فى الساحل العمانى المتصالح ، ثم فى قطر ، ثم فى البحرين ، ثم فى الاحساء واخيرا فى الكويت ، وسوف نشير اشارة سريعة الى امتداد هذا النشاط امتدادا اسميا قليلا الى العراق .

---

(٣٢) لوريمر : المرجع السابق جـ ٣ ص ١٦٣٨ .

(٣٣) محمد عبد الله الأنصارى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد — القسم الأول ص ١٥٤ .

أولا — سلطنة عمان :

كان اتخاذ القطيف — بالاحساء — مركزا للقيادة المصرية دليلا وطريقا ليمتد النشاط المصرى الى مشيخات الخليج ، كما كان استخدام ابناء الأسرة السعودية مثل الأمير خالد وبعض رجال آل سعود كسعد بن مطلق ، هى الادوات التى استخدمهـــا محمد على لتحقيق اهدافه فى ســـاحل الخليج العـــربى .

استند خورشيد فى تحقيق اهداف سيده فى عمان على رجل السعوديين هناك سعد بن مطلق ، والذى اخذ يعمل باسم خالد بن سعود أمير الدولة السعودية المشمول بحماية ونفوذ والى مصر ، وقد اتخذ السيد سعيد سلطان عمان موقفا يتسم بالتردد والحذر فى تعامله مع النشاط المصرى ، اذ رأيناه رغم تقديره لشخصية محمد على ، واعجابه ببناء دولة حديثة فى مصر الى الحـــد الذى كان يرغب فى اقامة علاقات مع والى مصر ، تـــدل على ذلك الرسائل القليلة التى بعثها سعيد الى والى مصر (٣٤) ، الا انه حين ايقن من موقف الحـــكومة البريطانية المعادى للمصريين فى شرق الجزيرة اتخـــذ موقفها (٣٥) . ولم يتخذ النشاط المصرى اية سياسة حازمة ضد ســـعيد بالنظر الى موقف العداء البريطانى لأمن النشاط المصرى فى الخليج فقط بل من النشاط المصرى فى سوريا ايضا .

ثانيا — الساحل العمانى المتصالح :

كان من الطبيعى ان يمتد النشاط المصرى الى الساحل العمانى المتصالح عن طريق استخدام رجل السعوديين سعد بن مطلق ، ورحبت مشيخات القواسم كالشارقة ورأس الخيمة بسعد بن مطلق كنائب عن والى مصر ،

(٣٤) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٣٩ .

(٣٥) لوريمر : المرجع السابق جـ ٢ ص ٧١٢ .

لانها كانت تميل منذ عهد الدولة السعودية الأولى الى الحركة الوهابية (٣٦) ، ومن ثم سمح الشيخ سلطان بن صقر القاسمى لسعد بن مطلق أن يقيم فى الشارقة بعد وصوله اليها فى مارس عام١٨٣٩م، وقد وضع الشيخ تحت أمرته بيتا حصينا وقلعة ليقيم فيها (٣٧) ومن الشارقة اخذ سعد بن مطلق يباشر نشاطه لخدمة النشاط المصرى فى الخليج ، فاستطاع عقد تحالف مع الشيخ خليفة حاكم ابو ظبى الذى رحب بالوجود المصرى رغم معارضته السابقة لتقدم السعوديين الى البريمى ، كما حاول سعد بن مطلق استخدام وساطة حاكم الشارقة لفتح صفحة جديدة مــع قبائل « بنى النعيم » فى البريمى لينضموا تحت النفوذ المصرى ، ولكن بسبب وجود خلافات شخصية بين بنى النعيم وبين سعد بن مطلق الذى اتهمهم بقتل والده مطلق المطيرى — لم تنجح الوساطة ، واستند بنو النعيم على تأييد الانجليز فى وقوفهم ضد النشاط المصرى الذى يتولى نشره عدوهم سعد بن مطلق .

ورغم مظاهر الترحيب بالنشاط المصرى فى الخليج التى ابداها مشايخ الشارقة وراس الخيمة وابو ظبى ، فقد استطاع الانجليز تحريض مشايخ دبى وام القوين الى جانب بنى النعيم فى البريمى ، على معارضة النشاط المصرى الــذى اضطر فى النهاية الى الانسحاب مــن الخليج وبقية انحاء الجزيرة العربية ولم يقو على معارضة الانجليز الذين أخذوا يفرضون على الحلفاء المصريين شروطا قاسية لفك هذا التحالف .

ثالثا ــ قطــر :

كان امتداد النشاط المصرى الى قطر امرا طبيعيا باعتبارها جزءا من ساحل الخليج وكان من بين سكان قطر آنذاك قبائل بنى النعيم ، وبوكواره ، وكان الأخيرون يقيمون فى « الفويرط » ويدفعون الزكاة لشيخ البحرين باسم قائد القوات المصرية . وعندما اشتد جباة شيخ البحرين عليهم فى جمــع

(٣٦) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٣٨ .
(٣٧) لوريمر : المرجع السابق ص ١٠٦٧ .

الزكاة تحولوا للبحث عن حماية لهم من هذا التعسف المحسوب على النشاط المصرى ، وكان طبيعيا ان يتقدم الانجليز بهذه الحماية .

واما بنى النعيم فقد راينـــا موقفهم من النشاط المصرى فى الخليج ، وهو الموقف الذى كان يحركه عداءهم لرسول هذا النشاط سعد بن مطلق ، ومع ذلك فلم يكن هناك عداء بين هذه القبائل والنشاط المصرى ، فيما عدا بعضهم ، وعندما رفض هذا البعض المقيم فى قطر فى اوائل عام ١٨٤٠ ان يدفعوا الزكاة التى طلبها منهم شيخ البحرين باسم المصريين ، أرســـل محمد افندى حاكم الاحســـاء المصرى بعض قواته النظامية يعاونهـــا بدو « المخضبة » من بنى هاجر لتأديب قبائل بنى النعيم ، ولكن مصرع الحاكم المصرى فى الاحساء بالقرب من الهفوف قد أوقف هـــذا المشروع ، وبذلك انتهى النشاط المصرى بالنسبة لقطر نهائيا (٣٨) .

رابعا ــ البحريـــن :

اختلف اسلوب النشاط المصرى فى البحرين عن اسلوبه فى غيرهـــا من مشيخات الخليج ذلك انه لم يستخدم هنا وسطاء للتعامل نيابة عنه ، بل جاءت العلاقات مباشرة بين خورشيد باشا قائد القوات المصرية فى نجد وشـــيخ البحرين عبد الله آل خليفة ، وقد مرت هـــذه العلاقات بدورين اساسيين ، وشهدت ضغوطا بريطانية من اجل ابعاد النشاط المصرى عن البحرين .

فعندما راى شيخ البحرين نجاح المصريين فى ساحل الخليج وتطلعهم الى البحرين ومحاولات سلطان عمان اســـتغلال اســـم النشـــاط المصرى

---

(٣٨) لوريمر : المرجع الســـابق جـ ٣ ص ١٢٠٧ ، وتعبير الزكـــاة الذى ساقه لوريمر يدل بوضوح على أن تعامل النشاط المصرى مع اهل الخليج كان تعاملا اسلاميا ، بمعنى أن ما تدفعه قبائل المنطقة للحكم المصرى لم تكن جزية بل زكاة اسلامية شرعية .

لمهاجمة البحرين وضمها الى سلطنته حاول الشيخ عبد الله آل خليفة الحصول على حماية اجنبية ، ولما لم يجد من الانجليز — حكومة الهند وممثلها المقيم العام فى الخليج كابتن هينيل — أية استجابة عملية حتى مارس ١٨٣٩ م فيما عدا ما يصرح به الانجليز عن عدم رضاهـم عن النشاط المصرى فى الخليج ، اتجه الشيخ عبد الله الى طلب المعونة من الحكومة الايرانية .

ولما كان للايرانيين مطامعهم الخاصة فى البحرين . ومطالبهم المالية نظير وجود مبعوث ايرانى فى البحرين ، ولما كان الشيخ عبد الله يعانى مصاعب داخلية ، فانه استقبل مبعوثا مصريا فى مايو ١٨٣٩ م يدعى محمد رفعت ، وقع مع الشيخ عبد الله اتفاقا ينص على تعهد الحكومة المصرية بتأييد الشيخ عبد الله فى حكم البلاد مقابل ان يقدم زكاة تقدر بألفى « كرونة » سنويا وبعض السفن لمساعدة الحملة المصرية على الانتقال الى ســاحل عمان اذا احتاج الأمر الى ذلك (٣٩) واشترط شيخ البحرين ان تبقى السلطة الداخلية كلها بين يديه وألا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم فى البحرين .

ومما يلاحظ ان الاتفاقية بنصها على عدم ارسال مبعوث مصرى مقيم فى البحرين وترك أمورها الداخلية بيد شيخها ، تنفى الاتهامات البريطانية باتجاه النشاط المصرى الى استعمار البحرين وارسال قوات مصرية لاحتلال تلك الجزر ، وهو أمر كان بعيد الاحتمال وان اى هجوم على الجزر فى رأى لوريمر يعتبر عملا خطيرا فى جراته ، وكان احتمــال ان تقوم به القوات المصرية احتمالا ضئيلا (٤٠) .

وعندما عقدت هذه الاتفاقية بين الشيخ عبد الله وخورشــيد باشا تعرض الأول لتهديدات بريطانية متلاحقة . وحاول الرجل ايجاد المبررات

---

(٣٩) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٣٦ ، ويذكر لوريمر انها جزية سنوية مقدارها ألفى روبيه ، وتعبير جزية هنا يدل على مفهــوم استعمارى بعكس مفهوم الزكاة الذى نصت عليه الاتفاقية .

(٤٠) لوريمر : المرجع السابق ص ١٣٠٨ .

التى يستند اليها ، كقوله انه لم يتلق تأكيدات بريطانية لحمايته عندما طلبها وكقوله ان هذا الاتفاق المصرى البحرينى مقرر قبل توقيعه بزمن طويل ، وكقوله ان هذا الاتفاق ليس موجها ضد الحكومة ولا المصالح البريطانية .

ومع كل هذه التبريرات فقد اعطت حكومة الهند البريطانية نفسها ســلطة تقديم الانذارات والاحتجاجات ضــد حاكم البحرين ، بل ووصلت حكومة الهند الى قناعة بضرورة تغيير هذا الحاكم ومن ثم دبرت المؤامرات من اجل تحقيق هذه الغاية حتى تم لها ذلك بعزل الشيخ عبد الله عن حكم البحرين عام ١٨٤٣ بعد أن عاشت بلاده فترة من الفتن والاضطرابات منذ عام ١٨٤٠ م .

وعلى اية حال فقد ظل الشيخ عبد الله صامدا امام تهديدات الانجليز الى أن تم تراجــع المصريين عام ١٨٤٠ (٤١) ففقد بذلك ســندا فى مقاومة تهديدات ومؤامرات الانجليز وقد ظل الشيخ عبد الله متمسكا باتفاقه مــع المصريين حتى انسحبت القوات المصرية من الخليج . وقد برر تمسكه هذا بقوله انه اذا قام بالفعل بنقض هذا الاتفاق فلابد أن المصريين سيفسرون هذا العمل بانه استجابة لضغط من جانب السلطات الانجليزية(٤٢) وجاء انسحاب القوات المصرية من الخليج عام ١٨٤٠ م نهاية النشاط المصرى فى البحرين .

خامسا ــ الاحساء :

جاء امتداد النشاط المصرى الى الاحساء منذ ان اكمل ابراهيم باشـــا مهمته فى نجد عام ١٨١٨ م بالاستيلاء على الدرعية عاصمة آل سعود ، ويبدو أن ابراهيم باشا كان يطمع فى ضم اقليم الاحساء الى سلطة الحكم المصرى فى

---

(٤١) ارنولد ويلسون : المرجع السابق ص ٣٩٦ .

(٤٢) لوريمر : المرجع السابق ص ١٣٠٩ .

الجزيرة العربية، اذ عن طريق هذا الضم يمكن للنشاط المصرى انيمتد فيشمل الساحل الشرقى لشبه الجزيرة على الخليج ، كما شمل الساحل الغربى لشبه الجزيرة على البحر الاحمر .

ولما كان ادخال النشاط المصرى الى الاحساء يحتاج الى عمليات عسكرية وانتشار للقوات المصرية التى انهكت فى نجد فان ابراهيم باشا اعتمد فى تحقيق ما يرمى اليه على عدو سابق لآل سعود هو « رحمة بن جابر »(٤٣) ، الذى قدم لابراهيم باشا المساعدة حتى تم الاستيلاء على القطيف ميناء آل سعود فى الاحساء ، نظير مساعدة المصريين له لكى يعود الى الاستقرار فى الدمـــام واعادة بنائه حصنه القديم الذى كان آل سعود قد دمروه .

ولكن هذا النشاط المصرى المبكر فى الاحساء تقلص فى تلك الفترة بسبب الانسحاب العسكرى لقوات ابراهيم باشا من الاحساء وتركيز قوة مصرية فى عنيزة بوسط شبه الجزيرة العربية ، اعتقادا منه انه بهذه الطريقـــة يحقق الاهداف المرحلية آنذاك بالحصول على أموال الزكاة من قبائل الأحساء بمعونة شيوخ بنى خالد أعداء آل سعود ، دون أن يكلف القوات المصرية قليلة العدد اكثر مما تطيق .

ولكن النشاط المصرى عاد مرة اخرى الى الاحساء منذ عام ١٨٣٥م حينما وصل اليها مبعوث مصرى هو « عبد الله بن مشارى » التاجر البحرينى ، حاملا رسائل من احمد باشا الحاكم المصرى فى الحجاز الى كل من سلطـــان عمان وشيخ البحرين وامير الوهابيين(٤٤) من اجل مساعدته على جمع الزكاة باسم الحاكم المصرى ، ورغم ان هذا المبعوث لقى الترحيب والمساعدة من

---

(٤٣) كان رحمة بن جابر مـــن الجلاهمة العتـــوب ، وكان يمارس مغامراته البحرية من خور حسان فى قطر .

(٤٤) لوريمر : المرجع السابق ص ١٤٣٥ .

سلطان عمان فانه ما لبث ان اختفى من القطيف أمام تقدم قوات فيصل بن تركى أمير آل سعود الجديد ، التى وصلت الأقليم .

وبعد أن نجحت القوات المصرية فى انهاء محاولة فيصل بن تركى لأحياء الدولة السعودية عام ١٨٣٨م ، استطاع خورشيد من مقر اقامته فى «الوشم» بنجد أن ينظم أمور الاحساء الادارية تحت حماية قوات مصرية فى كل من الهفوف ، والقطيف ، وسيهات والعقير وهى أهم مدن وموانى ساحل الاحساء على الخليج ، وتم تعيين محمد أفندى حاكما على اقليم الاحساء ، واتخذ من الهفوف مقرا ومركزا يباشر منه حكمه .

ومن الاحساء باشر حاكمها المصرى وبتوجيه من القائد العام للقوات المصرية فى نجد خورشيد باشا ، اتصالاته وتحركاته من أجل نشر وامتداد النشاط المصرى الى بقية الساحل العربى على الخليج ، وقد رأينا تفاصيل ذلك فى كل من سلطنة عمان والساحل العمانى المتصالح وقطر والبحرين ، كما سنرى ذلك بالنسبة للكويت أيضا ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا من أن النشاط المصرى فى الخليج انما هو امتداد للنشاط المصرى فى الحجاز ونجد . وان امتداد هذا النشاط الى الاحساء استنادا للوجود المصرى فى نجد كان يستتبع بالضرورة أن يمتد هذا النشاط من الاحساء الى بقية ساحل الخليج العربى ، وهو أمر لم يفطن اليه الوجود المصرى فى شبه الجزيرة العربية بل سبقه الى ذلك امراء آل سعود وحرصوا عليه كما رأينا ، لأن امتلاك الشاطىء الغربى لشبه الجزيزة العربية المطل على البحر الاحمر يستتبع بالضرورة لأمن ومصلحة شبه الجزيرة امتلاك الشاطىء الشرقى لشبه الجزيرة المطل على الخليج .

وتبعا لهذا فان انسحاب النشاط المصرى من الاحساء يعنى بالضرورة انسحاب لهذا النشاط من بقية ساحل الخليج العربى واذا كانت مصر محمد على قد أجبرت على ذلك الانسحاب عام ١٨٤٠م لظروف دولية معروفة ، فان محمد على ظلت تراوده الامال فى العودة الى تلك المنطقة ، ولذلك رأينا الحكم

المصرى فى الاحساء ونجد يدعم عند انسحابه الامير السعودى خالد بن سعود الموالى لمصر ، ببعض الضباط الذين اسهموا فى تدريب قوة عسكرية منظمة بلغت حوالى ٨٠٠ جندى(٤٥) تحت امرة خالد ، ولكن هذا الامير لم يستطع الصمود طويلا بعد الانسحاب المصرى ، حيث فر من الرياض أمام تقدم أمير سعودى آخر هو « عبد الله بن ثنيان » حتى استقر به المقام اخيرا بالكويت .

سادسا : الكويت :

امتد النشاط المصرى من الاحساء الى الكويت ايضا ، وكما راينا لـم يسع هذا النشاط المصرى أن يرسل قوات عسكرية الى ساحل الخليج باستثناء الاحساء التى كانت تابعة للدولة السعودية ، فامتـد النشاط المصرى الى الاحســاء امتدادا طبيعا ومنطقيا بوراثة النشاط المصرى لمتلكات الدولـة السعودية فى نجد وساحل الخليج .

ومن هذا المنطلق جاء امتداد النشاط المصرى الى الكويت بنفس الاسلوب التقليدى وهو ارسال مبعوث وعقد اتفاقية مع شيخ الكويت ، لأمداد القوات المصرية فى نجد والاحساء بالاموال وبالمواد الغذائية ، وبالفعل حين وصـل المبعوث المصرى الى الكويت استطاع أن يرسل من هناك عدة سفن محملة بالأغذية وخاصة الشعير ، كما استطاع أن يجمع معلومات عـن الكويت والجنوب العراقى المطل على الخليج ، وقد استطاع هذا المبعوث ايضا أن يحصل على تقدير حاكم الكويت ، حتى انه كان يأخذ مكان الصداره فى مجالس الحـاكم .

ونتيجة للنشاط المصرى فى الكويت ، فقد استخدمت القيـادة المصرية بالاحساء ونجد سفن الاسطول الكويتى الكبير والمجهز تجهيزا جيدا فى نقل شحنة من الاسلحة والاعتدة العسكرية من ميناء الحديدة باليمن الى ميناء القطيف بالاحساء فى نوفمبر ١٨٣٩م .

---

(٤٥) نفس المرجع ص ١٤٣٨ .

وكان من الطبيعى ان ينعكس هذا التقارب المصرى الكويتى على العلاقة بين الكويت وحكومة الهند البريطانية ، فيروى لنا لوريمر أن حـــاكم الكويت الشيخ جابر استقبل مبعوثا بريطانيا بطريقة غير لائقة وغير متوقعة فى نوفمبر ١٨٣٩م ، ويبرر لوريمر تصرف حاكم الكويت بأنه جاء بسبب فزعه ــ كشيخ البحرين ــ من نجاح قوات محمد على فى الجزيرة العربيـــة(٤٦) وقد تناسى لوريمر أن محمد على كان آنذاك يعيش أزمة دولية ، ولم يكن فى مخططاته القيام بعمليات عسكرية ضد حاكم الكويت او اية مشيخة فى ســـاحل الخليـــج ، والعلاقات المصرية البحرينية خير دليل على صحة ما ذهبنا اليه ، وقد فصلنا الحديث عنها سابقا .

وعلى كل حال فنحن لم نسمع منذ عام ١٨٤٠م وهو عام انسحاب القوات المصرية من شبه الجزيزة العربية ، عن استمرار النشاط المصرى فى الكويت ، وانما كل ما سجلته الأحداث هو انفراد الوجود الاستعمارى البريطانى فى الخليج بصورة غطت كل ما عداه فى هذه المنطقة .

سابعا ــ العـــراق :

كان امتداد انظار محمدعلى الىالعراق امتدادا يتفق مع اهدافهبالسيطرة على المربع العربى وأعنى شبه الجزيزة العربية بكاملها ، والسيطرة علـــى الهلال الخصيب بكامله ، واذا كانت السيطرة قد اكتملت لمحمد على أو كادت فى شبه الجزيرة العربية كما رأينا ، فان سيطرته على الهلال الخصيب تكتمل بالسيطرة على العراق ، بعد أن سيطر بالفعل ومنذ أوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر على كل بلاد الشام .

كان يحكم العراق منذ عام ١٧٠٤ م الى عام ١٨٣١م اسرة وراثية تحت السيادة العثمانية تعرف باسرة حسن باشا ومماليكه الذين كان آخرهم داود باشا ، وعندما عادت السيطرة العثمانية المباشرة عام ١٨٣١م على العـــراق،

---

(٤٦) نفس المرجع ص ١٥١٤ .

عملت الدولة العثمانية على اخضاع هذا القطر للحكومة المركزية باستانبول والقضاء على آثار استقلاله الذى عمل له الباشوات المماليك .

ولم يكن فى استطاعة الدولة العثمانية تحقيق غرضها هذا فى الوقت الذى تجتاح فيه قوات محمد على بلاد الشام بل وتهاجم قلب الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى ولذلك سادت القطر العراقى الاضطرابات ، وانتهز محمد على فرصة هذه الاضطرابات فمارس ضغوطا من سوريا للوصول الى العراق ، بأن أخذ يساند القبائل العراقية العربية الثائرة ضد الباشوات العثمانيين من اجل ضم العراق الى الكتلة العربية التى حرص على اقامتها فى المنطقة(٤٧) .

ولم يكن موقف محمد على وبتدخله فى العراق عبر سوريا هو الموقف الوحيد لامتداد النشاط المصرى الى هذا القطر ، فان ابراهيم باشا منذ كان بنجد اتجه ببصره نحو العراق ، كما أن خورشيد باشا كلف مبعوثه الى الكويت بجمع معلومات عن جنوب العراق واتصاله بالخليج ، وكل ذلك يوضح اتجاه النشاط المصرى نحو العراق ، وان كان الانسحاب المصرى الكامل من شبه الجزيرة العربية ومن بلاد الشام عام ١٨٤٠ م قد أنهى تطلع محمد على نحو العـــــراق .

النشاط المصرى والانجليز

كان اهتمام انجلترا بالخليج راجعا لاهتمامها بتأمين طريقها الى الهند ، فقد كان الخليج احد الطرق الموصلة بين اوروبا والهند ، واذا كان البحر الاحمر هو اقصر هذه الطرق باعتبار ان معظم مسافاته بحرية ، وان المسافة البرية خلاله قصيرة بين السويس والقاهرة ، فان التجارة الاوروبية لم تكن فى العهد العثمانى المملوكى بمصر بمنأى عن السطو والنهب من قبل المماليك او قطـــاع الطرق دون حماية بكوات المماليك .

---

(٤٧) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٧٠ .

اما الخليج فقد استطاعت انجلترا أن تنشىء لها وكالات تجارية فى بلاد الشام والعراق وفارس من اجل حماية المواصلات بين الهند — المستعمرة البريطانية — وانجلترا واذا كانت شركة الهند الشرقية البريطانية المسئولة عن ادارة الامور فى الهند غير راغبة فى صرف الامـــوال — كشركة احتكارية تجارية — للتوسع فى الخليج ، الا انه كان يهمها ضمان مرور مواصلاتها عبر الخليج ومن ثم ركزت فى هذا السبيل على الوسائل الدبلوماسية .

ولكى مجىء الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨م قد بدل خطط شركة الهند الانجليزية ، فمع اقتناع ادارة الشركة فى لندن باستبعاد غـــزو نابليون لمنطقة الخليج والوصول الى الهند ، الا انها اتخذت خطوة ايجابية لتدعيم الموقف فى منطقة الخليج لصالحها وضد الفرنسيين ، من ذلك توقيع معاهـــدة مع سلطان مسقط فى ٢ اكتوبر ١٧٩٨ وارسال مبعوثين الى ايران والعراق وجدة وتوجيه اسطول بريطانى للسيطرة على مدخل البحر الاحمر عند باب المندب واسطول آخر يقف امام سواحل الهند لمواجهة اى احتمال(٤٨) .

وان اتفاق الانجليز مع سلطان بن احمد حاكم مسقط ليدل بوضوح على قلق السلطات البريطانية من مشاركة دولة اخرى للنفوذ فى منطقة الخليج. فقد نص ذلك الاتفاق على اعتراف انجلترا باستقلال سلطان مسقط ، وقيام صداقة بين مسقط وانجلترا ، وان يدفع الانجليز للسلطنة مبلغ ٢٨٢٠ روبية ، نظير أن يتعهد السلطان بعدم السماح للفرنسيين بدخول بلاده . وكان هذا أول اتفاق تعقده بريطانيا مع احـــدى مشيخات الخليـــج العربى ، وفيه التزمت بريطانيا بتأييد حكام مسقط ضد شعب عمان(٤٩) .

---

(٤٨) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٧٠ رسالة من دنكان الى مهدى خان بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ .

(٤٩) أمين سعيد : الخليج العـــربى فى تاريخه السيـــاسى ونهضته الحديثة ، ص ٣٨ .

ورغم أن هذه الخطوة الايجابية البريطانية فى الخليج قد اتخذت نتيجة للغزو الفرنسى لمصر واتجاه أفكار بونابرت واتصالاته مع عرب الخليج والجنوب العربى ، فان هذه السياسة بقيت حتى بعد أن جلت الحملة الفرنسية عن مصر عام ١٨٠١م . وظلت الحكومة البريطانية حساسه لكل نشاط فرنسى أو صديق للفرنسيين ، وهى تتذكر فى ذلك قول بونابرت وعينه على الهند ، ان هزيمة انجلترا تأتى من جعل انفسنا سادة مصر ، ان الرجل الانجليزى وقد تدعمت امبراطوريته — فى الهند — كان مستعدا للسير خطوات اكثر ايجابية للاحتفاظ بالهند الحبيبة وضمان طرق المواصلات اليها — ولعل هذا يفسر لنا احتلال انجلترا لمصر فى الثمانينات من القرن التاسع عشر والسيطرة على الخليج والجنوب العربى(٥٠) .

وكانت مقاليد السياسة البريطانية فى الخليج بيد حكومة بومباى الانجليزية، وظلت حتى عام ١٨٥٧ عندما قامت ثورة الهند فى ذلك العام فأعيد تنظيم الادارة البريطانية هناك ، وصدر من اجل ذلك مرسوم يقضى بحل شركة الهند الشرقية البريطانية ، وبذلك اصبح تصريف شئون الهند والمناطق التابعة لها يتم عن طريق وزارة الهند ، واقتضى الامر ايجاد منصب جديد هو نائب الملك فى الهند أو ما كان يطلق عليه اسم **VICE ROY** واستمر هذا المنصب قائما حتى استقلال الهند عام ١٩٤٧م .

ومنذ تواجد النفوذ البريطانى فى الخليج ممثلا فى شركة الهند الشرقية البريطانية كان يمارس تحقيق هذا النفوذ مقيم عام بريطانى فى الخليج ، وكان للمقيمين البريطانيين التابعين لحكومة بومباى الصلاحيات الواسعة فى التصرف المطلق بما فى ذلك عقد المعاهدات والقيام بالاجراءات التى تحقق أمن الوجود البريطانى فى المنطقة حتى عام ١٨٥٧م(٥١) .

---

(٥٠) **The American Assembly : The U.S. and the Middle East P. 149.**

(٥١) د . جمال زكريا : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى المحفوظة فى دور السجلات البريطانية — سجلات وزارة الهند (وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية) سجلات الوكالات .

وظلت انجلترا تراقب تحركات الامبراطور نابليون الاول واتجاهاته التى ترمى الى محاربة المصالح البريطانية فى الهند رغم فشل حملته على مصر ، ومن هذه التحركات وضع خطة منذ عام ١٨٠٥ لأنزال قوات فرنسية فى لبنان تزحف عبر العراق عن طريق وادى نهر الفرات الى الخليج ، كما قدمت فرنسا لحافظ باشا والى العراق مساعدات فنية ومعدات حربية لاعداد وحدة عسكرية نظامية على النسق الاوروبى منذ عام ١٨٠٢م(٥٢) ، وقد استخدم هذه الوحدة سليمان باشا الصغير — ابن اخى حافظ باشا — للسيطرة على الأمور فى العراق عام ١٨٠٧ م بعد اغتيال حافظ باشا ، كما ساعدت فرنسا سليمان الصغير حتى حصل على فرمان الولاية من السلطان العثمانى ولكنه عزل عام ١٨١٠ بتأثير الانجليز بسبب صداقته للفرنسيين .

كان هذا موقف الانجليز الأيجابى من الخليج عندما بدا النشاط المصرى يتواجد فى شبه الجزيرة العربية ، وحيث كان للنشاط المصرى فى الخليج مرحلتين ، فقد كان للانجليز موقفين مختلفين من النشاط المصرى ، موقف يتصل بكل مرحلة ، تفسره طبيعة النشاط المصرى من ناحية وحدود الاهتمام البريطانى من ناحية ثانية ، وطبيعة الظروف فى مشيخات الخليج من ناحية ثالثة .

ومن المعروف ان المرحلة الاولى للنشاط المصرى فى الخليج كانت قصيرة وغير مؤثرة اذ اهتم محمد على بتحقيق طلب السلطان بالقضاء على الدولة السعودية ، وكان وصول القوات المصرية الى الاحساء فى هذه المرحلة (١٨١١ — ١٨١٨) بقصد تأمين العمليات العسكرية والقوات المصرية فى نجد ، ونتيجة لذلك لم يكن هناك عداء انجليزى للنشاط المصرى فى تلك المرحلة .

كان موقف السلطات البريطانية من النشاط المصرى فى الخليج فى هذه المرحلة الاولى يتلخص فى الرغبة فى التعاون مع القوات المصرية فى نجد

---

(٥٢) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٦٩ .

والاحساء للقضاء على هجمات القواسم على السفن الانجليزية فى الخليج ، وكان اعتقاد الانجليز ان هناك عدوا مشتركا للانجليز والمصريين هم السعوديون وحلفاؤهم القواسم ، وان الموقف يقضى تعاونا بل ان شئت فقل تحالفا من أجل القضاء على القواسم بعد ان دمر ابراهيم باشا الدرعية عاصمة آل سعود وقضى على دولتهم الأولى .

ولقد اسعد الانجليز فى بومباى وفى لندن قضاء الجيش المصرى على الدولة السعودية ، ذلك ان الانجليز ما كانوا ينظرون بارتياح الى قيام دولة عربية كبيرة فى داخل جزيرة العرب توحد بين طوائفها وقبائلها وتنشر دعوة التوحيد(٥٣) وانه يؤمل الا تقوم مرة ثانية تلك الجماعة « الشاذة » التى شجعت وحمت الغارات البحرية فى الخليج وبحار الهند بدرجة من النجاح وبجراة لا تفوقها غير جراة الجزائريين فى أوربا(٥٤) .

وكانت قبيلة القواسم العربية قد استقرت فى الساحل العمانى منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وامتد نفوذها فشمل المنطقة من قطر الى « خور فكان » ، وتحالف القواسم مع السعوديين منذ عام ١٧٩٩م عند دخول القوات السعودية الى عمان ، واعلن سلطان بن صقر القاسمى ترحيبه بهذه القوة الجديدة ، كما اعلن خضوعه لآل سعود واعتناق مبادىء الدعوة السلفية ، وتعهد بدفع الزكاة المقررة لعمالها طالما ان حكومة الدرعية لا تغير من وضعه كزعيم للقبيلة(٥٥) .

استفاد القواسم من التحالف مع آل سعود ، فأخذوا يمارسون عمليات الجهاد او المغامرات البحرية ضد السفن الانجليزية وغيرها مستندين الى قوة الدولة السعودية ، فاستاء الانجليز بسبب تعرض سفنهم لهجمات

(٥٣) امين سعيد : المرجع السابق ص ٥١ .
(٥٤) د. جمال زكريا ، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى ، المرجع السابق .
(٥٥) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٢٥٨ .

القواسم ، ومن ثم ارسلوا حملات تأديبية هاجمت الساحل العمانى بقصد القضاء على خطر القواسم دون جدوى .

كان هذا الخطر هو الذى املى على الانجليز فى الهند الميل الى التعاون مع النشاط المصرى فى نجد والخليج ضد خطر القواسم ، ومن ثم سمعنا عن رحلة الكابتن « سادلر » من غرفة صاحبة الجلالة الملكة رقم ٤٧ الى شبه الجزيرة العربية فى مهمة خاصة لمقابلة ابراهيم باشا(٥٦) يحمل اليه عرضا بمساعدة الانجليز للقوات المصرية لتحتل راس الخيمة(٥٧) مقابل مساعدة تلك القوات فى القضاء على خطر المغامرين القواسم الذين يختبئون فى الخلجان الصغيرة على شاطىء الخليج ويخرجون منها لمهاجمة السفن الانجليزية وغيرها .

كان الغرض من بعثة « سادلر » التى رتبتها حكومة الهند الانجليزية هو التظاهر بتهنئة ابراهيم باشا بعد نجاحه فى حملته ضد الدولة السعودية الاولى ، وأن يقوم « سادلر » بكتابة بعض التقارير السياسية والاجتماعية والطبيعية لشبه الجزيرة العربية وهذا ما يؤكده مسار بعثة سادلر من سواحل الخليج مخترقة كل شبه الجزيرة العربية حتى وصل سادلر الى جدة ومنها أبحر الى الهند . كما كان غرض هذه البعثة كذلك كما ذكرت ، الاتفاق مع ابراهيم باشا لمقاومة نشاط عرب القواسم فى الخليج ضد السفن الاجنبية .

بدأ الكابتن « فورستر سادلر » رحلته بالنزول الى ساحل الاحساء فى ١٨ يونيو ١٨١٩ ورغم استقبال المسئولين المصريين له استقبالا وديا ، الا انه

---

(٥٦) لوريمر : المرجع السابق ص ١٤٢٥ .

(٥٧) ذكر لوريمر أن الانجليز عرضوا اعطاء رأس الخيمة لقائد القوات المصرية فى نجد مقابل تعاونه فى القضاء على القواسم وهذا العرض أمر غريب كأن الانجليز امتلكوا مشيخات الخليج ولهم حرية التصرف فيها بالاخذ والعطاء .

لم يستطيع مقابلة ابراهيم باشا الا فى جدة وكان ابراهيم قد اقتنـــع بضرورة تجميع القوات المصرية فى نجد واجلائها من الاحساء والاكتفاء بوجود مندوبين عن الحكم المصرى من مشايخ القبائل الموالية امثال بنى خالد(٥٨) ، ومن ثـــم فشلت رحلة سادلر التى استغرقت ما يقرب من الشهر والنصف دون أن تحقق اهدافها وكان محمد على قد أصدر تعليماته لابنه ابراهيم بعدم الاتصال بالانجليز فى ذلك الوقت .

ونتيجة لفشل التعاون المصرى الانجليزى ضد القواسم فى الخليـــج ، اتخذالانجليز اجراءات تدميرية تعرضت فيها راس الخيمة للمدافع البريطانية لمدة ستة ايام متتالية فى ديسمبر ١٨١٩ م . ثم نزلت بها القوات الانجليزية واقامت عدة حاميات كانت اهمها تلك التى تعسكر فى راس الخيمة . وفى نفس الوقت اخذ اسطول حكومة بومباى يمسح الجزء الجنوبى لشاطىء الخليج للتعرف على مخابىء « المغامرين البحريين » فى الخلجان الصغيره (٥٩) ونتج عن ذلك دخول مشيخات ابى ظبى وأم القويـــن والعجمان والشارقة ورأس الخيمة فى معاهدات مع الانجليز جعلت من انجلترا صاحبة الصوت الأعـــلى والأقوى فى أمور الخليج .

ولعل ما مكن السيطرة الانجليزية فى مشيخات الخليج العربية ، ما أصاب هذه المشيخات من خلافات بين بعضها البعض ، والخلافات الأسرية داخل كل مشيخة وذلك انه فى الوقت الذى بلغت فيه قوة القواسم ذروتها عام ١٨١٨م انقسمت الى المشيخات الصغيرة الخمس التى اشرنا اليهـــا وكل منها تريد زعامة المنطقة حتى نجد مثلا تحالفا يقوم بين مشيخة ابى ظبى وسلطنة مسقط من ناحية وبين الانجليز من ناحية اخرى ضد بقية المشيخات المتحالفة مـــع

---

(٥٨) د . عبد الحميد البطريق : ابراهيم باشا وحروبه فى بلاد العرب ص ٢٦ .

(٥٩) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٠٣ .

آل سعود ، كل ذلك الى جانب ما كان يحدث من خلافات اسرية داخل المشيخة الواحدة .

وتأتى المرحلة الثانية للنشاط المصرى فى الخليج من عام ١٨٣٨ — ١٨٤٠ م وهنا سيكون للانجليز موقف آخر يختلف تماما عن موقفهم من ذلك النشاط فى المرحلة الأولى ، فقد تمثل هذا الموقف فى المعارضة لأى نشاط مصرى فى الخليج ، خاصة أن هذا النشاط حدث اثناء التوسع المصرى فى بلاد الشام،ومن ثم اتخذت انجلترا موقفا احتياطيا تحسبا لأى امتداد مصرى الى مشيخات الخليج العربية ، بعد أن عادت القوات المصرية واكدت سيطرتها على نجد ثم مدت نشاطها الى الاحساء ، ومن هناك بدات تمد نشاطها الى بقية مشيخات الخليج .

ادرك الانجليز ان امتداد النشاط المصرى الى الاحساء مرة اخرى بين عامى ١٨٣٨ و ١٨٤٠ م قد شجع على امتداده الى مناطق اخرى فى ساحل الخليج العربى حيث للانجليز نفوذ ومصالح . ومن ثم قاوم الانجليز هذا الامتداد بنشاط . فكان لا مفر من ضرب حصار على القطيف والعقير وغيرها من المدن الساحلية تشترك فيه السفن الانجليزية (٦٠) صدرت أوامر السلطات البريطانية الى قائد البحرية البريطانية فى المياه الهندية ، والمقيم العام فى الخليج الكابتن هينيل باحباط خطط القوات المصرية ، وقد افلحت هذه المظاهر الانجليزية فى بعض مشيخات الخليج ، وفشلت فى البعض الآخر ، وكانت البداية مع سلطنة مسقط ولم يهدأ للانجليز بال الا بعد أن وقع سلطان بن احمد صاحب مسقط — الذى حكم من ١٧٩٢ — ١٨٠٤م — معاهدتين فى اكتوبر ١٧٩٨ م ويناير ١٨٠٠ مع حكومة الهند ، تعهد فيها بعدم السماح للفرنسيين وغيرهم بأن يكون لهم نفوذ فى مسقط ، وان يوافق على انشاء وكالة تجارية بريطانية فى بندر عباس — وكانت تابعة لمسقط — وأن يسمح للانجليز بأرسال وكيل سياسى لهم فى مسقط ، وعلى هذا يكون سلطان بن احمد اول امير عربى يدخل فى معاهدة مع الانجليز (٦١) .

---

(٦٠) ارنولد ويلسون : المرجع السابق ص ٣٢٨ .

(٦١) د . احمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ص ١٨١ .

وعندما اظهر السيد سعيد السلطان الجديد لمسقط رغبة فى السيطرة على البحرين ومال الى تنسيق سياسته مع سياسة والى مصر محمد على فى الجزيرة العربية تراجع عن ذلك بسبب موقف العداء الذى اظهرته السلطات البريطانية نحو النشاط المصرى فى الخليج .

وفى فبراير عـام ١٨٣٩ قام السير « ميتلاند » القائد العـام للبحرية البريطانية فى الخليج بزيارة الســاحل العمانى المتصالح ، وحصـل على تعهدات من شيوخ قبائل الساحل بعدم اقامة اية علاقات ودية مع مبعوث القوات المصرية « سعد بن مطلق » ، وفى يوليو من نفس العام زار المقيم العام البريطانى بالخليج كابتن « هينيل » ساحل عمان وادرك ان شيوخ الشــارقة وابى ظبى يميلون الى التعاون مع المصريين ، وتحت التهـديد والوعيد حصل هينيل على تعهدات خطية من شيوخ ابى ظبى والشارقة — وحاكمها سلطان بن صقر القاسمى الذى كان اكبر ميلا للتعاون مع المصريين — ودبى وأم القوين بتأييد السياسة البريطانية الرامية الى الانفراد بالنفوذ فى الخليج ومحاربة النشاط المصرى هناك .

ونظرا لتخوف هينيل من سلطان بن صقر من أن ينقلب لمناصرة النشاط المصرى فقد كبله بشروط اخرى اكثر صرامة ، كعدم اجراء اية علاقات او مراسلات او اتفاقيات مع محمد على باشا والى مصر او انصاره او اية قوة اجنبية اخرى قبل موافقة الحكومة البريطانية (٦٢) كما اظهر استعداد انجلترا لحماية هذه المشيخة وغيرها وامدادها بالأسلحة والذخائر بشرط استخدامها ضد تقدم النشاط المصرى، وكل ذلك دليل على خشية الانجليز من الخطر المصرى المزعوم فى الجزيرة العربية (٦٣) .

وفى البحرين حرصت حكومة الهند على ابعاد النشـاط المصرى من الوصول اليها فأوحت الى شيخ البحرين بأن المصريين يتآمرون مع سلطان

---

(٦٢) لوريمر : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠٦٩ .
(٦٣) د . احمد ابو حاكمه : المرجع السابق ص ١٩٠ .

مسقط ضد البحرين ، وان عليه ان يقاوم مطالب المصريين منه اعتمادا على تأييد الحكومة الهندية الانجليزية والاسطول البريطانى ، وصدرت التعليمات للمقيم العام البريطانى فى أول ابريل ١٨٣٩ بأن يقدم احتجاجا لخورشيد باشا يحذره من الامتداد نحو البحرين . بل طلبت حكومة الهند فى ١٨ ابريل من المقيم العام بأن يعرض على شيخ البحرين حماية بريطانية وان يبلغ خورشيد باشا بذلك ، وانذاره بتحمل مسئولية اية اعمال تلجأ اليها القوات المصرية ضد البحرين .

ويبدو ان البحرين كانت تمثل وزنا اكبر من غيرها من المشـــيخات العربية لدى السلطات البريطانية اذ ان هـــذه السلطات تصرفت بطريقة محمومة تحسبا لشىء بعيد الاحتمال وهو نزول قوات مصرية الى البحرين ، فلم تكتف تلك السلطات بما اتخذته بل رأينا الاسطول البحرى البريطانى يصل الى البحرين وعلى راسه السير ميتلاند الذى حصل من الشيخ عبد الله شيخ البحرين على تعهد كتابى بألا يقبل اية حماية غير بريطانية ، وأن يتشاور مسبقا مع المقيم العام البريطانى بخصوص اية اتصالات تقوم بها معه اية دولة اخرى .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، اذ تم تكليف المقيم العام البريطانى فى ٧ مايو ١٨٣٩ م بالتقرير عن حجم القوات المصرية فى نجد والأحساء ، وعن موقف الحكام العرب على ساحل الخليج من النشـــاط المصرى ، وبعد ان أوضح هينيل فى تقريره لحكومة الهند هذه النواحى فصل الموقف بالنسبة للبحرين ، وقد اعتبر العوامل الطبيعية فيها حامية للجزر من اى غزو خارجى خاصة اذا اســـتخدم شيخ البحرين قواربه الحربية السريعة والمســـلحة استخداما حسنا . ولكن يبدو انه كان هناك تعاطفا وميلا الى المصريين فى البحرين ، والسواحل العربية للخليج ، عند قبائل بنى على ، وبوعينين ،

والشيعه وانه لو استطاع خورشيد باشا أن يضمن لنفسه موقعا صغيرا على جزيرة البحرين مع استمرار مواصلاته مع الأحساء فأن العتوب سيخضعون لقواته النظامية العسكرية ويساعدونه (٦٤) .

ويبدو أن الشيخ عبد الله كان يقدر الظروف التى تحيط به ، ويقدر انتماءه العربى ، اذ وجدناه ، رغم تهديدات السلطات البريطانية ، يعقد اتفاقية مع المبعوث المصرى محمد رغعت فى أواخر مايو ١٨٣٩ م ، تلك الاتفاقية التى أشرنا اليها ، والتى نصت على أن يدفع الشيخ للحاكم المصرى زكاة سنوية ، ويعترف بسيادة المصريين الاسمية ، مقابل أن تبقى السلطة الداخلية خالصة له والا يتواجد على أرض البحرين ممثلا مصريا مقيما فماذا كان موقف السلطات البريطانية من هذه الاتفاقية ؟

وصل الى البحرين المقيم العام البريطانى هينيل فى ٢٨ يوليو ١٨٣٩ وسلم للشيخ عبد الله احتجاجا على هذه الاتفاقية ولم يتبل أبدا تبريرات الشيخ عبد الله بأن هذه الاتفاقية متفق عليها منذ زمن بعيد ، وأنه بتوقيعها يضمن أمن المنطقة بتضحيات مالية قليلة . ولم يقبل هينيل ايضا تأكيدات الشيخ عبد الله بأنه لن يضع نفسه وبلاده ضد المصالح البريطانية . وهذا أمر معكوس : حماية بريطانية نعم وأمر مقبول ، ولكن اتفاقية اقتصادية اسلامية أمنية لمصلحة البحرين والخليج تعتبرها الحكومة البريطانية عملا عدائيا ضدها وضد مصلحة البحرين .

ولما لم ينجح هينيل فى اقناع الشيخ عبد الله بنقض اتفاقه مع المصريين ، ولما لم ينجح كذلك احتجاجه الذى قدمه لخورشيد باشا فى فصم عرى هذا الاتفاق ، فقد اعتبر الشيخ عبد الله صديقا للمصريين ومتخليا عن صداقة الحكومة البريطانية ، وعندما انسحبت القوات المصرية من الأحساء ، ومن شبه الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ م ناقشت اللجنة السرية لمديرى شركة

---

(٦٤) لوريمر : المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٠٨ .

الهند الشرقية امكانية استبدال الشيخ عبد الله بشيخ آخر اكثر استعدادا للتفاهم(٦٥) فلا عجب ان نسمع اذن عن اضطرابات وفتن فى البحرين منذ عام ١٨٤٠م ضـــد الشيخ عبد الله ، لا تهدا الا بعزله من حـــكم البحرين عـــام ١٨٤٣ م اى بعد ان حققت مؤامرات السلطات البريطانية اهدافها .

وكان موقف السلطات البريطانية بالنسبة للنشاط المصرى فى الأحساء ، موقف المراقبة ، باعتبار الأحساء نقطة انطلاق هذا النشاط الى بقية ساحل الخليج ، ولم يتدخل البريطانيون بصورة ايجابية ضـــد الوجود المصرى فى الأحساء ، وان كان ساءهـــم ان يسيطر المصريون على موانى الأحســـاء الثلاثة ، القطيف ، والعقير ، وسيهات ، فاستمرت سفنهم تراقب النشاط المصرى فى هذه الموانى ، فلما انسحب المصريون من الأحساء عام ١٨٤٠ م تنفس البريطانيون الصعداء لأنه استتبع انسحاب المصريين من الســـاحل تركهم لموانيه .

وكانت لبريطانيا مطامعها فى الكويت ، ولذلك استاءت من استقبال شيخ الكويت لمبعوث مصرى مقيم فى الكويت استقبالا طيبا منذ عام ١٨٣٨ م مما فسره البريطانيون كتبدل لموقف الشيخ خاصـــة وانه لم يستقبل الملازم « ادموندز » مساعد المقيم العام البريطانى فى الخليج الاســـتقبال الودى المعهود ، وذلك عندما وصل الى الكويت فى نوفمبر ١٨٣٩ م ، ونظرا لأن البريطانيين لم يشاءوا توجيه انذار لشـــيخ الكويت على غرار الانذارات البريطانية لحاكم الشارقة وحاكم البحرين ، فقد التمسوا له العذر ، بأن مسلكه مع « ادموندز » لم يكن صادرا عن نوايا سيئة نحو البريطانيين ، لكنه كان يهـــدف الى خداع الوكيل المصرى عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين الســـلطات البريطانية (٦٦) وهو تبرير فيه من خداع النفس وقبـــول الأمر الواقع اكثر من الحقيقة التى عرفها مساعد المقيم العام البريطانى .

---

(٦٥) نفس المرجع ص ١٣١٠ .
(٦٦) نفس المرجع ص ١٥١٤ .

وخاتمة القول فان الحكومة البريطانية كانت ترقب النشاط المصرى فى جبهاته المتعددة فى الشام ، وآسيا الصغرى ، بل والاتجاه نحو العاصمة العثمانية استانبول ، وفى شبه الجزيرة العربية والعراق ، نظرة شاملة تتسم بالعداء ، فكيف ترى هذا الحاكم المسلم محمد على فى مصر — يقيم دولة حديثة قوية وصديقة لفرنسا فى المنطقة التى تنال اهتمام البريطانيين بسبب وقوعها فى الطريق الى الهند .

ولقد ادرك البريطانيون أن النشاط المصرى فى الخليج سيوجه ضربة قوية لانفراد انجلترا بالنفوذ والمصالح الاحتكارية البريطانية هناك ، خاصة اذا استمر هذا النشاط وتدعمت مراكزه ، ولذلك كانت انجلترا اكثر الدول الأوروبية سعيا للقضاء على مشروعات محمد على لا فى الخليج العربى والجزيرة العربية فحسب ، بل فى كل ارض شملتها هذه المشروعات .

ومن هنا رأينا اثناء سيطرة حكومة بومباى على تسيير دفة الأمور فى الخليج اثناء الفترة من ١٨٢٠ الى ١٨٥٧ م ، تحول الخليج فى بعض فترات تلك المدة الى اهتمام وزارة الخارجية البريطانية فى لندن التى كان على راسها اللورد « بالمرستون » الذى ظهرت معارضته للنشاط المصرى فى الخليج العربى على يد محمد على ، وخاصة فى الفترة من ١٨٣٨ الى ١٨٤٠ م (٦٧) .

وحيث كان الاهتمام البريطانى بالخليج راجعا الى دوافع سياسية واقتصادية فان هذا يفسر صراع الانجليز ضد البرتغاليين ، ثم ضد الهولنديين، ثم ضد الفرنسيين ، واخيرا ضد المصريين ، من اجل درء كل خطر عن الهند ، والا يكون الخليج نقطة خطر على الممتلكات الهندية ، اذا كان النفوذ فيه لأمة تطمع أن تنتزع تلك الدرة — الهند — من التاج البريطانى(٦٨) .

---

(٦٧) **Haskins : Back ground of the British Position in Arabia Vol. 1, p. 138-143.**

(٦٨) د . أحمد عزت عبد الكريم ، و د . محمد بديع شريف : المرجع السابق ص ٢٦١ .

ومن ثم فانه عنـــدما كلف اللورد « كيرزون » نائب الملك فى الهنـــد (١٨٩٩ — ١٩٠٤) فى عام ١٩٠٣ م لوريمر وهو احد المسئولين فى حكومة الهند ومعه فريق من الباحثين المتخصصين فى الشئون السياسية والاقتصادية والعسكرية والجغرافية لكتابة دليل شامل عن الخليج (جغرافى وتاريخى) (٦٩) استنادا الى الوثائق الرسمية البريطانية ، تعرض القسم التاريخى لتصوير الانجليز بأنهم حملة مشاعل الأمن والاستقرار فى الخليج ، وتصوير القبائل العربية التى تصدت لمقاومة النفوذ الأجنبى بأنهم قراصنة وتصوير اية حركة من حركات التجمع فى الخليج على انها اعتداء من قبل الدولة التى تقوم بها ضد الوجـــود البريطانى فى المنطقة كما حدث بالنسبة للســـعودية ومصر والدولة العثمانية (٧٠) .

وكان الجنوب العربى يمثل حلقة فى الطريق الى الهند ، ولذلك حرصت السلطات البريطانية على السيطرة على مدخـــل البحر الأحمر الجنوبى ، خاصـــة بعد ان وصـــل النفوذ المصرى الى اليمن فى الثلاثينات من القـــرن التاسع عشر ، وبدات انجلترا مخططهـــا للسيطرة على الجنـــوب العربى باحتلال جزيرة بريم عام ١٧٩٩م ، وبعقد معاهدة مع احمد بن عبـــد الكريم سلطان عدن ، وهـــذه المعاهدة التى كانت فى الأصـــل تجارية ما لبثت أن تحولت الى اداة للسيطرة على عدن ، ثم احتلالها احتلال عسكريا بريطانيا عام ١٨٣٩ م . وجاء احتلال عدن كخطوة مضادة للنفوذ المصرى فى اليمن على أيام محمد على (٧١) ، لتحرم مصر من التسلط على الاقل على احد طرق البحر الأحمر (٧٢) .

---

(٦٩) تم انجاز القسم الجغرافى للدليل وطبعه بمدينة كلكتا بالهنـــد عام ١٩٠٨ ، والقسم التاريخى عام ١٩١٥ م .

(٧٠) د . جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ص ١٥ .

(٧١) د . محمد انيس وآخرون : الشرق العربى الحديث والمعاصر ص ١١٢ .

(٧٢) أنتونى ناتنج : المرجع السابق ص ٣١٤ .

ويتضح من كل ذلك احجام السياسة البريطانية عن التوغل فى داخل الجزيرة العربية والاهتمام فقط بسواحلها فى الخليج والجنوب . ولم يكن ذلك بطبيعة الحال تعففا من الانجليز عن السيطرة على الداخل بقدر ما كان ذلك حرصا من البريطانيين على عدم التورط فى مغامرات عسكرية فى مناطق ذات ظروف طبيعية ومناخية قاسية .

الفصل الخامس

العلاقات المصرية السعودية
فـــى
النصف الأول من القرن العشرين

- مقـــدمة .
- العلاقات قبل عقد معاهدة ١٩٣٦ .
- معاهدة ١٩٣٦ .



مقدمـــة

للعلاقات بين كل من مصر والمملكة العربية السعودية جذور تاريخيـــة ضاربة فى أعماق التاريخ ، فأن البحر الأحمر كان وسيلة اتصال على مدى التاريخ كما كان برزخ السويس معبرا بـــين القطرين . ولنـــا فى التاريخ الاسلامى اكثر من مثل . ولعلنا نتذكر انتقال كثير من القبائل العربية الى ارض مصر فنقلت معها الثقافة العربية الاسلامية وربطت بين ارض مصر وشعبها والأرض التى انطلقت منها الرسالة المحمدية ، حتى صارت نفوس المصريين تهفو باستمرار الى تلك الأرض وتسعى اليها ، وتحرص على ان تكون لها احسن العلاقات معها .

وفى التاريخ — كما يحدث دائما وحتى بين الأخوة والاشقاء — فترات من الانتكاسات فى العلاقات بين الدول وعليه فقد حدثت مثل تلك الانتكاسات فى العلاقات بين كل من مصر والسعودية ، من امثلة ذلك حملة محمد على ، الباشا العثمانى حاكم مصر ، على الحجاز ضد الدولة السعودية التى كان على راسها الأمير سعود الكبير ثم الأمير عبد الله بن سعود .

وتروى بعض المصادر أن محمد على اراد ان يعقد هدنة لمدة عشرة سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التى وكلت اليه وهى استرداد الحجاز قد انتهت ، وليست هنالك من فائدة من الحرب ولا مطمح لمحمد على فى نجد ولكن سعودا ابى ، ويرجع البعض رفضـــه الى صرامة شروط محمد على القاضية بدفع سعود للمبالغ التى صرفت على الحملة العسكريـــة ، ورد

---

* بحث نشر بمجلة المؤرخ العربى الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب ببغداد العدد ٢٢ .

المأخوذ من الجواهر والاموال التى كانت بالحجرة النبوية او ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد على (١) .

بل انه حتى بعد استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية والقبض على الأمير عبد الله بن سعود أمير الدولة السعودية وارساله الى القاهرة ، عامل جميع افراد العائلة المالكة السعودية بالتجلة والاحترام اللائقين بهم ، غير ان الحال اختلف بالنسبة الى انصارهم (٢) . وان كنا يجب أن ندرك ان محمد على كان تركيا والضباط والجنود الذين شاركوا فى الحملات العسكرية اتراك ، من الارناؤد والانكشارية ممن تمردوا على محمد على واراد ان يتخلص منهم(٣) ومما يؤيد ما ذهبنا اليه تسمية الجند فى كتب مؤرخى نجد باسم الترك والروم (٤) .

كما أن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى دافع عن الدعوة الوهابية حين طبقها الامام سعود الكبير فى الحجاز بأبطال البدع والعادات غير الاسلامية فيذكر فى احداث يوم ٢ صفر ١٢٢٢هـ الموافق ١١ ابريل ١٨٠٧ م انه : وصل حجاج المغاربة الى مصر عن طريق البر واخبروا انهم حجوا وقضوا مناسكهم وان مسعود الوهابى — يقصد الأمام سعود بن عبد العزيز —

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٢٣ .

(٢) سنت جون فيلبى تعريب عمر الديراوى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ص ١٦١ .

(٣) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز جـ ١ ص ٣٩ .

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ١ ص ١٧٧ وقد ذكر محمد بن عبد الله الأنصارى فى كتابه تحفة المستفيد ص ١٣٨ أن الدولة التركية جمعت من آلات الحرب من المدافع والقنابل والذخائر والأموال وعددا كبيرا من الجنود الى الديار المصرية وأمرت محمد على باشا والى مصر بحرب الامام سعود .

وصل الى مكة بجيش كثيف ، وحج مع الناس بالأمن ، وعدم الضرر ورخاء الأســعار ، واحضر مصطفى جاويش امير الركب المصرى ، وقال له : ما هذه العويدات (٥) والطبول التى معــكم ، فقال هو اشارة وعلامــة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم فقال : لا تأت بذلك بعد هذا العام ، وان اتيت به احرقته (٦) .

ويذكر الجبرتى فى احداث يوم ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٣هـ الموافق ٨ فبراير ١٨٠٩ م ، انقطع الحج الشامى والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك فانه لم يمنع احدا يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع ، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة ، وقد وصــل طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم احـــد بشىء(٧) .

العلاقات قبل عقد معاهدة ١٩٣٦م

وعندما تأسست الدولة السعودية الثالثة بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أول القرن العشرين ، وينجح فى عام ١٩٢١ م بتوحيد نجد مرة اخرى تحت حكم آل سعود بادر الملك عبد العزيز بأرسال برقية تهنئة الى الملك فؤاد بمناسبة افتتاح اول برلمان مصرى فى يناير ١٩٢٤ م . وكان الملك عبد العزيز مهتما بكسب الراى العام المصرى ادراكا منه للصلات التقليدية الوثيقة التى تربط بين مصر والحجاز (٨) ، ومن ثم قبل عقد مؤتمر اسلامى بالقاهرة يبحث فى مستقبل الخلافة الاسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية ، واتفق فى ذلك مع الملك فؤاد ، وان كان لم يرسل وفدا للمشاركة فى هذا المؤتمر .

---

(٥) يقصد بالعويدات المحمل وما يصاحبه من مزامير وطبول .
(٦) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار والاخبار .
(٧) نفس المصدر .
(٨) د. صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر (ص ٥٤٧) .

وحرصا من الملك عبد العزيز على كسب الراى العام المصرى حرص على التمهيد لضم الحجاز الى مكة بين أبناء الشعب المصرى ، فلعب الشيخ رشيد رضا دورا كبيرا فى هذا المجال ، حيث كان يصدر مجلة دينية سياسية هى « المنار » دافع فيها عن الحركة السلفية — دعوة التوحيد — وعن سياسة الملك عبد العزيز لتصحيح رواسب الماضى (٩) وكان وجود الشيخ رشيد رضا بمصر خير مساعد لابن سعود لتوطئة الراى العام فى البلاد العربية بصفة عامة لتقبل استيلاء السعوديين على الحجاز دون معارضة شديدة (١٠) .

وقد نجح الملك عبد العزيز فى ضم الحجاز الى مكة ونودى به فى ٨ يناير ١٩٢٦ ملكا على الحجاز وسلطانا لنجد ، وبهذا الضم اصبحت كل شبه الجزيرة العربية ماعدا اليمن والمناطق الأخرى البعيدة والواقعة جنوبا فيما وراء الربع الخالى ، والتى تشرف على المحيط الهندى ، تحت حكم عبد العزيز بن سعود ، وبذلك صار ملكه ممتدا بين البحر الأحمر والخليج العربى ومن الربع الخالى الى اطراف سوريا . وبذلك صار حارسا وحاميا للحرمين الشريفين المقدسين عند المسلمين ، واماما للوهابيين(١١) .

وقد حاول ان يوجه مستشاريه الى تطويق الخلاف مع مصر الذى استمر لمدة عشر سنوات وكان سببه استيلاء الأخوان الوهابيين على الكسوة المصرية التقليدية للكعبة (١٢) فى مكة على اساس أنها مزخرفة اكثر مما ينبغى ، وبرغم محاولات ابن سعود ظل وقتا طويلا لا يستطيع اقناع مستشاريه بتقديم اية ترضية الى المصريين (١٣) .

ويمكن ان نحدد اسس الاتفاق والخلاف بين مصر والسعودية قبل التوصل لعقد معاهدة ١٩٣٦ م على النحو التالى :

---

(٩) المقصود هو ما حدث عند استيلاء الدولة السعودية الأولى على الحجاز وموقفها من العادات غير الاسلامية وهدم القباب ورفع الذخائر والجواهر من على كسوة قبر الرسول عليه‌الصلاة والسلام .

(١٠) د. صلاح العقاد : نفس المصدر (ص ٥٤٧) .

(١١) أنتونى ناتيج ، راشد البراوى : العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام (ص ٤٢٠) .

(١٢) هو ما عرف بحادث المحمل الذى تمثل فى الاحتكاك بين مرافقى المحمل المصرى وبين السعوديين فى اول مرسم للحج بعد استيلائهم على الحجاز .

(١٣) Armstrong, H.C., «Lord of Arabia,» p. 262.

أولا : تعاطف المصريين مع تقدم السلطان عبد العزيز آل سعود سلطان نجد لضم الحجاز من الهاشميين باعتبار ان الشريف حسين اساء الى مصر والاسلام بتعامله مع الانجليز الذين يحتلون مصر ، الى جانب موقف الشريف حسين بعد عام ١٩٢٠ م المعادى نحو البعثة الطبية المصرية ، بل ونحو بعثة الحج المصرية المعروفة بالمحمل ، ومن ذلك رفض الملك على ابن الشريف حسين لدخول البعثة الطبية المصرية الى جدة على ظن ان لها اغراضا سياسية (١٤) .

ثانيا : اتخاذ خطوات ايجابية ودية من جانب السعوديين نحو مصر تمثلت فى ارسال السلطان عبد العزيز برقية تهنئة للملك فؤاد بمناسبة الاحتفال بافتتاح اول دورة للبرلمان المصرى بشكله الجديد المستند الى الدستور وذلك عام ١٩٢٤ م ، بل وابدائه الموافقة على عقد مؤتمر بالقاهرة لبحث قضية الخلافة الاسلامية بعد انتهائها من تركيا كما تمثلت فى شكر السلطان عبد العزيز عند دخوله مكة المكرمة للبعثة الطبية المصرية جهودها فى خدمة الحجاج واهل الحجاز . وجاء هذا الشكر ازاء موقف السلطات السعودية بميناء جدة الذين منعوا أفراد البعثة عام ١٩٣٠ م لعدم وجود تأشيرات دخول على جوازات سفرهم من الوكالة السعودية (وكالة الحجاز) فى مصر وأمر الملك بدخول البعثة قائلا : المصريين اخواننا فلا تعملوا ما يكدر خواطرهم .

ثالثا : موقف مصر المتجاوب مع المطالب والمصالح السعودية بعد دخول السعوديين الحجاز ، اذ استجابت الحكومة المصرية لطلب السلطان عبد العزيز بأرسال أموال اوقاف الحرمين والاستجابة لانقاذ المنكوبين ومساعدة اهل المدينة المنورة ، كما انها حاولت حجز شحنة سلاح وصلت الى ميناء السويس من بلجيكا فى طريقها الى الهاشميين لمقاومة تقدم

(١٤) أمين الريحانى : تاريخ نجد وملحقاته ص ٣٩٧ .

السلطان عبد العزيز فى الحجاز ولولا ضغط الانجليز فى صيف عام ١٩٢٥ م لظلت الشحنة فى السويس ولم تنقل الى جدة .

هذا فى الوقت الذى لم يكن لجزيرة العرب اثناء الدولة السعودية الاولى (١٧٤٣ — ١٨١٨م) والدولة السعودية الثانية (١٨٤٣ — ١٨٦٦م) ثـم الدولة السعودية الثالثة بزعامة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وحتى الحرب العالمية الاولى اية علاقات مع ايةقوة خارجية باستثناء مصر وتركيا(١٥) .

كما تمثل فى تعاطف الجماعات الدينية وبعض علماء الأزهر مع وجهـة النظر السعودية بضم الحجاز وانهاء حكم الهاشميين وقد ظهر ذلك واضحا فى سفر وفد مصرى فى سبتمبر ١٩٢٥م برئاسة الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعية العليا لانهاء القتال فى الحجـاز بين السـعوديين والهاشميين حيث وجد ترحيبا من السلطان عبد العزيز ، كما سافر وفـد آخر عام ١٩٢٦م برئاسة الشيخ محمد ماضى ابو العزائم رئيس جماعة الخلافة بوادى النيل الى مكة المكرمة لحضور المؤتمر الاسلامى بمكة رغم موقف التردد الذى اتخذه الملك فؤاد من هذا المؤتمر .

رابعا : ظهرت عدة أمور ادت الى حدوث جفاء وقتى فى العلاقات بين القطرين الشقيقين مثل حادثة المحمل المصرى ، وعـدم صرف أمير الحـج المصرى لأموال أوقاف الحرمين والصدقات على فقراء مكة المكرمة والمدينـة المنورة ، وتردد الملك فؤاد فى الاعتراف بضم السعوديين للحجاز ، الى جانب طمع الملك فؤاد فى الخلافة الاسلامية وخوفه من أن يصبح الملك عبد العزيز آل سعود منافسا خطيرا له .

وقد ظهرت هذه الأمورفى الفترة من ١٩٢٦ الى عام ١٩٣٦ م كان أولها ما عرف بحادث المحمل الذى وقع عام ١٩٢٥ لبعثة الحج المصرية بالأراضى الحجازية ، ذلك ان الملك فؤاد امر بأيقاف سفر هذه البعثة طـوال سنوات الحرب الدائرة بين الهاشميين والسلطان عبد العزيز آل سعود وعندما بايع اهل الحجاز عبد العزيز ملكا عليهم عادت البعثة المصرية للحج الى السفر الى

(١٥) Al Farsy, F., «Saudi Arabia» p. 36.

الاراضى الحجازية ، ولكن بعض القبائل النجدية ساءها ما يصاحب بعثة الحج المصرية من طبول وزمور ورايات الى جانب الحرس المسلح ومن ثم اعتدت تلك القبائل على بعثة الحج المصرية واسفر الاشتباك عن وقوع اصابات بين الطرفين كانت بين النجديين اكثر منها بين المصريين(٩١) .

وقد حاول الملك عبد العزيز تهدئة الخواطر بعد هذا الحادث الا أن عودة المحمل المصرى دون أن يقوم أميره بتوزيع الصدقات على فقراء مكة والمدينة ، والصرف من أوقاف الحرمين على شئون الحرمين قد أساء الى الموقف المتوتر وزاده حدة مما دفع بالحكومة المصرية الى أن تمنع سفر المحمل المصرى الى الحجاز بعد هذا الحادث حتى عام ١٩٣٦م عندما تم الاتفاق على عودته بشروط سنفصلها بموجب معاهدة ١٩٣٦م بين الطرفين .

كما زاد الأمور توترا بين الحكومتين تردد الملك فؤاد فى الاعتراف بوضع آل سعود فى الحجاز ذلك الوضع الذى نجم عن ضم هذه البلاد لسلطنة نجد تحت حكم عبد العزيز آل سعود ، فى الوقت الذى كان عبد العزيز يتطلع الى هذا الاعتراف من مصر خاصة أنها تمثل مركزا بارزا بين البلاد العربية والاسلامية . ولعل هذا التردد من جانب الملك فؤاد كان مرتبطا بأطماعه فى الخلافة الاسلامية ، وكان الملك فؤاد قد دعا لمؤتمر عقد فى القاهرة للبحث فى مصير الخلافة الاسلامية ورفض الملك عبد العزيز ارسال وفد لحضور هذا المؤتمر فى الوقت الذى نظر فيه الشعب المصرى الى الملك فؤاد باعتباره غير جدير بهذا اللقب الاسلامى السامى .

خامسا : ساهمت جهود فردية فى تجاوز الأزمة الطارئة بين السعودية ومصر طوال امتدادها من ١٩٢٦ الى ١٩٣٦م ، كما حاولت أطراف أخرى استمرار هذه الأزمة اما الأطراف التى بذلت جهودا من اجل رأب الصدع فى العلاقات الرسمية بين السعودية ومصر فكان على رأسها الملك عبد العزيز نفسه الذى كان حريصا على تجاوز هذه الأزمة بكل وسيلة ممكنة كتقديم العروض لعودة المحمل المصرى الى رحلته السنوية المعتادة ، وتخليه عن فكرة الخلافة الاسلامية ، ورغبته فى الاستفادة من الخبرات الفنية المصرية اللازمة لتحقيق طموحاته لتمدين المملكة .

---

(١٦) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيزة العرب (ص ١٤٤) .

كما اعلن حزب الوفد المصرى أن العلاقات الطيبة بين السعودية ومصر هى من مصلحة الطرفين ، كما عرض الاقتصادى المصرى الكبير محمد طلعت حرب فكرة قيام مشروعات مشتركة بين مصر والسعودية مثل ربط ميناء السويس وجدة بخط ملاحى بحرى ، هذا بالاضافة الى جهود الشيخ حافظ وهبه مستشار الملك عبد العزيز وهو من اصل مصرى وله اتصالات بكثير من السياسيين المصريين ، وتعاطف على ماهر مع فكرة تقوية العلاقات المصرية السعودية ونشاط الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار التى تصدر فى القاهرةوكلها جهود فى صالح عودة العلاقات المصرية السعودية الى سابق عهدها من الأخوة والتعاون .

ولولا وجود بعض الاشخاص من اصحاب المصلحة فى بقاء العلاقات المصرية السعودية متأزمة لما استغرقت تلك الأزمة فى العلاقات بين البلدين طوال هذه المدة، ومن هؤلاء الأشخاص بعض مستشارى الملك عبد العزيز من السوريين(١٧) الذين خشوا من عودة العلاقات المصرية السعودية الى سابق عهدها أن يستغنى الملك عبد العزيز عن خدماتهم ويستبدلهم بمصريين .

كانت تلك تطورات العلاقات المصرية السعودية والتى وصلت — كما رأينا — الى حد القطيعة بين الحكومتين بسبب حادث المحمل المشار اليه وغيره من الحوادث التى فصلناها أيضا ، ولم تعد العلاقات بين الطرفين الى حالتها الأصلية من الأخوة والارتباط المصيرى الا عندما عقدت معاهدة بينهما عام ١٩٣٦م ، وهذا ما يعطى لتلك المعاهدة اهمية كبرى فى مسيرة العلاقات المصرية السعودية .

ومبعث تلك الأهمية لمعاهدة ١٩٣٦م بين مصر والمملكة العربية السعودية هو انها جاءت بعد فترة جفاء وقطيعة غير طبيعية على المستوى الرسمى السياسى بين قطرين جمعتهما منذ القدم روابط متينة من العوامل الثقافية مما يجعلنا نؤكد ان هذه المعاهدة جاءت تصحيحا لوضع غير طبيعى ، وتحقيقا للمسار الأخوى لكلا القطرين .

---

(١٧) كان على رأس هؤلاء الشيخ «يوسف ياسين الذى ولد باللاذقية ووفد الى السعودية عام ١٩٢٣ م حيث عمل محررا فى جريدة أم القرى حتى كسب ثقة الملك عبد العزيز فصار من اهم مستشاريه حيث تولى منصب وكيل الديوان الملكى الى جانب فؤاد حمزه الفلسطينى المولد والذى عمل وكيلا لوزارة الخارجية السعودية ، والذى طلب منه الملك عبد العزيز أن يمثل السعودية فى التفاوض مع الجانب المصرى لعقد معاهدة ١٩٣٦م دكتور العقاد (المرجع السابق ص ٥٦٤) .

معاهدة ١٩٣٦

عندما تم للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود استكمال وحدة الدولة بضم الحجاز ثم عسير تفرغ لبناء الدولة ورسم علاقاتها مــع الدول الأسلامية وغيرها ، ففى المجال الداخلى اهتم بالتعليم والزراعة وباستغلال المصادر المعدنية ، وفى المجال الخارجى ابرم عدة معاهدات للصداقة وحسن الجوار مع كل من تركيا وايران عام ١٩٢٩ ومع العراق الملكى عام ١٩٣٠م ، ومع شرق الأردن عام١٩٣٣م ومع اليمن عام ١٩٣٤م، ثم مع مصر عام ١٩٣٦م.

واذا كان قد نودى بالسلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يوم الجمعة الموافق ٨ يناير ١٩٢٦م ملكا على الحجاز واصبح يسمى « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » فقد اصدر مرسوما فى ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م بالاسم الجديد لدولته فاصبحت تعرف منذ ذلك التاريخ باســم « المملكة العربيــة السعودية » .

جاء عقد معاهدة ١٩٣٦ م بين كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية اذن فى سياق السياســة القومية والأســلامية التى اختطها الملك عبد العزيز وهى السياسية التى وجدت تجاوبا لدى رئيس الوزراء المصرى على ماهر باشا رئيس الوزراء الذى خلفه مصطفى النحاس باشا ، وهمــا اللذان شاركا فى ترسيخ قواعد الأخوة والصداقة بين القطرين الشقيقين .

وفى استعراضنا للمعاهدة التى عقدت بين الطرفين فى اليوم السادس عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٥هـ الموافق لليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٣٦م(١٨) وشارك فى وضعها حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزه بك وكيل وزارة الخارجية السعودية (١٩) وحضرة صاحب الدولــة على ماهر باشــا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية المصرية يمكن استخلاص الحقائق التالية المتعلقة ببنود المعاهدة وهى : ـــ

اولا : الحرص على الأخوة العربية الاسلامية بين القطرين الشقيقين، فقد جاء فى ديباجة المعاهدة مانصه : الحمد الله الذى الف بين قلوب المسلمين

---

(١٨) وزارة الخارجية السعودية : مجموعة المعاهدات ص ٢٢٥ ـــ ٢٣٠وثيقة رقم (٤١) .

(١٩) كان فؤاد حمزه الفلسطينى الاصل يســاعد الامــير فيصل بن عبد العزيز فى أختصاصات وزير الخارجية السعودية . فؤاد حمزه : البلاد العربية السعودية ص ١١٣ ـــ ١٣٩ .

وجعلهم بنعمته اخوانا « كما جاء بها : اما بعد فنحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفصيل آل سعود ملك الملكة العربية السعودية ، نظرا لانه قد عقدت معاهدة صداقة بيننا وبين مجلس وزراء الملكة المصرية متوليا حقوق جلالة ملك مصر الدستورية لتثبيت العلاقات الودية بين البلدين وتقويتها ... ونظرا لما لدى الملكتين العربية السعودية والمصرية مـــن خالص الرغبة فى توثيق عـــرى الصداقة بينهما ، قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعـــد علاقاتهما الوديـــــة ...

وزادت المعاهدة تأكيدا لرغبة القطرين الشقيقين فى ارساء علاقاتهما على اسس من الأخوة العربية الأسلامية الحقة ، فنصت المادة الثانية على أن يكون بين الحكومتين والشعبين سلام دائم وصداقة خالصة ، وان يتعهد الطرفان بالمحافظة على حسن العلاقات مع الطرف الآخـــر ، وان يسعى بكل ما لديـــه من الوســـــائل لمنع استعمال بلاده قاعـــدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة فى بـــلاد الطرف الآخر ، وهذا فى رأيى أول دلائل التضامن العربى المبكر بين قطرين عربيين .

كما نصت المادة الثالثة على اقامة علاقات التمثيل السياسى والقنصلى بين القطرين الشقيقين ، اما المادة السادسة فقد نصت على تعهد من كـــلا الطرفين بالقيام فى اقرب فرصة ممكنة بعد توقيع المعاهدة بمفاوضات ودية لحل المسائل المتعلقة بينهما ولعقد اتفاقات جمركية وبريدية وملاحية وغـــير ذلك من الشئون التى تهم بلديهما وحرصا من الطرفين على تحقيق الأخـــوة الأصيلة بين ابناء القطرين فقد تبادلا المذكرات خـــلال شهر نوفمبر ١٩٣٦م بعد أن صادق الطرفان على المعاهدة فى نفس تاريخ الوصول الى موادها بين المتفاوضين واعنى ان الطرفين صدقا عليها وقبلاها فى ٢٥ من شهر صـــفر ١٣٥٥هـ الموافق لليوم ١٧ مايو ١٩٣٦م . وان دل هذا على شىء فانما يدل على ان المعاهدة التى وصل اليها الطرفان كانت وضعا للأمور فى نصابها بين القطرين الشقيقين . واتخاذ الخطوات بالسرعة التى تمت بها دليل عملى على ما اشرنا اليه .

ثانيا : حرصت المملكة السعودية على أن تعلن مصر اعترافها الرسمى بها ، وهذا الحرص مرجعه الى تقدير المملكة لاهمية هذا الاعتراف من مصر بصفة خاصة باعتبارها قلب العالم العربى . ونظرا لمركزها الدولى . وجاء حرص المملكة العربية السعودية هذا منذ اعلان قيامها فى عام ١٩٣٢م تمشيا مع اتجاهات المملكة العربية الاسلامية ولهذا نصت المادة الاولى من المعاهدة على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حــرة ذات سيادة مستقلة استقلالا تاما مطلقا . وكون النص فى المادة الاولى من المعاهدة على الاعتراف المصرى دليل على تقدير الحكومة السعودية لمكانة مصر ودورها العربى الاسلامى والعالمى .

ثالثا : التأكيد على تعاطف المصريين مع الاراضى المقدسة التى ترعاها حكومة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود . فنصت المادة الرابعة على تعهد الحكومة السعودية بتسهيل اداء فريضة الحج واقامة الشعائر الدينية الاسلامية للمسلمين من رعايا المصريين وأن يتمتعوا أثناء اقامتهم فى الحجاز بالأمن على أموالهم وانفسهم وبالحرية الشخصية فى الحدود الشرعية . وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل.

وجاء هذا النص مؤكدا على حرص المملكة العربية السعودية على رؤية الحجاج المصريين يعودون الى الأرض المقدسة مع التمتع بالأمن والأمان لهم ولأموالهم وبالحرية الشخصية ولكن فى حدود ما تنص عليه الشريعة الاسلامية، ولعل هذا النص اشارة الى موقف أصحاب دعوة التوحيد من المظاهر التى كانت تصحب المحمل المصرى كل موسم حج . كما أن النص فى هذه المــادة على معاملة المصريين واعطائهم حقوق الدولة الأولى بالتفضيل دليل آخر على تقدير المملكة العربية السعودية لمصر والمصريين والرغبة فى تأكيد الأخــوة العربية الاسلامية بين الشعبين المصرى والسعودى .

وتمشيا مع ما نصت عليه المادةالرابعة من دلائل تشبع ما تفهو اليه نفوس المصريين نحو البلاد الحجازية وتعاطفهم مع الأماكن المقدسة للمسلمين المشمولة

برعاية المملكة العربية السعودية ، فقد نصت المادة الخامسة من المعاهدة على أنه عملا بالتضامن والتعاون الاسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية اذا رات من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع لعمارة الحرمين الشريفين او اصلاح المرافق المتصلة بهما من تلك العمارة وذلك الأصلاح كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما .

وفى يقينى ان النص على موافقة الملك عبد العزيز على تحقيق الأمانى المصرية ذات الجذور التاريخية برعاية الحرمين المقدسين عمرانيا مع ما يتصل بذلك من عمليات بناء او طلاء او ما يتصل بالمرافق الملحقة بالأماكن المقدسة، ما يدل على حرص الملك عبد العزيز على كسب الراى العام الاسلامى فى مصر، لأن تلك الأمانى المصرية اشباعها يساهم فى تحقيق الانسجام الكامل مع الحكومة السعودية ، وعدم اشباعها يثير توترا فى علاقات المصريين بالمسئولين عن عدم الأشباع .

وفسرت المادة الخامسة بعمارة الحرمين الشريفين ومرافقهما والتى ستقوم الحكومة المصرية بالانفاق — اموالا وعمالا — عليها بأنها تشمل تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج أو الزوار ، واضاءة الحرمين وماحولها ، وتوفير مياه الشرب ، وغير ذلك من الاعمال والمنشئات التى ترمى الى توفير راحة الحجاج والزوار او المحافظة على صحتهم .

وفى اعتقادى أن تفصيل تلك العمليات التى يسمح للحكومة المصرية القيام بها فى الأراضى الحجازية تحديد للمطالب المصرية للمساهمة فى رعاية الأماكن المقدسة للمسلمين ومصر يعيش على ارضها اكبر تجمع عربى اسلامى ، فلا غرابة فى ان تقوم بهذه العمارة التى تساهم فى تسهيل اداء مناسك الحج أمام جميع الحجاج المسلمين مهما اختلفت جنسياتهم وفى اعتقادى ايضا أن هذا النص اعتراف من حكومة المملكة السعودية بالدور المصرى فى رعاية الأماكن المقدسة عمرانيا وروحيا دون النواحى السياسية . وكل ما طالبت به الحكومة

السعودية أن يحدث اتفاق مسبق بينها وبين الحكومة المصرية على التصميمات الخاصة بأعمال العمران المشار اليها ، وهذا حق مشروع لها(٢٠) .

تنفيذا للمعاهدة بين كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية وبعد ان تم التصديق عليها فقد تم تبادل المذكرات بين كل من فؤاد حمزه وكيل وزارة الخارجية السعودية ومصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية لتسوية بعض المسائل المعلقة وذلك تنفيذا لما نصت عليه المادة السادسة كما سبق ان اشرنا ، فجاء فى المذكرة الاولى الملحقة بالمعاهدة والتى كتبها فؤاد حمزه أنه طبقا لاستفسارات الحكومة المصرية عن مقدار الرسوم والعوائد والتكاليف التى تقرر على الحجاج فى كل عام قبل دخول موسم الحج ، فان السلطات المختصة فى حكومة المملكة العربية السعودية تضع تعريفة مفصلة للعوائد والرسوم والتكاليف المقررة وتعلنها قبل موسم الحج من كل عام ، وانه يسر حكومة جلالة الملك ان تبلغها الى الحكومة المصرية عقب صدورها لكى تعلنها فى الوقت المناسب على الراغبين فى الحج من رعاياها(٢١) .

وجاء فى المذكرة الثانية المقدمة من رئيس مجلس الوزراء المصرى مصطفى النحاس باشا ان الحكومة المصرية تعتزم استئناف ارسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الموسم القادم — ذى القعدة ، ذى الحجة ١٣٥٥هـ — وسيقوم المحمل المرافق لهذه الكسوة من القاهرة فى الوقت الذى كان معتادا أن يقوم فيه وعند وصولهما الى جدة يستقر المحمل فيها وتوجه الكسوة الى مكة حيث توضع على الكعبة بالاحتفال اللائق بكرامة المكان ومقام الجالس على عرش الحجاز . وانه سيطرز على الكسوة اشارة الى انها اهديت الى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية(٢٢) .

---

(٢٠) وقع المعاهدة كل من على ماهر رئيس وزراء مصر وفؤاد حمزه وكيل وزارة الخارجية السعودية .

(٢١) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦م ، فؤاد حمزه .

(٢٢) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦م ، مصطفى النحاس .

وفى رايى ان التبليغ المصرى المسبق على ارســـال المحمل امر تقتضيه الأخوة الاسلامية كما نصت عليه الشريعة الاسلامية بالاستئذان من صاحب البيت واعنى ملك المملكة العربية السعودية قبل الدخول . كمـــا ان التاكيد على بقاء المحمل فى جـــدة ونقل الكسوة فقط الى الكعبة ووضـعها عليهـــا بالاحتفال اللائق اشارة الى التزام مصر بما نصت عليه المعـــاهدة من عدم اصطحاب الكسوة اية مظاهر لا يرضى عنها الوهابيون واعنى اية طبول أو زمور أو بيارق ورايات ونحو ذلك مما يعد غير مقبول من جانب الوهابيين .

وأما المذكرة الثالثة والمقدمة مـــن فؤاد حمزة فقد اشارت الى موافقة حـــكومة المملكة العربية السعودية على ما جـــاء بمذكرة مصطفى النحاس السابقة بخصوص استئناف ارسال الكسوة الخاصـــة بالكعبة المشرفة فى موسم الحج القادم وبخصوص تطريز عبارة الاهداء فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود على الكسوة وبخصوص نزول المحمل بجدة واستقراره فيها ونقل الكسوة الى الكعبة المشرفة .

وجاء بالمذكرة ان حكومة المملكة العربية السعودية تقدم شكرها لحكومة المملكة المصرية على جميل نياتها نحو الأراضى المقدسة وعن موافقتها على نزول المحمل بجدة واستقراره فيها وعدم انتقاله الى مكة المكرمة وان الهيئة المكلفة بنقل الكسوة ستقابل بأكبر الحفاوة فى جدة كما أن الكسوة ستستقبل فى مكة اكرم استقبال وتوضـــع فى مقرهـــا بالاحتفال اللائـــق بمقام صاحب الهدية(٢٣) .

وهذه الروح الودية المتبادلة نتيجة الاحترام المتبادل للمشاعر وللظروف السائدة فى المملكة العربيـــة السعوديـــة واعنى تطبيق دعـــوة التوحيـــد التى لا تجيز اية مظاهر ترتبط بمناسك الحج وفى مقابل ذلك ترحب الحكومة السعودية بالأسهام المصرى فى تكريم الكعبة المشرفة وتحتفل بالبعثة المصرية المصاحبة للكسوة وتشيد بصاحب الهدية شعب مصر وحكومتها .

وجاء فى المذكرة الرابعة الموجهة من مصطفى النحاس الى فؤاد حمزه

---

(٢٣) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥هـ الموافـــق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦م . فؤاد حمزه .

أن الحكومة المصرية تعتزم اتخـاذ التدابير اللازمة لأعادة صرف الصدقات لفقراء الحجاز ولاستئناف صرف فاضـل غلة أوقاف الحرمين الشريفين فى الأراضى المقدسة وذلك ابتداء من موسم الحج القادم .

ويتضح من هذا التبليغ اعادة الأمور الى ما كانت عليه سابقا من حيث المسارعة اعتبارا من موسم الحج القادم وقد اقترب موسمه حيث لم يعد يبقى على حلوله سوى ما يقرب من شهرين فقط بصرف الصدقات علـى فقراء الحجاز وهذا بمعنى اعتبار المصريين والحجازيين اخـوة يحق لأحدها مـا يحق للآخر — كما أن الأشارة الى الصرف من فائض غلة أوقـاف الحرمين الشريفين دون حساسية بوقوع هذين الحرمين تحت رعاية المملكة العربية السعودية مما يؤكد الأخوة الأسلامية والعربية .

وتضيف المذكرة فتذكر أن الحكومة المصرية ستقوم بتعيين من يتولى صرف الصدقات التى ترسلها الى الأراضى المقدسة وأن الحكومة المصرية تعتزم أن تنفق الأموال التى كانت تخصصها للصدقات ومن فاضل غلـة الأوقاف المذكورة فى حدود القواعد الشرعية لعمـارة الحرمين الشريفين ولأصلاح المرافق المتصلة بهما . وأن الحكومة المصرية ستبلغ الحكومـة السعودية بما تضعه من البرامج لأعمال العمارة والأصلاح فى حينه تمهيدا لاتفاق الحكومتين على التصميمات الخاصة بتلك الأعمال(٢٤) .

وهذا التبليغ المصرى بأخطار الحكومة السعودية بمن سيتولى صرف الصدقات فى الأراضى المقدسة ، وبأنها خصصت جزءا من الصدقات ومن فائض غلة الأوقاف لعمارة الحرمين الشريفين ومرافقهما وبأنها ستعرض على الحكومة السعودية برامج الأصلاح التى ستضعها كل فى حينه حتى يمكن الاتفاق على التصميمات هذا التبليغ هو تنفيذ لما جاء فى مواد المعاهدة وهـو فى نفس الوقت احترام السيادة السعودية على أراضيها .

وفى المذكرة الخامسة الموجهة من فؤاد حمزه الى مصطفى النحاس ردت الحكومة السعودية على ما جـاء بمذكرة مصطفى النحاس السـابقة

(٢٤) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥هـ الموافـق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦م . مصطفى النحاس .

(مذكرة رقـم ٤) من قيام الحكومة المصرية بصرف الصدقات علـى فقراء الحجاز وصرف فائض غلة الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين ومـا يتصل بذلك من صرف على عمارة الحرمين الشريفين والمرافق المتصلة بهما .

وفى هذه المذكرة رحبت حكومة صاحب الجلالة ملك المملكة العربيـة السعودية خالص الترحيب بتنفيذ مشروعات العمارة والاصلاح التى تنوى الحكومة المصرية القيام بها ، وأن ـ الحكومـة السعودية تحترم رغبـة الحكومة المصرية فى اختيارها لمن يقوم بصرف الصدقات على فقراء الحجـاز بل وستقدم له كل التسهيلات اللازمة(٢٥) .

وأما المذكرة السادسة والأخيرة الملحقـة بالمعاهدة والموجهة مـن مصطفى النحاس باشا الى فؤاد حمزه بك فتتصل بموضوع الجنسية حيث أشارت المذكرة الى القواعد التى اتفق عليها بين الطرفين فى شأن جنسية المصريين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة العربيـة السعودية فى وقت صدور نظام التابعية الحجازية وجنسية العرب السعوديين الذين كانـوا مقيمين بأراضى المملكة المصرية فى وقت صدور قانون الجنسية المصرية .

فالمذكرة تحتوى على القواعد التى يتم التعامل بموجبها مع المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية وخاصة الأراضى الحجازية عندما انضمت هذه الأراضى الى ملك آل سعود كما يتم التعامل بموجبها مع العرب السعوديين من ابناء الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة الذين كانـوا مقيمين بالأراضى المصرية عندما صدر قانون الجنسية المصرية .

وحددت المذكرة القواعد المشار اليها بانها يمنح لكل مـن الفريقين (المصريين والسعوديين) مهلة قدرها ستة اشهر لاختيار الجنسية المصرية او العربية السعودية . اى اصبح من حق المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية حتى ضم بلاد الحجاز لملك آل سعود اختيار الجنسية

---

(٢٥) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥ هـ الموافـق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦ م . فؤاد حمزه .

السعودية كما اصبح من حق السعوديين المقيمين بالأراضى المصرية عند صدور قانون الجنسية المصرية اختيار الجنسية المصرية .

وتمضى المذكرة تقول : انه سيجرى الاتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة اسماء المصريين فى المملكة العربية السعودية والعرب السعوديين فى المملكة المصرية فى خلال الثلاثة الأشهر التالية للمهلة المشار اليها (وهى مهلة الستة اشهر) وغنى عن البيان أن اعداد هذه الكشوف عملية تنظيمية اجرائية تسبق عملية الاختيار .

وحرصت المذكرة فى نفس الوقت على التأكيد بانه لن يترتب على اختيار احد المقيمين فى بلد لجنسية البلد الآخر اى مساس بحقه فى البقاء أو الاستقرار فى اراضى البلد الذى يقيم فيه . وهذا التأكيد دليل على الاخاء العربى والعروة الوثقى بين شعبى مصر والسعودية وان الحصول على الجنسية عملية تنظيمية لا تمس الروابط والمصالح المتبادلة لأبناء العروبة والاسلام فى القطرين الشقيقين .

كما اختتمت المذكرة بتأكيد آخر بأن المصريين او العرب السعوديين الذين هبطوا أراضى البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الاصلية(٢٦) وهذا دليل آخر على حق مواطنى القطرين كل فى القطر الآخر بالتمسك بجنسيته الأصلية دون ارغام على التخلى عنها لكونه مقيما فى القطر الآخر .

---

(٢٦) القاهرة فى ٤ رمضان ١٣٥٥ هـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٣٦ م . مصطفى النحاس .

الفصل السادس

الولايات المتحدة وانشاء الجامعة العربية

- مقدمة .
- متى بدأ اهتمام الولايات المتحدة بقضية الاتحاد العربى .
- الموقف الامريكى .

مقدمة *

ساد اعتقاد بأن فكرة انشاء الجامعة العربية كشكل مـــن اشكال الاتحـــاد بين الدول العربية انما جاءت أول مرة على لسان المستر أنطونى أيدين Anthony Eden وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى تصريحه عام ١٩٤١م ، وأن العرب استندوا الى هذا التصريح ــ الـــذى كان بمثابة الضوء الأخضر البريطانى كما يذكر البعض ــ للتفكير فى اقامـــة منظمة تجمع دولهم تعمل على تحقيق مصالحهم المشتركة وتجعل منهم أمة تستعيد مجدها بعد أن فرقتها الأطماع الاستعمارية بعد الحرب العالميـــة الاولى .

وحقيقة الأمر أن هذه الفكرة لم تكن جديدة على العـــرب حين أدلى المستر ايدن بتصريحه هذا(١) ، اذ أن العرب فكروا فى جمع الشمل بعـــد الحرب العالمية الاولى تجـــاوزا للتجزئة التى فرضتها الدول الأوربيـــة الاستعمارية عليهم . وبعد أن فشلت مشروعات الشريف حسين بن على زعيم الهاشميين فى اقامة الدولة العربية الموحدة والتى تضم بلاد الشـــام باقسامها المعروفة ــ سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الاردن ــ الى جانب كل من العراق والحجـــاز ، ومن ثم تتالت مشروعات الاتحاد فى الســـاحة العربية انطـــلاقا من وجـــود شعور عـــام مشترك يشمل مختلف الأقطار العربية ، دون أن يكون هنالك من يقصد ذلك أو يسعى اليه . أوجـــدته حركة انتشار الصحافة والطباعـــة والنشر والاذاعـــة والتمثيل والشعر والآداب ، وغيرها من الوسائل التى تساعد على اتصال الأفكار وتدانيها(٢) .

---

* هذا البحث منشور بمجلة الشرق الاوسط التى تصدر عن مركز بحوث الشرق الاوسط بجامعة عين شمس العدد الخامس ١٩٨١ .

1. Sydney Nettelton Fisher : The Middle East, A History, p. 511.

(٢) George Lenczowski : The Middle East in World Affairs, p. 636.

ومن مشروعات الاتحاد بين الاقطار العربية مشروع سوريا الكبرى الذى تقدم به الامير عبد الله امير شرقى الاردن فى يوليو عـــام ١٩٤١م الى الحكومة البريطانية ، بهدف ضم امارته الى ســـوريا ويصبح هو زعـــيم الدولة الجديدة بل ، وعلى حدتوله ، يستعيد عرش الهاشميين فى دمشق الذى سقط عام ١٩٢٠ م ، ولكن هذا المشروع لم يلق تأييدا بريطانيا من ناحية ، ومن ناحية اخرى جرت الانتخابات فى ســـوريا عام ١٩٤٣م حيث تسلم الوطنيون الحكم الذى اصبح جمهوريا ، ومن ثم سقط مشروع الأمير عبـــد الله.

وكان المشروع الاتحادى الثانى فى الساحـــة العربيـــة هو مشروع الهلال الخصيب الذى قدمه هذه المرة نورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق فى ديسمبر ١٩٤٢ م الى الحكومـــة البريطانية أيضا ، ويدعـــو هذا المشروع الى اقامة اتحاد فيدرالى بين كل من العراق وسوريا ولبنـــان وامارة شرق الاردن وفلسطين مع اعطاء اليهود المقيمين فى فلسطين حكما ذاتيا (٣) . ولكن الحكومة البريطانية لم تؤيد كذلك هذا المشروع الذى لم يجد قبولا من جميع العرب — على حد قول المستر ايدن (٤) — الى جانب عدم موافقة الاطراف العربية المعنية على فكرة الهلال الخصيب .

وقد يقع البعض فى خطأ عند دراسة فكرة انشاء الجامعة العربيـــة بأن الحكومة البريطانية هى صاحبـــة الاهتمام الأول بهذه الفكرة بدليـــل تقديم حكام الأسرة الهاشمية فى عمان ، وبغداد لمشروعاتهم الاتحـــاديـــة الى الحكومة البريطانية ، وهذا فى رأينا تشويه لتاريخ العـــرب الحديث والمعاصر ، اذ أنه يصور بداية حركة الاتحـــاد وكأنها من صنع بريطـــانيا وليست استجابة لدوافع وطنية نابعة من داخل الشعب العربى(٥) بينمـــا

---

3. George Lenczowski : The Middle East in World Affairs, P. 636.
4. Ibid, p. 636.

(٥) د. صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ص ٦٩٥ .

كان العرب يدركون أن سياسة بريطانيا فــرق تسد Devide and Role ومن ثم فان من الضرورى اقتراح الوسائل للوحدة العربية (٦) .

واذا كان حقا ان لبريطانيا النفوذ الأعلى فى الاقطار العربية ، فان قيام شكل من اشكال الاتحاد العربى يثير اهتمام الدول الاخرى ، ولذلك لا نعجب ان نجد موقفا أمريكيا نحو هذه الخطوة الاتحادية ، وهو موقف لم يحظ بالوضوح اى لم تسلط عليه اية اضواء ، وتوارى الاهتمام الأمريكى فى ظل الدور البريطانى حيث كانت حكومة الولايات المتحدة الامريكية تتمسك طبقا لسياسة العزلة بعدم الدخول فى مشكلات خارج الأمريكتين ، وتعترف بسيادة النفوذ البريطانى فى منطقـــة الشرق الاوسط ولا ترغب فى منافسة هــذا النفوذ السياسى .

ومما تجب ملاحظتـــه ان مشروع سوريا الكبرى ومشروع الهـــلال الخصيب مشروعات لا تحقق الامانى العربية حيث هدفت ــ هذه المشروعات ــ الى وحدة اقليمية ضيقة فى منطقة من العالم العربى لتحقيق مصـــالح شخصية لحكام عمان وبغداد . ولعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا ان فشل هذين المشروعين يرجع فى جانب منه على الأقل الى استبعاد مصر مـــن الانضمام الى ايهما ، بمعنى أن مصر لم تدع للاشتراك فى اى من المشروعين وفى رايى انه لو شاركت مصر فى اى من المشروعين لما تحقـــق للحكام فى عمان أو فى بغداد فرصة الزعامة فى اى من الاتحادين المقترحين .

وانطلاقا من هذا نرى أن فكرة انشاء جامعة الدول العربيـــة كشكل من اشكال الاتحاد العربى ، ولدت فى مصر وتقررت بين الاقطار العربية على ارض مصر ، ولهذا تهيـــأ لها البقاء والاستمرار منذ قيامها الى الآن وليس هذا بغريب على موقف مصر من العروبة اذ وقفت مصر باستمرار الى جانب الشعوب العربية فى كفاحهـــا لنيل استقلالها حتى ومصر تناضـــل

(٦) S.N. Fisher : The Middle East, A History, p. 571.

لاجلاء قوات الاحتلال البريطانى عن أراضيها ، وهذا لا ينفى ان كثيرا مــن المصريين اعتقدوا حتى أوائل الأربعينات من القرن العشرين بوجوب اعطاء الأولوية فى اية جهود تشارك فيها مصر لتحقيق الوحدة العربية الى وحــدة وادى النيل وهى الوحــدة القائمة على اسس جغرافية طبيعيــة والتى يظهر فيها عامل المصلحة بصورة اوضح (٧) .

وعلــى هــذا فقد اخــذت مصر زمام المبــادرة فى الدعــوة لبحث تشــكيل منظمــة تحــقق امــل العــرب فى الوحــدة دون ان تطــرح حــكومة مصطفى النحــاس شــكلا معينا من اشكال الوحــدة ، وجاءت هــذه المبادرة فى شكل توجيه دعوات من مصطفى النحاس الى رؤساء الحكومات العربية لزيارة القاهرة كل على حدة ، ومناقشة الموضــوع مع رئيس الحكومة المصرية مصطفى النحاس وذلك فى صيف عام ١٩٤٣م. ورغم تباين وجهات نظر حكومات الدول العربية بين متشكك فى امكانية قيام اتحــاد بين الدول العربية وبين مؤيد بحماس لمثــل هذا الاتحــاد ، وبين متحفظ بالنسبة للنواحى السياسية فقد انتهت المناقشات الى عقــد اجتماع بالاسكندرية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ م حضره مندوبون عن كل من مصر والمملكة العربية السعودية ، والمملكة المتوكلية اليمنية والجمهورية السورية ، والجمهورية اللبنانية ومملكة العراق وامارة شرق الاردن .

أقر اجتماع الاسكندرية ما عــرف باسم بروتوكول الاسكندرية الذى تضمن مبادىء عامة للتعاون بين الدول العربية المجتمعة بالاسكندرية فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ثم تكونت لجنة فرعية لصياغة ميثاق لجامعة الدول العربية وهــو الشكل الذى انتهى اليه الراى كصورة للوحدة العربية وصدر الميثاق فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ م فى مدينة القاهرة التى صارت مقرا للجامعة العربية ، انطلاقا مــن سبق مصر فى المجال الثقافى والحضارى وثقلها السكانى بالمقارنة مع الدول العربيــة

(٧) د. أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ص ٦٤ .

الست الاخرى الاعضاء فى الجامعة مجتمعين (٨) . وبهذا الميثاق صارت جامعة الدول العربية منظمة اقليمية تحاول تحقيق المصلحة العربية بقدر ما تسمح لها سياسات الحكومات العربية .

متى بدا اهتمام الولايات المتحدة بقضية الاتحاد العربى ؟

يمكن التأريخ لبدء اهتمام الولايات المتحدة الامريكية بفكرة انشاء منظمة تجمع الدول العربية المستقلة بصفة فعلية منذ عام ١٩٤٣م عندما عرضت هذه الفكرة على الساحة العربية وبدات دعوات الحكومة المصرية توجه لرؤساء حكومات الدول العربية لمناقشة الموضوع فى القاهرة .

وبينما كان لانجلترا موقف واضح يقوم على تأييد قيام منظمة تضم الدول العربية كان على حكومة الولايات المتحدة ان تتخذ هى الأخرى موقفا واضحا من هذه القضية التى طرحت فى الساحة العربية رغم انشغال العالم بمعارك الحرب العالمية الثانية وكان تحرك المملكة العربية السعودية بهدف استيضاح مواقف دول العالم الحر من قضية انشاء اتحاد عربى هو الذى املى على حكومة الولايات المتحدة توضيح موقفها واعلانه .

وجاء التحرك السعودى لاستطلاع راى حكومة الولايات المتحدة حول قضية قيام اتحاد بين الدول العربية انطلاقا من طبيعة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية فمنذ ان بدات تلك العلاقات فى العشرينات من القرن العشرين فى المجالات الاقتصادية والثقافية ظلت لا تتحكم فيها عقد الخوف من فرض نفوذ سياسى او احتلال اجنبى كما تميزت علاقات كل من انجلترا وفرنسا بالاقطار العربية الأخرى .

وعندما لاح للعرب ان الولايات المتحدة لا ترغب الدخول فى تنافس مع الانجليز او الفرنسيين لفرض النفوذ السياسى وان رغبتها الرسمية اتباع سياسة ودية غير معقدة مع العرب (٩) ، اطمأن هؤلاء واولهم الملك عبد العزيز بن سعود الى النوايا الأمريكية واستعان بالخبرة الأمريكية

---

(٨) The American Assembly : The United State and The Middle East, Regional and International politics in the Middle East, by L. G. Hurewitz, p. 14.

(٩) Ibid, p. 152

— دون غيرها — فى البحث عن المياه والمعادن ، وفى زراعة اراضى دولته منذ أواخر العشرينيات من هذا القرن ، كما اعطى امتيازات التنقيب عن البترول فى مملكته للشركات البترولية الأمريكية دون غيرها ايضا أوائل الثلاثينيات من هذا القرن .

وتعتبر العلاقات بين المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام ١٩٣٢م وبين الولايات المتحدة الامريكية نموذجا للاستقرار فى العلاقات الدولية ، حيث حرص الملك عبد العزيز ومن بعده أبنائه على تجنب الدخول فى مغامرات عدائية أو الارتباط بروابط قوية تقيد من حركة الدولة السعودية مع أية قوة أجنبية وخاصة انجلترا التى كان لها النفوذ الأعلى فى الخليج العربى وفى عدن وفى البحر الأحمر .

جاءت اذن علاقات المملكة العربية السعودية مع الولايات المتحدة دليلا على سياسة الاعتدال فى العلاقات الدولية وتجنب كل ما من شأنه تعريض المملكة لأية اخطار الى جانب تبادل الثقة والاحترام بين الطرفين وكل ذلك يفسر لنا لماذا حرصت المملكة العربية السعودية على استطلاع راى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى موضوع انشاء اتحاد بين الدول العربية المملكة مدعوة للانضمام اليه .

وكان الشيخ يوسف ياسين وزير خارجية المملكة العربية السعودية بالنيابة قد اجتمع مع الوزير الأمريكى بالقاهرة المستر كيرك Alexander C. Kirk (١٠)وطلب منه استيضاحموقف الحكومهالامريكيةمن المناقشات العربية الدائرة آنذاك حول اقامة اتحاد عربى . وكان الشيخ يوسف ياسين قد وصل الى القاهرة ممثلا للملك عبد العزيز بن سعود للتباحث مع مصطفى النحاس رئيس الحكومة المصرية حول موضوع اقامة اتحاد عربى ، وهو الموضوع المطروح فى الساحة العربية منذ صيف ١٩٤٣م وصارت القاهرة مركزا لمناقشته .

ونتيجة لمحادثات الشيخ يوسف ياسين مع المستر كيرك ، بعث الأخير

(١٠) The Acting Secretary of States, President Roosevelt, washington, October 22, 1943, No. (890 B. — 283.

بتقرير عن الموضوع الذى دارت حوله المناقشات — وهو موضوع انشاء اتحـــاد عربى — الى وزارة الخارجية الامريكية (١١) جاء فيه أن الملك عبد العزيز آل سعود لديه تحفظات معينة وتردد حول الجهود التى تبـــذل آنذاك لاقامة اتحاد عربى ، ولكنه لا يرغب مـــع هذا أن يبـــدو فى صـــورة المعترض او الرافض لمثل هـــذه الفكرة ومن ثم يشعر بأن عليـــه واجبـــا يدعوه الى تأييد قيام وحدة اقتصادية وثقافية دون تأخير بين الأقطـــار العربية مع الاكتفاء بهذا فى الوقت الحاضر وأن تستبعد مناقشة قيـــام وحدة سياسية بين البلاد العربية .

واضاف المستر كيرك فى برقيته الى وزارة الخارجيـــة الامريكية ان الشيخ يوسف ياسين أبلغه ان الملك عبد العزيز بن سعود حريص قبل أن يتخذ موقفا ما من فكرة الاتحاد بين الدول العربية استطلاع موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة للتحفظات التى ابدتها المملكة حـــول فكرة الاتحاد العربى ، وكذلك السياسة الامريكية بالنسبة لقضية الوحدة العربية بصفة عامة.

لم تكتف المملكة العربية السعوديـــة باستيضاح موقف الولايـــات المتحدة الامريكية بخصوص فكرة الاتحـــاد بين الدول العربية المطروحـــة للنقاش فى الساحة العربية . بل اتجهت كذلك الى استيضاح موقف الحكومة البريطانية من نفس الفكرة . وقد انتهز الشيخ يوسف ياسين فرصـــة وجوده بالقاهرة لمناقشة الفكرة مع مصطفى النحاس باشا وزار دار السفارة البريطانية من نفس الفكرة . وقد انتهز الشيخ يوسف ياسين فرصـــة حول الموضوع .

استعرض الشيخ يوسف ياسين أمام السفير البريطانى موقف المملكة العربية السعودية من فكرة قيام اتحاد بين الأقطـــار العربية ، وأن الملك عبد العزيز يفضل البدء عند تنفيذ هذه الفكرة بتوحيد النواحى الاقتصاديـــة والثقافية أولا قبل التفكير فى النواحى السياســـية ، وأن المملكة ترغب فى معرفة موقف الحكومة البريطانية من الموضوع المطروح على الساحة العربية ، خاصة وأن المستر انطونى ايدن وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية كان قد أدلى بتصريح عام ١٩٤١م فى مانشن هاوس Mansion House قال فيه ان بريطانيا سوف تؤيد اية مشروعات للوحدة يتفق عليها العرب .

11. Speech by the Rt. Hon, Anthony Eden, delivered at the Mansion House on May 29, 1941.

لم يكن الأمر بالنسبة لموقف الحكومة البريطانية من قضية الوحدة العربية فى حاجة الى جهد ، اذ تعددت تصريحات المسئولين فى الحكومة البريطانية وكلها تؤيد قيام اتحاد بين الأقطار العربية بشرط ان تنبع فكرته من العرب انفسهم وأن تجد هذه الفكرة قبولا عربيا عاما .

الموقف الأمريكى

ولكن موقف الولايات المتحدة هو الذى كان فى حاجة الى توضيح بل واعلان رسمى ، وعلى الأقل الرد على استيضاح الملكة العربية السعودية للموقف الأمريكى ، وابلاغ الملكة بالرد عن طريق الوزير الأمريكى بالقاهرة المستر كيرك الذى أعطى للشيخ يوسف ياسين ردا مبدئيا بأن حكومته لا تعارض قيام اتحاد بين الأقطار العربية باعتبار أن هذا الموقف يتمشى مع السياسة العامة لحكومة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأدنى ، كما أن هذا الموقف يضع فى اعتباره تصريح المستر ايدن ويراعى كذلك تحفظات الملك عبد العزيز بن سعود .

وجاء الرد الامريكى فى برقية بعث بها المستر ستيتنيوس **Stettinius** القائم بأعمال وزير الخارجية الأمريكية الى المستر كيرك الوزير الأمريكى بالقاهرة (١٢) لابلاغ الشيخيوسفياسين وزيرخارجية الملكةالعربيةالسعودية بالنيابة بالموقف الأمريكى . واحتوت البرقية على اتجاهات عامة للسياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأدنى دون الدخول فى تفاصيل الموضوع المطروح للمناقشة .

وقد أكد الرد الأمريكى أنه رغم أننا — الحكومة الأمريكية — لم نتخذ موقفا مماثلا لموقف المستر ايدن بخصوص انشاء اتحاد بين الدول العربية (١٣)، فان موقف الحكومة الأمريكية العام نحو شعوب منطقة الشرق الأدنى معروف ولم يطرأ عليه أى تغيير، وهذا الموقف باختصار يتمثل فى أن الولايات المتحدة ترغب أن ترى أقطار الشرق الأدنى تسترد حرياتها وتنمى امكانياتها الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن الحكومة الأمريكية تتعاطف تماما مع أمانى أقطار الشرق الأدنى الأخرى فى الاستقلال التام ، وتمشيا مع ذلك

---

12. **The Acting Secretary of State to the Minister in Egypt (Kirk) Washington, October 26, 1943 — 8 p.m. No. 890 B. 00 / 283 : Telegram.**

(١٣) أى لم يصدر اعلان أو تصريح رسمى من الحكومة الامريكية يؤيد انشاء اتحاد عربى ، كما صرح بهذا المستر ايدن وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية .

فانه من الطبيعى اذا قررت هذه الشعوب بمحض اختيارها أن اتحادهـــا مع بعضها فيه فائدتها ، فان الولايات المتحدة سوف تنظر لهذه الرغبة بعين العطف .

واضاف الرد الأمريكى الى ما سبق بأنه طالما اتخذت الأقطار المعنية قرارها الخاص ، فانه يبدو لحكومة الولايات المتحدة ان الاحداث والمشكلات خلال السنوات القليلة الماضية قد أظهرت أن أقطار الشرق الأدنى تحتاج الى تعاون أكبر لتدعيم النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وان أولى خطوات الاتحاد بين الأقطار العربية يجب أن تضع فى الاعتبار الأخذ بهذه النواحى أولا .

وعندما وصلت برقية وزارة الخارجية الأمـــريكية الى المستر كيرك بالقاهرة قام بابلاغهـــا للشيخ يوسف ياسين الوزير السعودى الذى كان موجودا بالقاهـــرة فى ٣ نوفمبر ١٩٤٣ م ، والذى قام بدوره بابلاغ الملك عبد العزيز بن سعود بفحوى الرد الامريكى .

وفى نفس الوقت كتب المســـتر كيرك رسالة أبرق بهـــا الى وزارة الخارجية الامريكية (١٤) ذكر فيها انه قام باخطار الشيخ يوسف ياسين باجابة الحكومة الأمريكية ، واضاف انه . اى كيرك ــ سوف يستعين بهذه الاجابة للرد على أية اسئلة أو استيضاحات ترد الى السفارة الأمريكية بالقاهرة من رسميين عرب . ومعنى هذا أن الرد الامريكى السابق الاشارة اليه صار اساسا يوضح السياسة الأمريكية نحو قيام جامعة تضم الدول العـــربية المستقلة ، وان اية حـــكومة عربية ستلجأ للبعثة الدبلوماسية الأمـــريكية بالقاهرة لاستيضاح موقف الحكومة الأمريكية نحو قيام هذه المنظمة العربية فسوف تكون اجابة المستر كيرك واحدة معتمدة على الرد الأمريكى الذى

---

14. The Minister in Egypt (Kirk) to the Acting Secretary of State (Settinius), Cairo November 4, 1943 — 1 p.m. No. 1976 : Telegram.

جاء أصلا اجابة على استيضاح المملكة العربية السعودية ، ومع ذلك فلن تكون هذه نهاية للموقف الأمريكى نحو الموضـــوع ولن تكون نهاية لمناقشة الموضـــوع .

ذلك أن الشيخ يوســـف ياسين وزير الخارجية بالنيابة فى حـــكومة المملكة العربية السعودية اعاد فتح الموضوع للمناقشة ثانية مع المسئولين الامريكيين منذ شهر يوليو عام ١٩٤٤ م (١٥) ، استنادا الى الموقف الذى أقرته حكومة الولايات المتحدة كسياسة لها بالنسبة لتشـــكيل اتحاد عربى وبالنسبة لفكرة الوحدة العربية بصفة عامة منذ عام ١٩٤٣ م .

ولقد تناقلت البرقيات المتبادلة بين واشنطن وجدة فى ١٧ و ٢١ من شهر يوليو ١٩٤٤ م المناقشة بين الطرفين العربى السعودى والأمريكى حول الموضوع الذى كان فى نفس الوقت مثارا فى الساحة العربية ، حيث اتفقت آراء المســـئولين فى الاقطار العربية الســـبع وهى (مصر ، المملكة العربية السعودية ، اليمن ، سوريا ، لبنان ، العراق ، امارة شرق الاردن) على عقد مؤتمر تمهيدى للبحث فى صيغة للاتحاد بين الدول العربية ، وتقرر عقده بمدينة الاسكندرية بالمملكة المصرية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ م .

وبينما الاتصالات تجرى بين كل من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية للاستفسار عن موقف الحـــكومة الأمريكية بالنسبة لتحفظات المملكة العربية الســـعودية بالنسبة لموضوع الاتحاد العـــربى ، اعلن فى الاسكندرية بتاريخ ٧ اكتوبر ١٩٤٤ ما عرف باسم بروتوكول الاسكندرية الذى تضمن عدة بنود تدعو الى تشكيل منظمة وحدوية عربية تعرف باسم جامعة الدول العربية يوقع ميثاقها فى مدينة القاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ م ، على أن تكون العاصمة المصرية مقر لأجهزتها .

جاء الرد الأمريكى على استفسارات الشيخ يوسف ياسين فى صورة مذكرة اعدها المستر هندرسون **Henderson** مدير مكتب شئون الشرق الأدنى وافريقيا بوزارة الخارجية الأمريكية ، مقدمة الى وزير الخـــارجية

---

15. **Exchange with the Saudi Arabian Government regarding the attitude of the United States toward the general question of Arab Union, Fereign 1944 Vol. V.**

الامريكى فى اغسطس عام ١٩٤٥م(١٦) . اى بعد ان اصبحت جامعة الدول العربية حقيقة واقعة منذ شهر مارس من ذلك العام .

واستعرض هندرسون فى مذكرته تطور السياسة الأمريكية بالنسبة لحركة استقلال الاقطار العربية وتطلعها الى الوحدة فيما بينهـــا ، وذلك منذ اشتعال الحـــرب العالمية الأولى مرورا بسياسة الرئيس الأمـــريكى ويلسون Wilson حتى عام ١٩٤٥ م عندما ظهرت على المسرح العربى بل والعالمى جامعة للدول العربية .

جاء فى مذكرة المستر هندرسون ان اساس سياسة الولايات المتحدة نحو جامعة الدول العربية المنشأة حديثا — مارس ١٩٤٥ م — انما ينبع من الاتجاه التقليدى الأمريكى المتعاطف مع حركة استقلال الاقطار العربية ومع الخطوات الجديدة لتحقيق اتحاد بين الدول العربية تمثل جامعة الدول العربية خطوة على الطريق فى هذا الاتجاه آنذاك .

وارجع هندرســـون فى مذكرته بداية الحـــركة الوطنية والقومية فى الاقطار العربية الى القرن التاسع عشر ، حيث أظهر المفكرون العـــرب المتأثرين بالمؤسسات التعليمية المرتبطة بأوربا والتى انتشرت فى أقطـــار الشرق الأدنى ، أظهر هؤلاء المفكرون اتجاهات وطنية تهدف فى المقام الأول الاستقلال عن الدولة العثمانية .

واعاد المستر هندرســـون فى مذكرته الى الذاكرة ان التعاطف مـــن جانب الولايات المتحدة الأمريكية مع الفكرة الوطنية العربية قد ظهـــر من خلال النقطة رقم ١٢ من نقاط الرئيس الامريكى ويلسون الاربع عشرة (١٧)

16. Memorandum by the Director of the Office of Near Eastern and African Affairs (Henderson), to the Secretary of State Washington, August 29, 1945, No. 890 B. 00/ B. 00/8—2945.

17. The Fourteen Points were included in an address by President Wilson delivered before a joint session of Congress on January 8, 1918.

وقد دعت هذه النقطة الى اعطاء الشعوب الخاضعة للحكم التركى — حتى الحرب العالمية الأولى — الحق فى التمتع بالأمن فى حياتهم ، والحق فى تقرير المصير لبناء مستقبلهم .

ولا شك ان هذه الدعوة تعنى الشعوب العــربية فى المقام الأول ، وهى دعوة تتجاهل المطامع الاستعمارية الانجليزية والفرنسية فى اقطــار المشرق العربى ، ولكنها لا تتطرق الى التواجد الاستعمارى فى أقطار المغرب العربى ومصر والسودان ، وفى رايى ان الرئيس ويلسون حرص على ابراز موقفه فى تقرير المصير بالنسبة للأقطار الخاضعة للحــكم التركى — وهى كما راينا تقع فى المشرق مــن الوطن العربى — حيث كان الحــكم التركى مباشرا ، وتجنب الاشارة الى اقطار شمال أفريقيا ومنها مصر والسودان باعتبار ان النفوذ والسيطرة الاستعمارية الاوربية محققــة منــذ القــرن التاسع عشر ، وهذا يظهر لنا رغبة الرئيس الأمريكى ويلسون فى تجنب الصدام مع دول أوروبا الاستعمارية فى أمور تعتبرها هذه الدول غير قابلة للمناقشة .

وعلى اية حال فنحن نتفق مع المستر هندرسون بأن النقطة رقم ١٢ من نقاط الرئيس ويلسون الاربع عشرة التى أعلنها فى يناير ١٩١٨م أوحت الى العرب بوجود تعاطف أمريكى نحو فكرة استقلال الأقطار العربية عن تركيا وهو تعاطف كان كضوء غير مبهر وسط ظلام دامس تمثل فى الاطماع الاستعمارية الأوروبية والاطماع الصهيونية التى ظهرت من خلال ما عرف باتفاق سايكس — بيكو ، وأيضا وعد بلفور .

وتقول النقطة رقم ١٢ من نقاط الرئيس الأمريكى ويلسون ما نصه :

«The other nationalities which are now under Tuskish rule should be assured an undoubted security of life and an absolutely unmolested opportunity of autonomous development.»

وهذا الفهم من جانب الرئيس الأمريكى ويلسون ترجم الى واقع فى

المادة رقم ٢٢ من ميثاق عصبة الامم (١٨) الذى خلق عهد الانتداب ، وقد نظر العرب الى الانتداب باعتباره عقبة فى طريق تحقيق امانيهم المتطلعة لقيام امبراطورية عربية مستقلة ، وهذه الأمانى تستند الى الوعود التى اعطيت للعرب اثناء الحرب العالمية الأولى .

ويشرح هندرسون فى مذكرته جهود الوطنيين العرب فى اقطارهم الواقعة تحت الانتداب الانجليزى الفرنسى عقب معارك الحرب العالمية الأولى ، بأن هدفهم الأول كان العمل على انهاء الادارة الانجليزية والفرنسية ، واستغرق الجهد العربى فى هذا المجال طوال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية .

واشار هندرسون الى حدوث بعض التقدم لتحقيق الهدف العربى المتمثل فى انهاء الانتداب الأجنبى على الأقطار العربية وتحقيق الاستقلال لتلك الاقطار ، مثل اعلان استقلال العراق عام ١٩٣٢ م ، وتوقيع اتفاق بين فرنسا — الدولة المنتدبة — وكل من الوطنيين فى سوريا ولبنان عام ١٩٣٦ يعطى لكل من سوريا ولبنان الحق فى ان تكونا دولتين مستقلتين ، وان كان الفرنسيون لم يحترموا هذا الاتفاق ، وبالتالى لم يوضع — الاتفاق — موضع التنفيذ .

---

(١٨) جاء فى نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم : ان رخاء وتقدم مثل هذه الشعوب امانة مقدسة فى عنق الانسانية وان الطريقة العمليه لتنفيذ هذا المبدا بطريقة فعالة تكون باسناد الوصاية على مثل هذه الشعوب للامم التى تؤهلها مواردها وخبرتها وموقعها الجغرافى لتحمل هذه المسئولية .

وهذا النص وان احتوى على التعاطف الأمريكى لكنه حكم على الشعوب فى المستعمرات الالمانية السابقة وفى أملاك الدولة العثمانية ان تقع تحت الانتداب . وخول لعصبة الأمم سيادة اسمية على البلاد الواقعة تحت الانتداب .

ا د . راشد البراوى : العلاقات السياسية الدولية والمشكلات الكبرى .

كما أشار المستر هندرسون فى مذكرته الى أن الأقطار العربية سواء التى مازالت تحت الانتداب الانجليزى الفرنسى ، أو تلك التى تتمتع باستقلال رسمى معترف به ، قد أخذت تتمتع باستقلالها فى تصريف شئونها بصورة كاملة ، ومن بين هذه النظرة العربية للاستقلال فى تدبير الامور تعتبر الحركة السائدة بين العرب لتحقيق نوع من الاتحاد بين اقطارهم أمرا طبيعيا يتفق مع الحقائق الأساسية والمقومات العربية بعد الاستقلال .

وتضمنت مذكرة المستر هندرسون كذلك تحديد الفترات الزمنية لتطور موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضية الاستقلال والوحدة للأقطار العربية . ففى الفترة من ٤ مارس ١٩٣٣ الى اول سبتمبر ١٩٣٩ م ، وهى الفترة السابقة لقيام الحرب العالمية الثانية ، وأثناء الفترتين الأولى والثانية من رئاسة فرانكلين روزفلت للولايات المتحدة (من ١٩٣٢ الى ١٩٣٦ م الفترة الاولى ومن ١٩٣٦ — ١٩٤٠ م الفترة الثانية) (١٩) لم تأخذ الولايات المتحدة موقفا ايجابيا من القضايا العربية بدعوى تجنب المشاكل العالمية والابتعاد عن أوروبا ارض العنف ونشاطاتها التوسعية فيما وراء البحار .

ويذكر هندرسون انه وان لم تأخذ الولايات المتحدة من القضايا العربية موقفا ايجابيا واضحا ، فانها اكدت تعاطفها مع الأمانى العربية المتمثلة فى تحقيق الاستقلال ، أى أن الحكومة الامريكية لم تعلن وقوفها صراحة مع الأمانى العربية واكتفت بمجرد الاعتراف بسلطنة نجد ومملكة الحجاز عام ١٩٣١ م بزعامة الملك عبد العزيز آل سعود ، كما اعترفت باستقلال العراق عام ١٩٣٢ م ، مع ملاحظة أن العلاقات بين الولايات

---

(١٩) من المعروف أن الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت انتخب رئيسا للولايات المتحدة لأربع فترات متتالية بدأت عام ١٩٣٢ م ، وكل فترة مدتها أربع سنوات ، ولكنه لم يتم الفترة الرابعة اذ توفى فى السنة الأولى منها ليخلفه نائبه هارى ترومان .

المتحدة مع المملكة العربية السعودية والعراق بل ومع الأقطار العــربية الواقعة تحت الانتداب الانجليزى الفرنسى مرتبطة الى حد كبير بضمان المصالح الأمريكية وحمايتها بما يتفق مع أسس السياسة الأمريكية .

وفى المدة من أول سبتمبر ١٩٣٩ الى ٧ ديسمبر ١٩٤١م ، اى منـــذ اشتعال معارك الحرب العالمية الثانية الى بدء اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية فى تلك المعارك ، يرى المستر هندرسون أن آمال العرب وامانيهم فى الاستقلال والوحـــدة قد قويت بدرجة كبيرة خاصة أن كلا مـــن الدول الحليفة ودول المحور اخذت تخطب ود وصداقة العرب كجزء من الصراع على النفوذ فى الشرق الأوسط وقد نجحت دول المحور فى معركتها الاعلامية وتفوقت على المعركة الاعلامية للدول الحليفة لأن البرامج الاذاعية والصحافة لدول المحور استخدمت اللغة العربية .

ونتيجة لتفوق دول المحور فى كسب المعركة الاعلامية فى الاقطار العربية من الدول الحليفـــة ، شعر البريطانيون ـــ كما يذكر المستر هندرسون فى مذكرته ـــ بالقلق والخوف من تحول العرب عن صداقة الدول المتحالفة الى دول المحور ، ومن ثم حرص البريطانيون على ضرورة الحصول على تأييد العرب ، وتمشيا مع ذلك وحينما صار الموقف العسكرى البريطانى فى منطقة الشرق الأوسط حرج للغاية أعطى المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية تأييدا لحركة الوحدة العربية المتزايدة بين العرب فى تصريحه الشهير الذى ادلى به فى « المانشن هاوس » فى ٢٩ مايو ١٩٤١ م.

وجاء فى هذا التصريح (٢٠) أن العالم العربى قد سار أشواطا كبيرة منذ التسوية التى تمت عقب الحـــرب العالمية الأولى ، وأن كثيرين مـــن مفكريه يرجون لشعوبهم درجة من الاتحاد أكثر مما هم فيه الآن ، وهـــم يتطلعون للحصول على التأييد البريطانى ، ويجب الا نخيب رجاء أصدقائنا . وهنا أقرر أنه من الطبيعى كما أنه من حق العـــرب أن تقوى الروابط الاقتصادية والثقافية بين الأقطار العربية ، وأيضا الروابط السياسية ، ومن ثم فان حـــكومة جلالة الملك ستؤيد كل خطوة من هذا القبيل تجـــد استحسانا عاما بين العرب .

---

20. SydneyNettleton Fisher : The Middle East A History, 2nd ed. p. 630,
George Lenczowski : The Middle East in World Affairs, 3rd ed. P. 635.

واهمية هذا التصريح فى رأينا انه جاء كمحاولة من بريطانيا للحصول على تعاطف العرب مع قضية الحلفاء فى صراعهم ضـــد الخطر النازى ، فلا بأس من تصريح بريطانى يؤيد الامانى العربية فى الاتحاد . كمـــا ان هذا التصريح سيكون من العوامل التى استند اليها الموقف الأمريكى فيما بعد فى التعاطف مع امانى الشعوب العربية فى الاستقلال والوحدة .

وجاء فى تصريح ايدن ما نصه :

«The Arab world has made great strides since the settlement reached at the end of the last war, and many Arab thinkers desire for the Arab peoples a greater degree of unity than they now enjoy. In reaching out towards this unity they hope for our support. No such appeal from our friends should go unanswered. It seems to me both natural and right that the cultural and economic ties between the Arab countries, yes and the political ties too, should be strengthened. His Majesty's Government for their part will given their full support to any scheme that commands general approval.»

واشار المستر هندرســـون فى مذكرته الى ان الموقف الامريكى لم يطرأ عليه تقدم خلال هـــذه الفترة فيما عدا ما سبق ان اشرنا اليه مـــن تعاطف مع الامانى العربية دون اتخاذ مواقف ايجابية تلزم حكومة الولايات المتحدة بمسئوليات فى المنطقة العربية لا ترغب فى تحملها ، ولكنها حرصت على التعرف باستمرار على اتجاهات الراى العام العربى بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وهذا الحرص استلزم من الحكومة الامريكية أن تفكر باطراد بضرورة أن تكون لها سياسة أمريكية نحو فلسطين .

وفى المدة من ديسمبر ١٩٤١ م الى الوقت الحالى — عام ١٩٤٥ م — يشير المستر هندرسون فى مذكرته الى ان فكرة الوحدة العربية استمرت متأثرة بتصريح المستر ايدن السابق الاشارة اليه فى « مانشن هاوس » فى مايو ١٩٤١ م ، وظهر هـــذا التأثير — فى رأى هندرسون — فى افكار نورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق الوحدوية التى ضمنهـــا كتابه الازرق الذى عنوانه « استقلال العرب ووحدتهم » .

ومعنى هذا ان صدور هذا الكتاب اول عام ١٩٤٣ م اســـتند الى تصريح ايدن لعام ١٩٤١ م ، ومن ثم جاءت فكرة نورى السعيد فى كتابه دعوة لقيام اتحاد عربى يضم كلا من الاقطار العربية الآتية :

١ — دولة سوريا الموحدة التى تضم كلا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن .

٢ — العــراق .

٣ — اعطاء الفرصة للدول العربية الأخرى للانضمام لهذا الاتحاد .

ومما تجب ملاحظته أن ما يشير اليه هندرسون فى مذكرته بخصوص افكار نورى السعيد عن الاتحاد بين الدول العربية هو ما سبق أن أشرنا اليه فيما عرف باسم مشروع الهلال الخصيب ، والذى لم يقدر له التنفيذ بسبب عدة عوامل ذكرناها ، وان ظل المشروع موجــودا فى افكار بعض العرب وخاصة حــكام العراق مدة طويلة حتى بعد قيام جامعــة الدول العــربية .

واشار هندرسون فى مذكرته الى تصريح آخر للمستر انطونى ايدن وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٣ م ، القاه هذه المرة فى مجلس العمــوم البريطانى(٢١) ، واكد فيه أن حــكومة صاحب الجلالة الملك سوف تنظر بعين العطف نحو اية خطوة يخطوها العرب لتحقيق وحدتهم فى المجالات الاقتصادية والثقافية أو السياسية . ويجب ان يكون واضحا أن الخطوة الوحدوية يجب أن تأتى من العــرب أنفسهم ، وللآن فاننى الاحظ انه لم يطرح مشروع اتحادى يجد قبولا عاما بين العــرب » .

وجاء فى تصريح المستر ايدن ما نصه :

«As they have already made plain His Majesty's Government would view with sympathy any move among the Arabs to promote their economic, cultural or political unity But clearly the initiative would have to come from the Arabs themselves and so far as I am aware no such scheme which would command general approval has yet been worked out.»

ويشير المستر هندرسون فى مذكرته الى أن تصريح المستر ايدن هذا كان الدافع المباشر لنورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق فى أن يرد على مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية بالموافقة على اتخــاذ اجراءات الدعوة لعقد مؤتمر عربى يبحث موضــوع الاتحاد بين الدول العــربية .

---

21. George Lenczawski : The Middle East in World Affairs, p. 636.

ولكن علينا أن ننتبه لنقطة هامة هنـــا وهى أنه رغم اعتبار المستر هندرسون حـــركة نورى السعيد وموافقته لبحث اقامة اتحاد عربى كرد فعل لتصريح المستر ايدن أو نتيجة من نتائج هـــذا التصريح ، فان الدعوة صدرت من العرب انفسهم والفكرة نابعة من احساسهـــم بضرورة اقامة اتحاد بينهم ولا يعيبهم استجابة احد زعمائهم لتصريح بريطانى يبارك التحرك العربى نحو الوحدة .

ويمضى المستر هندرسون فى مذكرته بأن مصطفى النحاس باشا بدأ سلسلة من اللقاءات بينه وبين رؤساء الحكومات العربية أو مندوبيهم من أجل تبادل وجهات النظر حول تشكيل اتحاد عربى ، وقد استغرقت هـــذه اللقاءات التى بدأت فى صيف عام ١٩٤٣ م بقية شهور عام ١٩٤٣ م والشهور الأولى مـــن عام ١٩٤٤ م ، وشملت على التوالى ممثلى كل من العراق ، امارة شرق الأردن ، المملكة العربية السعودية ، سوريا ، لبنان ، اليمن . وكان موضوع اشتراك ممثلى الشعب العربى الفلسطينى مثار اهتمامات الجميع لبعض الوقت ولكن لم يتم التوصل الى اتفاق بين الزعماء العرب بخصوص تمثيل الفلسطينيين .

واستمر هندرسون فى سرد وقائع تطور الاهتمام الأمريكى من قضية الاتحاد العربى ، بأنه اثناء وجود ممثل المملكة العربية السعودية الشيخ يوسف ياسين فى القاهرة للاجتماع مع مصطفى النحاس باشا ، لجأ الاول — الشيخ يوسف — الى الوزير الأمريكى بالقاهرة لاستطلاع رأى الولايات المتحدة نحـــو التطورات الجارية بخصوص الاتحاد العربى ، وأن وزارة الخارجية الأمريكية أجابت على الاستفسارات السعودية ببرقية تاريخهـــا ٢٦ اكتوبر ١٩٤٣م(٢٢) .

وجاء فى الرد الأمريكى أن حكومة الولايات المتحدة لم تحدد سياستها نحو دول الشرق الأدنى بشـــكل نهائى ، ولكن سياستهـــا العامة معروفة تماما . وترغب هـــذه الحكومة أن ترى الاقطـــار المستقلة فى الشرق الادنى متمتعة بحريتها ، وتسعى لتنمية أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وتتعاطف تعاطفا تاما مع امانى اقطار الشرق الأدنى الأخرى فى كفاحها من اجل تحقيق حريتها واستقلالها الكامل .

---

22. **The Acting Secretary of State to the Minister in Egypt (Kirk) Wishington, October 26, 1943 — 8 p.m. No. 1605 Telegram.**

ويضيف الرد الأمريكى على الاستيضاح السعودى ، بأنه اذا ما رات شعوب الشرق الادنى — اى شعوب اقطار المشرق العربى — انه مــن المفيد لها تحقيق وحدة فيما بينها بملء حريتهـــا ، فانه يتلو ذلك دون شك وانطلاقا من الموقف المبدئى للحكومة الأمريكية ان تبدى هـــذه الحـــكومة تعاطفا مع الأمانى العربية . وأنه لفهم مبادىء السياسة الامريكية بصفة دائمة يجب تذكر ميثاق الاطلنطى(٢٣) والبيانات التى اذاعها المستر هـــل Hull وزير الخارجية الامريكية بصفة خاصة فى ٢٣ يوليو ١٩٤٢م وفى ١٢ سبتمبر ١٩٤٣م(٢٤) .

واكد الرد الأمريكى فى النهاية على أهمية ان تتخذ الاقطار العـــربية المعنية قرارها الوحدوى بنفسها ، وان الحكومة الأمريكية ترى أن احداث ومشكلات سنوات الحرب قد أظهرت حاجة اقطار الشرق الأدنى الى دعم أكبر لمواردها وامكانياتها الاقتصادية والاجتماعية واحتياجاتهـــا الثقافية ، وأن تحقيق هذا الدعم كخطوة أولية سوف يقود الى النهاية المرغوبة وهى الاتحاد العربى المنشود .

واستمر المستر هندرسون فى سرد وقائـــع خطوات الاتحاد العربى وموقف الولايات المتحدة من هذه الخطوات ، فيذكر انه فى شهر يوليو عام ١٩٤٤ م عادت المملكة العـــربية السعودية — بواسطة الشيخ يوســـف ياسين — الى استيضـــاح موقف الولايات المتحدة من مسألة قيام جامعة للدول العربية ، وقد اجابت الحكومة الأمريكية على هذا الاستيضاح بنفس الاجابة التى سبقت الاشارة اليها .

وفى أثناء شـــهرى سبتمبر واكتوبر ١٩٤٤ م اجتمـــع مؤتمر عربى فى الاسكندرية كمؤتمر تمهيدى لبحث فكرة الاتحاد العربى ، وكان هذا المؤتمر يمثل الدول العربية ذات الحكومات الوطنية ، فقد حضره ممثلون عن عرب فلسطين الى جانب ممثلين لكل من مصر ، سوريا ، لبنـــان ، العـــراق ، شرق الأردن ، المملكة العربية السعودية ، اليمن . وكان مندوبا كل من المملكة العربية السعودية واليمن فى هذا المؤتمر مجرد مراقبين فقط .

---

23. Joint Statement by President Ro osevelt and British Prime Minister Churchill, August 14, 1941. Foreign Relaitons, 1941, Vol. 1, P. 367.
24. Department of State Bulletin, July 25, 1942, p. 639, and Ibid, September 18, 1943, p. 173.

وأنه فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤م أصدر مؤتمر الاسكندرية برتوكولا يدعــو الى انشاء جامعة أو منظمة للدول العربية ، وعهد الى لجنة فرعية شكلها المؤتمر وضع مبادىء قيام هذه الجامعة ، وكذلك تشكلت لجان فرعية أخرى لبحث توحيد النواحى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها من النواحى فى الأقطار العربية المشتركة فى المؤتمر ، والى جانب ذلك أكد المؤتمر ضرورة المحافظة على استقلال لبنان وتأكيد الحقوق العربية فى فلسطين .

وانطلاقا من قرارات مؤتمر الاسكندرية فقد وضع دستور اشــتمل على مبادىء تنظيم قيام جامعة للدول العربية ، وقد صيغت هذه المبــادىء فى صورة ميثاق وقعه المندوبون التابعون للدول العربية السبعة الاعضــاء فى ٢٢ مارس ١٩٤٥م وقد صحب الميثاق ملاحق توضــح تنظيم العمــل فى أجهزة الجامعة ، وتمثيل العرب الفلسطينيين ، والتعاون مع الأقطار العربية الأخرى غير الأعضاء فى الجامعة (وهى تلك الأقطار غير المستقلة الواقعة تحت الاحتلال الفرنسى بشمال أفريقيا ومشيخات الخليج العربى) .

كما أن ميثاق جامعة الدول العربية يمنع اللجوء الى القوة أو العدوان بين الدول الاعضاء ، ويدعــو الى التشاور وتقــديم المساعدة اللازمــة فى حالة تعرض أية دولة من الدول الاعضاء فى الجامعة للعدوان من الخارج وأوجد الميثاق مجلسا وأمانة عامة مقرها مدينة القاهرة ، كما يدعــو الميثاق الى التعاون بين الدول الاعضاء فى مختلف الميادين غير السياسية .

وتعــرض المستر هندرسون فى مذكرته لنتائج اعلان قيــام جامعة الدول العربية خارج الاطار العربى ، فذكر أن ممثلى دول الجامعة العربية فى سان فرانسيسكو **San Francisco** (٢٥) أبدوا رغبة جماعية للتعامل مع هيئة الأمم المتحدة كوحدة متماسكة ، ودعــوا الى قبول الجامعة العربية كمنظمة اقليمية طبقا للمادة رقم ٨ من مبادىء ميثاق الهيئة الدولية .

كما أن قيام جامعة الدول العربية قوبل بترحيب من المتحدث الرسمى للحكومة البريطانية فى البرلمان فى جلسة ٩ مايو ١٩٤٥ م ، كما رحب المستر ويليام فيلبس **William Phillips** المساعد الخاص لوزير الخارجية الامريكيــة بقيام جامعة الدول العربية فى عبارات فاه بها أثنــاء مأدبة أقيمت بمدينــة نيويورك على شرف الوصى على عرش العراق فى ٢ يونيو ١٩٤٥ م .

---

25. **Reference is to the United Nations Conference on International Organization which met from April 25 to June 26, 1945.**

وجاءت عبـــارات المستر فيليبس على النحـــو التالى : ان تصميم الشعوب العربية لنيل الاستقلال ، ورغبتهـــم فى القيام بدور فى الشـــئون العالمية باعتبارهم اعضاء فى المجتمع الدولى ، وانطلاقا من تاريخهم المجيد ، ومهاراتهم وآمالهم فى مستقبل اكثر تقدما ، كانت كلها دون شك من أهـــم العوامل التى دفعت العرب اثناء الحرب العالمية الاولى الى الكفاح لتحقيق حرياتهـــم .

ويضيف المستر فيلبس فى كلمته قائلا : ان تصميم العرب على الاستقلال قد اقترنت به رغبتهم فى قيام جامعة الدول العربية ، ونحن — أى الولايات المتحدة الأمريكية — نرحب بقيام تعاون عربى ، كما اننا على ثقة مـــن أن تعميق العلاقات بين مختلف الأقطار العربية لن يكون فقط من أجل المنفعة العربية الخالصـــة ، بل سيساعدهم ذلك على القيام بدور هـــام وبناء فى انجاز المسئوليات الكبيرة التى تنتظر هيئة الأمم المتحدة .

واختتم المستر هندرسون مذكرته بايجاز السياسة الأمريكية بالنسبة لقضية الاتحاد العربى ، وقيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ م ، فذكر أن تلك السياسة تقوم على التقدير التلقائى والتعاطف التقليدى مع محاولات الشعوب العربية لنيل استقلالهـــم والقيام بدور اكثر فعالية فى الشـــئون العالمية ، كما أن حكومة الولايات المتحدة ترحب بالتالى بانجازات التعاون العربى التى تمثلت فى قيام جامعة للدول العربية ترعى الخطـــوات التى تتخذ حاليا لتحقيق الوحدة بين العرب فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

كانت تلك مذكرة المستر هندرسون التى تقدم بها الى وزير الخارجية الامريكى فى ٢٩ اغسطس ١٩٤٥م ، والتى قامت وزارة الخارجية الامريكية بابلاغها الى المملكة العربية السعودية عن طريق الوزير الأمريكى بالقاهرة والتى لم تخرج عن موقف الولايات المتحدة الامريكية الاول الذى أعلنته ردا على استيضاح الشيخ يوسف ياسين عام ١٩٤٣ للرأى الأمريكى بشـــأن مشاركة المملكة العربية السعودية فى ترتيبات قيام اتحاد بين الدول العربية .

ونخلص من الموقف الامريكى عام ١٩٤٥م بالنسبة للاتحاد بين البـــلاد العربية وتشكيل جامعة الدول العربية ، الى المبادىء الآتية :

أولا : أن الولايات المتحدة تتعاطف وديا مع رغبة الشعوب العربية

فى الاستقلال ولكنها ليست على استعداد لمعاداة القوى الأوروبية المعوقة لاستقلال الأقطار العربية .

ثانيا : أن الولايات المتحــدة ترحب بقيام تعاون بين البلاد العــربية بهدف تحقيق شكل من اشكال الاتحاد ، بشرط أن تنبع الفكرة من العرب انفسهم ، وأنها سعدت بتأييد الحكومة البريطانية لجهود العرب فى سبيل وحدتهـــم .

ثالثا : أن الولايات المتحـــدة لم تعلن موقفها — كما فعلت الحــكومة البريطانية — من تلقاء نفسها بل جاء اعلانها نتيجة لاستيضاح ورد اليها من المملكة العربية السعودية وهذا يفسر لنا القيود التى وضعتها الحكومة الأمريكية على سياستها الخارجية بألا تشترك فى مسئوليات جديـــدة بينما مازال هناك انصار لسياسة العزلة الامريكية فى اولايات المتحدة .

رابعا : ان المملكة العربية السعودية هى التى اخذت زمام المبادرة فى استطلاع راى الولايات المتحدة حول قضية الاتحاد العربى ، خاصة بعد ان وضح الموقف البريطانى وذلك نابع مـــن طبيعة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة تلك العـــلاقات المتسمة بالاســـتقرار والثقة بين الطرفين والاحترام المتبادل .

خامسا : ان الولايات المتحدة قد اخذت بوجهة النظر السعودية أو ما عرف بالتحفظات على مشروعـــات الاتحاد بين البلاد العـــربية ، تلك التحفظات الداعية الى استبعاد النواحى السياســـية فى تحقيق الاتحـــاد العربى والاكتفاء فى الوقت الحاضر — آنذاك — بتوحيد النواحى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

مصادر البحث

أولا : الوثائق :

1. Foreign Relations of the United States Diplomatic Papers, 1943, Vol. II, The Near East and Africa.
   — Saudi Arabia, pp. 880 — 953.
2. Foriegn Relations of the United States Diplomatic Papers 1944, Vol. V, the Near East, South Asia and Africa, The East.
   — Saudi Arabia, pp. 658 — 773.
3. Foreign Relations of the United States. Diplomatic Papers, 1945, Vol. VII, The Near East and Africa.
   — Regional, pp. 1 — 87.

ثانيا : المصادر الأجنبية :

1 Sydney Nettleton Fisher : The Middle East, A History, 2nd edition. London, 1971.

2. George Lenczowski : The Midddle East in World Affairs, 3rd edition, Cornell University Press, 1962.

3. The American Assembly Clumbia University. The United States and the Middle East, Regional and International politics in the Middle East, edited by Georgiana G. Stevens, 1964.

ثالثا : المصادر العربية :

١ — ساطع الحصرى : نشوء الفكرة القومية . القاهرة ١٩٦٥ م .

٢ — د . أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر . ١٩٧٠ م .

٣ — د . صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر القاهرة ١٩٧٠ م .

٤ — د . راشد البراوى : العلاقات السياسية الدولية والمشكلات الكبرى ، النهضة المصرية ١٩٧٢ م .

الباب الثانى

دراســات خاصة

- مقــدمة .

- الفصل السابع : الزوايا السنوسية .
- الفصل الثامن : وثائق تاريخ ليبيا فى العصر العثمانى الأخير .
- الفصل التاسع : قطر فى تاريخها الحديث .
- الفصل العاشر : علاقة الولايات المتحدة بسلطنة عمان .
- الفصل الحادى عشر : علاقة الولايات المتحدة بالعراق .
- الفصل الثانى عشر : المصالح الأمريكية فى الخليج العربى .
- الفصل الثالث عشر : مستقبل العلاقات الدولية فى الخليج العربى .

مقــدمة

تتناول فصول هذا الباب موضوعات خاصة بأقطار عربية بعينهـــا سواء فى التاريخ الحديث أو المعاصر بصورة تبرز الجوانب المهمة فى تاريخ تلك الأقطار التى عالجتها فى هذه الفصول .

ففى الفصل السابع عالجت موضوع الزوايا السنوسية فى ليبيا ، وجاء الفصل الثامن متصلا هو الآخر بتاريخ ليبيا حيث يناقش وثائق تاريخ ليبيا فى العصر العثمانى الأخير . وأما الفصل التاسع فيناقش موضوعات فى تاريخ قطر الحديث وخاصة تحقيق الوحدة الوطنية القطرية ، وتاريخ قطر قبيل الحرب العالمية الأولى . وأما الفصل العاشر فيعالج موضـــوع العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وسلطنة عمان امتدادا من النصف الأول من القرن التاسع عشر حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين .

وجاء الفصل الحادى عشر متناولا علاقة الولايات المتحدة الأمــريكية بالعراق ســـواء فى الجانب التعليمى أو الجانب البترولى . وأما الفصـــل الثانى عشر فيعالج موضوع المصالح الأمريكية فى أقطار الخليج العربى . وينتهى هذا الباب بالفصل الثالث عشر الذى يناقش قضية مستقبل العلاقات الدولية فى الخليج العربى .

الفصل السابع

الزوايا السنوسية

- فكرة الزاوية .
- محمد بن على السنوسى .
- الدعوة السنوسية .
- الزوايا السنوسية .



فكرة الزاويـــة *

تتطلب معالجة فكرة الزاوية الرجوع الى اصلها وعلاقتها بالرباط ، ذلك ان الثابت تاريخيا أن الزوايا تطور لرسالة الاربطة فى شقها التعليمى .. وقد اطلق لفظ الرباط فى الأصل على نوع من الثكنات العسكرية التى تبنى على الحدود الاسلامية وقرب الثغور يقيم فيها المجاهدون — المرابطون — الدين رابطوا فى هذه الأمكنة للدفاع عن دار الاسلام بسيوفهم وخيولهم (١) .

ومن هذا المنطلق تأسست اربطة ساحلية من اقصى المغـــرب الى الاسكندرية ، واربطة صحراوية من طرابلس شـــمالا الى خليج غانة عبر الصحراء الكبرى ، ثم اتسعت هذه الاربطة وتزايدت بعد أن غلبت رسالتها التعليمية على رسالتها العسكرية .

ذلك ان الرباط لم يكن حصنا عسكريا فقط بل كان نبراس اشـــعاع للعلوم العربية والاسلامية ومركز بث لثقافة العروبة والاسلام . فمن حيث هو معهد تعليم ووراقة ودار كتب لعب دورا اساسيا فى تثقيف السودانيين — الأفارقة — فى الدين واللغة وسرعان ما اسست حول الرباط مدينة لتمكين الطلبة واهاليهم من أسباب المعاش الكريم ، فصار الرباط مدينة علم (٢) .

واذا كان الأصـــل فى فكرة الرباط هو تنفيذ منطوق الآية الكريمة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، فقد تطورت هذه الفكرة لتطلق على الاماكن التى يرابط فيها من نذروا أرواحهم للجهاد فى سبيل الله ثم اصبحت مأوى يلجأ اليه العلماء الرحالون وطـــلاب العلم الذين ينتقلون فى ارجاء العالم الاســـلامى طلبا للحديث النبوى أو علوم الدين والعـــربية (٣) ، الى جانب حجاج المغاربة والافارقة ... وهـــذا يفسر لنا امتداد الأربطة من اقصى المغـــرب حتى مكـــة المكرمة .

---

* قدم هذا البحث بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبى لكلية الآثار جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ م .

(١) د . محمد اسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام ص ١١٢ .

(٢) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب ص ٦٠ .

(٣) د . محمد اسعد طلس : نفس المرجع ص ١١٥ .

استمرت الأربطة منذ تأسس أول رباط بالمغرب عام ١٨١هـ الموافق عام ٧٩٨ م على يد الوالى العربى « هرثمة بن اعين » فى طرابلس ، تؤدى رسالتها حتى أوائل القرن الرابع الهجرى عندما ظهر « ابو بكر الصنهاجى » فيلسوف الأربطة فى غانا و « محمد بن ياسين » فى موريتانيا ، واشتركا مع « يوسف بن تاشفين » فى تأسيس دولة المرابطين .

والى يوسف هذا يرجع الفضل فى تأسيس جامعة مراكش التى صارت مركزا علميا كبيرا اسهم فى ادخال التعليم الدينى والعربى الى قلب أفريقيا ، فى ظل دولة المرابطين التى اتسعت لتعيد فتح الأندلس وتوحيد المغرب تحت زعامتها .

ولكن الأربطة ما لبثت أن تحللت فى القرن السادس الهجرى ، عندما ظهرت دولة الموحدين الى الوجود على انقاض دولة المرابطين ، ومن ثم انقسمت الأربطة الى قسمين منفصلين : قسم عسكرى بمثابة قلعة دفاعية وبه اماكن لمبيت المسافرين ، وقسم تعليمى يقوم بالتعليم على الطريقة الصوفية التى يبثها العلماء والمتصوفون المقيمون هناك .

ظهرت اذن الزوايا بقيام دولة الموحدين وانتهاء دولة صنهاجة المعروفة بدولة المرابطين ، فتكونت اذن الزوايا الطرقية أى الزوايا المنسوبة الى طريقة معينة كالقادرية او الشاذلية (٤) ، ولقد نقم الموحدون على المرابطين بسبب ما دخل على العبادة فى الأربطة من اعمال تتنافى مع الاسلام الصحيح تتمثل فى بكاء المرابطين الجالسين فى الحلقة وصراخهم وتمزيق ثيابهم حتى يقعوا على الارض مغشيا عليهم ، وهم ينشدون أناشيد تصوفية ويتظاهرون بالانجذاب .

ومنذ ذلك الحين بدات الزوايا الصوفية تظهر كمؤسسات دينية فتأسست على التوالى زوايا الطريقة الشاذلية فى القرن السادس ، والسلامية (٥) الطرابلسية وزواياها فى القرن التاسع ، والسنوسية

---

(٤) عثمان الكعاك : نفس المرجع السابق ص ٦٢ .

(٥) نسبة الى الشيخ عبد السلام الأسمر الذى اسس زاويته فى مدينة زليتن بمحافظة مصراتة بليبيا .

وزواياها فى القرن الثالث عشر (٦) الهجرى وغيرها من الطرق الصوفية التى اتخذت من الزوايا وسيلة لنشر طريقتها .

وتختلف الزاوية عن الرباط فى انها اصغر منه حجما ، واماكنهـا فى الغالب حيث لا توجد تجمعات سكانية ويختلى المتصوفون فيها بأنفسهـم فيتعبدون ويقراون الأوراد ويقيمون الاذكار على الطريقة الصوفية التى يتبعونها . وربما اطلق لفظ الزاوية على ناحية من نواحى المساجد الكبرى كما كان الحال فى جامع عمرو بن العاص بمصر حيث كانت به عـدة زوايا منها زاوية الامام الشافعى، والزاوية المجدية التى رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهلب الأزدى ، والزاوية الصاحبية ورتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين وغير ذلك من الزوايا الصوفية (٧) .

وكان التعليم فى الزوايا تعليم دينى يتفق مع اتجاه اصحاب الطريقة الصوفية المقيمين بهذه الزاوية ، ومستوى هذا التعليم اعلى مـن التعليم فى الكتاتيب اذ أن من يقبل على التعليم فى الزاوية لابد وان يكون قد حفظ القرآن الكريم واتقن القراءة والكتابة الى جـانب بعض العـلوم الدينية كالتفسير والحديث ، حتى اذا انضم الى الزاوية ازداد مـن علوم الدين كالفقه وغيره ، بحيث يخرج مـن الزاوية ليقوم بدور فى نشر ما تعلم بين اهله أو بين القبيلة او البلدة التى يتوجه للاقامة فيها .

وكانت اهم الزوايا التى انتشرت فى ليبيا هى تلك التى ارتبطت بأسماء منشئيها من العلماء واصحاب الطرق الصوفية ، وكان بعضها ملحقا بالمساجد وبعضها الحقت به مساجد فمن امثلة النوع الأول الزوايا الملحقة بجامـع درغوت ، والملحقة بجامع احمد باشا بطرابلس ، والملحقة بجامع مراد اغا بتاجوراء ، ومن امثلة النوع الثانى الزوايا التى الحقت بهـا مساجد مثل زاوية سيدى عبد السلام فى زليتن ، وزاوية سيدى احمد زروق فى مصراتة ، وزاوية سيدى الدوكالى فى القصبات (مسلاتة) (٨) .

---

(٦) عثمان الكعاك : نفس المرجع السابق ص ٦٣ .

(٧) د . محمد اسعد طلس : المرجع السابق ص ١١٥ .

(٨) U.N.; Annual report of the U.N. Commissioner in Libya, 8, p. 84...

ويمكن ان نعدد كثيرا من الزوايا الصوفية التى قامت هنا وهناك فى انحاء الوطن الليبى ، والتى سبقت ظهــور الزوايا السنوسية ، ولكننـــا سنكتفى بالاشارة الى اهم هذه الزوايا مثل زاوية ابن حمـــزة الواقعة فى محافظة الزاوية الآن التى اسسها محمد بن حمـــزه لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم امور الدين الاسلامى ، وزاوية ابن شـــعيب التى اسسها محمد بن شعيب أوائل القرن الثالث عشر الهجرى باقليم طرابلس ، وزاوية أولاد سهيل التى اسسها رجل صالح يدعى سهيل كما كان يعرف بأبى عيسى ، غربى مدينة الزاوية الحالية ، ومازالت هذه الزاوية مقصودة لحفظ القرآن بها ، وبها حجر كثيرة لسكنى الطلبة ، ولها أوقاف كثيرة يصرف ريعها على ما تحتاج اليه من اصلاح فى مساعدة الطلبة الغرباء ان اقتضى الحال (٩) .

ومن الزوايا المشهورة فى ليبيا كذلك زاوية أولاد سنان التى تعرف الآن بالزاوية الغربية وهو تعبير اطلق على المدينة المعروفة بنفس الاسم الآن غرب مدينة طرابلس بنحو ٤٠ كيلومتر ، وهذه الزاوية كانت ومازالت اضخم من زاوية اولاد سهيل واكثر رجالا ، واوسع عمرانا ، ولها ارض متسعة (١٠) واطلاق اسم سنان على المنطقة جاء منسوبا الى أولاد سنان وهم قبيلة عربية من بنى سليم .

وهناك ايضا زاوية بوجعفر الواقعة فى بلدة جنزور (تطلق أحيانا زنزور) الى الغرب من مدينة طرابلس بنحو عشرة كيلومترات . وكانت موجودة فى اواخر المائة التاسعة واوائل المائة العـــاشرة الهجرية . وكانت مأوى للصالحين والنســـاك فى ذلك الوقت كان يعمرها الشـــيخ الولى الصوفى عبد النبى الجبالى(١١) .

كما ان هناك عدة زوايا اخرى مثل زاوية سيدى عبد السلام الأسمر الفيتورى فى مدينـــة زليتن ، وزاوية الشـــيخ ابراهيم المحجوب ، وزاوية احمد زروق ، وكلا الزاويتين فى مدينة مصراتة ، الى جانب زاوية الشـــيخ عبد الله الدوكالى فى مسلاتة وزاوية الشيخ عبد النبى الأصفر فى الجبل الغربى ، وزاوية النعاس بتاجوراء وزاوية عمورة بجنزور .

---

(٩) الطاهر الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ١٥٧ .
(١٠) التيجانى : رحلة التيجانى ص ١٤٠ .
(١١) الطاهر الزاوى : نفس المرجع ص ١٥٩ .

واذا كانت الزوايا قــد ارتبطت فى بداية تأسيسها بفكر منشئيهــا واجتهادهم الدينى وتعاليمهم الصوفية ، فقد تطورت الامور فى هذه الزوايا لتصبح معاهد تعليم كل العلوم الاسلامية : الشرعية واللغوية والعقلية ، والانسانية والشروح التى تدرس فى المعاهد الاسلامية آنذاك . وقد نبغت مجموعة من علماء الزوايا فى العلوم الاسلامية والعربية هيأت للتعليم الدينى كل الاسباب التى تربطه بالبيئة والمجتمع وبالحياة وتمكن له مــن النشاط وتوفر له كل اسباب الرعاية والابداع العلمى فى جميع مجالات المعرفة (١٢) .

وكان علماء الزاوية يمنحون طلابهم الذين يتمون دراساتهم اجازات علمية يباشرون بها تعليم طلاب جدد افرع المعرفة الذى اجيزوا فيه ، أو يمارسون الافتاء أو القضاء ، أو يقومون بمهمة التبشير بالدين الاسلامى فى وسط افريقيا وغربها ، وكان تأثيرهم على من يتصل بهم كبيرا نظرا لتفوقهم فى التعليم الدينى وتمكنهم من علوم الدين الاسلامى .

ومما تجب ملاحظته ان الزوايا لم تكن وحدهــا هى القائمة بالتعليم الدينى فى ليبيا اذ كانت هناك المساجد والمدارس الدينية الملحقة بالمساجد او القائمة دون المساجد كمدرسة عثمان باشا ، ومدرسة باب البحر بطرابلس وغيرها الى جانب الكتاتيب .

ومعنى كل هذا ان الزوايا السنوسية ــ التى سوف نعالجها باعتبارها محور هذا البحث ــ لم تكن فكرتها جديدة على الارض العربية الاسلامية بصفة عامة والارض الليبية بصفة خاصة ، او بمعنى آخر لم تجد المجال خاليا من نشـــاط تعليمى دينى ولم تبدا من فراغ ، وانما وجــدت الزوايا الصوفية التى اشرنا اليها الى جانب بقية المؤسسات التعليمية الأخرى ، تؤدى رسالتها بحرية حركة وديناميكية بقدر ما تتحمل وتطيق .

---

(١٢) التعليم الدينى فى ليبيا : البحث رقم ٤ من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر الوزراء العرب لعام ١٩٦٦ م .

تنتسب الزوايا السنوسية الى مؤسس الطريقة ــ صاحب الزوايا ــ العالم العربى المسلم محمد بن على السنوسى الخطابى الادريسى ، كما ورد فى الرسالة الموضوعة فى نبذة سرية من أحوال بنى صاحب الرسالة ذوى الفصل والجلالة والعلا حائزى قصب السبق فى كل ملأ المسماة بالدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسية(١٣) .

فالسيد محمد بن على على السنوسى اذن من سلالة ملوك الادراسة الذين أسسوا دولة الأدارسة بالمغرب ، ومعنى هذا انه ينتسب الى البيت النبوى الشريف باعتبارهم من أحفاد على بن أبى طالب . والمعروف ان أول خلفاء الأدارسة هو ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن السيد الحسن المثنى بن الامام السيد الحسن السبط بن الامام على بن أبى طالب(١٤) .

وكان مولد السيد محمد بن على السنوسى على أوثق المصادر يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٨٧م(١٥) . بقرية الواسطة بالقرب من مستغانم ببلاد الجزائر(١٦) . اما تسمية الأسرة بالسنوسية فترجع الى جده الرابع السيد السنوسى الذى كان من كبار علماء المسلمين وقبره بتلمسان بالقطر الجزائرى (١٧) . كما أن جده السنوسى فيقال انه أخذ بدوره هذا اللقب من قبيلة بنى سنوس احدى قبائل تلمسان بالجزائر ، وقد نزل بجوارها(١٨) .

وقد نشأ السيد محمد بن على السنوسى فى بيت علم ودين ، ولذلك

(١٣) الدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسية ص ١١ .
(١٤) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ١١ .
(١٥) أحمد الشريف : الأنوار القدسية فى مقدمة الطريقة السنوسية .
(١٦) مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ الليبى ص ١٩ .
(١٧) د . نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال ص ٦٤ .
(١٨) مصطفى بعيو : نفس المرجع ص ٢٠ .

لم يكن من الغريب ان يكتسب السيد محمد بن على الميـــل الى العلم وان يقتبس العلوم الفقهية الاسلامية والدراسات العربية ، وان يتزود من هذه العلوم والدراسات فى اهم المؤسسات التعليمية فى الجـــزائر وفى جامـــع القرويين بفاس بالمغرب ، على يـــد علماء اجلاء اسهموا فى تدريس التوحيد والفقه والتفسير وبقية المواد الاسلامية والعربية الأخرى التى كانت رائجة فى معاهد العلم فى ذلك الوقت . هذابالاضافة الى انه قد درس التصوف على يد الشيخ احمد التيجانى المتصوف صاحب الطريقة التيجانية بجامع القرويين بفاس والطريقة التيجانية تأسست فى الجزائر فى نهاية القـــرن الثامن عشر الميلادى ، وقد ساهمت بدور كبير فى نشر الدين الاسلامى بغرب افريقيا .

لقد شب السيد محمد بن على السنوسى فى بلاد الجزائر حيث راى انهيار الحكم — حكم الدايات — مع ظهور اطماع الاستعمار الأوربى بصفة عامة والفرنسى بصفة خاصة فى اقطار الوطن العربى عامة والمغرب خاصة، وان الاسلام مغلوب على امره فى كل محل ، وان المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من ايدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق ، والاسلام فى حالة التدهور المخيف(١٩) . وان العـــالم الاسلامى لا يزال مفتقرا الى مرشـــد حقيقى يكون هدفه سوق العالم الاسلامى اجمع الى غاية واحدة ونحـــو غرض واحـــد(٢٠) .

وقد ادرك السيد محمد بن على السنوسى ما عليه الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الأقطار العربية من ضعف وانهيار اغرى القـــوى الاستعمارية الى بسط نفوذها ثم سيطرتها على الأرض العربية ، وادرك أن قوة العالم العربى الاســـلامى تنبع من الداخـــل استنادا الى قول الله

---

(١٩) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ١٣ .

(٢٠) جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاســـلامية ماضيهـــا وحاضرها ص ١٥ .

سبحانه وتعالى : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ومن ثم اصبح لديه قناعة بضرورة حث المواطنين العرب للعودة الى الاسلام الصحيح خاصة وان الامام محمد بن عبد الوهاب كانت دعوته قد قطعت شوطا كبيرا طوال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر فى تنبيه الاذهان الى ضرورة التمسك بجوهر الدين الاسلامى والتخلص من البدع والخرافات التى لحقت به .

كما ادرك السيد محمد بن على السنوسى أن السفر خارج الجزائر والاتجاه شرقا امر ضرورى للاستزادة من المعرفة بأمور المسلمين وظروفهم، ومخالطة علمائهم سواء بجامع الزيتونة بتونس، او الجامع الأزهر بالقاهرة، او علماء مكة والمدينة ، ومن ثم فانه اتجه شرقا عام ١٨٣٠م عندما داهمت القوات الفرنسية الارض الجزائرية ، فزار تونس وطرابلس الغرب وبنى غازى ، والقاهرة حيث كان محمد على يحكم ، فاقام فى الجامع الأزهر مدة يتعلم ويعلم ويناقش ويجادل ، وينشر فى الناس عقيدته فى اصلاح العالم الاسلامى عن طريق بث المبادىء الاصلية للاسلام . ومن مصر ذهب الى الحجاز حيث اسس هناك اول زاوية فى ابى قبيس بمكة عام ١٨٣٧م ، كما انشأ عدة زوايا فى الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة وينبع ، ثم غادر الحجاز عام ١٨٤٠م عائدا الى ليبيا مارا بمصر .

يعتبر المؤرخون انشاء زاوية ابى قبيس بمكة بداية للطريقة السنوسية بصورتها العلنية والعامة باعتبارها أول زاوية تتوالى بعدها الزوايا باعتبارها ادوات الطريقة السنوسية ووسيلتها ..

واذا كان الامام محمد بن على السنوسى قد اتبع انشاء هذه الزاوية بانشاء زوايا اخرى بالحجاز أيضا . فان انشاء الزاوية البيضاء بالجبل الاخضر ببرقة يعتبر اللبنة الاساسية فى الطريقة بليبيا وبقية شمال أفريقيا ، حيث اعتبرت الزاوية البيضاء هى الزاوية الأم لاقامة السيد محمد بن على السنوسى فيها وقيامه بنفسه بالتعليم فيها واتخاذها مركزا للطريقة يدير منه بقية الزاويا ويصدر منه التعليمات الى المريدين والاتباع .

وكان السيد محمد بن على السنوسى يأمل من مغادرته الحجاز العودة الى الجزائر ولكنه وجد الطـــريق اليهـــا مقفلا بسبب الزحف الفرنسى فى اراضيها فادرك خطر متابعة السير الى الجزائر اذ فى ذلك مغامرة منه ربما كانت نتيجتها القضاء على حركته الاصلاحية الناشئة التى لم تكن قد قويت بعد لتقف امام مثل هذا التيار الاوربى القوى(٢٢) . ومن ثم وجد فى برقة مبتغاه حيث انه ادرك فى زيارته لها ما كانت عليه القبائل فى هذا الاقليم حيث هى غارقة فى بحار الجهالة داب اهلها السلب والنهب وقطع السبيل(٢٣) فى الوقت الذى يسيطر الحكم العثمانى على المناطق الساحلية فقط ، بينما المناطق الصحراوية منه بعيدة ، وان كانت طرق القوافل مـــن مصر الى طرابلس وفزان تمر بها ... كل ذلك جعل السيد محمد بن على السنوسى يختار برقة منزلا يباشر منه نشر طريقته ويبث بين اهلها ومن يفـــد اليـــه دعوته الاصلاحية ..

الدعوه السنوسية

كانت الدعوة السنوسية عند ظهورها لا تعدو أن تكون طريقة صوفية من بين عدة طرق مماثلة انتشرت فى انحاء العالم العربى والاسلامى فى نشوة دينية لحث المسلمين على نبذ كل بدعة دخلت الى الدين الاسلامى والتمسك بقيـــم ومبـــادىء الاســـلام كما جاءت فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

واذا كان ميدان الطريقة السنوسية قـــد امتد فشمل كثيرا مـــن البلاد العربية والاسلامية من الحجـــاز فمصر ، فبرقـــة ... الخ الا ان تركيز السيد محمد بن على السنوسى على برقة كان له ما يبرره من وجهة نظره

(٢٢) مصطفى بعيو : نفس المرجع ص ٢٩ .
(٢٣) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ٢٧ .

كما راينا ، بالاضافة الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى عاش فيها الاقليم فى ظل الحكم العثمانى . .

حقيقة كانت ظروف اقليم برقة لا تختلف عن ظروف بقية الاقاليم العربية الا أن هذه الظروف كانت اكثر ملاءمة لكى يباشر السيد محمد بن على السنوسى رسالته فى نشر الطريقة بين قبائل الاقليم . وبرقة اقليم صحراوى لا خضرة فيه سوى الجزء المطل على البحر المتوسط المعروف بالجبل الأخضر حيث تكثر الاشجار دائمة الخضرة وحيث توجد وديان مزروعة على مياه الأمطار .

ويمتد هذا الاقليم من عقبة السلوم شرقا الى حدود اقليم طرابلس شرقا(٢٤) ، وهذه حدود برقة منذ أن كانت تابعة للاغريق قبل الميلاد ، وبعد أن احتلها الروم منهم سنة ٨٦م(٢٥) الى أن فتحها عمرو بن العاص صلحا ، حيث سكنتها قبائل عربية وكان هذا الاقليم يعرف عند الرومان باسم «سيرينة» التى سماها العرب « قيرين » أو « قرناه » ويسميه الرومان « بنتابوليس » ومنه اشتق الاسم العربى « بنطابلس » أو « انطابلس » ثم عرف هذا الاقليم فى عهد العرب باقليم برقة(٢٦) .

لقد كان موقع برقة وظروفها الطبيعية من العوامل التى ساعدت على اتخاذها مقرا لدعوة محمد بن على السنوسى ، فوقوعها على حدود مصر الغربية حيث تفصلها الصحراء عن وادى النيل جعلها بعيدا عن اطماع محمد على لضمها أثناء مشروعاته العربية كما أن الصحراء تفصل برقة عن طرابلس

---

(٢٤) لا توجد حدود طبيعية بين اقليمى برقة وطرابلس ، ولكن هناك مكان يعرف بالقطاع يمثل الحدود بين الاقليمين ، وعنده بنى الايطاليون عام ١٩٢٩ م قوس نصر كبوابة تفصل بين الاقليمين .

(٢٥) الطاهر الزاوى : نفس المرجع ص ٥٦ .

(٢٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٨ ص ٢٧٢ .

حيث عاد الحكم العثمانى المباشر شديدا بعد انهيار الاسرة القرمانلية عـــام ١٨٣٥م . كما ان الحكم العثمانى قد عاد فقط الى المدن الساحلية ببرقـــة تاركا المناطق الداخلية تحت تأثير القبائل العربية وسيطرتها وحروبها .

وكان سكان برقة عربا ينتظمون فى قبائل بدوية كثيرة التناحـــر واذا كانوا قد اعتنقوا الدين الاسلامى منذ الفتح العربى ، وان تعـــددت قبائل الاقليم ، فان قلة عدد السكان وتجانسهم فى التكوين الجنسى وخلو الاقليم من الاقليات كانت مـــن العوامل المشجعة لظهور محمد بن على السنوسى وحركاته الاصلاحية .

وكما كانت احوال الشعوب الاسلامية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بصفة خاصة ، كانت ظروف اهل برقة ايضـــا من حيث دخول كثير من البدع والخرافات على العقيدة الاسلامية الصافية ، وان كانت قد عرفت من التقاليد ما يبشر بنجاح رسالة محمد بن على السنوسى ، فوجود « العالم » وهو الشخص الذى يجيد القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه ، ووجود « المرابط » الذى يشتهر بالتدين والتصوف ، الى جانب « المحكم » الذى يفصل فى الخصومات بين القبائل .. وجود هـــؤلاء فى وسط قبائل بدوية يقلل من البدع التى لجأ اليها البعض ويخفف من غلواء العداء القبلى .

واذا كان أهل نجد بالجزيرة العربية زمن الامام محمد بن عبد الوهاب يقدسون بعض الأشجار والأحجار والمغارات ... الخ ، فان بدو برقـــة قبيل عهد الامام محمد بن على السنوسى كانوا يسيرون فى نفس الطريق ، ومن أمثلة ذلك ان بعض أصحاب النفوذ من شيوخ البدو فى الجبل الأخضر شمال برقة بنوا ضربا من الكعبة قصدوا به تقليد البيت الحـــرام الـــذى قضى الاسلام بحجه على كل من استطاع اليه سبيلا ، وقد اراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة ان يدخلوا فى أذهان البدو ان زيارتها تقوم مقام حج بيت الله الحرام(٢٧) .

---

(٢٧) أحمد حسنين : فى صحراء ليبيا ص ٤٨ .

ولقد كان من اثر الضعف الذى الم بالولاية العثمانية ومنها اقليم برقة وتفشى الجهل بين القبائل ، ثم ضياع نفوذ الحكومة من دواخل هـذا الاقليم أن انصرف الناس عن اقامة شعائر الدين واشتغلوا بأمر دنياهم ، وما كان الاهتمام بالدنيا فى عادات هذه القبائل المتنقلة والبعيدة عن نفوذ الحكومة وسلطانها سوى الامعان فى اعمال السلب والنهب وقطع الطرق على القوافل(٢٨) ، والابتعاد عن اصول الدين واتباع طرق مضللة .

والأمثلة كثيرة على التضليل الذى لجأ اليه اهل برقة للتحلل من التمسك بشعائر الدين فيذكر انه كان هناك فى برقة واد اسمه وادى « زازا » معروف بقوة رجع صدى الصوت وان الناس الراغبين فى عدم صوم رمضان والانقطاع للعبادة فيه يذهبون الى هذا الوادى قبل حلول شهر رمضان بأيام ثم يصرخون جميعا سائلين : اى وادى زازا انصوم رمضان أم لا ؟ فيجب الصدى بالكلمة الاخيرة من هذه الجملة وهى «لا لا » ويتصور من سأل ذلك الوادى انهم اصبحوا فى حل من الصوم فيفطرون غير مقيدين بأوامر الدين الحنيف قانعين بأن الأمر صدر اليهم بعدم الصوم(٢٩) .

وكما عادت بعض القبائل العربية فى برقة الى العادات العربية المرذولة التى اعتادها العرب ايام جاهليتهم كواد البنات مخافة العار وتقديس الجماد من اشجار واحجار . ومما يدل على ضعف الروح الدينية فى نفوس الناس آنذاك مارواه الرحالة احمد حسنين من أن اعرابيا اسمه « مجرم » وقف فى الصف الاول يصلى لأول مرة — عند بداية نشر الدعوة السنوسية — فقرأ الامام « الم نهلك الأولين » فتأخر الى الصف الثانى ، فقرأ الامام « ثم نتبعهم الآخرين » فتأخر « مجرم » الى الصف الاخير فقرأ الامام « كذلك نفعل بالمجرمين » فخرج مجرم من بين المصلين يعدو مهرولا الى داره فسألته امراته وقد رأته مضطربا ما خطبه فقال : ها دوة الصلا دوة وعرة . هلك الأولين

---

(٢٨) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ٣٦ .

(٢٩) احمد حسنين : نفس المرجع ص ٤٩ .

توخرت . هلك الآخرين توخرت ، نادى بالاسم يامجرمين عديت(٣٠) .

ويمكن تبين اصول الطريقة السنوسية من التعرف على ما كتبه الامام محمد بن على السنوسى فى مؤلفاته العديدة ، ومن رسائله لزعماء القبائل العربية والحكام الذين ارسلهم ، وتعليماته لاتباعه والمسئولين عن الزوايا . واذا كانت كتبه عديدة ومتنوعة الموضوعات ، فقد كانت شاملة لأفكار الامام محمد بن على السنوسى وآرائه . ومن كتبه : المسائل العشر المسمى « بغية المقاصد وخلاصة المراصد » حيث بين فيه مقادير السلف الصالح والتـــزام الامام بأحكام القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المأثورة عن الرســـول عليه الصلاة والسلام وما اجمعت عليه كلمة السلف الصالح .

وفى كتابه : « ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن » يطـــالب بضرورة التمسك بالقـــرآن الكريم والسنة النبوية ، وفند زعم انقطـــاع الاجتهاد . وفى كتابه : « السلسبيل المعين فى الطرائق الاربعين » تكلم الامام محمد بن على السنوسى عن اربعين طريقة صوفية كالقادرية والشاذليـــة والرفاعية والأحمدية ... الخ وفى كتابه : « المسلسلات العشر » أورد الأحاديث النبوية وعرض اسانيدها الصحيحة . وكتابه : « الدرر السنية فى اخبار السلالة الأدريسية » سجل الامام محمد بن على السنوسى تاريخ من ملك المغرب منذ الفتح الاسلامى مع تفصيل الحديث عن دولة الأدارسة ، وفرع بنى عمران الذى ينتسب اليه الامام .

ونسجل فيما يلى رسالة بعث بها الامام محمد بن على السنوسى فى ١٢ ربيع الاول عام ١٢٦٤هـ الموافق سنة ١٨٤٨م الى العلامة ابن الشفيع خليفته فى زاوية المدينة المنورة :

« انه من عبد ربه سبحانه محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى الى ولده الابر وخلاصة وده الأنور ولدنا الشيخ محمد بن الشفيع لازلتم محفوظين ـــ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ومرضاته .

(٣٠) نفس المرجع ونفس الصفحة .

« أما بعد فالموجب لتسطيره والباعث على رقمه وتحريره السؤال عنكم وعن كلية احوالكم اجراهما الله على كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليـــه وسلم واعلامكم اننا بعثنا لكم كتبا سابقة مع الركب عساهاوصلتكم وانتم على اسر حال واكمل نعمة واتم منزال . واخبرناكم فيها بما نحن عليه من الصحة والسلامة » .

« وانه لم يكن عندنا من المخالفات شيء ، ونحن الآن وجميع الاخوان كذلك غير اننا منتظرون اخباركم وما يسفر لنا عن احوالكم نرجو الله تعالى أن يسمعنا عنكم ما تقر به العين » .

« هذا والمؤكد عليكم وافضل صلة واصلة اليكم ما حث به الحـــق سبحانه وتعالى وعمؤامر به الأمم فقال جل من قائل : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » ، فعليكم بتقوى الله العظيم باتباع اوامره واجتناب نواهيه والاكثار من ذكره والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آناء الليل واطراف النهار لنستزيد بذلك القلب وينور الباطن والظاهر .

وعليكم بمراقبة الحق سبحانه وتعالى فى جميع الأحوال فى الحركات والسكنات ما ظهر منها وما بطن ، وابذلوا جهدكم وقفوا على ساق الجد والاجتهاد لنيل اسمى المراد وكونوا على المنهاج القويم والصراط المستقيم وحسنوا اخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير والصغير ، قال تعالى : « وقولوا للناس حسنا » وقال جل وعلا « ادع الى ســـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أرفقوا فان الرفق ما كان فى شيء الا زانة وأن الحمق ما كان فى شيء الا شانه ، وارفعوا همتكم عن الخلق ، وقال صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس .

« وعليكم بالمناصحة والمذاكرة وارشاد عباد الله والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وعلى البر اعوانا فبذلك تنالون الفوز الابدى والربح السرمدى الذى لا يعتريه خسران ولا يحوى حول حماه حرمان والله يجعلكم ائمة اقتداء ونجوم اهتداء ويفتح بكم اعينا عمياء وآذانا صماء وقلوبا غلفا والسنة بكما ويمن عليكم برضاه الأكبر الذى لا سخط بعده » (٣١) .

وتعليقنا على هذه الرسالة يكشف ما حوته من تعليمات الامام محمد بن على السنوسى وأصول دعوته القائمة على اتباع اوامر الله واجتناب نواهيه ، والاكثار من ذكر الله والصلاة والتسليم على رسول الله ، ودعوة الناس الى اتباع الطريق المستقيم بالحسنى والرفق والمودة ، وتجنب الحسد والبغض والعداوة ، والتعاون على البر والتقوى فى ظل الأخوة الاسلامية والانسانية .

ومن كتاب بعث به الامام محمد بن على السنوسى الى اهل «واجنقة»(٣٢) قال : أسألكم باسم الاسلام أن تطيعوا الله ورسوله ، فقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول » ، ويقول كذلك « من اطاع الرسول فقد أطاع الله ، ومن يطع الله ورسوله فأولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » . نسألكم ان تطيعوا اوامر الله ورسوله فتؤدون الصلوات الخمس كل يوم وتصوموا شهر رمضان وتؤتون الزكاة وتؤدون فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وتجتنبوا ما نهى الله عنه من قول الكذب والغيبة وابتزاز اموال الناس بغير حق وشرب الخمر وتأدية

---

(٣١) جامعة السيد محمد بن على السنوسية الاسلامية ماضيها وحاضرها ص ١٣ ــ ١٤ .

(٣٢) توجد فى واداى ــ جمهورية تشاد حاليا .

شـــهادة الزور وغير ذلك مما امر الله باجتنابه فاذا فعلتم ما أمر الله به ورجعتم عما نهى عنه اسبل عليكم نعمة الاسلام ومنحـــكم الخير والرزق الدائمين . يا اهل واجنقة انا نريد ان ننشر السلام بينكم وبين الاعراب الذين يغيرون على بلادكم ويستعبدون اولادكم ويبتزون اموالكم وانا بعملنا هـــذا نقوم بما امر الله به فى كتابه العزيز حيث قال ســـبحانه وتعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصـــلحوا بينهما » ويقول ســـبحانه وتعالى : « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احســـانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم »(٣٣) .

ولسنا بحاجة الى توضيح ما جاء بهذه الرسالة لانها واضحة المعانى تنفذ الى الأسماع وتأخذ بمجامع القلوب ، لأن ما جاء بها عبارة عن كلمة الله الحق الداعية الى بذل النفس فى ســـبيل معرفة اوامر الدين الحنيف ونواهيه ، ذلك ان الأمام محمد بن على السنوسى كان معلما يتقن توصيل المعلومات وتبسيطها لطلابه ومريديه ، وكان مؤرخا أهتم بتاريخ أجداده ، وكان فقيها متصوفا يجمع بين طريقتى العلماء والأقطاب .

واذا كان بعض المؤرخين يرون تأثر الأمام محمد بن على السنوسى فى دعوته الاصلاحية بأفكار الامام ابن تيمية وآراء محمد بن عبد الوهاب أمام الوهابية بنجد اثناء وجود محمد بن على السنوسى فى الحجاز ، فان اسلوب دعوة الامام محمد بن على السنوسى اختلف عن اسلوب محمد بن عبد الوهاب ، كما ان الدعوة السنوســـية ارادت المسلمين عبادا عاملين منتجين نشيطين يعيشون من كد ايمانهم (٣٤) .

واذا كان الامام محمد بن على السنوسى قد درس عددا كبيرا مـــن الطرق الصوفية وتتلمذ على شيوخها كالشاذلية والتيجانية ، والادريسية

---

(٣٣) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع السابق ص ٤٥ — ٤٦ .
(٣٤) احمد الدجانى : احاديث عن تاريخ ليبيا ص ٧٧ .

والقادرية ... الخ ، فانه كان يأخذ على بعض غلاة الصوفية انحرافهم ، وهو يؤمن بطريق الصوفية كما يؤمن بالتمسك بالكتاب والسنة — وفى هذا يختلف عن كثير من دعاة السلفية — ويرد على من يستنكر مثل هذا الجمع بين طريقتى الاقطاب والعلماء فيقول : قد يسرى فى وهم من ليس له رسوخ قدم فى علم القوم ان احوال الصوفية بعضها مباين لما عليه علماء الشريعة كما فاه فيه بعض الجهلة تغالبا او تنقيصا ، فاعلم أن سبيل القوم رضى الله عنهم اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجليل والحقير ، وكلما ازداد احدهم اتباعا كلما ازداد كمالا لكون الكمال الكلى عندهم فى كمال الاتباع والا فليس منهم او ناقص عندهم . فان اعمالهم موزونة بميزان الشريعة فما رجح فيه قبلوه وما لا يرجح نبذوه (٣٥) .

وحقيقة الأمر أن الطريقة السنوسية كانت منذ بدات فى الظهور دعوة دينية مدنية ، فالحقيقة هى انه اذا كانت السنوسية دعوة الى الناس أن يعودوا الى الاسلام الصحيح كما عرفه المسلمون فى أول عهده ، فالاسلام مبدئيا ، لم يفرق بين الدين والدولة ، ولم يعتبر نفسه انه جاء ليضمن للناس الحياة الاخرى دون العناية بالحياة الدنيا الصالحة . واذن فمن الطبيعى أن تكون دعوة الداعى الى مبادىء الاسلام قوامها الايمان الصحيح والعمل الصالح والانتاج والتنظيم السياسى داخل هذا الاطار العام الذى عرفه الاسلام وقبل به المسلمون الصالحون فى جميع اطوار تاريخه (٣٦) .

الزوايا السنوسية

اتبع السيد محمد بن على السنوسى اسلوبا فى نشر دعوته يقوم على المصالحة والمسالمة والتدريج فى اقناع الناس بمبادئها ، وخلق اداه

(٣٥) د . نقولا زيادة : نفس المرجع ص ٧٠ .

(٣٦) أحمد الدجانى : نفس المرجع ص ٨٧ — ٧٩ .

لتنفيذ هذا الاسلوب عرف بالزوايا السنوسية . ولم تكن فكـرة الزوايا عنده هى نفس الفكرة السائدة فى الطرق الصوفية والتى تقصر الزوايا على أن يكون خلوة للتعبـد وقراءة الأوراد واداء الاذكار وتعليم علـوم القرآن والسنة ، وانما كانت الزوايا السنوسية مراكز للحياة الروحية والسياسـية والاجتماعية والاقتصادية ، وبمعنى آخر انها كانت مراكز نشاط اجتماعى ودينى كبير اذ يعنى الشيوخ والاخـوان اصحاب الزوايا والمقيمون بها وحولها بشئون الدين والدنيا معا ، ذلك لأن الطريقة السنوسية تحرم قبل كل شىء على اتباعها التسول بل وتأمرهم بالكد والسعى من اجل عيشهم على اسـاس الأخوة والتعاون ، فتطلب من الاخوان العمل فى الزرع والتعمير والانشاء (٣٧) .

واذا كانت فكرة الامام محمد بن على السنوسى عن رسالة الزاوية بأنها تنبيه الغافل وتعليم الجاهل ، وهدى من ضل سـواء السبيل(٣٨) ، فانه نبه اتباعه الى البعد عن حيـاة الترف بعدم لبس الذهب والاحجار الكريمة الا ما كان منها لحلى النساء ، ونهى عن شرب التبغ والقهوة ، ولم يأمر بأية طقوس أو فروض جـديدة فيما عدا دعاء وضـعه وردده السنوسيون بعد ذلك ويسمى بالحزب ، وكان يقول لأتباعه يكفيكم من الدين حسـن النية والقيام بالفرائض الشرعية ، ويؤكد ذلك فى كلمات أخرى : « يظن اهل الوريقات والسبيحات انهم يسبقوننا عنـد الله ، لا والله ما يسبقوننا » (٣٩) .

كان الهدف من انشاء الزوايا اذن عند الامام محمد بن على السنوسى أن تكون خلية حية منتجة يقوم فيها الشيخ — الفقيه — بامامة المسلمين عند الصلاة وتعليم القرآن الكريم وعلومه ، الى جانب نشاط اهل الزاوية

---

(٣٧) د . نقولا زيادة : نفس المرجع ص ٧١ .

(٣٨) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣٩) احمد حسنين : نفس المرجع ص ٥٢ .

الزراعى حتى تبتهج الأرض حولها بأنواع الأشجار ، ويكثر بها السكان لكثرة الثمار ، وتنتشر العمارة وتتسع الادارة (٤٠) حتى بدت كل زاوية بمثابة حكومة ذات سلطان عظيم على جميع الأهالى المقيمين حولها .

ولم يتوان الامام محمد بن على السنوسى عن توضيح أهداف الزوايا ، فنجده يكتب الى حاكم فزان العثمانى مصطفى باشا قائلا : والزواية فى الحقيقة انما هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده ، والزاوية اذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بهـــا النفع لأهل الحاضرة والبادية لأنها ما اسست الا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان . ويكتب الى والى طرابلس المشير محمد أمين باشا يقـــول : وأما نحن فقد الفنا من اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ، ونفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منهـــا ويدوم من تعلم العلم وتعليمه ، واقراء القرآن وتفهيمه ، واقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها (٤١) .

ومعنى ذلك كله ان الزوايا كانت لهـــا وظائف انســـانية وروحية واقتصادية فالى جانب رسالتها التعليمية والدينية فقد كانت تقوم باطعام الغرباء وايوائهـــم وفض الخلافات بين القبائل والأفراد وتنظيم الشئون الاجتماعية للناس فى معاملاتهم الشخصية اليومية ، ومعالجة الأمراض الاجتماعية ، وارشاد الناس الى جوهر الدين الاســـلامى بالاضـــافة الى الاستعداد للدفاع عن الزاوية ضد الأعداء .

واذا كانت زاوية أبى قبيس بمكة المكرمة أول زاوية انشأها السيد محمد بن على السنوسى عام ١٢٤٢هـ على طريق انشاء الزوايا بالتوالى بعدها ، فقد كانت الزاوية التى انشأها السيد محمد فى واحة سيوة أول

---

(٤٠) أحمد الدجانى : نفس المرجع ص ٨٤ ــ ٨٥ .

(٤١) محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير ص ٢٤ .

زاوية تنشأ على الأرض الافريقية انتقل بعدهـا لانشاء الزوايا فى جالو واوجلة وطرابلس وتونس قبل أن يعود الى برقة عام ١٢٥٨هـ — ١٨٤٣م ليؤسس الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر .

وببناء الزاوية البيضاء يبدأ الدور الأول من الدعوة السنوسية فى ليبيا ، ذلك انها اعتبرت الزاوية الأم نظرا لاقامة الامام فيها الى أن انتقل منها الى زاوية الجغبوب التى انشأها عام ١٢٧٠ هـ/١٨٥٤ م . وفى هذا الدور الأول للدعوة السنوسية اتجهت جهود الامام الى بناء زوايا وتشييد مراكز الاصـلاح والتغلغل فى القبائل ودعوتهم اليها والى التعليم بهـا . وبذلك اصبح لكل قبيلة زاوية أو أكثر حسب كثرة البطون والعشـائر فى القبيلة ، يرسلون اليها أولادهم لحفظ القرآن وتعليم مبادىء العلوم الدينية واللغوية ، ويلتحق المتفوقون منهم ومن كان يريد مواصلة دراسته العالية بالزاوية البيضاء الأم (٤٢) .

ومن الزاوية البيضاء انتقلت الرئاسة الى زاوية الجغبـوب التى سماها الامام محمد بن على السنوسى الزاوية الخضرية — نسبة للخضر عليه السلام — أو وادى الايمان او الدرر المرصـعة (٤٣) . وفى واحة الجغبوب الصحراوية المصرية والتى انشئت عام ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٤ م وانتقل اليها الامام فى عام ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٦ م ويعتبر انشاء زاوية الجغبوب تطورا هائلا فى تاريخ الحركة السنوسية ، ذلك ان الامام اختار مكان هذه الزاوية اختيارا دقيقا لضمان نجاح الدعوة وسرعة انتشارها حيث أن هذا المكان ملتقى القوافل وممر للمسـافرين ويصلح لارسـال الدعوة منه الى مجاهل افريقيا لنشر الاسلام بين الوثنيين فيها(٤٤) .

واذا كان اختيار السيد محمد بن على السنوسى لواحة الجغبوب

---

(٤٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(٤٣) التعليم الدينى فى ليبيا — نفس المرجع السابق ص ٩٠ .
(٤٤) محمد الطيب الأشهب : نفس المرجع ص ٤٥ .

لتكون مقرا لرئاسة الزوايا السنوسية رغم انها لم تكن مكانا صالحا لأى نوع من الحياة المستقرة الناعمة فان اختياره لواحة الجغبوب كان بعد دراسة وتفهم لأهميتها وتقدير لقيمتها الاستراتيجية فهى على مسافة تجعل من الصعب فى ذلك الوقت على السلطة العثمانية الممثلة فى حكام المدن الساحلية أن تهتم بشأنه وتتبع نشاطه كما انهـــا تجعل من العسير على الحكومة المصرية فى ذلك الوقت ايضا ان تلتفت الى نشـــاطه أو تحاول الوصول اليه . أما بالنسبة للنفوذ الفرنسى الذى اخذ يتغلغل فى وسط افريقيا ويقترب من الأملاك العثمانية الساحلية فهى فى أمان منه لبعدها الكافى عن متناوله مع اليقظة التامة لأعماله ونشاطه (٤٥) .

كما أن اختيار الامام للجغبوب كان له ما يبرره من ناحية نشر الطريقة السنوســـية فمنهـــا انتشرت الطريقة السنوســـية بوطن طرابلس ودرنة وبنغازى والجبـــل الاخضر وفزان وغات وواداى وتبو وكاوار والصحراء الشرقية والوسطى والسودان وغيره ، وصارت جغبوب مناخ العلوم ومنبع القرآن العظيم (٤٦) .

وقد انتشرت الزوايا فى عهد الامام محمد بن على السنوسى فى انحاء من الوطن العربى بصورة تؤكد عظم رسالتها فكان بالحجاز ستة زوايا وفى برقة ٢٤ زاوية ، وفى فزان اربع زوايا ، وفى طرابلس سبع زوايـــا ، وفى مصر عشرة زوايا ، وفى تونس زاوية . وقد اضيف الى هذا العدد زوايا جديدة فى عهد السيد محمد المهدى ابن الامام تمثلت فى سبع زوايا بالحجاز وزاوية فى فزان وثلاث وعشرون فى برقة ، وخمس زوايا بطرابلس ، وأحد عشرة زاوية بمصر ، وخمس زوايا فى تشاد ، وزاوية فى السودان الشرقى ، وزاوية فى الجزائر وزاوية فى نيجيريا (٤٧) .

---

(٤٥) التعليم الدينى فى ليبيا — نفس المرجع ص ١٠ .
(٤٦) مصطفى بعيو : نفس المرجع ص ٤٣ .
(٤٧) رحلة الحشائشى الى ليبيا ص ١٥١ .

وكانت الزوايا السنوسية فى كل مكان وجدت فيه لها مواردها المالية للصرف على رسالتها التى تتمثل فى العقارات والنخيل ، حتى أن بعض الزوايا تبلغ احباسها الى العشرين الف نخلة كزاوية مرزق — بغزان — وشيخ الزاوية هو المكلف بالأحباس ، ودخل الزاوية ، وعند كل سنة يبعث الى الشيخ الاكبر ما فضل من الدخل وما آتاه من الفتوحات على يده (٤٨) .

واذا كانت الجغبوب قد ظلت مركز الرئاسة للزوايا السنوسية . كما كانت زاوية الجغبوب المعهد السنوسى العالى الذى يلتحق به الاخوان السنوسيون لاعدادهم اعدادا عاليا وتخرج العلماء الاكفاء منهم واعداد الدعاه على يد مجموعة من العلماء المتضلعين فى الفقه واللغة والعلوم العقلية والنقلية بصفة عامة تحت اشراف السيد محمد بن على السنوسى نفسه ،فقد انتقلت الرئاسة فى عهد خلفه السيد محمد المهدى الى الكفرة عام ١٨٩٥ م التى اصبحت المركز التجارى الرئيسى الذى تلتقى فيه القوافل من جميع انحاء افريقيا الوسطى والشمالية (٤٩) .

وفى الكفرة تأسست زاوية التاج التى اقيمت على رأس جبل يقال له القارة عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م ، ومن هذه الزاوية خرجت الدعوة السنوسية مع قوافل التجارة ومع الدعاه حاملين العقيدة الاسلامية الخالصة الى بلاد وسط افريقيا — مثل واداى ، وكانم وتشاد ، ودارفور ونبستى وكور وبرنو وغيرها(٥٠) .

وكانت الزوايا السنوسية ذات طابع موحد من حيث الموقع والبناء ، ومن حيث الوظيفة التى تمارسها ، ومن حيث ادارتها ، فقد اختار الامام محمد بن على السنوسى مواقع هذه الزوايا فى منطقة مرتفعة ليسهل

---

(٤٨) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٤٥ .
(٤٩) رحلة الحشائشى : نفس المرجع ص ١٨٣ .
(٥٠) د . نقولا زيادة : نفس المرجع ص ٦٨ .

الدفاع عنها وليسهل الاشراف منها على حرمهــا اى الأرض المحيطة بها والداخلة فى نطاقها ، ومما يروى عنه انه خاطب الحاضرين عند بناء زاوية الجغبوب قائلا : الطير له عقل ام لا ؟ فقالوا لا عقل له ، فقال : هو لا يضـــع بيضه الا فوق جبـــل شامخ حتى لا يلحقه ذئب ولا ثعلب ولا غيرهما (٥١) .

واما من حيث البناء فقد كان يتكون من بيت خاص يسكن به شيخ الزاوية ، وبيوت استضافة ، وبيت لوكيل الزاوية ، وآخر لمعلمى طلاب العلم فى المدرسة القرآنية (الكتاب) والمسجد ، الى جانب بيوت الخدم ومخازن للمواد الغذائية ، ومسكن للفقراء الذين لا مأوى لهم وحظيرة للخيول ، ومخبز لاعداد الخبز اللازم لســـكان الزاوية . بالاضافة الى المبانى الأخرى التى يسمح للقادرين من اهل الزاوية اقامتها حولهـــا ، وللمهاجرين اليها كذلك .

وكان الامام محمد بن على السنوسى حريصا على أن يكون بناء الزاوية بحيث يحقق أهدافها المدنية والدينية والعسكرية ، فمما يروى عنه أنه خاطب الحاضرين عند بناء سور زاوية الجغبوب قائلا : اليربوع له عقل ؟ فقالوا لا فقال : هو يجعل فى جحره طاقة ونفقا فاذا دخل عليه الحنش خرج منها ، وقال مشيرا لباب السور ، تلقونها احسن المحلات اذا اتى الحنش الأسود عليها من هنا ،واشار بأصبعه السبابة من المشرق الى المغرب (٥٢) .

وتبنى الزاوية على قطعة من الأرض تهبها القبيلة التى تطلب اقامة زاوية فى أراضيها — وذلك كما جاء فى التعليمات الخاصة بنظام الزوايا (٥٣) وتعتبر قطعة الأرض التى بنيت فوقها الزاوية والمساحة المتفق عليها من

---

(٥١) الطاهر الزاوى : نفس المرجع ص ١٦١ .
(٥٢) أحمد الدجانى : نفس المرجع ص ٨٤ .
(٥٣) نفس المرجع ونفس الصفحة .

جهاتها الأربعة وقفا . وتقوم القبيلة بتكاليف بناء المسجد والدرسة وبيت الشيخ ، ويقوم افراد القبيلة بتقديم عمل يوم واحد خدمة للزاوية أثناء بنائها وفى موسم الحرث والحصاد . وأن يكون الحرم المتفق عليه حول الزاوية حـــرما آمنا لمن اســـتجار به يلقى الحماية دون أن يمسه أحـــــد بســـوء .

وأما مـــن حيث ادارة الزاوية فقد تمثلت فى شـــيخ الزاوية الذى يعينه صاحب الطريقة السنوسية مراعيا فيه رغبات أهل القبيلة مـــع توفر الشروط التى تجعل منه مناسبا لشغل هذا المنصب الخطير ، حيث كان صـــاحب الحل والعقد فى الزاوية وهـــو الذى يعلم أو يشرف على التعليم ، وهو الذى يحل الخصومات ، وهو الذى يحفظ النظام ، وهو الذى يعنى بالقوافل ، وقد يطلب منه تنظيم الدفاع عن الزاوية فى حالة الاعتداء ، لذلك كان مركزه محترما بين الجميع (٥٤) .

والى جانب شـــيخ الزاوية الذى عرف بالمقدم كانت هناك وظيفة الوكيل الذى ينوب عن المقدم فى حالة غيابه ، فهو بمثابة الرجل الثانى فى تنظيم الزاوية ، كمـــا كان هناك مجلس يضـــم وكيل الزاوية وأعيان القبيلة ومجـــاورى الزاوية ، الى جانـــب المعلم للأطفـــال الذى عليـــه امامة المصلين فى الصلوات الخمس ، وكل هؤلاء يعملون فى تناسق تام لكى تؤدى الزاوية رســـالتها المنوطة بها والتى اســـتحقت لقب المركـــز الاجتماعى (٥٥) بكل معنى الكلمة .

ولا يكتمل الحديث عن الجانب الادارى للزوايا دون الاشـــارة الى الاخوان السنوسيين ذلك أن هؤلاء الاخوان كانوا يشكلون ثلاث فئات هى :

---

(٥٤) محمد الطيب الأشهب : نفس المرجع ص ٣٠ .

(٥٥) د . نقولا زيادة : نفس المرجع ص ٧٤ . و د . نقولا زيادة برقة الدولة العربية الثامنة ص ٧٠ .

١ — طبقة العلماء ، وهم الذين يلقون دروسهم بمعهد الجغبوب ، ويتكون من هذه الطبقة مجلس الاخوان الذى يتخذ من مقر الامام مكانا لاجتماعاته .

٢ — طبقة مشايخ الزوايا ، وهم من العلماء .

٣ — الطبقة الاحتياطية ، وافرادهـــا من صغار خريجى معهــد الجغبوب من الليبيين ومن الوافدين من الأقطار الاسلامية . وكان العضو من هذه الطبقة يوفد الى الخارج حاملا رسالة الحركة السنوســـية ، ويوفد البعض منهم لاجراء الصلح بين المختصمين ، والبعض منها يقوم بجلب المؤن والبضائع من الزوايا السنوسية أو من الأسواق الخارجية ، والبعض منهم يقوم بأعمال شيخ أى زاوية عندما يكون شـــيخها خارج عملـــه (٥٦) .

واما وظيفة الزواية فتتمثل فى انها كانت وحدة متكاملة سياسية واجتماعية واقتصـــادية وتعليمية وروحية بأعتبار الزاوية اداة الطريقة ، ومن ثم وجدنا صاحب الطريقة — الامام محمد بن على السنوسى — يسند رئاسة الطريقة الى الأكبر الأرشد من الأسرة السنوسية ثم نظام البيعة ذلك النظام الذى يكفل اجتمـــاع كلمة العـــرب لتـــأييد صـــاحب الامارة الجديد (٥٧) .

ورغم أن نظام الزوايا كان أســـلوبا سلميا هادئا لنشر الدعـــوة السنوسية ، ورغم ان الامام كان حريصـــا على اقامة العلاقات الطيبة مع السلطان العثمانى رغم انه لم يكن مرتاحا تماما للسياسة التركية ازاء الشعوب العربية فانة عمل على عدم الاحتكاك بالعثمانيين حتى انه اضطر الى التوغل فى الصحراء ليكون بعيدا عن متناول شرهم اذا ما فكروا فى النيل منه ، ولم يبد من السيد السنوسى الكبير من الأعمال والشعور ما

---

(٥٦) E.E. Evans — Pritchard : The Sanusi of Cyrenaica, p. 79.

(٥٧) محمد الطيب الأشهب : عمر المختار ص ٣٥ .

يجعله عرضة للمؤاخذة بل عمل على المحافظة على اظهار الولاء للخلافة العثمانية وسلطانها فى كل المناسبات والظروف (٥٨) . مما يؤكد انه استفاد من سياسة الامام محمد بن عبد الوهاب فى نجد المعادية للدولة العثمانية وهى السياسة التى ادت الى صدام بين الطرفين المسلمين ، ووصل الى قناعـــة بأن السلطة العثمانية واقع موجود لا تسمح الظـــروف بتغييره بل لعلها تفرض الحفاظ عليه وعدم الاصطدام به الى حين (٥٩) . ومن ثم ضمن اعتراف الســـلطان العثمانى ببعض الامتيازات للزوايا كاعتبارهـــا حرما آمنا واعفاء املاكهـــا من الضرائب والسماح لهـــا بحيازة أموال من أمتاعها بل والاستعانة بمؤسسها لجمع الضرائب العثمانية من القبائل التى ترتبط بالسنوسية .

ومما يؤكد الوظيفة السياسية للزوايا ايضا موقفها برجالها من التوغل الفرنسى فى وسط أفريقيا . ذلك ان الفرنسيين فى توغلهم فى القارة الافريقية اصطدموا برابح السودانى حول بحيرة تشاد فى ابريل سنة ١٩٠٠م وهزموه وقتلوه ، وفى نفس الوقت كان السنوسيون ينشرون زواياهم فى الواحات المنتشرة فى المنطقة المحصورة بين ساحل البحر المتوسط وحوض نهر النيجر وعندما وجدوا ان الخطر الفرنسى يتهـــدد نشاطهم اشتبكوا فى حـــرب مع الفرنسيين ، وتولى قيادة السنوسيين سيدى محمد البرانى وعمر المختار الا انه ظهر منذ اللحظة الاولى ان الكفاح لم يكن متكافئا . ولذا سرعان مـــا سقطت المراكز السنوسية فى ايدى الفرنسيين خلال سنتى ١٩٠٢م ، ١٩٠٣م وانتهى الأمر بانسحاب السنوسيين نحو الشمال تاركين الجنوب غنيمـــة للفرنسيين(٦٠) .

كما ان كفاح السنوسيين من قواعدهم — الزوايا — ضـــد الغـــزو الايطالى لليبيا — برقة بصفة خاصة — يعد ملحمة بطولية وكان الايطاليون

---

(٥٨) د . محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ٥٥ .

(٥٩) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٦٠) احمد الدجانى : نفس المرجع ص ٨٣ .

يدركون انتشار الزوايا السنوسية فى انحاء ليبيا ومصر والسودان والحجاز وتونس والجزائر وتشاد والنيجر ، وأن الطريقة عقيدة دينية قوية متغلغلة فى نفوس الليبيين لتجعل منها نفوسا قوية العزيمة لا تعرف الخوف ولا التردد وتضحى بكل شىء فى سبيل الله والوطـــن وهى تتميز بالنظام والدقـــة فى تنظيماتها القوية المتينة التى تشبه التنظيمات العسكرية الحديثة(٦١) .

ولقد كان تنظيم الزوايا الحربى نتيجة لدعوة الامام محمد بن عـــلى السنوسى بالاستعداد لمواجهة اعداء الأمة العربية الاسلامية ، ومن ثم كان من مبادىء الطريقة تعلم الفروسية والرماية وفنون الحرب . وكل الاتبـــاع يجب أن يخضعوا لهـــذا التنظيم ، ومن هـــذا المنطلق وجدوا السنوسيين يقودون الدفاع عن برقة بتنظيم عسكرى متين افتقدته بقية انحـــاء ليبيـــا التى كانت القبائل المتنافرة المتصارعة فيما بينها هى التى تتولى الكفاح ضد الغزو الايطالى ، ونتيجة لذلك نجد انه فى الوقت الـــذى توقف الكفاح فى طرابلس وفزان مثلا بعد سنوات قليلة من بداية الغزو استمر كفاح برقـــة بقيادة السنوسيين حتى أوائل العقد الرابع من القرن العشرين عندما سقط عمر المختار قائد السنوسيين فى المعارك فى سبتمبر سنة ١٩٣١م .

وكانت قوة السنوسيين فى مقاومة الغزو الايطالى هى الايمان بالله والتمسك بالمبدأ السنوسى الذى يحث على الجهاد وبعدالة القضية الوطنية التى تعد جزءا مكملا للعقيدة الدينية . ومـــن ثـــم كانت صلابة البرقاويين السنوسيين فى مقاومة الغزو الايطالى وتحمل وحشية الايطاليين وحملات التنكيل والابادة التى اتبعوها حتى مع أطفال ونساء البيت السنوسى .

ولقد كانت الوظيفة الاجتماعية للزوايا ركنا اساسيا من تكوينها ومن المبادىء التى تسترشد بها فى تحقيق كيانها ، فان استضافة العابرين لمدة ثلاثة أيام كما تقضى العادات العربيـــة ، والفصـــل بين الناس بالحسنى

---

(٦١) د . زاهر رياض : استعمار افريقيا ص ١٥٩ .

(٦٢) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ص ٨١ .

والمصالحة بين القبائل المتنافرة المتحاربة ، وتأمين الطرق عبر الصحراء من قطاع الطرق والمغيرين بهدايتهم ، والمؤاخاة بين المسلمين ، كل ذلك وغـيره جعل من الزوايا مركز اشعاع علمى ومنبع دعوة اسلامية مهذبة صحيحة ، جددت من آثار الاسلام ما درس منها فى حقب طويلة توالت على صحراء برقة كانت السيادة فيها للجهل والفقر والفوضى(٦٣) .

وانطلاقا من هذا استجاب للدعوة السنوسية سكان الصحراء الليبية والسودانية الذين وجدوا فيها سهولة وبساطة ، ودعوة لحياة أفضل مما كانوا يعيشون فيه ومن ثم اصبحت برقة بفضل السنوسية على قلب رجل واحد ، من حيث الترابط الأخوى والتكافل الاجتماعى .

واما وظيفة الزاوية من الناحية الاقتصادية ، فقد اتاحت الزوايا الاستقرار والأمن فنشطت حركة القوافل التجارية بفضل ما كانت تجده هذه القوافل من مساعدة وعون بعد أن كانت هدفا للسلب والنهب ، هذا فضلا عما كانت تجده القوافل التجارية من مساعدة وراحة اذا وصلت الى احدى هذه الزوايا (٦٤) .

كما أن الطريقة السنوسية شجعت الليبيين على حب العمل وزيادة انتاجهم الزراعى ، بتشجيع القبائل على الاستقرار بعد طول ترحال ، واستغلال مياه العيون والآبار فى زراعة المساحات الصالحة للزراعة ، وضرب المثل العلمى بأن يساهم كل العاملين فى كل زاوية بالزراعة يوم فى الاسبوع فى الأرض المحيطة بالزاوية .

واذا كانت وظائف الزاوية السياسية والاجتماعية والاقتصادية على هذا النحو من النشاط والحركة الدائبة فقد كانت وظيفتها التعليمية على درجة كبيرة من الحيوية لأنها جعلت التعليم الدينى هو محور نشاطها ومركز اهتمامها ، وأن عد ذلك قصورا فى رسالة المؤسسات التعليمية بمفهومنا

---

(٦٣) محمد الطيب الأشهب : عمر المختار ص ٤٤ .
(٦٤) الطاهر الزاوى : نفس المرجع ص ١٠٥ .

المعاصر ، فان اقتران النظر بالعمـــل فى ظـــل نظام الزوايا كان عملا ايجابيا يحسب للزوايا .

فلقد قامت الزوايا بتنشئة طلاب العلم تنشئة عملية على التزام الفضائل واجتناب الرذائل ، والاهتداء بالقدوة الطيبة من قادة الزوايا ، والتمسك بما جاء بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية من مبادىء الى جانب ما درج عليـــه السلف الصالح ، والابتعاد عن كل ما يخرج عن ذلك أو يخالفه .

وقد شملت الزوايا من مؤسسات التعليم مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومبادىء الدين الاسلامى واللغة العربية ، كما شملت مسجدا لأداء الفرائض ووعظ الناس واجتماع الاخوان للذكر وتلاوة القرآن الكريم جماعة ، وهو ما يسمى بالحزب ، وقراءة الاوراد دون شطح أو تمايل وانما بأدب وخشوع(٦٥). فاذا ما أتم طالب العلم الدراسة بالزاوية — كمرحلة متوسطة — ينتقل الى التعليم العالى فى الجغبوب حيث يوجد علماء اجلاء متضلعون فى الدين واللغـــة والطريقة السنوسية .

وكان من وظائف الزاوية التعليمية الدينية مواجهة نشـــاط البعثات التبشيرية المسيحية فى ربوع السودان ، فبادر الامام صـــاحب الطريقـــة باستغلال تجارة القوافل للتأثير على الافارقة لتقبول الدين الاسلامى ، وقد استطاع تجار القوافل أن يكتسبوا ثقة أهل السودان ويحببوا اليهم الدين الاسلامى بما كانوا عليه من اخلاص فى المعاملة وصدق فى البيع والشراء ، حتى أن كثيرا منهم كان يقوم بمهمة التبشير بالدين الاسلامى بين جماعـــات الوثنيين وينجح فى مهمته (٦٦) . ومن ثم تنشأ الزوايا لتباشر رسالتهـــا بين هذه الجماعات وتنطلق منها الى المناطق المجاورة وهكذا .

ولقد استفاد الامام محمد بن على السنوسى من صداقته للامير محمد الشريف سلطان واداى منذ عام ١٨٣٨م . والذى كان زميلا له فى مكـــة

---

(٦٥) مصطفى بعيو : نفس المرجع ص ٦١ .
(٦٦) التعليم الدينى فى ليبيا : المرجع السابق ص ١٣ .

المكرمة لطلب العلم والحج ، استفاد من هذه الصداقة فى نشر زواياه فى وادای ، كما استطاع عن طريق تحرير الرقيق وتعليمه فى الزوايا فى برقة ثم اعادته الى السودان من ان ينشر الاسلام الصحيح كما تدعو اليه الطريقة السنوسية بين اهل السودان وبواسطة أبنائهم العائدين اليهم أحرارا متفقهين فى الدين الاسلامى عاملين بأصوله .

كلمة اخيرة عن الزوايا السنوسية يجب ان نقولها نختم بها بحثنا هذا ، هو أن هذه الزوايا ادت وظائفها المناطة بها منذ انشائها ، وهى وظائف متنوعة كما رأينا وقد تعرضت الزوايا لانتكاسة كبيرة فى ادائها لوظائفها طوال سنوات الاحتلال الايطالى من عام ١٩١١م حتى ١٩٤٣م ، ولكن الدعوة السنوسية قد حققت هدفها عام ١٩٥١م بقيام الدولة الليبية برئاسة حفيد الامام صاحب الدعوة ، مما اكد أن الطريقة السنوسية دين ودولة .

مصادر البحث

١ — أحمد حسنين : فى صحراء ليبيا — مطبعة مصر — بدون تاريخ .

٢ — أحمد صدقى الدجانى : أحاديث عــن تاريخ ليبيا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، طرابلس سنة ١٩٦٨ م .

٣ — الطاهر الزاوى : معجم البلدان الليبية — طرابلس عام ١٩٦٨م .

٤ — أحمد الشريف : الانوار القدسية فى مقدمة الطريقة السنوسية . بدون تاريخ .

٥ — أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — دار الكتب المصرية .

٦ — التعليم الدينى فى ليبيا : البحث رقم ٤ من بحوث وفد المملكة الليبية فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسئولين عــن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية — طرابلس — ابريل عام ١٩٦٦ م .

٧ — عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ الى القرن ١٩ — القاهرة عام ١٩٥٨ م .

٨ — د . محمد أسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام — دار العلم للملايين بيروت — عام ١٩٥٧ م .

٩ — التيجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) رحلة التيجانى . نشرها وقدم لها حسن حسنى عبد الوهاب — تونس عام ١٩٦٠ م .

١٠ — محمد بن على السنوسى : الدرر السنية فى أخبــار السلالة الادريسية — دار ليبيا للنشر والتوزيع — بنغازى ١٩٦٧ م .

١١ — د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة — القاهرة ١٩٤٨ م .

١٢ — مصطفى عبد الله بعيو : دراسات فى التاريخ الليبى — الاسس التاريخية لمستقبل ليبيا — الاسكندرية ١٩٥٣م .

١٣ — جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية — ماضيها وحاضرها طرابلس ١٩٦٢ م .

١٤ — د . نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال — القاهرة ١٩٥٨ م .

١٥ — د . نقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة — بيروت ١٩٥٠ م .

١٦ ــ محمد الطيب بن إدريس الأشهب : السنوسى الكبير (عرض وتحليل لدعامة حركة الاصلاح السنوسى) القاهره ١٩٥٥ م .

١٧ ــ محمد الطيب بن أدريس الاشــهب : عمر المختار (سلسلة ابطال الجهاد والسياسة فى ليبيا) القاهرة ١٩٥٨ .

١٨ ــ د . زاهر رياض : استعمار أفريقيا ــ القاهرة ١٩٦٥ م .

١٩ ــ خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدهــا (سلسلة الكتاب الليبى) طرابلس ١٩٦٣ م .

٢٠ ــ رحلة الحشائشى الى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) أو (النفحات المسكية فى أخبار المملكة الطرابلسية) تأليف محمد بن عثمان الحشائشى التونسى ، تقديم وتحقيق على مصطفى المصراتى عام ١٨٩٥ م بيروت ١٩٦٥ .

٢١ ــ **U.N. Annual Report of the United Nations Commissioner in Libya, Passed in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, Official Records Fifth Cession, supplement No. 15 (A/1340).**

Lake Success, New York, 1950.

٢٢ ــ **E,E. Evans-Pritchard : the Sanusi of Cyreraica, London 1949.**

الفصل الثامن

وثائق تاريخ ليبيا فى العصر العثمانى الأخير
١٨٣٥ — ١٩١١

— مقــدمة .

— الوثائق :

أولا : ملف الادارة .
ثانيا : ملف المعارف .
ثالثا : ملف الضرائب .
رابعا : ملف الزراعة .
خامسا : ملف تجارة العبيد .
سادسا : أوراق عبد السلام ادهم .
سابعا : اوراق سراج الدين .
ثامنا : اوراق البارونى .
تاسعا : مراسلات الولاة .
عاشرا : ملف القناصل .

— الدوريات .

— التقارير الرسمية .

مقـــدمة *

دخلت ولاية طرابلس الغرب ضمن ولايات الدولة العثمانية عام ١٥٥١م، وظلت ولاية عثمانية حتى اغتصبتها ايطاليا عام ١٩١١م . ومعنى هذا أن — الولاية خضعت للحكم العثمانى مدة ثلاثمائة وستين سنة أنقسمت الى ثلاثة عصور تاريخية هى :

١ — العصر العثمانى الاول : ويبدأ بمجىء العثمانيين الى الولايـــة عام ١٥٥١م وينتهى بارتقاء احمد القرمانلى كرسى الولاية عام ١٧١١م واقامة حكم وراثى ، وقد اتصف هذا العصر باستقرار الأمور فى الولاية فى بدايته ولكن هـــذه الأمور ما لبثت ان اضطربت عندما تصارعت القوى المختلفـــة — قادة الانكشارية والقولوغلية والباشا — من اجل الاستئثار بالسلطة ، وانعكس هذا على الناس ، ففى الوقت الذى اجلس الجند فى كرسى الولاية خياطا للملابس بمدينة طرابلس ، وبائعا للقهوة فى سوق الترك بمدينـــة طرابلس هو عثمان القهوجى(١) ، كان الناس يعيشون معيشة بائسة وصلت الى انهم كانوا يدفعون ضرائب للوالى على كل نخلة وزيتونة وبيضة فى السنة، وان دلت ضريبة البيضة على شىء فانما تدل على بؤس الحالة الاقتصادية التى تعانيها ليبيا ، والفقر الذى عم ارجاءها والاستبداد القاتل الذى أوصل البلاد الى هذه الحال(٢) .

٢ — العصر القرمانلى : واستغرق هذا العصر مائة وأربعا وعشرين سنة من عام ١٧١١ الى عام ١٨٣٥م حـــكم فيه ستة أمـــراء من الأسرة

(*) قدم هذا البحث فى الاسبوع العلمى الثانى لسمينار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس وكان موضوع الندوة « وثائق تاريخ العرب » وعقدت فى الفترة من ٧ — ١٢ مايو ١٩٧٧م .

(١) الطاهر الزاوى : ولاة طرابلس ص ٢٠٩ .

(٢) الطاهر الزاوى : ولاة طرابلس ص ١٧٩ .

القرمانلية حكما وراثيا . شعرت الولاية بشيء من الاستقرار فى بداية حكم هؤلاء الامراء ، ثم عادت الأمور الى حالة الفوضى الشاملة التى كانت عليها البلاد فى العصر العثمانى الاول ، ذلك ان هؤلاء الامراء اتبعوا فى سبيل الحصول على الاموال للصرف منها على حياة البذخ التى يحيونها فى قصورهم الفخمة الى فرض الضرائب على الناس واتخاذ الاساليب التعسفية فى جمعها على يد جند الانكشارية والقولوغلية ، واتباع سياسة القرصنة فى البحر المتوسط فى مغالاة ادت الى تحالف بين الدول الاوروبية ضد حكام الولاية ، كما ادت الى ثورات اهل البلاد أنهت حكم الأسرة بعد أن دامت الفتن والحروب الأهلية نحو العامين(٣) .

٣ ــ العصر العثمانى الأخير : وقد كانت مدته سبعة وسبعين سنة تولى الحكم خلالها ثلاثة وثلاثون واليا تراوحت مدة ولاية بعضهم بين سنة وعدة شهور(٤) ، وقد بدأ هذا العصر بانهيار حكم الأسرة القرمانلية عام ١٨٣٥م وعودة الحكم العثمانى المباشر حتى الاحتلال الايطالى للولاية الذى وقع عام ١٩١١م . وهذا العصر يطلق عليه بعض المؤرخين العصر العثمانى الثانى ، والبعض الآخر يذكره بالعصر العثمانى الثالث فالفريق الاول يعتبر عصر الأسرة القرمانلية فاصلا بين عصر عثمانى أول ــ وعصر عثمانى ثانى ، بينما يرى الفريق الثانى أن العصر القرمانلى ما هو فى الحقيقة سوى عصر للحكم العثمانى غير المباشر لبقاء الولاية خاضعة للسيادة العثمانية بكل ما تمثله السيادة من مظاهر ، وهذا التعدد فى الآراء هو الذى جعلنى أذكره باسم العصر العثمانى الاخير لأنه شهد نهاية السيادة العثمانية على الولاية .

واذا كان مواطنو الولاية قد شعروا بالفرح بانتهاء السيطرة القرمانلية فانهم نظروا الى مجيء الولاة العثمانيين من استانبول نظرة شك وتردد حيث

---

(٣) أحمد النائب : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب .
(٤) د . رافت الشيخ : تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة ص ٤٥ .

لم يقم نظراؤهم ــ قبل عصر الأسرة القرمانلية ــ بما يرضى أهــل الولاية من اعمال مفيدة تأخذ بيدهم الى التقدم والازدهار ، ولذلك سرعان ما ناصب اهل الولاية الحكم العثمانى العداء ، وابوا الخضوع المطلق للسلطة الحاكمة، لان الحكم العثمانى المباشر عاد الى البلاد واعاد معه النظام الفاسد السابق، ولم يحاول تغيير ما ادى الى سخط الشعب فى الولاية قبلا (٥) .

لقد شهدت الولاية خلال هذا العصر العثمانى الأخير تصارعا بين ثلاثة قوى هى العثمانيون ، الاوروبيون ، واهل الولاية . أما العثمانيون فقــد انعكست تطورات الاحداث فى الدولة العثمانية على الولايات ومنها طرابلس الغرب ، ذلك ان هذه الفترة موضوع دراستنا شهدت على مستوى الدولة ــ فى مركزها استانبول ــ اجراءات تهدف الى اصلاح احوال « الرجل المريض» تمثلت هذه الاصلاحات فيما عرف بالتنظيمات لتنظيم أمور الدولة على اسس جديدة فى مختلف المجالات والتى استغرقت الأعوام من ١٨٣٩ الى ١٨٧٦م دون ما فائدة ، كما تمثلت فيما عرف باسم المشروطية التى تعنى القضاء على نظام الحكم المطلق الذى كان قائما حتى ذلك الحين ، وان تجعل حكم السلطان مشروطا بمراعاة القيود المقررة فى القانون الاساسى للدولة(٦) .

وتنقسم المشروطية الى المشروطية الاولى من عام ١٨٧٦ وامتدت عامين عطل السلطان عبد الحميد قبل مضيهما القانون الأساسى ، والمشروطية الثانية التى بدات عام ١٩٠٨م حين اجبر عبد الحميد على اعادة العمل بالقــانون الاساسى واستمرت بعد خلعه عام ١٩٠٩ حتى قيام الحركة الكمالية واعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣(٧) . وظهرت فى هذه الفترة ظواهر فى الحكم والسياسة كالمركزية الشديدة التى وصلت الى حد الاستبداد الغاشــم الذى وصف به عهد السلطان عبد الحميد ، وكالترويج لفكرة الجامعة الاسلامية

---

(٥) د . رافت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ص ١١٤ .

(٦) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٧٤ .

(٧) د . احمد الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ص ٣٥ .

فى مواجهة الحركات القومية داخـل الامبراطورية والأطماع الاستعمارية الاوروبية .

ومن الطبيعى أن تتأثر أمور الولاية ـ طرابلس الغرب ـ بما سـاد الدولة العثمانية والحكم فيها من احداث ظهرت فى مختلف نواحى الولاية بصورة أدت فى النهاية الى ضعف الولاية واحتلال الايطاليين لها عام ١٩١١م بعد أن أنهكتها ثورات أهل الولاية وسوء الادارة العثمانية ، وان تواجـد بعض الولاة أمثال على رضا باشا الجزايرلى واحمد راسم باشا ساهمـوا فى التخفيف عن أهـل الولاية بتقديم خـدمات عمرانية وتعليمية وغـيرها لهـم .

وكانت القوة الثانية على مسرح الأحـداث فى الولايـة اثناء العصر العثمانى الأخـير هى قوة الاستعمار الغربى الذى كان يتطلع الى اقتطاع ما تبقى من ممتلكات الدولة العثمانية العربية وخاصة فى شمال افريقيا ، بعد أن ظهر التنافس الانجليزى الفرنسى على مصر أثناء الحملة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر ، وبعد أن احتلت فرنسا الجزائر عـام ١٨٣٠م تطلعت وشاركتها ايطاليا فى تطلعها الى تونس ، فلما فوجئت ايطاليا بانسـياب الجيوش الفرنسية الى تونس من الجزائر عـام ١٨٨١م عولت على اللحاق بالركب الاستعمارى فوجهت أنظارها نحو ولاية طرابلس الغرب ، ومن هنـا شهدت سنوات هذا العصر تنافسا بين قناصل انجلترا وفرنسا فى طرابلس كما شهدت نشاطا استعماريا ايطاليا كمقدمة للاحتلال .

وأما القوة الثالثة فكانت اهل الولايـة وتحركاتهم أمـام الاستبداد العثمانى المتحكم بمقدراتهم والأطماع الاستعمارية المستندة الى الامتيازات الاجنبية الممنوحة للاوروبيين فى غفلة من « الرجـل المريض » ، وكانت تحركات أهل ولاية طرابلس الغرب استجابة لتحدى الأوضاع السيئة التى سيطرت على حيـاة الناس ، وهـذا يعنى أنها كانت بدايات ذاتيـة نتيجة أوضـاع

داخلية(٨) ، ولكنها واجهت الأطماع الخارجية بنفس القوة وظهرت زعامات وطنية تواجـــه سوء الادارة العثمانية داخل الولاية ، وتواجه الأطمـــــاع الاستعمارية فى نفس الوقت ، ومـــن أمثلة هؤلاء السنوسيين فى برقـــة ، والشيخ سليمان البارونى فى الجبل الغربى بطرابلس ، وعبد الجليل سيف النصر فى غزان وغوما المحمودى فى يفرن بالجبل الغربى ايضا وغيرهم .

وهكذا تتضح أحوال الولاية بين قوى ثلاثة ، حكم عثمانى بادارة غير واعية وسياسة غير واضحة ارتبطت بمصالح العثمانيين دون مصلحـــة أهل الولاية ، ومن ثم لم يتمكن العثمانيون من خلق روح ولاء للدولة فى نفـــوس الطرابلسيين(٩) ، وتنافسا اجنبيا فى الولاية تمثل فى وجود جاليـــات بريطانية، وفرنسية ، وايطالية ، واسبانية ، وهولندية ، ويونانية ، ونمساويـــة ، والمانية ، وان كانت الجاليات الثلاثة الاولى اكثر عددا وتناضلها اكثر نشاطا وتأثيرا على سلطات الحكم فى الولاية . ويقظة شعبية تأثرت باليقظـــة القومية العربية عامة مع حركة دينية نشطة فى برقة هى السنوسية .

الوثائـــق

- الوثائق التى تتصل بالعصر العثمانى الأخير — موضوع هذا البحث — تتواجد فى دار المحفوظات التاريخية بمبنى السراى الحمراء بمدينة طرابلس بالجمهورية العربية الليبية ، وهى عبارة عن أوراق بدأ الاهتمام بجمعها فى هذا المكان بعد حصول ليبيا على استقلالها، وبدأ تصنيفها تصنيفا أوليا فى ملفات يحتوى كل منها على الاوراق التى رأى المصنفون فيها ترابطا فى الموضـــوع دون الزمن ، كأوراق المعارف ، وأوراق الضرائب ... وهكذا ..

ويقوم على تصنيف هذه الاوراق اثنان من الموظفين من اهـــل البلاد

---

(٨) عبد العزيز الدورى : الجذور التاريخية للقومية العربية ص ٥٦ .
(٩) د . رأفت الشيخ : تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة ص ٤٩ .

المشهود لهما بالخبرة فى معرفة اللغة التركية وفى الدراسات التاريخية هما الاستاذ عبد الاسلام ادهم الذى شارك فى الحياة السياسية قبل استقلال ليبيا بانضمامه الى جمعية الدفاع الطرابلسى البرقاوى فى الشام ، والذى يتقن اللغة التركية اتقانا تاما ، والثانى هو الاستاذ محمد الأسطى الذى تعلم فى مدارس تركية وايطالية فى طرابلس وعاش فترة كبيرة من عمره فى تركيا وهو يجيد اللغتين التركية والايطالية .

على اكتاف هذين الرجلين بدات عملية التصنيف الاولى للاوراق الرسمية فى الملفات ، وبذلا كل جهد ممكن ، رغم كبر سنهما ، فى جمع هذه الاوراق — وتوزيعها على الملفات ، ولم يدخل هذا الميدان من الشباب الا متأخــرا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر حيث تم تعيين موظفين للعمل بالدار من خريجى قسم التاريخ بكلية الآداب فى بنغازى ، وبــدأ الاهتمام بتوفير الامكانيــات امام الباحثين حيث وجدت وحدة لتصوير الوثائق ، وبدأ اعــداد قاعــات للاطلاع ، وان كانت هناك صعوبات أمام الباحثين فانهــا تتمثل فى عــدم تصنيف الوثائق كلها اذ مازالت اعداد كبيرة منها محفوظة فى أجولة ، كما أن ملفات التصنيف غير عملية وغير مرتبة فى اماكن يسهل العثور عليهــا دون عنــاء .

ومن خلال هذا العرض الموجز لحالة دار المحفوظات التاريخية بطرابلس والتى تخضع فى ادارتها لمراقبة الآثار التى تتخذ أيضا من السراى الحمــراء بالمدينة مقرا لها ، يمكن أن نستعرض الوثائــق المتعلقة بالعصر العثمانى الأخير بولاية طرابلس الغرب على النحو التالى :

اولا : ملف الادارة

احتوى هذا الملف على أوراق تتعلق بتنظيم الولاية الادارى ، فبعــد أن كانت مقسمة الى ثلاث مقاطعات هى طرابلس ومصراته وبنغازى ، صدر فرمان عام ١٨٤٣م بجعل بنغازى متصرفية تتبع استانبول رأسا وتتبع ولاية طرابلس فى شئون العدلية والجمارك والبريد والمسائل العسكرية . كمــا

ضم هذا الملف أوراق رسمية تتعلق بتقسيم ولاية طرابلس الغرب الى اربعة الوية هى :

١ ـــ لواء المركز وعاصمته مدينة طرابلس
٢ ـــ لواء الخمس وعاصمته مدينة الخمس
٣ ـــ لواء الجبل وعاصمته مدينة يفرن
٤ ـــ لواء فزان وعاصمته مدينة مرزق

واحتوت هذه الاوراق كذلك على ما يشير الى تقسيم هذه الالوية الأربعة الى اقضية وكل قضاء الى عدة نواح . وتقسيم متصرفية بنغازى الى عـــدة اقضية وكل قضـــاء الى نواح كذلك ، وفصلت هذه الاوراق اسماء اقضية كل لواء ، واســـماء نواحى كل قضـــاء ، كما اشارت هذه الاوراق الى تقسيم النواحى فى الاقضية بكل لواء الى ثلاث درجات : اولى ، وثانيـــة ، وثالثة ، حسب اهميتها للحكم العثمانى .

كما احتوت هذه الاوراق على ما يفيد باعتبار الوالى رئيسا للنظـــام الادارى فى الولاية ومن ثم يعطى لقب الوزارة واحتوى فرمان تعيينه على عبارات : الدستور المكرم المشير المفخم ، نظام العالم ، مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام بالرأى الصايب ، ممهد بنيان الدولة والأقبال، مشيد أركان السعادة والاجيال ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى(١٠) . بينما كانت التاب المتصرف الذى يترأس اللواء ما نصه : افتخار الأماجـــد والأكارم ، جامـــع المحامد والمـــكارم(١١) ، التى وردت فى قرارات التعيين الصادرة من نظارة الداخلية باستانبول ، اما مدير الناحية فتشير الوثائق الى انه كان يعاونه فى ادارة الناحية مكتب شرطة .

واشارت هذهالاوراق الىجلسات مجالسادارة للولاية وللواء وللقضاء،

---

(١٠) دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ملف الادارة ، الفرمان السلطانى بتقليد نامق باشا رتبة الوزارة .
(١١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ملف الادارة .

والقارىء لمحاضر جلسات هذه المجالس يقف على كيفية تشكيلها من الموظفين الرسميين والمواطنين ومن ممثلين عن الطوائف كاليهود واحتوت هذه المحاضر على أسماء أعضاء المجلس — سواء كان مجلس ادارة الولاية المكون من كبار موظفى الولاية كالقاضى والدفتردار والكتخدا ، و١٦ عضوا من الأهـالى يمثلون الألوية الأربعة كل لواء أربعة أعضاء ، أو مجلس ادارة اللواء الذى يضم أعضاء يمثلون الأقضية ، وهكذا — وتوقيعات هؤلاء الاعضاء على محاضر جلسات مجالس الادارة .

كما تضمنت هذه الاوراق قانون البلديات العثمانى الصادر عام ١٨٧٢م الذى احتوى على تشكيل مجالس للمدن وكيفية اختيارهـم بالانتخاب ، — واختصاصات هذه المجالس وميزانيتها ومصادرها وأوجه الصرف منها ، وبدء تشكيل هذه المجالس ، وكيف أنها اقتصرت على مراكز الولاية والألويـة فقط ، حتى اذا كانت ولاية احمد راسم باشـا ١٨٨٢ — ١٨٩٦م اهـتم بتشكيل مجالس بلدية فى الأقضية ، أوكل اليها أمورا أخرى كحفـر الآبـار وبناء الفنادق ، ودكاكين وأفـران وطواحين ، ومدارس الى جانب مراكـز — مبانى — حكومية .

ثانيا : ملف المعارف

يحتوى هذا الملف على أوراق تشمل كل ما يمت بصلة قريبة او بعيـدة بالتربية والتعليم ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هى :

١ — أوراق صادرة عن نظارة المعارف باستانبول :
٢ — أوراق خاصة باجراءات تعليمية داخل الولاية .
٣ — طلبات اهل الولاية .

١ — القســم الاول :

بالنسبة للقسم الاول نجد فى مقدمة هذه الاوراق كتابا باللغة التركية صادر عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١م عبارة عن قرارات رسمية صادرة عن

نظارة المعارف باستانبول خلال عام ، والكتاب تحت اسم : سالنامة نظارة معارف عمومية(١٣) أى الكتاب السنوى لنظارة المعارف العمومية باستانبول ، وقد احتوى ذلك الكتاب فى ذلك العام على كل ما يتصل بمدارس التعليم العالى التى يمكن لأبناء الولايات الالتحاق بها بنسب محدودة وبشروط معلومة، وأورد أنواع هذه المكاتب (المدارس) العالية بأنها مدرسة أبناء العشائر لاستقبال أبناء رؤساء العشائر واعدادهم بما يجعلهم يعودون الى بلادهم فيكونون أكثر ولاء للدولة عندما يصبحون رؤساء لعشائرهم وأسرهم ، والمكتب الملكى (أى المدنى) الشاهانى لاعداد القائماميين والمديرين ، والمكتب السلطانى لتعليم المسلمين وغير المسلمين ومكتب الطب ، ودار المعلمين ودار المعلمات ، ومكتب الحقوق ، ومكتب التجارة ، ودار الفنون (كلية جامعة) بها شعب للعلوم الدينية ، وللعلوم الرياضية ، والطبيعية ، وللاداب، والمكاتب العسكرية وهى : مكتب حربية شاهانية ، ومكتب فنون طبية شاهانية ، ومهندسخانة برى همايونى ، ومكتب حربية شاهانية اعدادية ومكتب اعدادى طبى شاهانى ، ومكاتب رشدية عسكرية ، ومكتب بحرية شاهانية ، ومكتب بحرية ماكينة عمليات ، ومكتب رشدى بحرى ، ومنشأ كتاب عسكرى .

وهذه المكاتب ارتبط مع كل منها خطة الدراسة الخاصة بها وشروط القبول بها وعدد سنوات الدراسة ، وشروط قبول ابناء الولايات بها باعتبارها التعليم العالى المتاح امام ابناء الولايات حيث لا يتوفر مثل هذا التعليم امامهم فى بلادهم ، وهذه المكاتب تأسست فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وذلك ثابت من تاريخ انشاء كل مكتب . كما دلت المواد الدراسية فى خطط هذه المكاتب على أن المدارس (المكاتب) الحربية كانت تهتم باللغة الألمانية والتنظيم الألمانى ، والمدارس البحرية تهتم باللغة الانجليزية والنظام البحرى العسكرى الانجليزى ، كما كان للغة الفرنسية اهتمام خاص فى جميع خطط الدراسة بهذه المكاتب .

---

(١٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف المعارف — كتاب سالنامة نظارة معارف عمومية — استانبول ١٣١٩ هـ .

وفى هذا القسم كذلك يوجد كتيب (١٣) باللغة التركية ايضا يشتمل على كل ما يتصل بالتعليم الابتدائى فى انحاء الدولة العثمانية ، من مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية ، ومسئوليات مدير المدرسة والمعلم ومؤهلات المعلمين وكيفية تربية التلاميذ ومنع الاختلاط بين البنين والبنات ، والمكافآت والجزاءات التى توقع على التلاميذ ، والتدابير الصحية الواجب مراعاتها فى المدارس بين التلاميذ ، ووظائف البوابين (الفراشين) . وكل هذه التعليمات او القواعد تتسم بالصرامة وتشير الى أن المفتش سيفاجىء المدارس ويسائل المدير والمعلمين والبوابين عن مدى تطبيق هذه التعليمات ويطلع على سجلات المدرسة السبع ويسجل ملاحظاته فى السجل السادس الخاص بملاحظات المفتش وتوجيهاته .

كما اشتملت اوراق هذا القسم على منشورات من نظارة المعارف العمومية باستانبول الى ولاية طرابلس الغرب تحمل أوامر وتعليمات تتصل بالتربية والتعليم من امثلتها المنشور الصادر من نظارة المعارف (١٤) الى الوالى بمنع استخدام المدارس الخاصة كالمدارس الاسرائيلية للمعلمين اجانب لا يحملون الجنسية العثمانية ، ومنشور آخر (١٥) من النظارة بانشاء مدارس لخدمة اهل البلاد حسب دياناتهم ، بمعنى انشاء مدرسة اسلامية اذا كان اهل البلد مسلمون ، ومدرسة مسيحية اذا كان اهلها مسيحيون ، ومدرستين واحدة اسلامية والاخرى مسيحية اذا كان اهل البلد مسلمون ومسيحيون .

واحتوت هذه الأوراق ايضا على شروط القبول وخطط ومناهج

---

(١٣) نفس المصدر : كتيب ١٣٢٥ — ١٣٢٦ كتاب سالنامة نظارة معارف عمومية — استانبول ١٣١٩ هـ .

(١٤) نفس المصدر : ٥ شعبان ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(١٥) نفس المصدر ٢٩ المحرم ١٢٨٩ .

المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية مدنية وعسكرية (١٦) ، بنين وبنات ، وعدد سنوات الدراسة بكل مرحلة ، كما احتوت على منشور نظارة المعارف باستانبول الى مدير المعارف بالولاية (١٧) بتعيين معلم ثان لمدرسة مصراته الرشدية . كذلك احتوت هذه الأوراق على منشورات بشأن مدرسة أبناء العشائر افتتاحها فى استانبول عام ١٨٩٢ م ، وشروط القبول بها ، وكيفية اختيار طلابها من بين أبناء رؤساء العشائر فى الولايات بأعداد محددة لكل ولاية (١٨) وهذه المنشورات صادرة عن نظارة الداخلية باستانبول مما يدل على طبيعة هذه المدرسة الادارية البوليسية معا .

واحتوت هذه الأوراق كذلك على منشور من نظارة المعارف العمومية باستانبول الى الوالى بضرورة الاهتمام بتعليم أطفال الأهالى الملتحقين بالمدارس الرشدية حيث يعدون للالتحاق بالاقلام والمكاتب السلطانية (١٩) اى دواوين الحكومة ، وأيضا مذكرة (٢٠) من عضوى مجلس المبعوثان باستانبول عن ولاية طرابلس الغرب تطلب استمرار صرف ايرادات الأوقاف المحبوسة على المدارس والمساجد وعدم توجيهها الى أمور أخرى ، وموافقة المجلس على هذا الطلب واحالته للصدر الأعظم لاصدار التعليمات اللازمة للولاية .

---

(١٦) نفس المصدر : مدارس البنات الابتدائية والرشدية عام ١٩٠٨ / ١٩٠٩ م ،والرشدية العسكرية للبنين عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ ، والمدارس الاعدادية للبنين ١٩٠٩ / ١٩١٠ م ، دار المعلمين ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م .

(١٧) نفس المصدر : تاريخ هذا المنشور ١٨ رمضان ١٣٢٩ هـ ، قبيل احتلال ايطاليا للولاية الذى تم فى شهر شوال من السنة نفسها ، وتعبير معلم ثان جاء من كون أن كل المدارس كان بها معلم واحد يمارس التدريس والادارة ، فاذا جاء معلم آخر (ثان) تفرغ الأول اكثر للعملية الادارية بالمدرسة .

(١٨) نفس المصدر : بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

(١٩) نفس المصدر : بتاريخ شوال ١٢٨٤ هـ .

(٢٠) نفس المصدر : بتاريخ ١٥ جمادى الأول ١٢٩٤ هـ .

٢ ـ القسم الثانى :

ويشتمل هذا القسم على أوراق تتصـــل باجراءات تعليمية داخل الولاية منها بيان « بالمكاتب المعمورة والخراب بنفس طرابلس غرب (٢١) » مقدم من الوالى فى طرابلس الى ناظر المعارف باستانبول ، وتقارير مدير المعارف عن زياراته فى عام ١٩٠٤ م لمدارس كل من مدن مصراته ، وزليطن ، ومتصرفية الخمس ، ترفع للوالى وتحفظ بادارة معارف الولاية ، ورسالة من مدير معارف الولاية الى نظارة المعارف باستانبول يطلب الاستزادة من فتح المدارس فى مختلف انحاء الولاية ، ورسالة من ناظر المعارف يرد بها على رسالة مدير المعارف بعدم توفر المدرسين حتى يتم فتح المدارس المطلوبة ، ورسالة ثالثة من مدير المعارف يؤكد لناظر المعارف بأنه من الممكن تدبير معلمين من ذوى المعرفة المتوسطة (٢٢) وأيضا تقرير صادر عن محاسبة الولاية باللغة التركية يوضح مرتبات واعداد المعلمين والموظفين ومصاريف المدرسة الرشدية بطرابلس عام ١٨٧٦ م وشهادة تخرج طالب من المدرسة الاعدادية الملكية بطرابلس عام ١٩١٠ .

وتضم هذه الأوراق كذلك تقارير عن عـــدد المدارس بالولاية تبين منها وجود دار معلمين واحدة ، ومدرسة اعدادية بنين وأخرى بنات ، ومدارس رشدية للبنين والبنات وروضة أطفال « حديقة الولدان (٢٣) » ومدارس ابتدائية فى انحاء الولاية الى جانب مدرسة يهودية والمدارس الأهلية ، كما تضمنت هذه الأوراق تشكيلا لمجلس معارف الولاية برئاسة الوالى ومجلس معارف المتصرفية برئاســـة معلم المدرسة الابتـــدائية ، وكذلك رســـالة من والى طرابلس الى الصدر الأعظم باســـتانبول عام ١٨٨٢ يطلب امداد الولاية بثلاث نسخ من كتب تعليم اللغة التركية لتعليم

---

(٢١) نفس المصدر : بتاريخ رجب ١٢٩٢ هـ ـ اغسطس ١٨٩١ م .
(٢٢) نفس المصدر : بتاريخ ٢٥ أبريل الى يونيو ١٩١١ م .
(٢٣) نفس المصدر : بتاريخ ١٩١٠ م .

الاهالى هذه اللغة ، واعلان باللغات العربية والتركية والفرنسية عن فتح مدرسة ابتدائية خاصة لتعليم اللغة الفرنسية بمكتب العرفان بطرابلس عام ١٩١٠ ، وقائمة بالكنائس والمدارس الدينية والاجنبيـــة بطرابلس القائمة بترخيص وبدون ترخيص فى عام ١٨٩١ ، وقائمة مماثلة عن مدينة بنغازى عام ١٩٠٢ .

وتضم هذه الأوراق ايضا منشورات من الوالى الى اهـل الولاية تتضمن شروط القبول بمدرسة الفنون والصنائع مؤرخ فى عام ١٩٠٩ . وتحويل الأوقاف المندرسة (٢٤) الى مدارس والزائد يباع لأحد المسلمين ويصرف الثمن على المدرسة ، وشروط الاقامة بالأقسام الداخلية بالمدارس لمن يثبت فقره وعجزه عن الصرف من التلاميذ ورســـالة من الوالى لكل متصرفيات الولاية لترشيح الطلاب وقبولهم بالمدرسة الزراعية مـــع بيان مصروفات المدرسة وانشاءاتها (٢٥) .

واشتملت هذه الأوراق كذلك على تشكيل جمعية خيرية نسائية باسم نجمة الهلال (٢٦) من عهد الوالى ابراهيم باشا وبرئاسة السيدة حرم الوالى ، تهتـــم بالتعليم ورعاية الفتيات ، ومنشـــور من الوالى الى قائد الفرقة العسكرية العثمانية يعلن عن افتتاح اول مدرسة رشدية للبنات « بعد أن علمنا أن بعض الأمراء العسكرية يبعثوا (يبعثون) بناتهم للمدارس الافرنجية (٢٧) » .

كما تضمنت هذه الأوراق تقريرا عن وجود مدرسة رشدية فى بلدة مرزق عاصـــمة فزان ، وان هناك معلم معين مـــن قبل نظارة المعارف

(٢٤) نفس المصدر : الاوقاف المندرسة تعنى الاوقاف المجهـــول صاحبها بتاريخ ٧ جمادى الآخر ١٣٢٩ هـ / ١٩ مايو ١٩٠٨ م .

(٢٥) نفس المصدر : بتاريخ ١٩٠٩ ، ١٩١١ م .

(٢٦) نفس المصدر : بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١٠ م .

(٢٧) نفس المصدر : بتاريخ ٢٤ صفر ١٣١٦ هـ / أول يوليو ١٨٩٨ م .

باستانبول (٢٨) . ومنشور من الوالى الى المتصرفات بانشاء مدرسة الفنون والصنايع الاسلامية بمدينة طرابلس (٢٩) ، وتقريرا عن هذه المدرسة يبين عدد تلاميذها وتوزيعهم على الصفوف الدراسية وأماكن ولادتهم والبلاد التى يعيش فيها أهاليهم (٣٠) . وتقريرا عن تحقيق فى مشاجرة جرت بين بواب المدرسة ومعلماتها (قسم البنات) بسبب تعديهن بالضرب على زوجته ، ومن التحقيق عرف عدد المعلمات وتخصص كل منهن (٣١) .

ومن هذه الاوراق كذلك تراخيص اصدرتها ادارة المعارف فى الولاية لفتح مدارس يهودية فى طرابلس فى اعوام ١٨٩٢ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠١، وتقريرا عن مدرسة اسرائيلية تابعة للاتحاد الاسرائيلى العالمى الذى يتخذ من باريس بفرنسا مقرا له ويسمى « الاليانس » بدأت الدراسة بها عام ١٨٩٦م بطرابلس ، يوضح عدد المعلمين فى صفوف المدرسة الخمس ومواد الدراسة بهذه المدرسة(٣٢) واحصائية بعدد المدارس القرآنية بالجبل الغربى واوجه الصرف على هذه المدارس ، وعدد المدارس المعمورة والمدارس الخراب بها والمدارس الابتدائية التابعة للمعارف فى هذه المنطقة(٣٣) ، باعتبار أن المدارس القرآنية مدارس اهلية .

كما تضمنت هذه الاوراق مشروعات لميزانية التعليم فى الاعوام من ١٩١٠ الى ١٩١٢م بفتح ٢٢ مدرسة فى ميزانية ١٩١٠ / ١٩١١ ، زيدت فى ميزانية

---

(٢٨) نفس المصدر : بتاريخ ٩ ذى القعدة ١٢٩٤ هـ .
(٢٩) نفس المصدر : بتاريخ ٥ ابريل ١٨٩٨ م .
(٣٠) نفس المصدر : بتاريخ ١٩١٠ م .
(٣١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف المعارف بتاريخ ١٩٠٢ م .
(٣٢) نفس المصدر : بتاريخ ١٩١٠ م .
(٣٣) نفس المصدر بتاريخ ١٢٨٤ هـ .

١٩١١ / ١٩١٢ م الى ٥٨ مدرسة ابتدائية وبعض المدارس الرشدية والاعدادية ، ولكن الاحتلال الايطالى أوقف هذه المشروعات عن التنفيذ . وتضمنت هذه الاوراق أيضا تقارير عن أول بعثة من خريجى أول دفعة للمدرسة الرشدية بطرابلس للالتحاق بالمدرسة العسكرية الشاهانية باستانبول(٢٤) ، وتقريرا عن ايفاد أربعة من خريجى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس للتزود بالخبرة فى معمل (مصنع) هركة والترسانة باستانبول(٢٥) ، وتقريرا عن ايفاد بعثة من خريجى المدرسة الزراعية للالتحاق بالمدارس الزراعية بتونس(٣٦) .

وتضمنت الاوراق كذلك منشورات من الوالى على رضا باشا الجزايرلى الى المتصرفيات والقضية يحث فيها الاهالى بالتبرع لفتح « ديار الاصلاحات والصنائع » لرعاية ولتعليم الأطفال الفقراء « ولاسيما الايتام منهم(٣٨) » وأن يكون التبرع مادى وعينى ومن كل قادر . ومذكرة مقدمة للوالى بصرف مكافأة متأخرة لطالب خريج المدرسة الرشدية العسكرية بطرابلس والتحق بالمدرسة العسكرية الشاهانية باستانبول(٣٩) ، ورسالة من الوالى الى ناظر المعارف باستانبول يطلب الموافقة على تعيين اثنين من العسكريين المتقاعدين فى طرابلس لتعليم اللغة التركية لتلاميذ المدارس على ان تدفع لهم نظارة المعارف مكافآت ، ورد من نظارة المعارف بالموافقة على تعيينهما ، ولكن على أن يتم تدبير المكافآت من التبرعات والاوقاف(٤٠) .

---

(٣٤) نفس المصدر بتاريخ ١٠ مارس ١٩٠٩ م .
(٣٥) نفس المصدر : بتاريخ ١٩١١ م .
(٣٦) نفس المصدر : منشور ١٤ صفر ١٢٩١ هـ / ٢٠ مارس ١٨٧٤ م .
(٣٧) نفس المصدر : منشور ٤ ذى القعدة ١٢٩٠ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣ م .
(٣٨) نفس المصدر : مذكرة بتاريخ ١٣١٣ هـ .
(٣٩) نفس المصدر : بتاريخ ١٢٦٨ هـ .
(٤٠) نفس المصدر : بتاريخ ١٢٨٤ هـ .

وتضمنت أوراق هذا القسم ايضا تقريرا عن التعليم فى متصرفية بنغازى ونواحيها ، موضحا به عدد المدارس الابتدائية والقرآنية ومدارس اليهود والمالطيين والايطاليين الكاثوليك ، مع وجود مدرسة رشدية واحدة معطلة بسبب عدم وجود معلم(41) ، وتقريرا عن تقدم العملية التعليمية بمدرسة الفنون والصنائع كتبه اثنان من الرحالة الانجليز زارا مدينة طرابلس قبيل الاحتلال الايطالى للولاية . واعلان مسابقة للمتقدمين لتدريس اللغة التركية بالمدارس الرشدية عام ١٨٨٧م وتنظيم احتفالات بالحدائق العامة بمدينة طرابلس على أن ينفق دخل الحفل على المدارس الخاصة بالولاية(42) .

٣ ــ القسم الثالث :

تحتوى أوراق هذا القسم على طلبات الاهالى فيما يتصل بالتعليم ، واول هذه الطلبات « استرحام » مقدم من مدير ناحية تاجورة الى والى الولاية يرجو تحرير المكاتبات التى ترد اليه من الولاية باللغة العربية لعدم معرفة احد فى الناحية باللغة التركية(43) ، ورد الوالى بأن استعمال لغة أخرى فى المخابرات والمعاملات الرسمية يتنافى مع القانون الاساسى الذى أقسمنا على مراعاته ، وبما أن تأسيس دوائر للترجمة يستوجب الكثير من المصاريف واضاعة الوقت فقد رفضت الفقرات الخاصة بمسألة اللغة . (رسالة الوالى احمد فوزى عام ١٩٠٩ م) ، واسترحام آخر من معلم فى بلدة تاجورة ايضا يطلب اعفاءه من دفع الضرائب لأنه معلم مدرسة قرآنية أهلية وغير قادر على دفع الضرائب المطلوبة (٤٤) . واسترحام آخر مقدم لمدير المعارف

---

(٤١) نفس المصدر : رسالة الى الوالى بتاريخ ٦ ذى القعدة ١٣١٦ هـ .

(٤٢) نفس المصدر : اعلان عن الألعاب التى تشملها الاحتفالات بتاريخ ١٩٠٦ م .

(٤٣) نفس المصدر : رسالة من المواطن رمضان الشريف الى الوالى

(٤٤) نفس المصدر : رسالة من المعلم احمد شريف المغربى الى مدير معارف الولاية بتاريخ ١٢٩٨ هـ .

من أحد المعلمين يطلب نقله الى مدينة طرابلس فى المكان الذى خلا بوفاة أحد المعلمين بالمدرسة الرشدية(٤٥) .

كما تحتوى أوراق هذا القسم على طلبات أهل قضاء الزاوية الغربية بفتح مدارس ابتدائية اضافية للبنين ، ومدارس للبنات لعدم وجـــود تعليم للبنات ، وفرع لمدرسة الفنون والصنائع ، واصلاح مبانى المدرسة وتعيين مفتش لمراقبـــة التعليم بالقضاء(٤٦) ، وطلب من أهل غدامس بالجبل الغربى مؤيد من مجلس القضاء هناك مرفوع الى والى طرابلس بالموافقة على فتح مدرسة قرآنية على سطح شارع مسقوف يمر الناس من تحته(٤٧) ، ومذكرة من أهالى النواحى الاربعة الى الوالى بطلب فتح واصلاح مدارس تعليم الصبيان مع استعدادهم لجمـــع التبرعات وبناء المدارس وعلى ادارة ــ المعارف تدبير المعلم اللازم(٤٨) ، وطلبات أخرى كثيرة مرفوعة الى الوالى من مختلف المتصرفيات والاقضية توضح استعداد الأهـــالى للتبرع لبنـــاء المدارس وترجو من الولاية الموافقة على فتحها وتعيين المعلمين اللازمين لها .

ومما يجب ملاحظته بالنسبة لوثائق ملف المعارف ــ بل ولاوراق الملفات الأخرى بصفة عامة ــ أنها غير متكاملة وغير متتابعة ، بمعنى أن موضوعاتها غير متكاملة بل متناثرة ولا تكمل كلا واحد ، وبدون الاستعانة بمصادر أخرى مكملة يصعب فهم الموضوع الذى تتناوله وثائق متفرقة غير متكاملة ، كمـــا أن عـــدم تتابع الوثائق مع مرور السنوات يعطى فجوات تحتاج الى جهـــد

---

(٤٥) نفس المصدر : بتاريخ فبراير ١٩٠٩ م .
(٤٦) نفس المصدر : بتاريخ ٢٩ ذى الحجة ١٢٨٠ هـ .
(٤٧) نفس المصدر : رسالة قائمقام غريان الى والى طرابلس فى ١٨٩٢ م .
(٤٨) نفس المصدر : مرفوعة من مجلس المعارف المشـــكل حديثا بقضاء النواحى الأربعة .

لكى يستطيع الباحث ان يستكمل هذا التتابع الزمنى لموضوع بحثه ، حتى يدرك تطور الأحداث تطورا تدريجيا ، تظهر فيه الاستمرارية الموضوعية .

كما ان هـــذه الوثائق كتبت فى معظمها الغالب باللغـــة التركيـــة ، وقليل منها الذى كتب باللغة العربية ، وهى اساسا طلبات الأهالى ومدراء النواحى من المواطنين ، وبعضها كتب باللغتين التركية والعربية معـــا ، وليس من السهل تحديد الزمن الذى بدات فيه عملية الازدواجية فى الكتابـــة باستخدام اللغتين معا ، ولربما حدث هذا من كثرة التبرم باللغة التركية التى يجهلها الأهالى فى استرحاماتهم ومدراء النواحى فى رجواتهم .

ثالثا : ملف الضرائب

يشتمل هذا الملف على اوراق تتعلق بعملية تقدير الضرائب عن طريق التخمين بعد معاينة المزروعات من قبل الموظفين المختصين من كتبة ومخمنين ومامورين (٤٩) ، وذلك من اجل «ضبط عشر كافة المزارع بلا استثناء على وجه الحقانية والعدالة من غير ضياع لحق الخزينة او عذر لجانب الأهالى ، وكلما تخرص مزروع فى الحال يقع بمحضر صاحبه او وكيله أو شيخه أو جاره(٥٠). واوراق تسجل اعداد الأغنام سنويا لحساب الضرائب عليها ، وكذلك أعداد شجر الزيتون ، وقوائم بعدد النخيل ، كل ذلك من اجل حصر أوجه فرض الضرائب ، وتدل وثيقة على ان النخيل الذى يستخرج منه اللاجبى كانت تفرض عليه ضريبة اضافية .

ويتضح من عملية التقدير هذه كما جاءت فى وثائق ملف الضرائب ان الحكومة كانت تجمع ما عرف بالعشر الشرعى ، اى عشر المحاصيل عينـــا او ثمنه نقدا . وكانت اهم الضرائب التى دلت عليها وثائق هـــذا الملف ضريبة الويركو وهى التى يدفعها كل ذكر بالغ . وتظهر الوثائق انها تراوحت

---

(٤٩) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس — ملف الضرائب .

(٥٠) نفس المصدر : ملف الضرائب .

بين ٢١ قرشا و ٥٩ قرشا من منطقة لأخرى ، وضريبة على الحيوانات وعلى الأشجار والآبار الى جانب ضريبة العشر المشار اليها وضرائب على المعفين من اداء الخدمة العسكرية وتشير الوثائق الى ان اليهود هم الذين كانـوا يدفعونها عن كل فرد ٣٠ قرشا ، وضرائب على أرباح التجار واصـحاب الدكاكين ، وتدل الوثائق على أن التجار الاجانب كانوا معفون منها — الى جانب الضرائب المقررة على المعادن الثمينة وغيرها — هذا فضلا عما تشير اليه الوثائق من تحصيل أموال من ايجار الاراضى الزراعية والغابات أو بيعها للناس ، وقد صدر عن نظارة المالية باستانبول منشور(٥١) بهذا الخصوص استند الى قانون ملكية الاراضى الصادر عـام ١٨٥٨م فان كل مواطن فى الولاية يسجل حدود ملكيته الزراعية او الرعوية حتى يمكن جباية ضريبة على العشر على ارضـه .

ويتضمن هذا الملف كذلك أوراقا عن الضرائب التى تجبى من التجار وهذه الاوراق عبارة عن سجلات بها اسم دافع الضريبة وديانته ورعويته ومسقط راسـه وحرفته ومحل سكنه ومحل عمله ومقدار ما يؤخذ منه ، واظهرت هذه السجلات ان الضريبة على هؤلاء التجار كانت تتراوح بين ٥ قروش فى السنة للتاجر الصغير و١٠٠ قرش فى السنة للتاجر الكبير . كمـا تكشف قائمة بأسماء التجار الكبار فى طرابلس عام ١٩٠٨ عن وجـود ٥٠ تاجرا منهم تسعة من التجار اليهود ، وتكشف سجلات دائرة الجمارك لعام ١٩١٠م عن وجود ٦٤٦ تاجر منهم ٥٦ تاجر ايطالى و٧٤ من رعايا بريطانيا و٤٤ من رعايا فرنسا و٩ يونانيون و٥ المان والباقى وقدره ٤٥٨ تاجرا من اهل الولاية(٥٢) .

وحظيت مسألة الاعفاء من الضرائب بأوراق عـدة فى هذا الملف منها

---

(٥١) نفس المصدر : ملف الضرائب — أوراق المالية والتجارة .
(٥٢) نفس المصدر : ملف الضرائب .

استثناء المسجونين والعميان والمعلونين والمقعدين وطلاب المدارس والمعلمين والائمة والمخاتير(٥٣) من ضريبة بدل الطريق التى تجبى من المكلفين من سن العشرين الى سن الستين من الأحياء الأصحاء والتى مقدارها ١٢ قرشا سنويا . كما كان التجار الاجانب معفون من الضرائب المفروضة على التجار الوطنيين من اهل الولاية .

وكانت هناك فئات اخرى تتمتع بالاعفاء من الضرائب اثبتتها الوثائق وحددت المستفيدين من الاعفاء من « المرتبات الميرية والاعشار الشرعية ، كل من أظهر خدمة وصداقة فوق العادة للحكومة السنية ، او من كان مشتغلا فعلا بتعليم القرآن وتدريس العلوم(٥٤) » ونظرا لأن البعض استفاد من هذه الاعفاءات بحكم الوراثة ، اى كان ابنا او حفيدا لشخص تمتع بالاعفاءات لانطباق الشروط عليه ، او استفاد بحكم علاقاته بالوالى او برجاله ، فقد وجدنا مرسوما عليه توقيع الوالى احمد راسم بتحديد الاشخاص الذين تنطبق عليهم شروط الاعفاء من الضرائب ، وحجب الاعفاء من غيرهم ، وتشير رسالة مقدمة من طبقة القولوغلية الى الوالى يطلبون فيها استمرار اعفاءهم من الضرائب لأنهم تعودوا على ذلك(٥٥) ، بعد أن شملهم قرار الحرمان من الاعفاءات .

ومن الأمور الملفتة للنظر أن أوراق الضرائب اشتملت كذلك علىكفالات يقدمها جميع موظفى المالية ابتداء من الدفتردار — رئيس الجهاز المالى — وهذه الكفالات يقدمها جباة الضرائب وموظفو الاملاك ومأمورو الحجوزات ، ورئيس محكمة التجارة ومدير دائرة الاملاك وغيرهم ، وهى كفالات مالية

---

(٥٣) نفس المصدر : ملف الضرائب .

(٥٤) نفس المصدر : ملف الضرائب .

(٥٥) نفس المصدر : عريضة القولوغلية بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٨٩٩ م — ملف الضرائب .

من كفيل ذو حيثية ، يتعهد الكفيل فى الكفالة : اداء وغـــرم بحيث لو دخـــل فى ذمته — اى الموظف — شيء من الاموال الأميرية والاعشار الشرعيـــة أو اموال القول اوغلية فانى انا المسئول والمطالب بذلك (٥٦) .

وهكذا تظهر لنا الوثائق الخاصة بالضرائب والمودعة فى ملف الضرائب بعض ما يتعلق بالضرائب ، وتنقص عن أن تكمل لنا البعض الآخـــر ، وما ذلك الا لأن هذه الوثائق لم يتم جمعها كلها ، وحتى ما تم جمعه منها لم يتم تصنيفه ومازال فى اجولة بمخازن الدار ، ويحتاج من الباحثين الى جهد كبير حتى تكتمل الصورة ويتسلسل الموضوع الذى يمكن ان خدمه وثائق الاقتصاد والضرائب.

رابعا : ملف الزراعـــة

احتوى هذا الملف على اوراق قليلة بالمقارنة بأوراق الملفات الاخرى ، وذلك نظرا لأن الزراعة فى الولاية لم تكن مزدهرة تمامـــا بسبب اتســـاع المساحات الصحراوية وضيق المساحات القابلة للزراعة وتمركزها على الساحل الشمالى ، واعتمادها على مياه الامطار التى هى مصـــدر غير ثابت وغـــير كاف طوال العام لانتاج زراعى متنوع وغزيز ، بالاضافة الى قلة عدد السكان بالنسبة لمساحة الولاية ، وان كانت هذه القلة تتناسب مع المساحة القابلة للزراعة من أرض الولاية ، وتتناسب مع المياه المتوفرة ســـواء مياه الامطار — وهى المصدر الاساسى للرى — أو مياه الابار — التى كثيرا ما تتعرض للجفـــاف .

ولكننا وجدنا فى أوراق هذا الملف ما يشير الى امتداد الاراضى الزراعية على طول الساحل سواء فى اقليم طرابلس او متصرفية بنغازى فيما يعرف بالجبل الاخضر . كما اوضحت أوراق أخرى أن الاراضى الزراعية قسمت الى ثلاث درجات عليا ووسطى ودنيا وذلك حسب جودة الارض وخصوبتها

(٥٦) نفس المصدر : صور هذه الكفالات موجودة بملف الضرائب وملف الادارة .

ووفرة انتاجها ، ووجدنا احصائية ترجع لعام ١٩١٠م توضح أعداد الاشجار المزروعة فى المنطقة الممتدة بين العزيزية وغريان بحوالى عشرة آلاف شجرة من اشجار التين والخوخ والمشمش واللوز والزيتون(٥٧) وتشير أوراق اخرى(٥٨) الى أن الولاية فى عهد احمد راسم باشا حاولت زراعة القهوة وتم احضار بذورها من اليمن ومعها خبير يمنى فى زراعتها لتجربة زراعتها فى أودية مسلاته وغريان والجبل الاخضر .

وتشير اوراق اخرى الى ان مطرا غزيرا هطل على مرزق بغزان فى ١٦ مارس ١٩١١ مما عرض مبانى البلدة للانهيار وكذلك المعسكر الحربى بالبلدة ، وفى رسالة من المتصرف يفهم منها سبب انهيار هذه المبانى عند سقوط هذا المطر غير المتوقع بأن المبانى مقامة من التراب المخلوط بالملح ، فاذا ابتلت الجدران بمياه الامطار ــ كما حدث ــ ثم طلعت عليها الشمس تنهار فى الحال .

وتظهر أوراق أخرى توفر الحيوانات بالولاية . وتشير هذه الاوراق الى أعداد الجمال ، واعداد الخيول فى الولاية ، وان كانت هذه الاوراق لم تحدد ما اذا كانت الاعداد التى ذكرتها تشمل كل انحاء الولاية أم قاصرة على متصرفية طرابلس فقط ، كما سجلت هذه الاوراق اعداد الاغنام والابقار وشكوى الاهالى بهلاك حيواناتهم فى سنوات القحط حيث تتعرض هذه الحيوانات للجوع والعطش .

وتشير اوراق هذا الملف كذلك الى لجوء الولاية الى انشاء ما يمكن تعريفه بمفهومنا المعاصر بالجمعيات التعاونية الزراعية أو بنك التسليف الزراعى التعاونى ، ذلك أن حكومة ولاية طرابلس الغرب أنشأت ما عرف ــ

---

(٥٧) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : ملف الزراعة تحت رقم ٢٨ بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٠٧ هـ .
(٥٨) نفس المصدر : ملف الزراعة .

باسم صندوق المنافع العمومية للتسليف الزراعى عام ١٢٨٦هـ(٥٩) لتقديم خدمات للمزارعين ، على ان يشترك فيه المزارعون فى تكوين راس مـــال يلجأ الى الاقتراض منه المزارعون المحتاجون . وفى حالة عجز المزارع عـــن تسديد ما اقترض من الصندوق فى الموعد المحدد يتم بيع ارضـه وفـــاء للدين.

ومما تجدر الاشـارة اليه أن الولاية شـهدت محاولات من قبل بعض الولاة للاهتمام بالزراعة فكما اشارت الوثائق الى اهتمام احمد راسم بالزراعـــة والنهوض بالمزروعات وتنويعها ، فقد سجلت الوثائق للوالى على رضا باشا حث الاهالى على الاشتراك فى تشجير التلال المحيطة بمدينة طرابلس لحماية المدينة من الاتربة التى تثيرها الرياح وتحملها من هـــذه التلال الى المدينـــة ويبدو ان هذه الدعوة المنطلقة من الوالى لم تعجب البعض من اهـــل الولاية لاننا راينا احد الشعراء الشعبيين (الزجالين)يهاجم دعـــوة الباشــــا بقصيدة منهــــا :

« على باشا مهبول صحيح   بيعاند فى الرملة وفى الريح »(٦٠)

وتروى الاوراق أن الباشا استدعاه وانبه على ما قاله من شعر هجائى.

خامسا : ملف تجارة العبيد

تتضمن أوراق هذا الملف ما يشير الى وجود تجـــارة الرقيق وامتلاك أهل الولاية لأرقاء منذ ان كانت تجارة القوافل تشملهم فيما تشمل من بضائع من وسط أفريقيا وغربها ، ومن هذه الاوراق منشور من الدولة العثمانيـــة الى الولايات(٦١) تطلب وقف عملية الاتجار فى الرقيق وتحرير الرقيق المملوك

---

(٥٩) نفس المصدر : ملف الزراعة .
(٦٠) نفس المصدر .
(٦١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ملف تجارة العبيد ، المنشور بتاريخ ١٢٨٠ هـ .

للأحرار ، وذلك تمشيا مع قرار مؤتمر فينا عام ١٨١٥م بتحريم الرق ، وتبنته الدولة العثمانية مسايرة للدول الأوروبية .

ومن هذه الاوراق كذلك منشورات صادرة فى طرابلس الغرب الى المتصرفيات والاقضية تطلب التشديد فى مكافحة الرق ، منها منشور من الوالى الى قضاء غريان والى قضاء غزان يطلب تعقب المتاجرين بالرقيق وضرورة ارسال الرقيق الموجود بالاقضية لكى يتسلموا أوراق العتق من الولاية(٦٢) ومنشور آخر من الوالى الى قائمقام غريان يطلب منه توقيع العقوبات على المخالفين لأمر المكافحة ، والاعتناء وبذل الهمة لاستكمال أسباب المحافظة التامة على هذا المنع من كل بد ، « لأنه بلغنا انه يجلب خفية مع قوافل السودان بعض الرقيق الزنجى من السودان ويباع آحادا وأزواجا داخل الولاية ، واذا حدث هذا الأمر يكون مخالفا للأمر القطعى بالمنع وموجب للمسئولية الشديدة ضد موظفى الدولة الذين يغمضون العين ويتسامحون مثقال ذرة فى هذا الصدد »(٦٣) . بناء على منشورات الوالى للمتصرفيات والاقضية بادر كل متصرف أو قائمقام بنشر اوامر الوالى على الاهالى والكتابة بذلك كتلك الرسالة الموجهة من قائمقام غدامس الى الوالى(٦٤) .

ومن أوراق هذا الملف يتضح تدخل قناصل الدول الاوربية لدى الولاية من اجل تطبيق قرار الغاء الرق ، مما دعا بعض الموظفين فى الولاية الى استنكار تدخل القناصل فى هذا الموضوع الداخلى ، « وانه يجوز ان يذهب

---

(٦٢) نفس المصدر : من الوالى احمد راسم بتاريخ ٢٧ شوال ١٣٠٤ هـ .

(٦٣) نفس المصدر : من الوالى احمد راسم بتاريخ ١٢ جماد الأول ١٣١١ هـ .

(٦٤) نفس المصدر : رسالة من قائمقام غدامس الى الوالى بتاريخ ١٩ صفر ١٢٨٠ هـ .

العبيد الى القناصل لأن الدولة تستطيع ان تحررهم(٦٥) . والبعض الآخر يفخر بانتهاء تجارة الرقيق فى دائرته التى اصبحت خالية من اى عبد ، وهذه ثمرة تطبيقات القانون قبل عدة سنوات (٦٦) . وكان الوالى قد بعث برسالة الى نظارة الداخلية باستانبول يحدد فيها عدد الرقيق المحررين نتيجة لسياسة المنع بـ ١٤٢٠ شخصا(٦٧) .

ويلاحظ من استعراض أوراق تجارة العبيد انها غير كاملة ولا شاملة لدراسة موضوع كهذا ، ومن ثم يجد الباحث صعوبة فى الاعتماد على هذه الاوراق القليلة وحدها كمصدر لكتابة بحثه ، اذ لابد له من الاستعانة بمصادر أخرى مكملة ، وما ذلك الا كما سبق أن قلت بسبب ظروف دار المحفوظات التاريخية والقصور الذى تعانيه .

سادسا : أوراق عبد السلام ادهم

تتناول هذه الاوراق كل ما جمعه الحاج عبد السلام ادهم الموظف بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس من وثائق اخرجها من اجولتها ووضعها فى ملفات دون تصنيف ، الى جانب اعادة كتابة الوثائق الممزقة منها او التالفة بسبب المياه أو سوء التخزين ، بالاضافة الى ترجمة الوثائق التركية الى اللغة العربية ، وقد بلغت تلك الوثائق بالمئات وتستحق أن تسمى باسم الانسان الذى بذل فيها هذا الجهد من حفظ وكتابة وترجمة حتى يمكن للباحثين الاستفادة منها ، وان كان يقلل من سهولة البحث فيها اشتمالها على موضوعات معينة غير مصنفة وان كانت معلومات كثيرة ..

وقد احتوت هذه الاوراق على وثائق تتعلق بالنواحى الادارية مثل

---

(٦٥) نفس المصدر : من تقرير لمتصرف الخمس بتاريخ ١٣٠٢ هـ الى الوالى .

(٦٦) نفس المصدر : من تقرير لمتصرف الجبل الغربى مرفوع للوالى فى ١٣٢٥ هـ .

(٦٧) نفس المصدر : الرسالة بتاريخ ٦ شعبان ١٣٠٦ هـ .

الاوراق الخاصة بانشـــاء المجالس البلدية فى مدن الولاية ، وكانت بلديـــة طرابلس اولها فى عهد الوالى على رضـــا باشا الجزايرلى(٦٨) ثم مدينـــة الخمس فى شهر محرم ١٢٩٠هـ الموافق مارس ١٨٧٣م وتلى ذلك مجالس بلدية فى بقية بلاد الولاية ، وتدل الوثائق على تشكيل مجالس بلدية فى انحاء الولاية خلال اعوام ١٨٨٢م ، ١٨٨٣م ، ١٨٨٤م حتى عام ١٨٩٤ فى عهـــد الوالى احمد راسم ، ووثيقة مسجل بها نتائج انتخابات البلدية فى مدينـــة طرابلس والنواحى الاربعة وعدد الاصوات التى نالها كل عضو(٦٩) .

واحتوت هذه الاوراق كذلك على الانشاءات التى تم بناؤها فى انحـــاء الولاية اى فى البلاد التى صارت بها مجالس بلدية ولكن على نفقة البلديات. ويتضح من هذه الانشاءات احتواؤها على فنادق ومدارس وقصـــور للحكومة ومساجد ودوائر الملكية الشرعية والعدلية والضبطية مع عنبر للعساكر ولكل من ارباب الجنح والجنايات وبئر وغيره مجموعها ثلاث وعشرون حجـــرة مع مشتملاتها(٧٠) . وكذلك اوراقا تظهر شكر الناس على ما قام به احمـــد راسم باشا من اجراءات للتخفيف عنهم كحفر الابـــار وحماية السقايين وبناء المستشفى بمدينة طرابلس لمعالجة فقراء الاهالى والغـــرباء الآتين مـــن خارج المدينة ، وانشاء برج الساعـــة بالمدينة بتكاليف سجلتها الاوراق(٧١) .

كما تذكر هذه الاوراق بيانات عن مشروعات الوالى ابراهيم ادهم باشا لتمهيد الطريق بين طرابلس الى الخمس ، ومن الزواية الى يفرن ، وعـــن

---

(٦٨) دار المحفوظات التاريخية ، اوراق عبد السلام ادهم ، تشكل مجلس بلدى طرابلس فى شهر ربيع الاول ١٢٨٥ هـ / يوليو ١٨٦٨ م .

(٦٩) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، اوراق عبد السلام ادهم ، تاريخ الوثيقة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

(٧٠) نفس المصدر : تقرير من بلدية زليطن بتاريخ ١١ رجب ١٣١١ هـ .

(٧١) نفس المصـــدر : التقرير عن تكاليف برج الســـاعة بتاريخ ٢٣ اكتوبر ١٨٩٧م .

تجديد حفر بئر سيدى المصرى بمدينة طرابلس وتجديد انابيب ميـــاهه(٧٢) . كما تذكر معلومات عن تخلف وسائل الاتصال بين مركز الولاية والمتصرفيات والاقضية ، وطلب اتخاذ اللازم لجعل الاتصـالات اسرع . بحيث تنقص من ستين يوما الى خمسة وعشرين يوما وذلك كما جاء فى رسالة متصرف غزان الى الوالى(٧٣) .

وتحوى هذه الاوراق كذلك على رسائل متبادلة بين الوالى حسن حسنى (١٩٠٢ — ١٩٠٣) وناظر الداخلية باستانبول بخصوص تعيين المتصرفـــين مشيرا الى طلب النقل الذى وجهه اليه متصرف الجبـــل الغربى برغبته فى مكان معتدل الطقس ، وهذه الرسائل توضح سوء الادارة حيث اشـــار الوالى فى رسالته الى أن هؤلاء المتصرفين « تصـــدهم الترقية لدرجة ووظيفة اعلى ، وبعد البقاء عددا من الشهور يقدمون عرائض ينتحلون فيهـــا اعذارا واسبابا لنقل وظائفهم للأمكنة التى يرغبـــون فيها »(٧٤) . ووثيقـــة مرفوعة من الوالى نفسه الى ناظر الداخلية يطلب تحويل بلدة العزيزية من مديرية الى قائمقامية بناء على طلب الاهالى المرفق(٧٥) .

كما تظهر هذهالاوراق طلبات الاهالى بتعيين القائمقامين ومدراء النواحى ومن يعاونهم من الموظفين من أهل البلاد لمعرفتهم بأحوالها ، ولكن هـــذه الطلبات لم تعرها سياسة جماعة الاتحـــاد والترقى اى اهتمـــام وجـــاءت التعيينات مـــن استانبول من غـــير اهل البلاد مما دفع الاهـــالى الى كتابة

---

(٧٢) نفس المصدر : اتفاقية بين الوالى واحد الفرنسيين بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩١١م .

(٧٣) نفس المصدر : الرسالة بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٠١ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٨٩ م .

(٧٤) نفس المصدر : تاريخ الرســـالة من الوالى لناظر الداخلية ٩ جمادى الآخرة ١٣٢٠ هـ ٨ سبتمبر ١٩٠٢ م .

(٧٥) نفس المصـــدر : تاريخ تقديم طلب الاهالى ١٨ ربيع الاول ١٣٢١ هـ الموافق ١ يونيو ١٩٠٣ م .

رسائل اخـرى الى المقام السامى للصـــدارة العظمى باستانبول يطلبون اصـــدار الامـــر لتعيين اهـــالى الولاية(٧٦) . وهناك اوراق مقـــدمة مـــن اعضـــاء المجلس العمومى يقترحون بعض الاصـــلاحات الادارية والعمرانية فى منطقـــة غدامس(٧٧) .

واحتوت هـــذه الاوراق أيضـــا على رسائل تتعلق بالامـــن — منها رسالة وكيل متصرفيـــة غزان الى الوالى يطلب تشكيل الشرطة الهجـــانة لأن الأمـــن اختل فى البـــلاد وكثر قطاع الطـــرق والمغيرين على الطرق والقرى والنواحى (٧٨) وسجلت اوراق اخرى بعض القـــرارات الادارية كقـــرار مجلس ادارة الولايـــة بنقل مركز متصرفية الجبـــل الغربى من يفـــرن الى زواغـــة ، ومذكرة مقـــدمة من اهالى يفرن(٧٩) وتعليق مجلس الادارة عليها بتمسكه بقـــرار النقل . وتقـــرير عن محاكمة الشيخ محمد الهاشمى التونسى صاحب جريدة ابى قشة بسبب نقـــده للجنة التنسيق التى يراسها الوالى ، جاء فى التقرير ان مجلس الادارة « منصوب بيد الاستبداد وبدون انتخـــاب من الاهـــالى فهم مغصوبون وبقاءهـــم فيه رغمـــا عن الأنـــوف ومنـــاف للمشروطية(٨٠) .

كما احتوت هـــذه الاوراق على مذكرة مقـــدمة من الوالى الى ناظـــر الداخلية باستانبول بشـــأن الخـــلاف الذى وقع بين وكيل قائمقام غدامس الذى عينته الولاية من اهـــل البـــلاد وبين يوزباشى المساحـــة الفرنسية بسبب الخـــلاف حول الحـــدود بين تونس وغدامس ، ويطلب الوالى الغاء

---

(٧٦) نفس المصدر : تاريخ الرسائل بدءا من يناير ١٩٠٨ فى عهد ولاية المشير رجب باشا .

(٧٧) نفس المصدر : ١٩٠٩ م .

(٧٨) نفس المصدر : بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٠٩ م .

(٧٩) نفس المصـــدر : المذكرة بتاريخ ١٦ مارس ١٩١٠ م ، ١٨ ربيع الأول ١٣٢٨ هـ .

(٨٠) نفس المصدر : التحقيق فى المدة من ٣٠ يناير ١٩٠٨ م .

تعيين الوكيـــل وتعيين من يحـــل محله(٨١) . وهذا يدل على ان تعيينات حتى مثل هـــؤلاء الموظفين غـــير الكبار تتم عن طريق استانبول . واحتوت هـــذه الاوراق كذلك على رســـالة من الوالى رجب باشـــا الى الديـــوان الملكى باستانبول يطلب فيهـــا تأسيس فـــرع للأمـــلاك السلطانية فى ولاية طرابلس الغـــرب ، تكون مهمته الاولى شراء الامـــلاك التى يراد منـــع بيعها للاجانب على أن يتوســـع تدريجيـــا فى نشاطه ، حماية لاراضى الاهالى السذج من الوقوع فى قبضة البنوك والقناصل الأجانب (٨٢) .

واحتوت أوراق الحـــاج عبد السلام ادهـــم كذلك على وثائق تتصل بعملية التعليم فى الولاية ، فنجد قرارا صادرا عن مجلس ادارة الولاية بالموافقـــة على اقتراح مجلس ادارة مدرســـة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس بفرض عشرة قروش لصالح المدرســـة عن كل نخلة يتم قطعها لاستخراج اللاجبى منها ، وميزانية المدرســـة المخصصة لها من ايـــرادات البلدية ومـــن تجارة الحلفا ومـــن بيع اللحوم ، وخطـــة الدراســـة بهذه المدرســـة .

كما احتوت أوراق أخـــرى فى عهـــد حافظ باشـــا على وثائق تتعلق بانشاء دار للمعلمين بطرابلس فى عـــام ١٣١٩ هـ الموافق يناير ١٩٠١م ، وتأسيس ادارة معارف فى طرابلس ، ورسائل متبادلة بين المعـــارف بالولاية وناظر المعارف فى استانبول بخصوص تعيين مساعد للتسجيل (٨٣) وبتوسيع مدرســـة الخمس الرشديـــة(٨٤) ، وانشاء مدرســـة رشديـــة واخـــرى

---

(٨١) نفس المصدر : تاريخ الرسالة ١ يناير ١٩١١ م .

(٨٢) نفس المصدر : رسالة المشير رجب باشا بتاريخ ١٤ يناير ١٩٠٧ م .

(٨٣) نفس المصدر : الرسالة بتاريخ ربيع الآخر ١٣٢٠ هـ .

(٨٤) نفس المصدر : الرسالة بتاريخ ٥ المحرم ١٣٢٠ هـ .

ابتدائية فى يفرن — ومدارس ابتدائية فى كل من جادو وغدامس وككلة (٨٥) ، كما تتضمن هـذه الاوراق أمـرا من الوالى الى ضباط الحاميـة العثمانية بالولاية يخبرهـم بافتتاح مدرسـة رشدية للبنات حتى لا تلتحق بناتهم فى المدارس الاجنبية بالولاية ، بناء على الارادة السنية السلطانية(٨٦) .

كمـا احتوت هـذه الاوراق على أوراق تغيير افتتاح مدرسة للبنات فى عهـد المشير رجب باشـا عام ١٩٠٤م وخطـة الدراسة بها وتشكيـل لجنة الامتحان بها ، وأوراق بافتتاح مدرسة ابتدائية بمدينة الخمس عـام ١٩٠٧م ، — واستعمال الآلة الكاتبة فى طرابلس وشراء أول آلة كاتبة(٨٧) ، وأوراق تسجل اعـداد الطـلاب فى المدارس الفرنسية خـلال السنوات من ١٩٠٧ الى ١٩١٠م واحضـار الوالى محمود نديم باشـا مطبعة بالحـروف جعل مقرها فى قصر الولاية بالسراى الحمراء بالقلعة (٨٨) .

كما احتوت هـذه الاوراق على قـرارات صـدور صحف بطرابلس مثل صحيفة الترقى التى كانت تصـدر يوم السبت من كل أسبوع ، وصحيفة أبى قشة التى كانت تصـدر كل ثلاثاء ، وجـريدة فاتح باللغة التركيـة وكانت تصدر يوميا .

واحتوت أوراق الحاج عبد السلام ادهـم على وثائق خاصة بالمسائل الماليـة مثل تلك التى تشير الى العمـل على الزيادة فى جبـاية الضرائب ، « بفضل تشجيع مقام الصدارة العظمى فى ظل حامى التقدم جناب السلطان(٨٩)

---

(٨٥) نفس المصدر : تقرير متصرف الجبل الى مدير معارف الولاية فى عام ١٩٠٠ م .

(٨٦) نفس المصدر : رسالة من ناظر المعارف باستانبول تحمـل الادارة السنية بانشاء مدرسة للبنات بالولاية بتاريخ ١٣ رمضان ١٣١٩ هـ .

(٨٧) نفس المصدر : رسالة رقم ٩٤ بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٠٦ م .

(٨٨) نفس المصدر : بدات المطبعة عام ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م .

(٨٩) نفس المصدر : من رسالة للوالى احمد راسم باشا الى الصدر الاعظم باستانبول فى ٢١ شعبان ١٣٠١ هـ .

كما تشير الى تنوع هـــذه الضرائب بفرضها على كل زيتونة وكل نخلة ، وكل شـــخص مكلف صائم ، وشجرة تين ، بل على الماء الجـــارى ، وتلك تتعلق بالموظفين المسئولين عن جمع الضرائب ورغبة الباب العالى فى احالة أمور الجباية الى موظفى المالية مع اعطائهم استقلالا فى ادارة اعمالهم ، ورد من الوالى بأن أغلب محاسبى الولاية مرتشين(٩٠) .

كما تضمنت هـــذه الاوراق على جـــداول للمصروفات فى الولاية اتضح منها كبر المبالغ المرسلة الى استانبول تحت بند الشئون العســـكرية بينما أظهرت جداول المصروفات ان رواتب الموظفين فى الولاية الشهرية تحتل أرقامـــا تفـــوق ما عداها ، مما يؤكـــد أن ما يصرف على الخدمات فى الولاية كالتعليم والصحة وغيرها قليل وغير واضـــح وهناك وثيقـــة عن رواتب الموظفين الشهرية عبـــارة عن جـــدول حدد مرتبات كل من الوالى وكبـــار موظفيه فى مركز الولاية مثل مدير التحريرات ، وقلم التحريرات ، وقلم الاوراق، ومجلس الادارة ، ومدير النفوس ومأمور الجوازات ، ومدير الشئون الاجنبية ومرتبات مأمورى الالوية الملحقة وهم متصرف غزان (من الدرجـــة الاولى) ومتصرف الخمس (من الدرجة الثانية) ومتصرف الجبل الغربى (من الدرجة الثالثة) . الى جانب مديرى الدوائر والتحريرات . وكتاب مجلس الادارة ، ومأمورى النفوس وكتابها . ومرتبات مأمورى الاقضية وهم خمسة مناقضية الدرجـــة الاولى ، واثنا عشر من اقضية الدرجـــة الثانية ، وثلاثـــة من اقضية الدرجـــة الثالثة ، وكتبة التحريرات ومأمـــورى وكتاب النفوس ، ومرتبات مأمورى النواحى وهم : سبعة من نواحى الدرجـــة الاولى ، وتسعة من نواحى الدرجـــة الثانية ، وثلاثة من نواحى الدرجـــة الثالثـــة وكتاب النواحى ، ومتفرقات مثـــل ، مرتبـــات المستخدمين ورؤســـاء العشـــائر واللوازم والنثريات والســـجون ، وطبيب الجبـــل ، واجـــور تعيينـــات

---

(٩٠) نفس المصدر : رسائل متبادلة بين الوالى والباب العـــالى فى عام ١٨٩٥ م .

ومصالحة[٩١] .

وان دل هذا الجدول على شيء فانما يدل على تنظيمات الولاية الادارية وتقسيماتها الى درجات وانواع الوظائف الموجـودة بكل من مركز الولايـة (مدينة طرابلس) والمتصرفيات والاقضية والنواحى ، ولكنها لا تشتمل على متصرفية بنغازى .

واحتوت اوراق عبد السلام ادهم كذلك على وثائق تتعلق بالأمـور الاقتصادية الاخـرى كالزراعة والصناعة والتجارة ، مثـل الاشارة فى وثيقة عن عـدد اغنـام ناحية العجيلات من الضـأن والماعـز[٩٢] ، والاشارة فى وثيقة اخرى الى هطول أمطار غزيرة ليلة الثلاثاء ١٠ فبراير ١٩٠٣م الموافق ٧ ذى الحجة ١٣٢١هـ وهبت أعاصير شديدة قلعت فى جنزور وحـدها حوالى ٥ الاف شجرة . والاشارة الى اعطـاء امتياز صـيد سمك الطونة لاحـد اليهود فى عـدة مواقع على ساحل طرابلس ورفض الموافقة عـلى طلب ببناء مصنع ومسـاكن للعمال على الشـاطىء[٩٣] ووثائق اخـرى تطلب فيها وزارة الحربية باستانبول من الوالى ارسال ١٥ ألف اقة مـن الصابون العربى لاستعماله فى صناعة المعامل التى تشرف عليها الادارة العسكرية[٩٤] يوحى بوجود مصنع للصـابون بالولاية لسد حاجة الناس منه . وطلب مقدم من أحـد الايطاليين للحصـول على رخصة لانشـاء مصنع للورق من نبات الحلفا ، وتأشيرة الرفض عليه[٩٥] .

وتضمنت هذه الاوراق كذلك قرارا من المجلس الادارى للولاية بتعمير

---

(٩١) نفس المصـدر : تاريخ الجـدول عن عام ١٩١١م وجعله بالمصروفات آنذاك ٥٤٨٧١٠ قرشا تركيا .
(٩٢) نفس المصدر : بتاريخ ١٩٠٣ م .
(٩٣) نفس المصدر : تاريخ الوثيقة ١٩٠٨ م .
(٩٤) نفس المصدر : الرسالة بتاريخ ٢٠ رجب ١٣٠٠ هـ .
(٩٥) نفس المصدر : تاريخ الطلب ١٩٠٧ م .

مرسى الحلفــا بمدينة طرابلس على نفقـــة البلدية(٩٦) ، وهذا يدل علــى استخدام مينــاء طرابلس لتصدير الحلفا ويبدو ان الحلفا احتلت المكانـــة الاولى فى تجارة الولاية بدليـــل تسمية الميناء باسمها . كمـــا تضمنت تقريراً من مجلس ادارة الولاية مرفوعا الى نظارة المالية باستانبول بأن ضريبة الحلفا لعام ١٨٨٩/١٨٩٠ قـــد ــ بلغت ٩٢٥٧ جنيها ذهبيا وسبعة وستون قرشا تركيا تـــم تحصيلها من موانى طرابلس والخمس وزليطن والطابيـــة(٩٧) ، وتقريرا اخـــرا عـــام ١٩٠٥م أثبت انخفاض المبلغ المتحصـــل بنسبة الثلث بعد ان ظل بنفس مستوى عام ١٨٨٩/١٨٩٠م .

واحتوت اوراق عبد السلام ادهـــم ايضـــا ما يتعلق بالأمور العسكرية فى الولاية ، مثـــل الاشارة الى تطـــوع الاهالى لاصـــلاح قلعة طرابلس مما ادى الى تخفيض نفقات الاصلاح(٩٨) . ومثل الرســـالة التى بعث بها قائـــد الحامية العثمانية بالولاية الى نظارة الحربيـــة باستانبول تتضمن توزيـــع الحامية من مشـــاة وفرســـان ومدفعية على متصرفيات واقضية الولاية(٩٩) دون متصرفية بنغازى ومتصرفية مرزق بفزان . ومثل رســـالة والى طرابلس احمد راســـم الى نظـــارة الحربية يطلب ارسال مزيد من البنـــادق لأن الموجود لا يكفى(١٠٠) .

وتضمنت هـــذه الاوراق كذلك وثائق تتعلق بتلبية طلبات أهـــل الولاية

---

(٩٦) نفس المصدر : قرار مجلس ادارة الولاية بتاريخ يونيو ١٨٨١ م .

(٩٧) نفس المصدر : يتضح من الوثيقة وجود موانى أخرى لتصدير الحلفا غير ميناء طرابلس وان كان ميناء طرابلس وحده يقدم ثلثى الرسوم المتحصلة على الحلفا .

(٩٨) نفس المصدر : رسالة الوالى احمد راسم الى نظارة الحربية باستانبول بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٣٠٣ هـ .

(٩٩) نفس المصدر : رسالة المشير عارف باشا قائد الحامية العثمانية بتاريخ ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م .

(١٠٠) نفس المصدر : رسالة احمد راســـم بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٢٩٩ هـ .

بعـد أحتلال فرنسا لتونس عـام ١٨٨١م وأنجلترا لمصر فى العام التـالى ١٨٨٢ بالتدريب على السـلاح دفاعا عن الوطـن ، وجاءت تلبية الوالى فى شكل منشور أعلن على الناس فى المتصرفيات والاقضية بتوفـر مراكـز التدريب على السلاح وتوفر الأسلحة التى وردت حديثـا ، وتخصيص ضباط وجنود من الجيش لتدريب كل قادر على الدفاع عن الوطن (١٠١) وتقرير مقـدم من قائـد الحامية العثمانية الى الوالى تفيد بأعـداد الشباب الذين تم تدريبهم فى طرابلس والسـاحل وجنزور وأن كل متدرب ينهى فترة التدريب يمنح شهادة ويؤخـذ عليه تعهـد بحضور برنامج عسكرى سنوى لمدة شهر بواقـع ساعتين يوميا(١٠٢) .

كما تتضمن هذه الاوراق أيضا رسالة مـن الوالى نامق باشـا الى الديوان السلطانى تفيد اهتمامه بعملية تدريب الموظفين تدريبـا عسكريا واستجابة الناس بعد أن نظمت عملية التدريب بحيث لا تتعارض مع مواسم الزراعة والحصاد — وارفق بالرسالة كشفا بتشكيلات طـوابير المشـاة والفرسان الذين تـم تدريبهـم وتوزيعاتهم على مراكز التدريب(١٠٣) .

واحتوت أوراق عبد السلام ادهم كذلك على أوراق تتعلق بنتائج الاحتلال الفرنسى لتونس عام ١٨٨١م بلجوء الثوار التونسيين الى طرابلس وخاصة فى متصرفيات واقضية الجبـل الغربى وصـل عـددهم ٢٠٠ الف نسمة . واوراق متبادلة بين متصرف الجبل ووالى طرابلس حول ذهاب هـؤلاء الثائرين التونسيين وخاصـة قبائل أولاد يعقوب الى تونس فى غارات ضد الفرنسيين وخوفا من عـداء الفرنسيين طلب الوالى من المتصرف نقل هذه القبائل بعيدا

---

(١٠١) نفس المصـدر : تاريخ المنشور رقم ٧٥ فى ١٩ شـعبان ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م .

(١٠٢) نفس المصدر : تاريخ التقرير ١٨٩٦ م .

(١٠٣) نفس المصدر : رسالة الوالى بتاريخ ٥ مارس ١٨٩٨ م .

عن الحدود مع تونس(١٠٤) ، الى منطقة سرت والا عادوا الى تونس ، وعدم بقـــاء احد منهم بالمتصرفية .

وتضمنت هذه الاوراق ايضا عرائض قدمها أهالى نالوت وأهـــالى غدامس تتضمن شكاوى من قرارات تحـــديد الحدود بين الدولة العثمانيــــة وتونس تحت الحماية الفرنسية وقد تبنى سليمان البارونى نائب الجبل الغربى فى مجلس المبعوثان باستانبول هذه العرائض ورفعها الى الصدر الاعظـــم مرفقا بها مذكرة منه تؤيد مطالب أهالى نالوت وغدامس (١٠٥) واتفاقية الحدود بين الولاية وتونس تم التوقيع عليها فى طرابلس بحضور وفد مـــن تونس مكون من ٣ فرنسيين وتونسى واحد(١٠٦) .

واحتوت أوراق عبد الســـلام ادهم ايضـــا وثائق خاصـــة بعلاقات الولاية بكل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا واطماعها فى انحاء الولاية . فقـــد اظهرت الوثائق الجهود اليهودية الاوروبية لاستعمار برقة لصالح بريطانيا التى ركزت اهتماما خاصا على برقة المجاورة لمصر وقد حـــاولت المنظمـــة اليهودية للاراضى فى تقريرها الى الكاتب العام للولاية بكير بك طالبة رفعه الى الوالى (١٠٧) . كما تشير رسالة من الوالى الى الباب العالى فى عهـــد رجب باشا تفيد تعاون يهود طرابلس مع الاجانب ، وتعترض على احـــلال مترجم يهودى بدائرة الشئون الاجنبية فى الولاية محل المترجم المسيحى القائم بالعمل (١٠٨) .

---

(١٠٤) نفس المصدر : الرسائل فى عام ١٨٨٩ م — من احمد راسم الى متصرف الجبل .

(١٠٥) نفس المصدر : العرائض ومذكرة ســـليمان البارونى بتاريخ ١٩١٠ م .

(١٠٦) نفس المصدر : نص الاتفاقية موقعة فى ١٩ مايو ١٩١٠ م .

(١٠٧) نفس المصدر : نص مذكرة المنظمة والقرارات التى اتخذها

(١٠٨) نفس المصدر : المراسلات فى سبتمبر ١٩٠٤ م .

مؤتمرها فى لندن عام ١٩٠٩ م .

وتضمنت هذه الاوراق كذلك وثائق تتعلق بتعديات الفرنسيين — من تشاد والجزائر على اهل الولاية فى الجنوب وقتلهم — وجرحهم عشرات من اهلفزان بدعوى أن اهل الولاية قد قتلوا عشرين جنديا فرنسيا(١٠٩) مما جعل الوالى يضعقوة عسكرية قرب الحدود الجنوبية ويكلف متصرف فزان بمتابعة حركات الفرنسيين ، فأرسل المتصرف تقريرا عن اطماع الفرنسيين فى الجنوب(١١٠) مما ادى الى ان يقرر الباب العالى تحضير القوة اللازمة لاحتلال برقة فيطلب المتصرف سرعة اصدار الأمر بعد التجهيزات خوفا من ان يسبق الفرنسيون فى احتلالها .

وتضمنت هذه الاوراق ايضا ما يشير الى تفكير فرنسا فى احتلال غدامس وتخطيط فرنسا للسيطرة على الصحراء جنوب الولاية عن طريق احتواء الطوارق الذين يشعرون بالاستياء من معاملة الموظفين العثمانيين لهم ، وانه يمكن ازالة خطر فرنسا بازالة أسباب شكوى الطوارق التى ينفذ منها الاجنبى(١١١) . خاصة بعد ان نزل الفرنسيون فى مكان يسمى بالابيض وقصدهم انشاء ابنية هناك ، ومنه يرحلون الى وادى تماسانين وسينشئون به ابنية أيضا(١١٢) .

وتضمنت هذه الاوراق كذلك عرائض قدمها الاهالى فى الولاية للوالى ضد النشاط الايطالى المتزايد ، وتطلب عدم الاستعانة بالرأسمال الايطالى على الخصوص والبنوك الايطالية التى تقرض فقراء الناس بشروط مغرية لكى تستولى بالتدريج على اراضيهم الزراعية مستهدفة التوسع فى التملك

---

(١٠٩) نفس المصدر : تقرير الملازم عمر لطفى الناجى الوحيد من المذبحة بتاريخ ١٩١٠ م .

(١١٠) نفس المصدر : رسالة المتصرف بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩١٠ م .

(١١١) نفس المصدو : رسالة وكيل قائمقام غدامس الى الوالى فى ٢٥ محرم ١٣١٤ هـ .

(١١٢) نفس المصدر : رسالة قائمقام غدامس الى متصرف الجبل الغربى بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٩٨ م .

بولايتنا(١١٣) وتطالب هذه العرائض بعدم الاعتماد كلية على النشاط الاجنبى. « واننا نعرض على دولتنا بأننا في سبيل التقدم والدفاع عن منافعنا المالية على اهبة لنقدم لدولتنا كل انواع الخدمات المالية والبدنية (١١٤) .

واحتوت اوراق عبد السلام ادهم ايضا ما يتعلق بالرقيق ، في الرسائل المتبادلة بين الباب العالى والولاية بشأن ارسال عـــدد من الزنوج ليتلقوا الشرف بخدمة الدولة العلية فتم ارسال المطلوب(١١٥) . وكذلك اوراقا تتعلق بالنواحى الاجتماعية كتقرير عن عدد سكان غزان الذى قدر بحوالى عشرين الفا(١١٦) . والتقرير عن حضارة غات القديمة ولسان الطوارق ، وكتابـــة لغتهم بالخطوط البربرية القديمة وليس بالحروف العربية(١١٧) .

وتضمنت هذه الاوراق كذلك اخبارا عن احضار منفيين الى طرابلس الغرب ، مثل أشقياء اليمن الذين بلغ عددهم ١٥٩ ، ٨٠٠ من الدروز ، وعدد من زعماء الاكراد ، وشكاوى الولاية من صعوبة مراقبة هؤلاء المنفيين مـــع عدم توفر افراد الشرطة في الولاية(١١٨) . كما تتضمن أوراقا من موظفى الولاية تنبه الى استغلال الشركات الاجنبية وخاصة شركات تجارة الحلفا للعمال ، وللناس الذين يبيعون الحلفا(١١٩) .

---

(١١٣) نفس المصدر : تاريخ العرائض يناير ١٩٠٨ م .
الولاية بشرط عدم ادخال النشاط الاستعمارى .

(١١٤) تظهر هذه الوثيقة استعداد الأغنياء للمساهمة في مشروعات

(١١٥) نفس المصدر : تاريخ الارسال في شهر ذي القعدة ١٢٩٩ هـ .

(١١٦) نفس المصدر : رســـالة متصرف غزان الى الوالى بتاريخ ٦ جمادى الأولى ١٣١٦ هـ ٢٣ سبتمبر ١٨٩٨ م .

(١١٧) نفس المصدر : رسالة متصرف غزان الى الوالى عام ١٩١١ م .

(١١٨) نفس المصدر : رسائل من الولاية الى الاســـتانة أعوام ١٣١٥ ، ١٣٢١ هـ .

(١١٩) نفس المصدر : رسالة بعث بها متصرف الخمس الى الولاية بتاريخ ١٧ يوليو ١٩١٠ م .

واحتوت أوراق عبد السلام ادهم ايضا أوراقا تتصل بموقف أهل الولاية من نظام الحكم العثمانى كأوراق الشريف حميد الثائر فى غزان اواخر عام ١٣٠١هـ وموقف احمد راسم والى طرابلس من هذا الثائر(١٢٠) ، ومن انفراد بعض الاعيان بالنفوذ بأن يعاملهم بالشـــدة احيانا واللين احيـــانا أخـــرى ، « وكنت من جهة أحطم وامحو نفوذ البعض من الذين بلـــغ نفوذهم الغاية القصوى فى الألوية والاقضية والنواحى »(١٢١) . والتحرى عن اسباب انتقال احدى القبائل من مضاربها فى الجبل الغربى الى الاراضى التونسية بسبب سوء معاملة المتصرف ، وتعنيف المتصرف على موقفه هـــذا ومطالبته بتحسين سياسته مع أهل وقبائل المتصرفية(١٢٢) .

وتضمنت هذه الاوراق ايضا رسالة من الوالى لحاكم برنو للتحذير من الثائر الشريف حميد لأنه شريف مزعوم وليس مسلما بل هو جاسوس لا دين له أوفد من قبل الاجانب المبغضين للمسلمين لبث الفوضى والفســـاد(١٢٣) . وكان الوالى قد أقام علاقات طيبة مع حاكم برنو وتوالت بينهما الرســـائل الودية(١٢٤) . والرســـائل المتبادلة بين قائمقام كل مـــن غـــات وغدامس ومتصرف مرزق فى مواجهة ثورة الطوارق بسبب ملاحقـــة الولاية للشريف حميد ، وتظهر هذه الرسائل حصار الطوارق لغـــات بما فيها من أهـــالى وعساكر الولاية(١٢٥) .

---

(١٢٠) نفس المصدر : برقية بالشفرة من الوالى الى رياسة النظار بأستانبول فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٢ م .

(١٢١) نفس المصدر : رسالة من الوالى الى الصدر الأعظم بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٠١ هـ .

(١٢٢) نفس المصدر : رسالة الوالى أحمـــد راسم الى متصرف الجبل الغربى بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٣٠٤ هـ .

(١٢٣) نفس المصدر : رسالة الوالى احمد راسم الى حاكم برنو الاسلامية فى أبريل ١٨٨٧ م .

(١٢٤) نفس المصدر : رسالة الوالى احمد راسم الى الشـــيخ هاشم بن عمر الكانمى حاكم برنو فى ٦ شعبان ١٣٠٣ هـ ، أبريل ١٨٨٦ م .

(١٢٥) نفس المصدر : تاريخ الرســـائل ٢٦ رجب ، ٧ شوال ، ٤ ذى الحجة ١٣٠٢ هـ .

كما تتضمن هذه الاوراق كذلك مطالب أهـــل الولاية بعزل الوالى احمد راسم أواخر عام ١٣٠٦هـ/١٨٩٠م ، جاءت هذه المطالب فى برقيـــات مطولة أرسلت الى « مقام الصدارة العظمى ، ومقام نظارة الداخلية ، ومقام نظارة الخارجية ، ومقام نظارة العدلية ، ومقام سرعسكر ، ومقام مشيخة اسلامية وباشكاتب الباب العالى » — رئيس ديوان السلطان — وغيرهم من أصحاب التأثير فى استانبول ، وسبقت هذه البرقيات شكاوى تتهم الوالى بأن « مراده ضـــد الراحة ليفتح باب المداخلة للاجانب ، وان أعماله شغلتنا عن التفكير فى أعراضنا واموالنا بل جعلنا لا نفكر الا فى المحافظة على أرواحنا »(١٢٦) .

وتضمنت هذه الاوراق ايضا برقيات موقع عليها من بعض الاهالى بايعاز من الوالى تهاجم الآخرين الشاكين بأنهم لا يمثلون رايا عاما ويتبراون مـــن أفعالهم ، وبرقيات مضادة من فريق الشاكين يتهمون الوالى بجمع توقيعات الاهالى الذين جمعوا بواسطة الموظفين بعد الضغط عليهم لختم مضابط تروج أفكاره ومراميه حتى أن اجور البرقيات التى بعثوها دفعت من صندوق البلدية (١٢٧) . وبرقية وردت من الباب العالى باتخاذ موقف وسط بنفى اثنين من فريق الشاكين واثنين من انصار الوالى ، وبرقية افادة من احمـــــد راسم عن تنفيذ الارادة السنية وان السكينة فى ظل جناب ولى النعم مستتبة فى البلاد على خير ما يرام(١٢٨) .

سابعا : اوراق سراج الدين

تحتوى هذه الاوراق على وثائق وجدت فى جوالين وعرفت بأوراق قضية ابراهيم سراج الدين وهى مكونة من ٣٤ صفحة مكتوبة باللغة العربية كتبها تحت عنوان « مستنطقة عربى العبارة قرار نامة سنك اصلى وعينى » وهى عبارة عن تقرير المحقق « المستنطق » عبده خليل دربيكه ومعاونه محمد

---

(١٢٦) نفس المصدر : تاريخ البرقيات أعوام ١٨٩٠ ، ١٨٩١ م .
(١٢٧) نفس المصدر : تاريخ البرقيات ١٨٩١ م .
(١٢٨) نفس المصدر : تاريخ برقية الوالى ١٩ فبراير ١٨٩١ م .

الطيب المرابط حول نشاط ابراهيم سراج الدين القادم من الحجاز فى ولاية طرابلس الغرب(١٢٩) .

وكان ابراهيم سراج الدين واحمد النائب الطرابلسى الانصارى ، وحمزه المدنى(١٣٠) قد كونوا مع عدد قليل من ابناء طرابلس جمعية سرية أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر وضعوا لها قانونا عرف باسم « فوائد ونصائح خيرية » مكون من عشرين فائدة تشتمل على نواحى سياسية كمراقبة تحركات الدول الاستعمارية حول الولاية بعد احتلال فرنسا لتونس وانجلترا لمصر ، ومتابعة نشاط اليهود والنصارى (١٣١) فى الولاية ، وعدم الصدام مع السلطة العثمانية بالدعاء للسلطان باستمرار ، وتشتمل على نواحى اجتماعية كالسؤال عن المرضى واستقبال اهل المناطق الداخلية القادمين الى مركز الولاية والاهتمام بالتعليم وغير ذلك ، الى جانب النواحى التنظيمية لأعضاء الجمعية كتتبعهم الاخبار الداخلية والخارجية والعمل على نشر هذه الفوائد ومراسلة اصدقاء اوروبيين .

واشتملت هذه الاوراق كذلك على سبع مواد خاصة بضباط الجيش العثمانى عرفت باسم « نظامنامة عسكرية » احتوت افكار الجمعية بخصوص رفع كفاءة هؤلاء الضباط فى النواحى الثقافية والعسكرية ليكونوا قادرين على مواجهة الاطماع الاستعمارية المتربصة بالولاية . كما اشتملت هذه الاوراق أيضا على سبع مواد أخرى خاصة بنظام الجمعية الداخلى حددت قبول الأعضاء فى الجمعية والاشتراكات التى يدفعونها ، وتشكيل مجلس

---

(١٢٩) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، أوراق سراج الدين ، تقرير المستنطق بتاريخ ١٥ شوال ١٣٠٠ هـ الموافق ٦ أغسطس ١٨٨٣ م .

(١٣٠) احمد النائب صاحب كتاب المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، وحمزه المدنى عالم من اسرة طرابلسية مشهورة بالعلم .

(١٣١) يقصد بالنصارى هنا اعضاء الجاليات الأجنبية لأنه ليس من بين أهل الولاية مسيحى .

ادارة من رئيس وكاتب وأمين صندوق . وغـــير ذلك من الأمـــور التنظيمية للجمعية .

ويتضح عن تقرير المستنطق تنقلات ابراهيم سراج المولود بالمدينـــة المنورة عام ١٢٧٢هـ من الحجاز الى مصر الى تونس والجـــزائر ثم ولايـــة طرابلس الغرب ، وكيف اتصل بالشيخ حمزه المدنى ، وأن ابراهيم سراج هو صاحب فكرة هذه الجمعية السرية ومنظمها وأنه نزل فى ضيافة الشيخ حمزه لوجود صـــلة سابقة بين أسرتيهما ، وعمـــل بطرابلس واهتم بأمورهـــا الداخلية كضرورة وجود مدارس لترقية معارف أهل الولاية ليتنبهوا لأخطار الدول الاوربية الاستعمارية ، وكيف تحمس شباب الولاية لأفكاره التى بدأت تظهر فى احاديثه ، وفى خطب الجمعة ، وكيف اتخـــذوا أنصـــاره قهـــوة مصطفى اغا الأضروملى بالمدينة مقرا باعتبارها ناد لأعضاء الجمعية (١٣٢) حتى تم القبض على اعضائها وقضت الاحكام بنفى احمد النائب وحمزه المدنى الى استانبول وسجن ابراهيم سراج الدين ، وبراءة شباب الجمعية « لحداثة سنهم وعدم قوة تمييزية لهم يعرفون بها ما يضر وما ينفع » ، وأمـــا شيخ جامع الناقة الذى كان يقرأ الخطب المنبرية التى يعدها له ابراهيم سراج فقد تم الافراج عنه لكونه من معلمى الاطفال الذين لا يميزون الكلام المهيج من غـــيره .

ثامنا : أوراق البارونى

من بين اوراق دار المحفوظات ملف يحوى تحقيقا مع الشيخ سليمان البارونى سليل اسرة البارونى المعروفة بالجبـــل الغربى بولايـــة طرابلس الغرب ، والذى تعلم فى الأزهـــر فى مصر وتعلم المذهب الاباضى على يـــد علمائه فى الجزائر عام ١٨٩٥م ، وعـــاد الى وطنه لكى يحث اهله على التدريب العسكرى والتعليم لمواجهة اخطـــار الدول الاستعمارية ومطامعها فى البلاد

(١٣٢) كان اتخاذ هذه القهوة ناديا « قرائتخانة » للجمعية فى مارس ١٨٨٣م .

العربية ، فقبضت عليه سلطات الحكم فى الولاية ومعه الاوراق التى تظهر نشاطه الوطنى وبدأ التحقيق معه وانتهى بتقرير أوضح التهم الموجهة اليه وأقواله (١٣٣) .

وقررت المحكمة سجنه ، ثم أطلق سراحه ، ثم سجن ، ثم عفا عنه السلطان . وقد فصل البارونى هذه الأحداث فى أوراقه التى نشرتها ابنته زعيمة البارونى فى كتابها « صفحات خالدة من الجهاد » وبعد صدور العفو عنه ذهب وأقام بمصر ومن هناك استمر يمارس نشاطه الوطنى فى جريدته التى أصدرها فى القاهرة باسم « الأسد الاسلامى » وعاد الى طرابلس بعد سقوط السلطان عبد الحميد وانتخب عام ١٩٠٨م عضوا بمجلس المبعوثان باستانبول نائبا عن الجبل الغربى .

تاسعا : مراسلات الولاة :

نجد من بين أوراق هذا الملف ما يتصل بعلاقة الحكم فى الولاية بالحركة السنوسية فى برقة ، تلك الحركة التى بدأت ببناء الزوايا منذ عام ١٨٤٣ م بعيدا عن السواحل وسط القبائل التى يستقيم لشيوخها الأمر وحدهم فى الوقت الذى لم يكن يتعدى نفوذ العثمانيين السواحل وبعض المدن والموانى التى كانت قريبة من متناول أجنادهم وأسطولهم (١٣٤) . كما أن برقة كانت مركز الدعوة السنوسية ومتصرفية بنغازى مستقلة عن طرابلس فى عهد ولاية احمد راسم وتتبع لاستانبول رأسا (١٣٥) .

ومن هذه الأوراق رسالة من احمد راسم الى السيد محمد المهدى السنوسى زعيم السنوسية يستفسر منه عما أشيع عن تبادل الرسائل

(١٣٣) دكتور محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٣٦ .
(١٣٤) دكتور احمد صدقى الدجانى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى ص ١٣٧ .
(١٣٥) دار المحفوظات التاريخية ، مراسلات الولاة ، تاريخ الرسالة ١٧ صفر ١٣٠٣ هـ .

بينه وبين محمد احمد الذى ادعى انه المهدى المنتظر بالسودان (١٣٦) . وكانت هناك صلات بالفعل بين الحركتين ، ولكن عندما راى رسول السيد المهدى السنوسى فظائع وسياسة محمد احمد وانصاره الدموية بالسودان رفض التعاون معه واستنكر ما عرضه عليه بأن يضعه فى مقام الخليفة الثالث — عثمان بن عفان — ورد عليه السيد المهدى السنوسى بقوله : ان مقـــام عثمان لا يناله لا انا ولا هو يقصد محمد احمد (١٣٧) .

واحتوت هذه الأوراق أيضـــا على ما يشير الى التشكك فى أمـــر الدعوة السنوسية بعد امتدادها فى عهد السيد المهدى الى تشاد ومعظم غرب افريقيا والسودان ، ومحاولاتها انشاء زوايا فى طرابلس ، فتطلب الدولة العثمانية من الوالى متابعة تحركات السنوسيين وترسل هى رسلا حاملة رسائل الى السيد المهدى السنوسى عند انتقاله الى الكفرة (١٣٨) وان على الوالى ان يحسن معاملة السنوسيين (١٣٩) مما جعـــل الوالى يتراســـل مع متصرف الخمس لمتابعة نشـــاط احد الاخوان السنوسيين الذين قدموا الى الخمس (١٤٠) .

عاشرا : ملف القناصل :

يشتمل هذا الملف على أوراق مقدمة من قناصـــل الدول الأوروبية وخاصة دول النمسا وبلجيكا واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا

---

(١٣٦) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : مراسلات الولاة ، تاريخ الرسالة ١٧ صفر ١٣٠٣ هـ .

(١٣٧) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٢٦ .

(١٣٨) رسالة ابراهيم درويش باشا ياور حضرة السلطان عبد الحميد الى السيد المهدى فى ٣ نوفمبر ١٨٩٥ م ، ورسالة باشكاتب السراى الى السيد المهدى فى ٢٢ سبتمبر ١٨٩٥ م .

(١٣٩) رسالة لصدر الأعظم سعيد نامق الى الوالى أحمـــد راسم بتاريخ ١٥ صفر ١٣١٣ هـ .

(١٤٠) رسالة الوالى لمتصرف الخمس ، مراسلات الولاة ، فى عام ١٣١١ هـ .

وبريطانيا العظمى واليونان وايطاليا وهولاندا من بينها مذكرة من قناصل هذه الدول مجتمعين للوالى يهاجمون ضعف الحكم القائم فى الولاية فى ضمان الأمن والاستقرار للأجانب المقيمين فى الولاية ، ومساعدة رجال البوليس الفاسدين للصوص فى السطو على ممتلكات هؤلاء الأجانب (١٤١) .

ومن بين أوراق هذا الملف كذلك أوراقا تتصل بتدخل قناصل الدول الأجنبية فى الولاية فى مسألة تحرير الرقيق من أجل التحبب الى الاهالى انطلاقا من مبادىء الانسانية ، كرسالة قنصل الولايات المتحدة الى الوالى أحمد راسم فى حق احدى النساء التى تم عتقها ولجأت اليه بسبب ملاحقة سيدها لها بعد العتق ، وتقرير متصرف الخمس الى الوالى يشـكو من استغلال القناصـل لدعوة الغاء الرق فى اسـتقطاب هؤلاء ودعوتهـم اليهم (١٤٢) .

ويشمل هذا الملف ايضا على أوراق تتعلق بقرار صـدر من والى طرابلس عام ١٨٧٧ م بمنع اقامة رعايا بريطانيا خارج مدينة طرابلس ، وقرار عام ١٨٨٠ م بمنع جميـع الرعايا الأوروبيين من التنقل فى داخلية الولاية مما دفع السفارة البريطانية فى استانبول الى أن تتقـدم بمذكرة احتجاج على هذا المنع لوزارة الخارجية العثمانية (١٤٣) .

ويشمل هذا الملف ايضا اوراقا تتعلق بمسألة الامتيازات الاجنبية فى الولاية واستخدام الراغبين من أهل الولاية أو غيرها للحماية القنصلية للتهرب من دفع الضرائب ، وهذه الأوراق عبارة عن شكاوى يرفعهـا اشخاص يحملون الجنسية الانجليزية اكثرهم من اليهود الذين تجنسوا

---

(١٤١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، ملف القناصل ، مذكرة قناصل الدول الى الوالى محمد نظيف باشا فى ٤ مايو ١٨٨١ م .

(١٤٢) نفس المصدر : الرسالة فى عام ١٣٠٢ هـ .

(١٤٣) نفس المصدر : تاريخ المذكرة عام ١٨٨٣ م .

بالجنســية البريطانيــة ، وتكتب بلغتين أوروبية وعــربية او أوروبية وتركيــة .

وتشتمل هــذه الأوراق كذلك على ما يظهر المطامــع الأيطالية فى الولاية ، دون استجابة واعية من الدولة العثمانية ، ففى الوقت الذى طالب فيه أهل غدامس امدادهم بالسلاح للوقوف أمام هجمات الفرنسيين من تونس ودخولهم أراضى المتصرفية لمتابعة القبائل التونسية المهاجــرة الى المتصرفية ، ســجل قنصــل ايطاليا فى طرابلس ــ المتتبع لنشــاط فرنسا على الحدود ــ تقاعس الدولة العثمانية فى اجابة مطالب اهــل غدامس (١٤٤) .

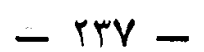
وجاء رد وزارة الخارجية الايطالية الى قنصلهــا فى طرابلس بأن يتباحث فى أمر تأييد مطالب اهالى نالوت وغيرها من الوالى بتأييدهــم أمام محاولات فرنسا تعديل الحدود التونسية الجزائرية الطرابلسية ، وطلبت وزارة الخارجية الايطالية من القنصل عدم اثارة شكوك الوالى حول سياستنا نحو الولاية وأن يظهر له حسن النية (١٤٥) .

وتظهر هذه الأوراق أيضا التنافس الفرنسى الايطالى حول طرابلس بعــد انتهاء التنافس بين الدولتين باحتلال فرنســا لتونس ، وحرص ايطاليا على متابعة النشاط الفرنسى على الحــدود بين ولاية طرابلس الغرب وكل من تونس والجزائر ، فتظهر رسالة موجهة من سفير ايطاليا بباريس الى حكومته بروما رأى الحكومة الفرنسية فى تجنب اية اعمال استفزازية على الحدود مع طرابلس خوفا من اشتعال ثورة اســلامية

---

(١٤٤) نفس المصدر : رسالة قنصل ايطاليا بطرابلس الى وزارة الخارجية الايطالية بروما فى ١٦ أبريل ١٨٩٦ م .

(١٤٥) نفس المصدر رسائل متبادلة بين القنصل ووزارة الخارجية و- -يما فى فبراير ١٨٩٧ م .





كبرى تشمل الجزائر وتونس ضد فرنسا ، وأن فرنسا ليست لديها خطط نحو طرابلس (١٤٦) .

كما تظهر هذه الأوراق حرص ايطاليا على تتبع الأفكار الاستعمارية الفرنسية تجاه طرابلس ومـــن أمثلة ذلك مذكرة سفير ايطاليا فى باريس لوزير الخارجية الايطالية عن تصريح لأحد نواب الجمعية الوطنية الفرنسية بضرورة انشاء قنصلية فرنسية فى غدامس للتعامل مع أهـــالى هـــذه المتصرفية البدو الذين يغيرون على تونس (١٤٧) .

وتؤكد مذكرة مـــن وزارة الخارجية الايطالية الى قنصـــل ايطاليا بطرابلس ما ذهب اليه سفير ايطاليا فى باريس ، وسفير فرنسا فى روما من أن فرنسا ليس لديها خطط ضد ولاية طرابلس الغرب ، وأن القوات الفرنسية بعيدة عن حدود الولاية بمسافة مائة كيلو متر تقريبا (١٤٨) . وكل ذلك يوضح مطامع ايطاليا بالانفراد فى احتلال طرابلس الغرب ، وكان هذا ليس خافيا على المخلصين من ابناء الولاية أو الولاة المصلحين أمثال رجب باشا الذى كان يمنع الايطاليين من النزول الى طرابلس بدون اذن ، حتى ذكر عنه مرة أنه قال لبعض البحارة الايطاليين شاركوا فى اطفاء نيران اشتعلت فى مسرح خارج السور : لو احترقت البلاد كلها لما كان لكم حق النزول بدون اذن ، وطلب منهم المغادرة فى اليوم التالى قبل انتهاء مدة الزيارة المقررة (١٤٩) .

الدوريات

وجدت بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس اعداد غـــير متتابعة من الصحف التى صدرت فى العصر العثمانى الأخير تعتبر وثائق تؤرخ للفترة فى

---

(١٤٦) نفس المصدر : تاريخ الرسالة ٤ أبريل ١٨٩٦ م .
(١٤٧) نفس المصدر : تاريخ المذكرة ٢٩ نوفمبر ١٨٩٦ م .
(١٤٨) نفس المصدر أبريل ١٨٩٦ م
(١٤٩) د . أحمد الدجانى ، المرجع السابق ص ١٦٦ .

الولاية الرسمية وتصدر كل خميس ، فهى أسبوعية وتصدر باللغتين التركية والعربية ، ونشرت الصحيفة ما أرادت سلطات الحكم العثمانى نشره على الاهالى من بيانات واردة من استانبول (١٥٠) أو من قرارات مدير معارف الولاية او كبار موظفى الولاية الآخرين بالاضافة الى زيارات الوالى لأنحاء الولاية . وقد استمرت هذه الجريدة تصدر حتى عام ١٩١١ م .

وكانت الصحيفة الثانية التى صدرت فى طرابلس الغـــرب ايضا هى صحيفة الترقى التى صدرت على دفعتين العدد الاول صدر فى صفر ١٣١٥هـ الموافق يوليو ١٨٩٧م لمدة عام ثم توقفت وعادت للصدور مـــرة اخـــرى عام ١٩٠٨م لتتبنى سياسة جمعية الاتحـــاد والترقى (١٥١) ، ورغـــم أن هذه الجريدة لم تكن رسمية الا انها اشتملت ايضا على بيانات رسمية صـــادرة عن استانبول أو عن الولاية الى جانب المقالات السياسية وخاصة ما يتعلق منها بكشف المطامع الايطالية فى الولاية ، وكانت هـــذه الصحيفة تصـــدر أسبوعية أيضا .

كما صدرت عام ١٨٩٨م أول مجلة مصورة عرفت باسم مجلة الفنـــون اهتمت بالنواحى العلمية المتنوعة ، وان كان عمرها قصير ، وجريـــدة العصر الجـــديد عام ١٩٠٨م وكانت سياسية علمية أيضـــا تهتم بالاتجاهات الوطنية

---

(١٥٠) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، مثل رســـالة ناظر المعارف الى الولايات بخصوص افتتاح مكتب اعدادى عسكرى باستانبول وشروط قبول أبناء الولايات به ، العـــدد ١٦٧ من جريدة طرابلس غرب السنة وردنجى (الرابعة) ٢٥ صفر ١٢٨٧ الموافق ١٤ مارس ١٨٧٠ م .

(١٥١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، المطالب السياســـية لجمعية الاتحاد والترقى العثمانية مترجمة عن جريدة اتحاد وترقى نشرتها جريدة الترقى بطرابلس فى عددها رقم ٨٠ الســـنة الثانية بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٢٦ هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٠٨ .

العربية ، وجريدة الكشاف فى نفس العام أيضا التى أهتمت بالنواحى الفنية والعلمية والسياسية واحتوت على صور وكانت تصدر باللغات الثلاثة التركية والعربية والفرنسية وصاحبها هو محمد النائب بن احمد النائب الوطنى المعروف وصاحب كتاب المنهل العذب .

كما صدرت فى طرابلس الغرب ايضا جريدة فكاهية عرفت باسم جريدة ابى قشة صاحبها يدعى محمد الهاشمى المكى التونسى ، وهى جريدة ساخرة تصدر كل ثلاثاء ، تتناول نواحى الفساد فى الولاية بالنقد الساخر ، وهاجمت النشاط الاقتصادى الاستعمارى فى الولاية واستمرت تصدر من عام ١٩٠٨ الى ١٩١١م .

هذه اهم الصحف التى صدرت فى الولاية فى العصر العثمانى الأخير واتجاهات كل منها ، وهى موجودة فى قسم خاص بالسراى الحمراء بطرابلس مقر دار المحفوظات التاريخية ، وهى من المصادر المهمة فى دراسة تاريخ ذلك العصر بما اشتملت عليه من بيانات رسمية واعلانات عن بدء العمل فى مشروعات تعليمية أو خيرية او تعليمات الوالى وكبار موظفيه الى الاهالى ونشاط هؤلاء الموظفين وتنقلاتهم داخل الولاية .

التقارير الرسمية

وتكتمل الفائدة بالتعرف على وثائق اخرى فى غير دار المحفوظات التاريخية بطرابلس مثل تقرير مدير معارف ليبيا اثناء الادارة الانجليزية بطرابلس عن التعليم فى العصر العثمانى الأخير والعصر الايطالى (١٥٢) والتقرير فى الواقع تقريرين : تقرير عام ١٩٤٧ تحت عنوان تاريخ مختصر للتعليم فى طرابلس الغرب وتقرير عام ١٩٤٨ تحت عنوان تاريخ التعليم فى طرابلس الغرب وهذه التقاير تشتمل على احصاءات رسمية ومراحل

---

(١٥٢) هو الضابط ستيل جريج Steele Greige الذى شغل منصب مدير التعليم فى عهد الادارة الانجليزية لطرابلس .

التعليم القائمة وأنواع التعليم المتاح أمـــام أبنـــاء الولاية وأبناء الجاليـــات الأجنبية واليهود . وهذه التقارير موجودة بالمكتبة الحكومية بمدينة طرابلس ومكتوبة باللغة الانجليزية .

كما أن هناك تقارير هيئة الأمم المتحـــدة عن ليبيا ماضيها وحاضرهـــا واشتملت على معلومات مفيدة تاريخيا عـــن الفترة التى نبحث عن الوثائق المتعلقة بها ، ومـــن هـــذه التقارير تقارير بعثة الامم المتحدة فى ليبيا تحت رقـــم No. 15 CA. 1340 ورقم No. 15/A/1340

وتقرير عن التعليم فى ليبيا مقدم لهيئة اليونسكو من خبير فرنسى عام ١٩٥١ أصل التقرير باللغـــة الفرنسية وله ترجمـــة عربية (١٥٣) ، وهذه التقارير متواجدة فى مكتب بعثة الأمم المتحدة بطرابلس .

---

(١٥٣) مقدم التقرير هو المسيو روجيه لى تورنو الخبير الفرنسى فى فى شئون التعليم .

الفصل التاسع

قطر في تاريخها الحديث

أولا : الوحدة الوطنية في قطر .

- مقدمـــة .
- صروح الوحدة الوطنية .

١ — تسليم قبائل قطر بزعامة آل ثاني .
٢ — احساس القبائل القطرية بالانتماء للعروبة والاسلام .
٣ — تقدير الشيخ قاسم للطبيعة القبلية .
٤ — المحافظة على استمرار الوحدة الوطنية القطرية فيمواجهة التنافس التركي الانجليزي .
٥ — تقدير الدولة السعودية لزعامة آل ثاني .

ثانيا : قطر قبيل الحرب العالمية الاولى .

- مقدمـــة .
- استقلال قطر ومعاهدة ١٨٦٨م .
- الصراع التركي الانجليزي واستقلال قطر .

اولا : الوحدة الوطنية فى قطر (*)

مقــدمة :

ظهرت قطر كوحدة سياسية فى عهد الشيخ محمد آل ثانى حيث نقلت من النظام القبلى الى نظام الدولة ذات المفهوم الجغرافى والسيادة على ارض معينة ويمكن اعتبار ظهور قطر كوحدة سياسية فى الستينات من القرن التاسع عشر بداية لتاريخ قطر الحديث ، فقد كانت شبه الجزيرة القطرية قبل هــذا الزمن تعيش كغيرها من اجزاء ومناطق فى شبه جزيرة العرب ، سواء على سواحل الخليج او فى الداخل فى ظل تنظيمات قبلية تتخذ لها مضارب فى مواطن متفرقة من شبه جزيرة العرب .

وهذا يعنى أن شبه جزيرة قطر لم يكن لها كيان سياسى ذاتى قبــل الشيخ محمد آل ثانى ، وليس هذا بغريب أو بشىء غير منطقى ، فاقليم نجد على سبيل المثال لم يعش وحدة سياسية ولم يظهر فى شكل كيان سياسى مستقل قبل آل سعود ، وان كان يجب ان ندرك ان وحــدة قطر السياسية فى عهد الشيخ محمد بن ثانى لم تكن كاملة اى اننا لا نستطيع ان نقارنهــا بالوحدات السياسية التى تقوم فى زمننا المعاصر كقيام دولة قطر المستقلة ذاتها فى اول السبعينات من القرن العشرين وغيرها امثلة كثيرة .

واذا نظرنا الى الشيخ محمد بن ثانى باعتباره صــاحب الأساس فى ظهور قدار كوحدة سياسية ، فاننا نجد ابنه الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى قد حقق الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر ، بعد ان عاشت قطر فى ظــل

(*) نشر هذا البحث بمجلة الدارة ـــ الرياض المملكة العربية السعودية العدد الثالث السنة السابعة ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ ـــ فبراير ١٩٨٢ م .

انقسامات قبلية تخضع بعض القبائل القطرية للبحرين ، والبعض الآخــر يخضع لآل سعود ، وغير هؤلاء وهؤلاء قبائل لا تدين بالولاء لأحد(١) .

ولرب قائل أن الوحدة الوطنية التى عمل على تحقيقها الشيخ قاسـم بن محمد آل ثانى لم تكن شاملة وان بعض القبائل القطرية خرجت عن الوحدة الوطنية وهذا حقيقى ولكنه فى نظرنا لا يقلل من جهود الشيخ قاسم فى سبيل ارساء قواعد الوحدة الوطنية وتدعيمها والمحافظة على بقائها واستمرارها ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار الظروف غير العادية التى تحيط بقطر ســواء فى الداخل او فى الخارج .

ويمكن للباحث ملاحظة انه فى الوقت الذى لم يكن من السهل فيه انضواء جميع قبائل قطر فى ظل وحــدة وطنية وتحت راية كيان سياسى ذاتى واحد — ونحن نعلم ان القبائل لم تتعود مثل هذه التنظيمات ولا ترضى بغير التحـــرر من اية سلطة بديلا — كانت قطر هدفا لمؤامرات وتداخلات خارجية ، أى من خارج شبه جزيرة قطر ، سواء كانت من البحرين او من الساحل العمانى أو من الانجليز او من الاتراك .

ومهما يكن من شىء فان الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر قد تحققت الى حــد كبير على يد الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ، ويجب أن ننتبه الى ان كل شىء فى اوله يبدأ صغيرا ، وكما يذكر المؤرخون بأن لكل حدث تاريخى بداية وذروة ونهاية ، وان نهاية الحدث بداية لحدث تاريخى آخر وهكذا ، فأن جهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى كان بداية لا بأس بها على طــريق تحقيق وحدة وطنية شاملة وقوية فى شبه جزيرة قطر ، وليس هذا مما يقلل من جهــد الشيخ قاسم فى هذا السبيل بقدر ما يعطيه حقه من التقدير فى ظل الظروف التى تحيط بشبه جزيرة قطر والتى ذكرناها .

---

(١) د . صلاح العقاد : التيارات السياســية فى الخليج العــربى ص ١٥٥ .

تسليم قبائل قطر بزعامة آل ثانى :

لعل اول صروح الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر والتى جـاهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى من اجل تحقيقها ، هو تسليم قبائل قطر بزعامة الشيخ قاسم وبالتالى بزعامة قبيلة آل ثانى على شبه جزيرة قطر . وهـذا التسليم يثير تساؤلات عن اسبابه وطبيعته ، ولعلن لا نجافى الصواب اذا ذكرنا أن سبب تسليم القبائل العربية القطرية بزعامة آل ثانى كان بسبب حاجة هذه القبائل الى من يجمع شملهم وينهى خلافاتهم مع بعضهم البعض ، بل والى من يقودهم فى الدفاع عن أرضهم وأموالهم وأرواحهم ضد اعتداءات المغيرين على شبه جزيرة قطر .

وكان آل ثانى هم الذين تتحقق فيهم هذه المواصفات رغم عدم كونهم اكبر القبائل القطرية عددا ، اذ ليست العبرة بكثرة عدد افراد القبيلة وانما العبرة بما تمتاز به القبيلة من سرعة الحركة والوحدة الداخلية والزعـامة الواعية والثروة حتى ولو كانت القبيلة التى تمتاز بكل ذلك اقل فى عـدد افرادها من غيرها من القبائل . ويجب ان نلاحظ أن الثروة التى تمتع بهـا آل ثانى منذ عهد الشيخ محمد بن ثانى قد اوصلت الشيخ محمد نفسه الى مركز الزعامة على شبه جزيرة قطر كما عرف لدى المؤرخين الاجانب باسم شيخ الدوحة(٢) كما أن تلك الثروة مكنت آل ثانى من تأليف القبائل القطرية معهم ، ومنحتهم مركزا مميزا بالنسبة للقبائل الاخـرى . كما يجب ان ندرك أن قبيلة المعاضيد التى ينتسب لها آل ثانى من القبائل المتحضرة فى منطقـة شرق الجزيرة العربية(٣) وهذا سبب آخر يدعو القبائل القطرية الى التسليم بزعامة آل ثانى على شبه جزيرة قطر ويمكن أن نضيف سببا آخـر لتسليم

---

(٢) عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر (١٨٦٨ — ١٩١٦) ص ٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ص ٢٤ .

القبائل القطرية بزعامة آل ثانى على شبه الجزيرة القطرية ، هذا السبب يتمثل فى أن آل ثانى راعوا كيانات القبائل الأخرى فى شبه الجزيرة(٤) .

وأما عن طبيعة تسليم قبائل قطر بزعامة آل ثانى على شبه الجزيرة القطرية فانه وان لم يكن قد نضج بعد بين هذه القبائل الوعى السياسى وتقدير أهمية الوحدة السياسية لشبه جزيرة قطر ذات الوحـــدة الطبيعية ، الا أن احساسهم بما سوف تحققه الوحدة الوطنية من خير لهم دفعهم الى الانتظام فى الاطـــار الوطنى لشبه جزيرة قطر كاملة بعد أن كان مفهومهم عن الوطن لا يتعدى حدود مضارب القبيلة من الارض . ومن ثم فانه ما أن عاد الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى الى قطر ضمن التسويات التى تمت فى نهاية عـــام ١٨٦٨م بين قطر والبحرين وبريطانيا كان أول عمل أقدم عليه أن أمسك بزمام السلطة فى شبه جزيرة قطر وقام يدعو العشائر كلها الى الاستقلال فلبت دعوته (٥) ، من خلال احساسها ــ أى القبائل القطرية ــ بما سيتحقق لهم فى ظل الوحدة الوطنية .

احساس القبائل القطرية بالانتماء للعروبة والاســــلام

وثانى صروح الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر يتمثل فى احساس أهلها بالانتماء للعروبة والاسلام ، فان العروبة فى قطر قديمة قدم وجـــود الانسان بشبه الجزيرة القطرية ، والاسلام دخلها على يد الصحابى « العلاء بن الحضرمى » فى العام السادس للهجرة المحمدية ومن ثم كان أثر العروبـــة والاسلام عند قبائل قطر دافعا الى الانضواء فى اطار وحـــدة وطنية هويتها العروبة وعقيدتها الاسلام ، وبالتالى وجدنا معظم هذه القبائل وعلى رأسهم الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى يرحب بدعوة التوحيد التى انبعثت فى نجـــد

(٤) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٥٦ .
(٥) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ص ٢٣٥ .

على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحملها الى قطر آل سعود ، لان هذه الدعوة جددت فى نفوس قبائل قطر — كما جددت فى نفوس كل العرب والمسلمين اينما كانوا — الانتماء العربى الاسلامى فى اطاره الصحيح .

ويمكن ان نحدد بدء دخول الدعوة الوهابية الى شبه جزيرة قطر حين سار « ابراهيم بن عفيصان » القائد السعودى فى عام ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) الى قطر ومعه جماعة من اهل الخرج والفرع (٦) ، فيما عدا الزبارة التى تحصن بها العتوب ، ولكن ابراهيم بن عفيصان « شدد هجماته على الزبارة » فعول العتوب على الرحيل من الزبارة وساروا الى البحرين واخضعوها لحكمهم(٧) . وبهذا صارت الزكاة تحصل لحساب السعوديين من جميع القبائل تقريبا التى تنزل بين قطر وعمان ومعظم قبائل قطر وصار آل ثانى يدفعون هذه الزكاة نيابة عن القبائل القطرية التى تسلم بالولاء لهم(٨) .

وعمل الشيخ محمد بن ثانى — الذى اعتنق الوهابية — وكيلا للسعوديين فى قطر فكان مسئولا عن جمع الضريبة — الزكاة — من القبائل القطرية ويسلمها بعد ذلك الى امام السعوديين فى نجد — الامام فيصل بن تركى — وذلك فى الفترة من عام ١٨٥١ الى عام ١٨٦٦م(٩) ، ومن المعلوم ان الدولة السعودية الثانية التى أقامها فيصل بن تركى قد انتهت عام ١٨٦٦م . وان ظل القطريون يشايعون السعوديين ويؤيدون حكمهم بل وانخرطوا فى اعتناقهم للطريقة السلفية(١٠) .

---

(٦) حسين بن غنام : تاريخ نجد — ص ١٨٠ .

(٧) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١٠٢ .

(٨) مركز ابحاث شركة ارامكو : عمان والساحل الجنوبى الخليج الفارسى ص ٢٨٠ .

(٩) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٤ .

(١٠) لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى ج ٣ ص ١٢١٤ .

تقدير الشيخ قاسم للطبيعة

القبايـــة

وثالث صروح الوحدة الوطنية فى قطر تقدير الشيخ قاسم بن محمــد آل ثانى لطبيعة القبائل العربية عامة بما فيها القبائل القطرية بطبيعة الحال من حب للثورة على السلطة والنظام ، ومن هذا التقدير عمل على امتصاص كل محاولة تحدث من بعض القبائل القطرية للخروج على الوحدة الوطنية بالترضية المعنوية او المادية تارة وبالشدة تارة اخـــرى ، مع العفو عـــــن الخارجين اكثر من مرة حتى يتعود الخارجون على احترام السلطة والتمسك بالوحدة الوطنية .

ومن الامثلة على الترضية التى لجأ اليها الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى مع القبائل القطرية ما ترويه الوثائق عن ترضيته لقبيلة البوعينين عام ١٩٠٨م ذلك ان السفير البريطانى بالآستانة ابلغ السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية بنحوى رسالة وصلت اليه من القنصل البريطانى بالبصرة تفيــد ان القائم بعمل والى البصرة العثمانى قد اخبره اى اخبر القنصل البريطانى — ان الشيخ عبد الرحمن البوعينين قد تخلى عن منصب مدير « الوكرة » احدى مدن شبه جزيرة قطر جنوب الدوحة ، وان قبيلة البوعينين قد بعثت وفدا من رجالها الى والى البصرة يطلب اقامة مركز عسكرى تركى بالوكرة(١١) .

وقد اوضح القنصل البريطانى فى البصرة ان المقيم البريطانى فى «بوشهر» بالخليج يخشى من أن بعثة قبيلة البوعينين قد تؤدى الى مزيد من التدخـــل التركى فى شبه جزيرة قطر خاصة والخليج العربى بصفة عامة استنادا الى السيادة التركية على هذه الاجزاء ، وعليه فان القنصل البريطانى سيوضح

11. F.O. 424, Confidential (9482) : Further correspondence respecting The Affairs of Asiatic Turkey and Arabia, 217: Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, pero, December 15, 1908, piece 68.

للوالى العثمانى بالبصرة خطأ الاستماع الى اية طلبات تطلبها قبيلة البوعينين(١٢) ولا يخفى علينا هذا الموقف البريطانى الذى يسعى الى منع الاتراك من اتخاذ اية خطوات اجرائية نحو قطر يكون من شأنها تأكيد السيطرة التركية فى الوقت الذى تحاول فيه السلطات البريطانية ابعاد اليد التركية عن شبه جزيرة قطر بل وعن بقية مناطق الخليج التى للاتراك ادعاءات عليها . ومما لا شك فيه ان هذا الموقف البريطانى قد افاد الوحدة الوطنية القطرية ولو بطريقة غير مباشرة وغير مقصودة .

كما ان المقيم العام البريطانى فى الخليج قد كتب من « بوشهر » الى القنصل البريطانى بالبصرة من اجل توجيه نظر الوالى التركى بالبصرة لكى لا يشجع مطالب وفد قبيلة البوعينين الذى ترأسه احمد بن خاطر « وأن يقوم القنصل البريطانى بتهدئة خواطر البوعينين ويبلغهم باستعداد الممثل البريطانى بالبحرين للذهاب الى قطر وازالة سوء التفاهم بين قبيلة البوعينين والشيخ قاسم بن محمد آل ثانى(١٣) .

ولكن الشيخ قاسم اتخذ خطوة ايجابية من اجل الحفاظ على الوحدة الوطنية القطرية وجاءت هذه الخطوة ترضية لقبيلة البوعينين ، وتفصيل ذلك ان الشيخ قاسم توجه من « لوسيل » الى الدوحة ، وبعث ابن اخيه خالد بن محمد آل ثانى الى الوكرة حيث طلب من قبيلة البوعينين عقد لقاء مع الشيخ قاسم ، وقد لبى زعماء البوعينين الدعوة وقد حرص الشيخ قاسم فى هذا اللقاء على تذكير البوعينين بالصداقة القديمة المستقرة والمحبة الدائمة بين المعاضيد — قبيلة الشيخ قاسم — والبوعينين ، ووعدهم بأنه سيعمل هو وابناؤه من بعده على عدم اللجوء الى اية اجراءات قد تشوب العلاقات الودية بين البوعينين وآل ثانى . وقد تقبل زعماء البوعينين هذه التأكيدات بالرضا والقبول وقرروا البقاء فى الوكرة كما كانوا قبلا . ومن ثم زار الشيخ

12. Ibid, Inclosure 1 in No., 68 Consul Crow to Sir Gerald Lowther, Bussorah, November 20, 1908.
13. Ibid, Inclosure 2 in No. 68 British Resident, Bushire (M.) E. Raejto consul Grow. Bushire, November 17, 1908.

عبــد الرحمن — زعيم البوعينين — رؤســاء عشــائر واسر البوعينين وطمأنهم وهذا يعنى نجاح الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى ترضية قبيلــة البوعينين ترضية معنوية (١٤) .

كما تروى المصادر عن كيفية معالجة الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى لفتنة محمد بن عبد الوهاب الذى ينتمى الى الرعوية التركية والذى كان زعيما للغارية وتآمر ضد الشيخ قاسم فى عامى ١٨٨٦م و١٨٨٧م ، على امل ان يتزعم هو — اى محمد بن عبد الوهاب — شــبه جزيرة قطر ، ومحمد بن عبد الوهاب آل فيحان من قبيلة سبيع كانت تربطه عــلاقة مصاهرة مــع آل ثانى ، كما كان تاجرا للؤلؤ ومستشارا للشيخ محمد بن ثانى بالاضافة الى تزعمه قبيلة آل كوارة بسبب مصاهرته لهم واقام فى بلدة — « الغارية » وهى من اهم قرى قطر ، وقد حاول الاتراك الاعتماد عليه كمنافس للشيخ قاسم بن محمد آل ثانى الذى رفض المشاريع التركية لتقوية السلطة التركية على قطر(١٥) .

وبدات تحرشات محمد بن عبدالوهاب عندما اقترحضابط البحريةالتركية المسئول عن سواحل قطر ان يسمح لأهل الغارية بالاقامة فى سلام تحت حكم محمد بن عبد الوهاب ، وسافر محمد بن عبد الوهاب الى الأحساء — بعــد أن اقترح اقامة دار تركية منظمة للعوائد فى الدوحة — ثم عاد ومعه خمسين رجلا من رجال الضبطية التركية ، ولقد اثارت هذه الاجراءات غضب الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى وهدد بالانسحاب من الدوحة .

واستنادا الى المساعدات والمساندة التركية بنى محمد بن عبد الوهاب فى الغارية قلعة كبيرة محصنة ودعا جميع اثرياء البلد الى سكناها ، واخــذ

14 Ibid, Inclosure 3 in No. 68 : Extract from the Diary of the Bahrein political Agency for the week Kending, November 13, 1908, Item 354, November 7.

(١٥) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٨ .

(١٦) لوريمر : المرجع السابق ص ١٢٢٢ .

يجمع الناس والقبائل حوله ويبذل الاموال فى سبيل ذلك وهو لا يدرى انــه يهدم الوحدة الوطنية القطرية او يدرى ولكنه فى سبيل زعامة قطر لا يبـــالى، واخــذ يستثير الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى بتصرفات غير مسئولة ، مما دفع الشيخ قاسم الى التصميم على تخليص قطر من هذه الفتنة واستعادة الوحدة الوطنية القطرية لقوتها ، فجمع قواته والمتحالفين معه واتجه الى حيث تجمع محمد بن عبد الوهاب والملتفين حوله ، ولما حـــل الشيخ قاسم بساحتهم قتل بعضهم وصادر أموالهم ثم عفا عنهم واستقل بالامارة(١٧) ، أما محمـــد ابن عبد الوهاب فقد انتقل بعد هذه المعركة الى بلدة دارين على ساحل الاحساء هو وجماعته حيث استوطنها(١٨) .

ويبدو أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى قـــد حزن لهذا الخروج على الوحدة الوطنية القطرية ، وانه بذل فى سبيل انهاء هذا الخروج جهدا كبيرا ، فعبر عن كل ذلك بشعر مرهف اختتمه بابراز فضل الله عليه الذى نصره ، ودعا ابنه ــ الشيخ على بن قاسم ــ الى التمسك بحبل الله المتين لكى يحوز النصر دائما .

ومن هذا الشعر نسوق الأبيات الآتية :ــ

أرى الجفن والنوم ما يألف الكـــرى	اذا هم فى بعض الهمم والمطـــالب
فمم ياندیبى وارتحل عيـــد هية(١٩)	عمانية مـــن ساس هجـــن نجايب
فأنالى على كل البوادى قدايـــم(٢٠)	اذا نابهم سنة الغلا والحرايب(٢١)
أبذل لهـــم نفسى ومالى وعصـــبتى	وحصن لهم فى موجبـــات النوايب

(١٧) ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ص ١٦ .
(١٨) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ١٤٧ .
(١٩) عيد هية : من صفات الناقة الطيبة .
(٢٠) قدايم : يعنى معروف سابق .
(٢١) الحرايب : الحروب وما يتبعها من تلف وشدة .

ويقول :

فلا خير فيمن يتبــع الهون والردى	ورزقه سؤال بين معطى وطــالب
يلومونني العذال فى مطلب العـــلا	يقولون يسلك بــك دروب صعايب
فلولا ركوب الصعب فى كل شـــدة	وصبر علــى شداتهــا والكرايب
مالذ فى الدنيــا لذيذ ومطعـــــم	ولا لذ لى فيهــا لذيــذ المشــارب

ويقــول :

ولينــا وعفينــا وجــدنا بعتقهــم	وجــدنا لهــم بأموالهــم والربايب

ويقول لابنه :

تمسك بتقوى الله واخلص له العمل	بعلم علــى حــق صواب وصايب
ترى من أطاع الله طاعت له المــلا	وذلت له ارقاب الملوك الصــعايب

واجابه ابنه الشيخ على بن قاسم بقوله :

لك الحمد يامن هو لنا فى النوايب	معــين علــى شداتها بالوهــايب
فقد رابنى من يمة الغرب دولـــة	طوابير روم(٢٢) محنقين غضــايب
وقد رابنى من يمــة الشرق دولــة	نصارى يدورون(٢٣)الحججوالسبايب
ونادى لهم من يمة العجم شوشة	تحــامو علينــا مدعــين طــلايب
وثوب لهم(٢٤)من يمة الجدى (٢٥)دولة	اخاليط فيهــا مــن بعيــد وقرايب

---

(٢٢) طوابير روم : يعنى عسكر الدولة العثمانية .

(٢٣) النصارى : يقصد بهم الانجليز الذين يثيرون الفتنة ويبحثون عن اسبابها .

(٢٤) ثوب لهم : استجاب لهم .

(٢٥) من يمة الجدى : من جهة الشمال .

ومع ذا وفى الشيخ اليمانى(٢٦) عصابة   اهناوية فينا تدور الضرايب
تعاطوا علينا بالعداوة جميعهم   ولا ثمنوا دوراتها والعقايب
فما نجد الموالى واسع العطا   بحيث ان جعل فينا عطيب الضرايب(٢٧)

---

(٢٦) الشيخ اليمانى : يقصد الشيخ زايد حاكم عمان حين ذاك .

(٢٧) عطيب الضرائب : الذى اذا سدد الضرب أصاب هدفه فى مقتل . والأبيات والتوضيحات من كتاب ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ص ١٦ — ٢٠ .

المحافظة على استمرار الوحدة الوطنية القطرية فى مواجهة التنافس التركى الانجلـــيزى

ورابع صروح الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر يتمثل فى المحافظة على استمرار هذه الوحدة أمام تنافس انجليزى عثمانى حول السيطرة على شبه الجزيرة القطرية وسلبها كيانها الذاتى وشخصيتها السياسية ، ذلك أن الانجليز كان لهم نشاط بحرى فى الخليج تزايد منذ ان قضوا على النفـوذ البرتغالى الهولندى هناك ، وانفردوا هم بالنفوذ من أجل احكام سيطرتهم على الهند المستمرة البريطانية الكبرى .

وكانت انجلترا قد لجأت من اجل فرض نفوذها فى الاقطار العربيـة الخليجية الى عقد معاهدات مع حكام هذه الاقطار تعطى لانجلترا نفوذا كبيرا بوضع اقطار الخليج العربية تحت الحماية البريطانية ، وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر وتمثل معاهدة عام ١٨٦٨م التى وقعها الشيخ محمد بن ثانى والد الشيخ قاسم اول اتصال رسمى بين قطر وبريطانيا تعهدت فيها قطر بألا تخرق السلم البحرى واعترف فيها الشيخ محمد بن ثانى بسلطـة المقيـم البريطانى بالخليج فى فض المنـازعات أو الخلافات الناجمـة عـن تطبيق المعاهدة(٢٨) .

واعتمدت السياسة البريطانية اعتمادا كبيرا فى تنفيذ خططها وسيطرتها على قطر بتعميق الخلافات الشخصية بين شيخ الدوحة — الشيخ قاسـم بن محمد آل ثانى — ورؤساء القبائل والعشائر القطرية وشيوخ البحرين ، وتثير المشكلةتلو المشكلةلتتمكن مناحكامسيطرتها واجبار الاطرافالمتنازعةعلى طلب مساعدتها سواء بالسلاح أو التأييد المادى والمعنوى(٢٩) ، ولكن ظهور

(٢٨) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى (١٨٤٠ — ١٩١٤) ص ٤٧٣ .
(٢٩) نفس المرجع ص ٢٣٦ .

الاتراك فى الخليج العربى واحتلالهم لقطر قد أضر بتنفيذ مخططات انجلترا الاستعمارية لظهور قوة كبيرة فى المنطقة(٣٠) .

وكان العثمانيون الذين فرضوا سلطانهم على العراق منذ عام ١٥١٤ م ومصر والحجاز منذ عام ١٥١٧ م قد تطلعوا الى الخليج ، فقام جيش عثمانى بالاستيلاء على الاحساء عام ٩٦٣ هـ الموافق ١٥٥٥ م وظلوا بها حتى استخلصها منهم براك بن غرير من بنى خالد عام ١٠٨١ هـ الموافق ١٦٨٣ م تقريبا (٣١) ثم عادوا مرة اخرى الى الخليج بعد أن استقر الامر لهم فى العراق ، ومن ثم رايناهم فى اقطار الخليج العربية ابتداء من أوائل النصف الثانى للقرن التاسع عشر .

ومع وجود الاتراك فى الدوحة منذ عام ١٨٧١ م الذى يمكن وصفه بالاحتلال المباشر اطلقوا يدى آل ثانى فى مزاولة السلطة وادارة شئون قطر ، ومن ثم قامت سياسة الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى الفترة من من ١٨٧١ الى ١٨٩٣ م على التحالف مع الاتراك ، ولكن تلك السياسة تحولت من عام ١٨٩٣ الى ١٩١٣ م فى اتجاه التحالف والاعتماد على بريطانيا ، وكان السبب المباشر لهذا التحول هو محاولة الاتراك تقوية قبضتهم على قطر من خلال مشروع عاكف بك متصرف الاحساء فى اقامة ادارة تركية مباشرة فى قطر وانشاء ادارة للعوائد الجمركية (٣٢) ، ولا شك أن كل ذلك يضعف من الوحدة الوطنية القطرية ذات الكيان السياسى الذى يرعاه الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ، والذى اعتبر مشروع « عاكف بك » تدخلا مباشرا فى سلطانه وحدا من الاستقلال الذى تمتعت به قطر منذ عام ١٨٦٨ م ، وبالتالى تعود قطر الى عهد ما قبل

---

(٣٠) د . سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ص ٦٣ .

(٣١) أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٧٢ .

(٣٢) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٢٦ — ٢٧ .

الوحدة الوطنية ، ولعل هذا يفسر لنا بحث الشيخ قاسم عن حليف آخر للمحافظة على الوحدة الوطنية القطرية .

وامام اطماع كل من انجلترا وتركيا في قطر ، ونظرا لتفوق القوتين أمام قوة قطر العسكرية ، فقد قبل الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني رفع العلم التركي في الدوحة منذ عام ١٨٧١ م رغم معارضة والده الشيخ محمد الذي ظل يرفع العلم العربي علـــى بيته (٣٣) ، وكان الأتراك قد أرسلوا قوة عسكرية الى شبه جزيرة قطر في ذلك العام بأمر « مدحت باشا » والي العـــراق التركي بعد أن احتلت القـــوات التركية ميناء القطيف بالأحســـاء .

ويبدو ان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قبل التعاون مع الأتراك بحكم انهم القوة البرية الإسلامية التي تعاون معها من قبله آل الصباح بالكويت ، وانه قبل بالوجود التركي من اجل مناواة سيطرة بريطانيا البحرية في الخليج ، ويدل على ذلك التحركات المحمومة للمقيم العـــام البريطاني ومساعده في الخليج عقب نزول قوات العثمانيين ورفع علمهم في قطر ، وقد اســـتطاع الشيخ قاسم تهـــدئة ثائرة الانجليز دون أن يســـتجلب عـــداءهم .

وكان النفوذ التركي لا يتعـــدى حدود مدينة الدوحة وضواحيهـــا القـــريبة ، وسحبت تركيا عام ١٨٧٢ م قواتهـــا النظامية التي كانت في مدينة الدوحة وابدلتها بثلاثين رجلا من رجال الضبطية اي الشرطة ، وأصبحت قطر قائمقامية تتبع لواء الاحساء الذي يحكمه متصرف يخضع لوالي ولاية البصرة ، وتتبع قائمقامية قطر بعض القرى الصغيرة على

---

(٣٣) العلم العربي هو علم الهدنة الذي قبل حكام الامارات العربية الخليجية رفعه على بلادهم احتراما لاتفاقية السلم البحري مع بريطانيا . عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ١٤٠ .

راس كل منها مدير يخضع الى قائمقام قطر وكان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أول قائمقام لقطر (٣٤)

ولم يكن الشيخ قاسم ليقبل بوجود الأتراك فى الدوحة على حساب الوحدة الوطنية فى قطر ، ولذلك رأيناه يقبل من الأتراك منصب قائمقام لحكم قطر عام ١٨٧٦م ، فى الوقت الذى بدأت فيه تركيا تروج لفكرة الجامعة الاسلامية . ولم يجد الشيخ قاسم غضاضة فى ان يقبل هذا المنصب فى هذا الاطار الاسلامى الذى وجد له صدى كبير بين الزعماء العرب والمسلمين ، وطالما لم يتدخل الاتراك فى زعامته الداخلية ركيزة الوحدة الوطنية .

الا ان الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى كان على استعداد لاتخاذ موقف العداء من الاتراك اذا شعر بمؤامرات يحيكونها ضد وحدة قطر الوطنية ، ومن ثم نجد له مواقف وطنية امام محاولات الاتراك احكام قبضتهم على قطر خلال اعوام ١٨٨٩ / ١٨٩١ م ، خاصة عندما أصرت تركيا على اقامة ادارة تركية مباشرة فى قطر ، وفرض التنظيمات التى رأت السلطات التركية تنفيذها بسبب وقف الامدادات المالية غير المحسوبة التى كان يحصل عليها الشيخ قاسم من خلال فرض الضرائب (٣٥) ومحاولة الوالى التركى فى البصرة احكام السيطرة التركية على قطر بتعيين مساعد لقائمقام قطر الشيخ قاسم دون موافقة الأخير ، وتعيين مديرين للزبارة والعديد وتجهيز قوة تركية قوامها أربعمائة جندى لتقوية الحامية التركية فى قطر (٣٦) .

ولم يكن الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ليقبل تلك الاجراءات التى تنتقص من سلطته وتهدد الوحدة الوطنية القطرية ، ولذلك حدث الصدام

---

(٣٤) نفس المرجع ص ١٤١ .
(٣٥) لوريمر : المرجع السابق ص ١٢٢٤ .
(٣٦) سالدانا : الشئون القطرية ص ١٦٤ .

بين قطر والأتراك بدأ باذاعة الشيخ قاسم عن عزمه فى الاستقالة من منصب القائمقام على قبائل شبه جزيرة قطر ، وان الاتراك تسلطوا على البلاد ، وهذا الاعلان كان بمثابة انذار بالحرب لأن القبائل القطرية التى قبلت بزعامة الشيخ قاسم لم تكن على استعداد لان تخضع للحكم التركى المباشر بما يحمله لهم من احتلال واستغلال .

وتطورت الامور بين الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى وبين الاتراك الى الحرب بعد ان أيقن من مؤامرات الأتراك وخيانتهم له عام ١٨٩٣ م ، وجعل من انشاء دار للعوائد الجمركية فى مدينة الدوحة سببا رئيسيا للجهر بعدائه متذرعا بأن الضرائب على التجارة والسفن الوطنية ودخل اللؤلؤ سيترتب عليها هجرة السكان بمجرد تطبيق هذا الاجراء ، كذلك علل الشيخ قاسم عدم موافقته على تعيين مساعد له بأنه سيتدخل فى الشئون القطرية الخاصـــة دون مراعاة للروح البدوية والنظام القبلى السائد فى التعامل بين الشعب القطرى (٣٧) .

وبدأت تركيا العداء باحضار قوة تركية برية قوامهـــا ١٥٠ جنديا وسفينة حربية وجهت نيرانهـــا للدوحة فى الوقت الذى لقيت فيه القوة التركية البرية هزيمة منكرة أمام قوات قطر بقيادة الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى ٢٦ مارس ١٨٩٣ م ، كان من نتيجتها اطلاق سراح الشيخ أحمد بن محمد آل ثانى شقيق الشيخ قاسم و١٢ من اعيان الدوحة الذين احتجزهم الاتراك رهائن قبل المعركة ، كما كان من نتيجة المعركة عزل والى البصرة الذى دبر الهجـــوم على قطر وادار المعركة بنفسه وهـــو محمد حافظ باشا .

ونتيجة للسياسة التركية نحو الوحدة الوطنية فى قطر ، فقد بدأت سياسة التقارب بين قطر والانجليز ، وذلك للأسباب التالية :

---

(٣٧) نفس المرجع ص ١٦٤ .

١ — عجز الاتراك عن التعاون مع الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى من اجل المحافظة على استقلال قطر ووحدتهـا الوطنية فى مواجهة طلبات البحرين المالية والاقليمية .

٢ — الاعتداء المستمر للمأمورين والمديرين الذين كانت تعينهم السلطات التركية المسـئوله للعمل فى قطر على رعاياهـم الى جانب وقوع منازعات كثيرة بين العسكريين مـن رجال الحامية العثمانية والقبائل البدوية الضاربة على حدود قطـر والتى كانت تدين للشيخ قاسـم بالولاء (٣٨) . فى اطار الوحدة الوطنية القطرية .

٣ — ظهور ضـعف الدولة العثمانية بعد هزيمتهـا امام الشـيخ قاسم بن محمد آل ثانى ، تلك الهزيمة التى تؤدى بالتالى الى القضاء على مركز الدولة فى امين العشائر البدوية لذا فقد اعلن الباب العالى ان ما فعله والى البصرة كان دون علم منـه ، فاتجهت الدولة العثمانيـة الى التفاوض مـع قاسـم (٣٩) .

لكن اخطر نتائج الصـدام بين قطر والاتراك كان ادراك الشـيخ قاسم بن محمد آل ثانى لخطر الوجود التركى ، وانه لابد من عمل توازن فى العلاقة مع الاتراك بتحسين علاقته بالانجليز ، ورفض التعاون مـع الاتراك على النحو الذى كان قبل معركة ٢٦ مارس ١٨٩٣ م ، ففى عام ١٨٩٧ م رفض الشيخ قاسم باسم قطر المساهمة فى الحرب الدائرة بين تركيا واليونان آنذاك ، ورفض الشـيخ قاسم قبول دعوة من متصرف الأحساء التركى لزيارة المتصرفية ومعه شقيقه الشيخ احمد .

وقد ظل الاتراك موجودين بقطر حتى جلوا عنها اثناء الحرب العالمية

(٣٨) الآلوسى : تاريخ نجد ص ٣٨ .
(٣٩) د . جمال زكريا : المرجع السابق ص ٢٤٦ .

الاولى ولكن مع اعترافهم بآل ثانى كزعماء لقطر الموحـدة ، واذا كان الشيخ قاسم قد اعتزل منصب القائمقام بعد معاركه مـع الاتراك فان الاتراك لم يعترفوا الا بزعامته وعهدوا الى شقيقه احمد بمنصب مساعد القائمقام مع استشارة الشيخ قاسم فى كل الامور ، رغم ما ذكره متصرف نجد من أن الشيخ قاسم تغلب عليه الطبيعة البدوية من خشونة مما ادى الى عدم تأثير نصائحى ونصائح اسلافى بحسب المناسبات الملائمة مـن حيث المكان والزمان ، وينصح المتصرف بابقاء الشيخ قاسـم فى منصب القائمقامية والعمل الملح لاقناعه لآخر نفس بأخذ موافقته لتنفيذ الاجراءات المتصورة (٤٠) .

واما اتجاه الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى الى الانجليز لعمل توازن فى علاقته مع الاتراك فان ذلك يعطى دليلا على زعامة هذا الرجل وشخصيته ، وحرصه على الوحدة الوطنية لقطر ، ففى الوقت الذى كان يحمل فيه رتبة القائمقام العثمانية اتصل بالسلطات البريطانية مباشرة ، وهذا امر لم يكن مسموحا به للولاة العثمانيين ناهيك عن المتصرفين والقائمقامين .

تقدير الدولة السعوديــة

لزعامة آل ثانــى

وخامس صروح الوحدة الوطنية فى شبه جزيرة قطر تقدير الدولة السعودية لزعامة آل ثانى ، ذلك التقدير الذى تجلى فى مواقف كثيرة ، كترحيب الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى بالدعـوة الوهابية ، وترحيبه بقيام الدولة السعودية الحديثة على يد « الأمير » عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، لأن فى وجود هذه الدولة العربية الاسلامية الكبرى وقوتها

---

(٤٠) ارادة عسكرية رقم ١٦ فى ٢٧ محرم سنة ١٣١٠ هـ ، صورة التحريرات الواردة من متصرفية نجد .

فى شبه الجزيرة العربية ، وعلى الجانب الآخر من حدود قطر ، قوة لوحدة شبه جزيرة قطر الوطنية فى مواجهة الاخطار الخارجية .

وكان إنتشار الدعوة السلفية فى قطر مما يقرب بين آل ثانى وآل سعود ، ومن ثم لم يكن غريبا ان يجد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني يذهب للترحيب بعبد العزيز آل سعود حينما ظهر قرب ساحل السلام أواخر سنة ١٩٠٥ م (٤١) .

وفى مقابل المساعدات التى تلقاها عبد العزيز آل سعود من الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى خلال سنوات حرب ابن سعود مع ابن الرشيد ، وهى المساعدات التى شدت من ازره فى وقت المحنة ، فقد وجد ابن سعود فى الفترة من ٥ يونيو حتى اغسطس عام ١٩٠٥ م انه من الواجب عليه تقديم المساعدة والعون لشيخ قطر اثناء الفتنة الأهلية فى امارته ، تلك الفتنة التى كان يقودها اخوه الشيخ احمد بن ثانى والتى كان هدفهـا إنتزاع الامارة من قاسم (٤٢) .

وقد تمثل تقدير آل سعود لزعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني فى قبول شفاعة الأخير فى آل بسام من عنيزة الذين كانوا من أعداء « الأمام » عبد العزيز آل سعود وغلبهم واخذ زعماءهم الى الرياض عام ١٩٠٤ م اكثر من عام ، ولم يقبل شفاعة اشراف مكة وزعماء البصرة فيهـم حتى تشفع فيهم الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فقبل « الأمام » عبد العزيز آل سعود شفاعته ، وارسل زعماء آل بسام مع خدمه الى قطـر عام ١٣٢٢ هـ (٤٣) .

---

(٤١) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٤٢) عبد العزيز المنصور : المرجع السابق ص ٠٣٠ .
(٤٣) ديوان الشيخ قاسم محمد آل ثانى ص ٣٦ .

كما تمثل تقدير آل سعود لزعامة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أيضاً ، في قبول عبد العزيز آل سعود شفاعة الشيخ قاسم في أمير بلاد الحريق — في نجد — المسمى « راشد الهزاني » وجماعته لما شق العصا ونقض بيعة الامام وصار جريرة سوء ، اسره الامام وحبسه في بلاده الرياض ولم يظن احد انه يفك اسره ابدا لانه اجرم جرما كبيرا في الولاية للمسلمين فشفع فيهم الشيخ قاسم ، فاطلعه له الامام وارسله مع عبد الرحمن بن سويلم بقطر (٤٤) .

كانت تلك اذن صروح الوحدة الوطنية في شبه جزيرة قطر التي عمل لها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني طوال حكمه وزعامته لشبه الجزيرة ، وهي جميعا توضح الجهود المضنية والطويلة التي بذلها الشيخ قاسم في سبيل تحقيق وتثبيت الوحدة الوطنية القطرية امام قوى اكثر نفوذا واوضح اطماعا ، وظروفا اكثر صعوبة وذلك على المستويين الخارجي والداخلي . وعندما خلفه في زعامة قطر ابنه الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني كانت الوحدة الوطنية القطرية مستقرة اعترفت بهـا الأقطار العربية في شبه الجزيرة واعترفت بها انجلترا بتوقيع معاهدة بين الطرفين كانت أول اعتراف دولي باستقلال قطر .

---

(٤٤) نفس المصدر ونفس الصفحة .

مصـــادر البحــث

اولا : الوثائــق :

(أ) الوثائق البريطانية :

— F.O. 424, Confidential (9482); Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia 217, piece 68.

(ب) الوثائق التركية :

١ — صورة التحريرات الواردة من متصرفية نجد : ارادة عسكرية رقم ١٦ فى ٢٧ محرم سنة ١٣١٠ هـ .

٢ — جدول احصائية : ارادة عسكرية رقم ١٦ فى ٢٧ محرم سنة ١٣١٠ هـ .

٣ — صورة التحريرات الواردة من وكالة معاونية قائمقام قضـــاء قطر : ارادة عسكرية رقم ١٦ فى ٢٧ محرم سنة ١٣١٠ هـ .

وهذه الوثائق مترجمة الى العربية ومحفوظة بقسم الوثائق بالديوان الأميرى بالدوحة .

ثانيا : المؤلفات :

١ — د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراســـة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠ — ١٩١٤ م) القاهرة ١٩٦٦ م .

٢ ــ حسين بن غنام : روضة الافكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذى الاسلام ، المسمى تاريخ نجد تحقيق الدكتور ناصر الدين الاسد ــ القاهرة ١٩٦١ م .

٣ ــ د . سيد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة وهو كتابان الأول مدخل عام ودراسة للكويت ، نشره معهد الدراسات والبحوث العربية ــ القاهرة ١٩٦٧ م ، والكتاب الثانى يتناول ساحل عمان ونشره معهد البحوث والدراسات العربية أيضا ــ القاهرة ١٩٧٢ م .

٤ ــ د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ــ القاهرة ١٩٧٤ .

٥ ــ شركة الزيت العربية الأمريكية (ارامكو) ــ ادارة العلاقات شعبة البحث عمان والساحل الجنوبى للخليج الفارسى ــ مترجم ــ القاهره ١٩٥١ م .

٦ ــ ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى وقصائد اخرى نبطية ، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ على بن عبد الله بن قاسم آل ثانى حاكم قطر السابق الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٩ هـ تحت اشراف دار الكتب القطرية .

٧ ــ عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر فى الفترة ما بين ١٨٦٨ ــ ١٩١٦ م الطبعة الأولى ــ الكويت ١٩٧٥ م .

٨ ــ سالدانا (جى . أى) الشئون القطرية من سنة ١٨٧٣ الى ١٩٠٤ م مترجم بقلم احمد العنانى ونشرته لجنة كتابة تاريخ قطر وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر ــ الدوحة ١٩٧٦ م .

٩ — لوريمر (ج . ع) دليل الخليج — القسم التاريخى ٧ اجزاء ، ترجمة مكتب الترجمـة بديوان امير دولة قطر — الدوحـة ١٩٦٩ م .

١٠ — حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين . طبعة ثانية القاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

١١ — محمود شـكرى الألوسى : تاريخ نجـد ، حققه وعلق عليه محمد بهجت الأثرى — الطبعة الثانية — القاهرة ١٣٤٧ هـ .

١٢ — أمين الريحانى : تاريخ نجد الحديث وملحقاته — الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٤ م .

ثانيا : قطر قبيل الحرب العالمية الأولى *

مقدمـــة

تحتفل قطر كل عام بعيد استقلالها فى الأول من سبتمبر ١٩٧١ ، عندما وجه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر الحالى — وكان وقتها وليا للعهد ورئيسا لمجلس الوزراء — خطابا الى شعب قطر اعلن فيه استقلال قطر منهيا بذلك علاقاتها التعاهدية مع بريطانيا وملغيا معاهدة سنة ١٩١٦ م ، ومبشرا بقيام دولة قطر ذات السيادة التامة والسلطان الكامل على كل مقدراتها فى الداخل والخارج على السواء .

وقبل هذا الاعلان كانت هناك احداث اوصلت قطر الى الاستقلال ، من هذه الأحداث بدء ظهور قطر كامارة ذات كيان سياسى يحكمها أمراء من آل ثانى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت هناك ارتباطات سياسية واقتصادية بين حكام قطر وكل من حكام نجد آل سعود وحكام البحرين آل خليفة بحكم ارتباط قطر بريا بالأرض السعودية وبحريا بمواجهة جزر البحرين ، الى جانب ترحيب القطريين — وفى مقدمتهم آل ثانى — بالدعوة الوهابية ، بالاضافة الى الارتباط بين القبائل العربية فى شـــبه جزيرة قطر وفى جزر البحرين ارتباط قربى وتعاون فى مجالات صيد اللؤلؤ والتجارة فيه وفى غيره من السلع .

وفى ظل آل ثانى اتجهت قطر فى سياستها الخارجية — خاصة فى عهد الشيخ محمد بن ثانى وابنه الشيخ قاسم — الى النزوع الى الاستقلال

---

* نشر هذا البحث بالمجلة التاريخية المصرية التى تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — القاهرة العدد ٢٧ لسنة ١٩٨٠ م .

عن كل من حكومة الرياض وحكومة المنامة فى الوقت الذى اخذ فيه الصراع الانجليزى التركى يشتد حول النفوذ فى مناطق الخليج العربى ، فكان على آل ثانى اذن عمل التوازن المطلوب بين هذه القوى المختلفة سواء كان الخليجية أو الخارجية من اجل تأكيد استقلال قطر .

ونتيجة لهذا التوازن فقد حصلت قطر بموجب اتفاقية ١٢ سبتمبر ١٨٦٨ م مع بريطانيا على اعتراف باستقلال قطر ، وان وجدت روابط اقتصادية جمعت القطرين العربيين — قطر والبحرين — بضمان بريطانيا ، وهو استقلال مبكر يتناسب فى شروطه مع ظروف ذلك العصر ، ويضع الاساس لارساء قواعد الامن والاستقرار ليس فى قطر وحدها بل وفى كل الخليج العربى كله .

كما انه نتيجة لهذا التوازن أيضا فقد حصلت قطر بموجب الاتفاقية التركية البريطانية الموقعة بين الطرفين عام ١٩١٣ م على اعتراف القوتين المتنافستين على النفوذ فى منطقة الخليج العربى آنذاك باستقلال قطر تحت حكم آل ثانى ، ورغم انه وقعت بعد ذلك فى نوفمبر ١٩١٦ م معاهدة الحماية البريطانية على قطر ، فان اعتراف بريطانيا فى معاهدة ١٩١٣ م مع تركيا باستقلال قطر بزعامة آل ثانى كانت نقطة كسبتها قطر وسبقت بها اعلان الاستقلال التام وانهاء معاهدة الحماية مع بريطانيا فى سبتمبر ١٩٧١ م .

وفى الصفحات التالية نسجل كيف ادى التوازن الذى عمل له الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى على الاعتراف باستقلال قطر من جانب أكبر قوتين متنافستين على النفوذ فى منطقة الخليج العربى واعنى كلا من انجلترا وتركيا . وهو الاستقلال الذى دفعنا الى ابراز دوره ودور صانعه فى تاريخ قطر الحديث والمعاصر .

استقلال قطر ومعاهدة ١٨٦٨ م

استفاد الشيخ محمد بن ثانى من الظروف المحيطة بقطر والأحداث العربية التى تعرضت لها منطقة الخليج ، واعنى بها الحرب بين القطريين من ناحية وكل من حكام البحرين وابو ظبى من ناحية اخرى عام ١٨٦٧ م ، فانضم الى السعوديين الذين ناصروه ، وفاوض المقيم البريطانى فى الخليج الكولونيل بيللى Billey باسم القطريين فى اجتماع عقد بمدينة الوكرة القطرية .

وقد تمت هذه المفاوضات بتدخل من الكولونيل بيللى ، وبموجب الصلاحيات المتعلقة بالأمن البحرى ، ومن ثم انشئت عبر هذا التدخل أول علاقة رسمية على شكل اتفاقية مع الشيخ محمد بن ثانى فى ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م ، كانت بمثابة اعتراف بريطانى بالشيخ محمد بن ثانى كحاكم يمثل قطر(١) ، وقد ادخلت هذه المعاهدة قطر عضوا فى معاهدات الهدنة البحرية ، وكانت تقضى فى مجملها على الا يرتكب اهالى قطر اعمالا عدوانية فى البحر ، واعطت شخصيتها الكاملة ، واعترف بعدها بآل ثانى حكاما لقطر حتى اليوم(٢) .

ومما هو جدير بالذكر ان قطر دخلت متأخرة فى معاهدات الهدنة البحرية عن غيرها من امارات الخليج العربى التى دخلت فى هذه المعاهدات منذ عام ١٨٢٠م ، تلك المعاهدات التى التزمت فيها هذه الامارات العربية الخليجية — بعد معركة بريطانيا مع القواسم فى راس الخيمة عام ١٨٢٠ م — بنبذ الأعمال العدائية ضد بعضها البعض او ضد الغير فى مياه الخليج وقبول وساطة المقيم العام البريطانى فى الخليج فى اى نزاع يتعارض مع هذه

---

(١) ابراهيم ابو ناب : قطر قصة بناء دولة ص ٧١ .
(٢) د . عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر (١٩١٦ — ١٩٤٩ م) ص ١٢٨ .

المعاهدات . وهذا التأخير فى الانضمام لمعاهدات السلم البحرى قد جعل لقطر وضعا متميزا حتى عن البحرين التى وقعت معاهدة مماثلة مع بريطانيا عام ١٨٦١م .

وقد تضمنت المعاهدة بين الشيخ محمد بن ثانى والكولونيل بيللى على وثيقتين : الوثيقة الاولى تعهد من الشيخ محمد بعدم خرق المعاهدة البحرية ، وهذا التعهد يتضمن خمسة بنود اهمها عودة الشيخ محمد وبقية القبائل القطرية المتحالفة الى سكن مدينة الدوحة وتعميرها بعد ان تركوها اثناء هجوم حكام البحرين وابو ظبى عليها ، وعدم القيام باية اعمال حربية فى مياه الخليج ، ورفع امــر اى نزاع ينشأ بين قطر واية امارة خليجية اخــرى الى المقيم العام البريطانى ، وان تكون علاقة قطر بالبحرين طيبة وان يدفــع الشيخ محمد بن ثانى قدرا من المال وقدره ١٥٫٠٠٠ قران(٣) لحاكم البحرين كل سنة وذلك عن طريق المقيم العام البريطانى ، ووقع هذا التعهد كل من الشيخ محمد بن ثانى والكولونيل س . لويس بيللى فى ٢٤ جمادى الاولى ١٢٨٥هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م(٤) .

واما الوثيقة الثانيــة التى اشتملت عليها معاهدة ١٨٦٨ م بين قطــر ويمثلها حاكمها الشيخ محمد بن ثانى والمقيم السياسى البريطــانى العام فى الخليج العربى الكولونيل بيللى فهى عبارة عن تعهد من زعماء القبائل القطرية بدفع مبلغ ١٥٫٠٠٠ قران سنوى متضامنين وعن طريق حاكم قطر الشيخ محمد بن ثانى الذى يسلمها للمقيم العام البريطانى الذى يسلمها بدوره لحــاكم البحرين من آل خليفة .

---

(٣) يذكر د . احمد ابو حاكمة فى كتابــه : تاريخ شرقى الجزيرة العربية نقلا عن تقرير المستر واردن Warden ان « القران » عملة ضربت فى فارس وهى تعادل فى قيمتها الريال الحجازى .

(٤) د . عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر (١٨٦٨ — ١٩١٦ م) ص ٢١١ .

وقد نصت هذه الوثيقة على ما يلي :

نقر نحـــن شيوخ القبائل الموقعين على هـــذا والمقيمين مع قبائلنا في الارض القطرية ونوافق على ان ندفع للشيخ على بن خليفة حاكم البحرين المبالغ المالية التى كنا ندفعها سنويا من قبل لحكام البحرين وهذه المبالغ كلها نسلمها للشيخ محمد بن ثانى شيخ الدوحة الذى يقوم بتسليمها للمقيم العام البريطانى الذى يقوم بدوره بتسليمها لوكيل حاكم البحرين فى بوشهر وهذه المبالغ موزعة على النحو التالى حسب نصيب كل قبيلة :

* قبيلة المهاندة تدفع ٧٠٠ر١ قران .
* قبيلتى البوعينين والنعيم تدفع ٥٠٠ر١ قران .
* قبيلة سميسمة (قبيلة البوكوارة التى تسكن فى سميسمة) وتدفع ٥٠٠ قران .
* قبيلة كليب وتدفع ٥٠٠ قران .
* قبيلة السودان وتدفع ٥٠٠ر١ قران .
* محمد بن ثانى (زعيم قبائل المعاضيد والمسلم) ويدفع ٥٠٠ر٢ قران .
* قبيلة العمامرة وتدفع ٨٠٠ قران .

الجملة ٩٠٠٠ قران

واذ ندرك نحن الشيوخ المذكورين بأن ما يطالبنا به حـــاكم البحرين هو ٠٠٠ر١٥ قران سنويا وليس ٠٠٠ر٩ المتوزعين على القبائل اعـــــلاه ، فاننا نوافق على دفع اى مبلغ اضافى بحيث لا يتجاوز مجموع ما ندفعه ٠٠٠ر١٥ قران والذى يجب أن يصدر به المقيم السياسى البريطانى قرارا بعد دراسة الموضوع دراسة قانونية .

وقد تحرر هذا التعهد فى ٢٥ جمادى الأول ١٢٨٥ هـ الموافق ١٣ سبتمبر ١٨٦٨م ، أى فى اليوم التالى لتوقيع الوثيقة الاولى(٥) .

ولم يكن هذا التساهل من جانب الشيخ محمد بن ثانى حاكم قطـــر الا تحقيقا لهدف اكبر وهو نيل الاستقلال ، وابعاد النفوذ التركى عن شبه جزيرة قطر وهو النفوذ الذى ظهر فجأة فى الاحساء والبحرين حتى يبعد وطنه عن الصراع الأكبر بين القوتين المتنافستين انجلترا وتركيا ، وهو يدرك أن قطر لا قبل لها بهذا الصراع ، ومن الخير لها عمل التوازن بين القوتين .

ومن ثم لا نعجب أن نجـــد بريطانيا عن طريق معاهدة ١٨٦٨م تسهم فى تأسيس مركز مستقل لقطر عـــن البحرين لاول مرة فى تاريخ شـــبه جزيرة قطر(٦) .

ولكن انجلترا رغم توقيعها معاهدة ١٨٦٨م مع قطر فانها لم تنجح فى فرض نفوذها كاملا بالسرعة التى نجحت فيها فى البحرين بسبب امســـاك الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى زمام الامور فى شبه الجزيرة القطرية من والده الذى بلغ الثمانين من عمره ، وكان الشيخ قاسم فى الرابعة والاربعين من عمره عندما تسلم زعامـــة قطر عقب توقيـــع اتفاقية عام ١٨٦٨م مـــع البريطانيين ، وقد عمل الشيخ قاسم على الاستفادة من مزايا تلك الاتفاقية والتخلص من مضارها عند أول فرصة سانحة . وقد سنحت الفرصة بحدوث البريطانية لعام ١٨٦٨م بثلاث سنوات حيث اعتبرت تركيا قطر قائمقاميـــة عثمانية واختارت الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى قائمقام لحكم قطر .

غزو تركى لشبه جزيرة قطر عـــام ١٨٧١م بعد توقيـــع الاتفاقية القطرية

جاء تعيين الشيخ قاسم فى منصب القائمقام لحكم قطر اعتراف من تركيا بسلطة آل ثانى على قطر ذات الكيان السياسى ، وكان البريطانيون يعترفون

---

(٥) F. O. 424, Confidential (10376), Part X,: No. 238, Piece No. 492 : India Office, to Foreign Office, India Office, June 28, 1913. Inclosure 2 in No. 492 : Extract from «Aitchison's Treaties» 4th edition, Vol. XII, P. 148.

(٦) د . جمـــال زكريا : الخليج العـــربى (١٨٤٠ — ١٩١٤ م) ص ١٦٠ .

بموجب معاهدة ١٨٦٨م بسلطة آل ثانى على قطر المستقلة ، وهنـا وجـد الشيخ قاسم الفرصة سانحة لكى يحقق استقلال شبه جزيرة قطر عـلى طريقته هو عن طريق الاستفادة من القوتين المتنافستين فى التقرب الى قطر ، وذلك بعمل توازن فى علاقة قطر بين كل من انجلترا وتركيا . وفى ظل هـذا التوازن بين الدولتين الكبيرتين فى المنطقة اخذ الشيخ قاسم يعمل على جمع سكان قطر جميعهم على هدف واحد واشاعة السلام بينهم وتوحيدهم(٧) ، اى تحقيق الوحدة الوطنية القطرية ركيزة الاستقلال الكامل المنشود والمحققة لاستمرار المحافظة على الاستقلال .

ولكن يبدو ان كلا من تركيا وبريطانيا لم تقبل بسياسة التوازن بين القوى التى لجأ اليها الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى تعامله معها . فرغـم أن بريطانيا سلمت منذ البداية بامتداد السيادة العثمانية الى بعض اجزاء مـن شبه جزيرة قطر الا أنها لم تلبث أن فطنت الى اغراض الاتراك التوسعية فى الخليج العربى فصارت تعارض فى امتداد النفوذ العثمانى الى قطر وتعمل فى نفس الوقت على تقوية علاقاتها بشيخ البحرين ومساندته فى مواجهـة الاخطار التى تحدق به(٨) .

وتعرض استقلال قطر الذى يحاول الشيخ قاسم صيانته لمؤامرات من قبل الانجليز والاتراك فبالنسبة للانجليز فقد انتهزوا تعاون الشيخ قاسم مع العثمانيين بقبول منصب قائمقام قطر وحرضت البحرين لاثارة المشاكل مع قطر بخصوص مسألة السيادة على مدينة الزبـارة وعلى قطـر باكملها استنادا الى ان مدينة الزبارة هى الارض التى خرج منها آل خليفة وفتحوا جزر البحرين فهى موطن اجدادهم ، وقد نسوا أن الشيخ ثانى الذى تنتسب اليه اسرة آل ثانى وقد ولد فى الزبرة واشتغل بالتجارة هناك وعن طريقه

---

(٧) ابراهيم ابو ناب : المرجع السابق ص ٧٢ .

(٨) محمود شكرى الالوسى : تاريخ نجد ص ٣٩ .

وصلت تلك الاسرة الى ما وصلت اليه الآن ، كما ان قطر توقفت عن دفع الامـــوال السنوية التى كانت تدفعهـــا للبحرين بموجب معـــاهدة ١٨٦٨م والتى كانت تنتقص من استقلال قطر الكامل ، توقف دفع هذه الأموال عقب ظهور الاتراك فى المنطقة اى عام ١٨٧٠م(٩) .

واستطاع الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى المحافظة على استقلال قطر باستمرار تقوية علاقته بالاتراك ، ولكن الاتراك ما لبثوا أن رأوا فى رفضه لبسط سيطرتهم على قطـــر نزعـــة استقلالية منه ، ومن ثم عولوا عـــلى محاربته ، ولم تفلح الحـــرب التى وقعت عـــام ١٨٩٢م لأن الاتراك هزموا فيها على الارض القطرية ، مما دفع السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى الى الكتابة الى الشيخ قاســـم بن محمد آل ثانى برســـالة يطلب منه تسوية الأمـــور بين الطرفين واطـــلاق سراح الأسرى الاتراك والاعتـــذار عن ان والى البصرة محمد حافظ باشـــا دبر هـــذا الهجوم دون علم السلطان، ومن ثم عـــزله السلطان من ولاية البصرة ارضاء للشيخ قاسم ، ولا شك أن هذا تعزيز لاستقلال قطر .

ولكن اخطر نتائج هذا الصدام بين قطر وتركيا كان اتجاه الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى الى التعاون مع الانجليز الذين ابدوا استعدادهم بعد صدام الشيخ قاسم مع الاتراك لعقد معاهدة حماية مع الشيخ قاسم ولكنه رفض هـــذا العرض(١٠) ، وعندما عقدت بريطانيا معاهدات محلية فى الخليج لتحريم تجارة الأسلحة عـــام ١٨٨١ مع شاه ايران وعام ١٨٩٨ مع حاكم البحرين ، وعام ١٩٠٠ مع حاكم الكويت وعام ١٩٠٢م مع شيوخ ساحل عمان ـــ لم يستثن من عقد مثل هذه المعاهدات سوى قطر فى عهد الشيخ قاسم التى استطاعت أن

---

(٩) د . عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر (١٨٦٨ — ١٩١٦ م) ص ٤٩ .

(١٠) ابراهيم أبو ناب : المرجع السابق ص ٧٣ .

تحتفظ بحريتها فى هــذا المجــال الى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وهذا مظهر آخر لاستقلال قطر(١١) .

الصراع التركى الانجليزى
واستقلال قطــر

أثارت محاولات الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر توطيــد سيطرتها فى الخليج العربى معارضة عند الحكومة البريطانية ، ورغم تعدد هذه المحاولات فى عهــد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ — ١٩٠٨م) الا أنها لم تكن ذا تاثير كبير نظرا لانشغال الدولة بأمور اخــرى داخـــل استانبول وفى اجنحة الدولة أوروبيا وافريقيا كثورات اليونانيين وتوســع الاستعمار الفرنسى مــن الجزائر الى تونس عــام ١٨٨١ م ، والاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م .

ولكن الدولة العثمانية عادت فى السنوات الاولى من القرن العشرين الى الاهتمام باقطــار الخليج العربى ، ولعل هــذا مرده فى الدرجــة الاولى الى الانقلاب الذى حدث عام ١٩٠٨م ضد السلطان عبد الحميد ، والذى تزعمه ضباط يتشيعون الى الافكار الالمانية وينتمون لما عرف بجماعــة الاتحــاد والترقى او تركيا الفتــاة ذات الاتجــاه التعصبى باعتبار الاتراك جنســا أرقى واعلى من بقيــة الاجناس الداخلــة تحت السيادة العثمانيــة ومنها العرب ، وقامت سياسة جماعة الاتحاد والترقى بالنسبة لمنطقة الخليج على تقوية السيطرة العثمانية هناك ، وكانت خططها فى العمل تقوم على اضعاف سلطة حكام امارات الخليج وانضوائهم الى فكرة الجامعة الاسلامية التى اخذوها عن السلطان عبد الحميد ، كما تقوم على استعمال الشدة والعنف ضد القبائل العربية الخليجية ، وارغام شيوخ المنطقة بالقوة على اعلان ولائهم

---

(١١) نفس المرجع ص ٧٤ .

للدولة العثمانية عن طريق فرض الضرائب عليهم وتجنيدهم فى الجيش العثمانى(١٢) .

وكان حماس الموظفين الاتراك فى تحقيق مخططات الحكومة العثمانية فى منطقة الخليج العربى يعنى من ناحية اخرى تجدد الصراع بين الحكومتين البريطانية والعثمانية ، على أن الخلاف بين الطرفين لم يتخذ صورة اجرائية الا فى شهر يوليو ١٩٠٨م حينما ارسلت السلطات العثمانية فى البصرة فرقة من الجنود لاحتلال جزيرة « الزخنونية » وهى جزيرة صغيرة تقع فى الجنوب الشرقى من ميناء العقير على مسافة عشرة اميال من الساحل الغربى لخليج سلوى .

وعندما وصلت الفرقة العثمانية الى جزيرة « الزخنونية » قامت برفع الراية العثمانية على الجزيرة ، وازاء ذلك سارع المسئولون البريطانيون فى الخليج بالاحتجاج استنادا الى انهم راوا فى احتلال الاتراك للجزيرة خطوة لفرض السيطرة التركية على ساحل شبه جزيرة قطر الغربى وربما على امارات الساحل العمانى المهادن . وقد اكد السفير البريطانى فى احتجاج حكومته الى الحكومة التركية بأن جزيرة الزخنونية تقع الى الجنوب من ميناء العقير الذى يعتبر الحد الاقصى للسيادة العثمانية فى الاحساء طبقا لاعتراف الحكومة البريطانية بموجب التفاهم بين الطرفين البريطانى والعثمانى على النفوذ فى الخليج ، واضاف لوثر Lowther السفير البريطانى فى الاستانة فى احتجاجه الى الحكومة التركية ، بأن محاولة الدولة العثمانية التقدم فيما وراء هذه المناطق يؤدى الى تأزم الموقف بين الدولتين(١٣) .

ولكن الدولة العثمانية لم تعبأ باعتراضات الحكومة البريطانية اذ استمر والى البصرة يفرز الحامية العسكرية التركية بجزيرة الزخنونية

---

(١٢) د . جمال زكريا : المرجع السابق ص ٣٢٤ .

(١٣) F. O. 424, Confidential (9482), No. 217 Further correspondence reepecting the Affairs of Asiatic turky and Arabia, Piece No. 68 : Sir Gerad Lowther, to Sir Edward Grey, Constantinople, November 20, 1908.

باعتبارها ارضــا عثمانية ، وانكر على القنصل البريطانى فى البصرة حقــه فى أن يناقش معه هــذه المشكلة رسميا او شخصيا . وان كانت الحــكومة العثمانية قد ردت على مذكرة الاحتجاج البريطانية بأن وجود الجند العثمانيين فى جزيرة الزخنونية امــر ضرورى لحفظ الامــن بين قبائل الدواسر الذين يترددون على الجزيرة .

ولكن يبدو ان الحكومة التركية قد استجابت للضغط البريطانى ، خاصة ان تركيا كانت تعانى متاعب فى البلقان ومع روسيا ، فراى رجال الدولة العثمانية ضرورة أن تسوى الدولة مشاكلها مع بريطانيا امــلا فى الحصول على تأييد الحكومــة البريطانية ازاء ما تصـــادفه الدولـــة العثمانية مـــن مشكلات . وان حقى باشـــا وزير الخارجية العثمانية على راس القائلين بضرورة التسوية السلمية للخلافات القائمـــة للوصـــول الى اتفاق مـــع بريطانيا وغيرها من الدول(١٤) ، ومن ثم يبرق وكيـــل الوزارة لشئون الهند الى زميله وكيل وزارة الخارجية البريطانية بنص برقية نائب الملك فى الهند التى تضمنت ان الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين ابلغه بجـــلاء القوات العسكرية التركية من جـــزيرة « الزخنونية » ولم يعـــد هناك جند عثمانيون فى الجزيرة(١٥) .

وكان جلاء الاتراك من جزيرة الزخنونية كسب لوجهة النظر البريطانية التى كسبت هـــذه الجولة فى صراعها على النفوذ مع الدولة العثمانية فى الخليج العربى وهى فى نفس الوقت كسب لقطر اذ فى هذا الجـــلاء اعتراف ضمنى من جانب الاتراك بوجهة النظر القائلة بأن جزيرة الزخنونية جزء من قطر التى يحكمها آل ثانى .

ولكن هل ينتهى الصراع العثمانى البريطانى فى قطر وفى الخليج عامة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تبدأ من اقتناع الطرفين بضرورة التوصـــل الى

---

(١٤) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٠١ .

(١٥) F. O. 424, No. 221 Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkkey and Arabia. Piece 97 : India Office to Foreign office; 97 Government of India to viscount Morley (telegrafic), November 27, 1909, inclosure in No. November 26, 1909.

اتفاق يحـــدد مناطق النفوذ السياسى لكل منهما فى الخليج منعا للتصادم ، ومع هـــذا الاقتناع كانت هناك تصريحات واجراءات اعتبرت عراقيـــل فى سبيل التفاهم ، من ذلك ما صرح به اللورد هاردنج الحاكم العام البريطانى للهند من ان وجود العثمانيين فى الخليج اشـــد خطورة من روسيا أو فرنسا لان لهم — العثمانيين — تأثير على بعض الحكام العرب تحت ستار الجامعة الاسلامية ، ولذلك ذهب الى المطالبة بأسقاط سيادتهم عن الكويت(١٦) .

وفى نفس الوقت الذى جرت فيه المفاوضات بين بريطانيا والدولـــة العثمانية والتى استمرت سنتين (١٩١١ — ١٩١٣ م) فقد ظهرت مواقف تفاهم ومواقف تصادم ، اذ بينما تساهل العثمانيون فى التنازل عن قطـــر وعن البحرين ، وموافقة بريطانيا على بقاء الكويت تحت السيادة العثمانية التى تمتد حتى ميناء العقير بالاحساء ولا تمتد ابعـــد منه ، وحتى بعد توقيع الاتفاقية فى ٢٩ مايو ١٩١٣م سعت تركيا الى التمسك باحتلال شبه جـــزيرة قطر خلال شهر يونيو ١٩١٣م رغم ما نصت عليه الاتفاقيـــة من اقـــرار تركيا بالتخلى عن قطر .

وتفصيل ذلك ان السفير البريطانى فى استانبول بعث الى السير ادوارد جـــراى وزير الخارجيـــة البريطانية فى ١٦ يونيـــو ١٩١٣م بأن السلطات المسئولة فى البصرة قـــد أبلغت السلطات العسكرية فى بغـــداد بأنهـــم ارسلوا الى قطر ٧٥ جنديا على راسهم ضابط تركى واحد يستقلون سفينة تجارية عربية تسمى « بدر »(١٧) .

وعندما ابلغت الحكومة البريطانية حكومة الهند لمتابعة موضوع نزول القوات التركية التى خرجت من البصرة الى قطر ، ردت حكومـــة الهنـــد على

---

(١٦) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٩٥ .

(١٧) F. O. 424, Confidential (10376) No. 238 Ibid. Piece No. 387 : Sir Gerald Lowther to Sir Edward Grey. Constantinople, June 16, 1913, (Telegraphic). No. 281.

وزارة الخارجية البريطانية فى ٢٤ يونيو ١٩١٣م ، بأن هـــذا الاجراء التركى مثير للاضطراب ويدعـــو الى القلق ومن ثـــم فـــلا يمكن احتماله(١٨) . لأنه فى رأى تلك الحكومة يخالف ما تعهدت بــــه الدولة العثمانية فى الاتفاقية التى وقعتها مع بريطانيا قبل اقل من شهر واحد .

ولعل هذه العقبات هى التى ـــ الى جانب عوامل اخـــرى ـــ كانت سببا فى عـــدم التصديق على المعاهـــدة العثمانية البريطانية رغـــم التوقيع عليها من ممثلى الطرفين وما يهمنا هنـــا هو مناقشة ما نصت عليه تلك الاتفاقية من بنود قررت استقلال قطـــر باعتراف كل من تركيا وانجلترا اعترافا رسميـــا .

وقد شهد شهرى ابريل ومايـــو ١٩١٣م مواقف حاسمة فى المفاوضات العثمانية البريطانية حتى تم التوقيع على الاتفاقية بين الطرفين فى آخـــــر شهر مايـــو لأن المفاوضات تناولت عديدا من موضوعات الخـــلاف بين البلدين منها مسألة الرسوم الجمركية ، وخط حديد بغـــداد ، ومناطق النفـــوذ فى الخليج العربى ، ومسألة شط العرب(١٩) .

وفى هذا المقام بعثت حكومة الهند الى وزارة الخارجية البريطانيـــة فى ١٧ أبريل ١٩١٣م برسالة تعبر عن رأى حكومة الهند بشأن مشروع الاتفاق الجـــارى اعداده بين الحكومتين البريطانية والتركية وخاصة فيما يتعلـــق بتمسك العثمانيين بجزيرة الزخنونية . اذ تـــرى حكومة الهند انه على الرغم من الخوف من أن اعتراف بريطانيا بالسيادة التركية على جزيرة الزخنونية والساحل ـــ ساحل الاحساء ـــ الواقع بين « العقير » ونقطة تواجه تلك الجزيرة قد يؤدى الى بعض الخلاف او الاحتكاك فى المستقبل بين البريطانيين والاتراك ، فان حكومة الهنـــد على استعداد للموافقة على مشروع الاتفـــاق

---

(١٨) Ibid : India Office to Foreign Office. June 24, 1913, Piece No. 451.

(١٩) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ١٩٤ ـــ ١٩٥ .

الانجليزى التركى بما احتواه من البند المشار اليه بخصوص جزيرة الزخنونية وفى اطار الشروط التى عرضتها حكومة الهند والتى وافقت عليها جميعا الحكومة التركية(٢٠) .

وهذا يعنى تنازل بريطانيا عن شىء تمسكت به من قبل لصالح قطر وهو جزيرة الزخنونية فى سبيل تركيا بانهاء سيادتها على قطر واستقلال قطر عن البحرين .

وقد تضمنت مذكرة حكومة الهند الى وزارة الخارجية البريطانية عدة ملاحق كان الملحق الاول عبارة عن برقية من الماركيز كرو **Crewe** المفاوض البريطانى موجهة الى حكومة الهند البريطانية تفيد انه بالنسبة لقطر فى مجال المفاوضات التركية البريطانية فسوف تبقى مستقلة وذات كيان سياسى ولن تتبع البحرين ، وذلك فى اطار ما عبرت عنه الحكومة التركية من رغبتها فى الجلاء الكامل من شبه جزيرة قطر . ويأمل الاتراك ان توافق بريطانيا على بقاء سيادتهم على ساحل الاحساء بحيث تمتد من الشمال حتى نقطة فى الجنوب تواجه جزيرة الزخنونية الراغبين فى اخضاعها ايضا لسيطرتهم(٢١) .

واحتوى الملحق الثانى على شروط حكومة الهند لاقرار اتفاق مع تركيا على الاسس السابق الاشارة اليها — واعنى انسحابها من قطر والاعتراف باستقلالها تحت حكم آل ثانى ، وعدم تبعية قطر للبحرين ، فى مقابل امتداد النفوذ التركى حتى جزيرة الزخنونية ونقطة على ساحل الاحساء تواجهها — وان حكومة الهند ترى الموافقة على الاتفاقية اذا وافق الاتراك على شروط حكومة الهند وهى :

١ — بخصوص استقلال قطر ، فيجب ان تتخلى تركيا تماما عن كل ادعاءاتها السابقة بالسيادة على شبه الجزيرة القطرية ، فى الوقت

(٢٠) Ibid : India Office to Foreign Office, No. 52, India Office, April 17, 1913.

(٢١) Ibid : Enclosure I in No. 52 : The Marquess of Crewe to Government of India, India Office, April 7, 1913.

الذى تعترف فيه تركيا بأن لبريطانيا الحريــة فى ان تدخل مع شعب قطر فى اتفاقيات تتعلق بمسألة تجارة الاسلحة او تامين السلم البحرى.

٢ ــ انه بالنسبة لمطالب حاكم البحرين بجزيرة الزخنونية فيمكن تخيله عنها بتقديم تعويض مادى محدود له .

٣ ــ كفالة السماح باستمرار اقامة بعض رجال القبائل من البحرين على جزيرة الزخنونية كالعادة من اجل صيد الاسماك خلال شهور الشتاء ، وانهم لن يخضعوا لاية مضايقات او تفرض عليهم اية ضرائب من اى شكل .

٤ ــ بقاء جزيرتى « لبينات السفلية » و « لبينات العالية » فى حوزة حاكم البحرين (٢٢) .

وحدد الملحق الثالث مبلغ التعويض الذى يقترح منحه لحاكم البحرين فى مقابل تنازله عن مطالبته بجزيرة الزخنونية ، اذ اجــاب المقيم البريطانى العام فى الخليج بأنه تم اقتراح تعويض لحاكم البحرين مبلغ ١٠٠٠ر١ جنيه ، وانه لكى يكون الاقتراح مقبولا تماما من حاكم البحرين فى نظير رفــع يده عن مطلبه بجزيرة الزخنونية لصالح الاتراك ، فأن على الاتراك بدورهم تقديم هدية مناسبة من جانبهم الى حاكم البحرين لانهاء كل ادعاءاته ، وهــذه الهدية لن تتجاوز المبلغ المقترح عاليه كتعويض(٢٣) .

واخيرا تم الاتفاق على تسوية شاملة للمشكلات التى تعترض سبيل العلاقات التركية البريطانية ، حيث وقع كل من ابراهيم حقى باشــا وزير خارجية الدولة العثمانية والسير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية اتفاقيات هذه التسوية وهى تشمل على ما يلى (٢٤) :

---

(٢٢) Ibid : Inclosure 2 In No. 52 : Government of India to the Marquess of Crewe, April 14, 1913.

(٢٣) Ibid : Inclosure 3 No. 52 : Government of India to The Marquess of Crewe, April 15, 1913.

١ — اعلان عام تمهيدى لمشروع المعاهدة(٢٥) .

٢ — مشروع اتفاق يتعلق بخط حــديدى فى آسيا الصغرى(٢٦) ويتكون من ١٢ مادة .

٣ — مشروع اتفاق يتعلق بالخليج « الفارسى » وهو يتعلق بكل من الكويت وقطر والبحرين وامور الخليج(٢٧) وتشكيل لجنة لتعيين الحدود وهذا الاتفاق احتوى على بنود تتعلق باستقلال قطر وهو موضوع بحثنا .

كما احتوى على اربعة ملاحق تتعلق باتفاقات بريطانية كويتية لاعوام ١٨٩٩م و١٩٠٠م ، و١٩٠٤م ورسالة السير ادوارد جراى الى توفيق باشا رئيس وزراء تركيا فى ٢٤ اكتوبر ١٩١٣م .

٤ — مشروع اتفاق يتعلق بتشكيل لجنة من اجــل تحسين الملاحــة فى شط العرب وهو يحتوى على ٢١ مادة وله ملحق(٢٨) .

وبالنسبة لقطر فقد نصت المادة رقم (١٠) والمادة رقم (١١) من مشروع الاتفاق البريطانى العثمانى بشأن الخليج على اقرار مستقبل قطــر على النحو التــالى : —

نصت المادة رقم (١٠) على أن تتنازل الدولة العثمانية تنازلا نهائيا عن كل ادعاء لها بالسيادة على شبه جزيرة قطر ، على أن يتولى حكم شبــه الجزيرة آل ثانى حكما وراثيا ، وتعهدت الحكومة البريطانية بمنع حاكم البحرين من محاولة ضم قطر الى سلطته .

---

(٢٥) Ibid, Enclosure 1 in No. 144 : Draft Declaration

(٢٦) Ibid, Enclosure 2 in No. 144 : Draft Convention respecting Railways in Asia Minor.

(٢٧) Ibid, Enclosure 3 in No. 144 : Draft Convention Respecting the Persian Gulf, & C.

(٢٨) Ibid, Enclosure 1 in No. 144 : Draft Convention respecting the Creation of a Commission for improving Navigation in the Chatt-el-Irab.

كما نصت المادة رقم (١١) من الاتفاق المذكور على السماح لاهـــل البحرين بالنزول الى جزيرة الزخنوفية من اجل صيد اللؤلؤ ، علما بأن تلك الجزيرة صارت جزءا من الاحساء التركى .

وعلى الرغم من ان بريطانيا لم تلزم نفسها فى هذا الاتفاق بالاعتراف مسبقا باستقلال قطر استقلالا تاما بعد انتهاء السيادة العثمانية ، وانهـــا اعطت لنفسها الحرية فى عقد معاهدات مع حكام قطر من آل ثانى بشأن تجارة الاسلحة او السلم البحرى فى الخليج ، فان النص علـــى انتهاء الســـيادة العثمانية على قطر اعلان باستقلال شبه الجزيرة القطرية ولم يكن الامـــر يستدعى تنازلا مماثلا من بريطانيا لانه لم تكن لها اية ادعاءات بالسيادة على شبه الجزيرة القطرية ، هذا على الرغم من ان هذا النص على انتهاء السيادة العثمانية على قطر جاء نتيجة مفاوضات بريطانية عثمانية ولم يأت نتيجة مفاوضات قطرية عثمانية ، وهذا فرضته طبيعـــة الصراع فى الخليج الذى كان صراعا بريطانيا عثمانيا .

وازاء اتجاه الامير عبد العزيز بن سعود بانظاره الى قطر بعد استيلائه على الاحساء قبل توقيع الاتفاق العثمانى البريطانى بحوالى شهرين ، فقد اتخذت السلطات البريطانية موقفا محـــذرا بعـــدم اتخاذ اى موقف يغـــير الوضع القائم ، او خلق اى اضطراب بين الامارات العربية التى يدخـــل حكامها فى اتفاقات مع الحكومة البريطانية ، بما فيها امارة قطر المستقلة تحت حكم المرحوم الشيخ قاسم آل ثانى وابناؤه من بعده ، والتى تم الاعتراف بها من جانب كل من الحكومتين البريطانية والعثمانية ، وان الحكومة البريطانية حريصة على استمرار علاقات الصداقة التى لها جذور بعيدة فى الماضى(٢٩) .

توفى الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى ١٧ يوليو ١٩١٣ م الموافق لعام ١٣٣١ هـ (٣٠) فخلفه فى حكم قطر ابنه الشيخ عبد الله ، وجاء ذلك

(٢٩) F. O. 424, 240 : Ibid : Piece 39, India Office to Foreign Office, India Office, October 15, 1913. Enclosure 2 in No. 39 : Lieutenant-Colonel Sir P. Cox to Abdul Aziz — bin — Saud Bushire, September 11, 1913.

(٣٠) د . عبد العزيز المنصور : التطور السياسى لقطر (١٨٦٨ — ١٩١٦ م) ص ٢٦ .

فى ظل المعاهـدة العثمانية البريطانيـة ، وفى ظل علاقات حسـنة بين آل ثانى وآل سعود خاصة عندما تعهد الأمير عبد العزيز بن سـعود أمام المندوبين البريطانيين ، والمعتمـد البريطانى فى الكويت ، والمعتمـد البريطانى فى البحرين بعدم الاعتداء على قطر (٣١) .

وتحقيقا للاتفاقية البريطانية العثمانية والخاصة بانسحاب تركيا من قطر ، فقد أظهر الأمير عبد العزيز آل سـعود اهتماما بموضـوع جلاء الاتراك عن قطر ومن ثم سعى لمقابلة المسئولين البريطانيين لبحث مستقبل قطر وبقية مناطق الخليج العربى التى سيجلوا عنهـا العثمانيون ، وقد أبدت حكومة الهند رغبتها الملحة فى ضمان جلاء سريع للقوات التركية من قطر ، ولكن طالما انه لم يتم التصديق على الاتفاقية العثمانية البريطانية ، فانه من الصعب ممارسـة ضغط على الحـكومة التركية لكى تسرع فى الجلاء ، وان ابدت الحـكومة البريطانية تفاؤلا بأن التصـديق على تلك الاتفاقية لن يتأخر طويلا (٣٢) .

وأثار المقيم العام السياسى البريطانى فى الخليج العربى موضوع اللقاء الذى طلب تدبيره معه الأمير عبد العزيز بن سعود برسالة منه فى ٢٧ سبتمبر تشير الى ان الأمير سيكون على اسـتعداد لمقابلة المقيم العام البريطانى فى الاسبوع الثانى من شهر نوفمبر ، وانه تعهـد بعدم مناقشة اية موضـوعات أو يتخذ موقفا يتعارض مع سياسـة الحكومة البريطانية . وفى هذا المقام فقد الح المقيم العام على حكومته لكى تمارس ضغطا على الحكومة التركية لكى تجلى قواتها العسـكرية عن الأرض القطـرية وانه يجب عدم الاعتماد على حسن نية السـلطات العثمانية بالبصرة بخصوص جلاء الاتراك عن شبه جزيرة قطر ، وانه اذا لم تنسحب

---

(٣١) نفس المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٣٢) Ibid : Piece No. 76 : India Office to Foreign Office, India Office, October 29, 1913.

الحامية العثمانية من قطر قبل اللقاء المقترح بين كل من الامير عبد العزيز بن سعود والمقيم العام البريطانى فى الخليج فسوف تكون الامور فى غاية الحرج والصعوبة سواء للمقيم السياسى البريطانى او للشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى (٣٣) .

وقامت الحــرب العالمية الأولى فى صيف ١٩١٤ م وكانت القوات التركية ما تزال موجودة على الأرض القطرية . وكان عدد هذه القوات ٢٧٥ جنديا وضابطا ، ولم يكن بوسع الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى طرد الحامية التركية دون مساعدة قوية من بريطانيا بدون اراقة الدماء ؛ وكانت احوال هذه القوات سيئة ، ومــن ثم انتهزت بريطانيا الفرصة وأرسلت قوة عسكرية بحرية بريطانية لاجلاء الحامية التركية عن قطر ، وذلك فى ١٩ اغسطس ١٩١٥م وطلبت بريطانيا من الشــيخ عبد الله اقناعهم فسلموا ورحلوا الى البحرين على سفينة حــربية بريطانية ، وقامت بريطانيا بعد ذلك بمصادرة اسلحتهم وذخائرهم الموجودة فى القلعة المحصنة بالدوحة واسدل الستار على آخر وجود تركى فى قطر .

---

(٣٣) Ibid : Inclosure In No. 76 : Government of India to Marquess of Crewe, October 26, 1913.

المصـــادر

اولا : الوثائق غير النشورة :

(١) F.O. 424, Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turky and Arabia, No. 217.

(٢) F.O. 424, Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia, No. 221.

(٣) F.O. 424, Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia, No. 238.

(٤) F.O. 424, Further Correspondence respecting the Affairs of Asiatic Turkey and Arabia, No. 240.

ثانيا المؤلفـــات :

١ — ابراهيم أبو ناب : (قطر قصة بناء دولة) الدوحة بدون تاريخ .

٢ — أحمد ابو حاكمة : تاريخ شرقىالجزيرةالعربية . القاهرة١٩٧٤م.

٣ — د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى — دراسة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠ — ١٩١٤) القاهرة ١٩٦٦ م .

٤ — د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى — القاهرة (١٩٧٤ م) .

٥ ــ د . عبد العزيز المنصـــور : (التطور السياسى لقطـــر)
(١٨٦٨ ــ ١٩١٦) الكويت (١٩٧٥ م) .

٦ ــ د . عبد العزيز المنصـــور : (التطور السياسى لقطـــر
(١٩١٦ ــ ١٩٤٩) الكويت (١٩٧٩) .

٧ ــ ســـاطع الحصـــرى : البـــلاد العربية والدولة العثمانيـــة
(بيروت ١٩٦٠ م) .

٨ ــ محمود شكرى الألوسى : (تاريخ نجد) القاهرة (١٣٤٧ هـ) .

الفصل العاشر

علاقة الولايات المتحدة بسلطنة عمان

أولا : فى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

١ — السيد سعيد بن سلطان وعصره .

٢ — علاقة الولايات المتحدة بالعالم العربى .

٣ — الاتفاقية التجارية بن السلطنة والولايات المتحدة .

٤ — زيارة سفينة السيد سعيد الى نيويورك .

٥ — اهمية الصلات بين الطرفين على المستوى الخليجى والعربى والعالمى .

ثانيا : اثناء الحرب العالمية الثانية :

- مقدمة :
- بداية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان .
- العلاقات اثناء الحرب العالمية الثانية :

١ — مع المملكة العربية السعودية .

٢ — مع سلطنة عمان .

اولا : السيد سعيد وعصره :

يعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان والذى هو حفيد مؤسس أسرة البوسعيد فى عمان — من أزهى العصـــور التى مرت بعمان خلال القرن التاسع عشر ان لم يكن اكثرها ازدهارا رغم الصـــعوبات الكثيرة التى واجهته فى بناء الدولة ويرى المؤرخون ان السيد سعيد بن سلطان هو بلا شك ابرز الشخصيات فى اسرة البوسعيد التى لعبت دورا فى تاريخ عمـــان والخليج وشرق افريقيـــا ، ولا نكون مبالغين اذا اعتبرناه مـــن الشخصيات الهامة جدا فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر (١) .

ومنذ توليه الحـــكم فى عمان — عام ١٨٠٦ م علـــى ارجح الاراء واجهته صعوبات شتى فى الداخل كثورة بعض القبائل التى تسعى — وكما هو حال القبائل على امتداد الوطن العربى — الى نبـــذ السلطة والتمتع بالاستقلال الى جانب بعض الخلافات فى الأسرة الحاكمة مما كان يضعف من قوة الحكم ويدفع بالسيد سعيد الى صرف جزء من جهده فى معالجة مثل تلك الصعوبات .

واما الصعوبات الخارجية فقد تمثلت فى امتداد السعوديين اصحاب الدعوة السلفية المعروفة بالوهابية الى اقليم الظاهرة العمانى واستيلائهم على واحات البوريمى وسيطرة حلفائهم القواســـم من راس الخيمة على الملاحة فى الخليج العربى . الى جانب محاولة الفرس منذ الأربعينات من

---

* نشر هذا البحث بمجلة المؤرخ العربى — اتحاد المؤرخين العرب — بغداد العدد ١٦ / ١٩٨١ م .

(١) د . صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١١٦ .

القرن التاسع عشر انتزاع ميناء بندر عباس الواقع على الساحل الشرقى للخليج من الحكم العمانى .

كل تلك الصعوبات استدعت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن حلفاء للمساعدة فى التخلص منها ومن ثم اتجهت انظاره نحو اقطار اخـرى عربية مثل مصر واقطار اجنبية مثـل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا .

فبالنسبة لعلاقات السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد على فقد اتصفت العلاقات بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المندفع ورغم ان الرجلين كانا معاديان للنشاط السعودى الوهابى فى الجزيرة العربية الا ان الرسائل المتبادلة بين السيد سـعيد ومحمد على كانت قليلة وان كانت قد عبرت عن اعجاب السيد سـعيد بالبناء الحديث للدولة الذى اقامه محمد على فى مصر كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد فى اقامة علاقات اوثق مع باشا مصر (٢) .

وتمشيا مع هذه العلاقة الودية بين الرجلين ، وانطلاقا من تقدير محمد على للدور الذى قام به السيد سعيد بن سلطان فى مقـاومة النفوذ السـعودى فى عمـان فى الفتـرة من عـام ١٨٠٦ الى ١٨١٨ . فقد احسن محمد على وشريف مكـه يحيى بن سرور اسـتقبال السـيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤ م اذ ارسل محمد على مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته ، واطلقت المدافع فى جدة حينما اقتربت السفينة العمانية « ليفربول » المقلة للسيد سعيد من الميناء وعند عودته من الحج الى مسـقط حمل معه هدايا كثيرة من محمد على ومن شريف مكـة .

---

(٢) نفس المرجع ص ١٣٩ .

واستمرت الصلات بين الرجلين ودية رغم موقف بريطانيا العظمى المعادى للنشاط المصرى فى الجزيرة العربية وفى الخليج العربى بصفة خاصة ذلك الموقف الذى لم يكن باستطاعة السيد سعيد تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التى ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد اعدائه والخارجين عليه ورغم ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد على موقفا عدائيا بل ان الوثائق المصرية تشير الى ان السيد سعيد بعث برسالة الى محمد على فى عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٤٠ م وطلب فيها بالحاح سرعة ارسال احد المدفعيين ــ اى احد الجنود العاملين على المدافع الحربية ــ لأن المدفعى الوحيد الذى كان عنده قد مات (٣) .

وأما علاقة السيد سعيد بن سلطان بالدول الأجنبية الخارجية فقد تمثلت فى ترحيبه بعقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣ م وترحيبه بوجود قنصل امريكى فى السلطنة مما سنزيده تفصيلا بعد قليل . كما تمثلت تلك العلاقات فى تعاونه مع البريطانيين فى محاربة اعدائه فى الخليج العربى الذين يهددون شواطىء السلطنة وعقد معاهدة بين السلطنة وبريطانيا فى مايو ١٨٣٩ م التى تعلقت معظم نصوصها بتنظيم التجارة والملاحة بين البلدين وتقديم التسهيلات البحرية للسفن البريطانية فى موانى السلطنة الى جانب النص على اعطاء القنصل البريطانى فى السلطنة الحق فى الفصل فى المنازعات التى تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين فى السلطنة كما يؤخذ رأيه فى القضايا التى تنشأ بين الرعايا البريطانيين وبين العرب .

كما تمثلت علاقات السلطنة الخارجية كذلك فى عقد معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٨٤٤ م حصلت فرنسا بمقتضاها على نفس الامتيازات

---

(٣) دار المحفوظات التاريخية : محافظ الحجاز رقم ٢٦٩ وثيقة رقم ٣٨ بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٢٥٥ هـ .

التجارية والقضائية التى نصت عليها معاهدة عام ١٨٣٩م مع بريطانيـا العظمى وفى اعتقادنا أن الامتيازات القضائية التى حصلت عليها كل من انجلترا وفرنسا فى سلطنة عمان انما جاءت تحت الحاح الدولتين وحاجة السيد سعيد الى صداقتهما الى جانب انه لم يفهم من نص المعاهدات أن هذه الامتيازات تتعدى البريطانيين المنتمين الى الجنس الانجليزى الى الهنود الذين اعتبرهم المسئولون البريطانيون رعايا انجليز ينطبق عليهم النص ونفس الشىء يقال بالنسبة للفرنسيين ورعاياهم فى جزر المحيط الهندى من غير العنصر الفرنسى .

ثانيا : الولايات المتحدة وعلاقتها بالعالم العربى

اعلنت الولايات المتحدة الأمريكية استقلالها عام ١٧٧٦ م ومن ثم جاء اهتمامها بالاقطار العربية عامة وأقطار الخليج العربى والجـزيرة العربية بصفة خاصة متأخرا عن اهتمامات الدول الأوروبية الأخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا اذن جاء الاهتمام الأمريكى بالعالم العربى متأخرا عن غيرها من دول العالم بسبب تأخرها فى حصولها على الاستقلال ولانها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بسياسة مؤسسها الأول «جورجواشنطن» George Washington الداعية الى العزلة وهى السياسة التى سارت عليها الولايات المتحـدة لمدة زادت عن قرن من الزمان (٤) .

ونتيجة لذلك جاءت علاقة الولايات المتحـدة بالعالم العربى على استحياء ويتمشى مع امكانيات الدولة الجديدة ومع رغبتها فى التفرغ للبناء الداخلى على الأرض الأمريكية دون تدخل من الغير ودون أن تنغمس فى مشكلات الآخرين كما أشار الى ذلك الرئيس جيمس منرو James Monroe فى تصريحه الشهير عام ١٨٢٣ م .

---

(٤) د . سمعان بطرس : العلاقات السياسية الدولية فى القرن العشرين ج ١ ص ٢٧٦ .

ورغم ان اقطار العالم العربى كانت مجهولة للأمريكيين فيما عدا ما قراوه عنها فى الكتب مثل « الف ليلة وليلة » و « تاريخ فراعنة وادى النيل » ورغم ان سكان تلك الاقطار كانوا يجهلون كل شىء عن الأمريكيين فان الولايات المتحدة كانت منذ فجر استقلالها اواخر القرن الثامن عشر رغبة فى ابرام معاهــدات ودية وتجارية مع دول اوروبا تفتــح أبواب التجارة امام التجار الأمريكان فى أوروبا واقطار شمال افريقيا العربية وقد نجحت بالفعل فى تحقيق هذا الهدف سواء فى الاقطار العربية بشمال افريقيا أو تلك الاقطار فى المشرق العربى .

وكانت دولة العلويين بالمغرب الاقصى — المملكة المغربية الحالية — أول قطر عربى يعترف باستقلال الولايات المتحدة الامريكية وقد سارت العلاقة بين الطرفين قوية وودية منذ ذلك الحين فنجد مثلا أن الكونجرس الامريكى اقترح على الحكومة اواخر الثمانينيات من القرن الثامن عشر عــام ١٧٨٦ م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع المغرب الأقصى كما أنه طلب وساطة المولى محمد بن عبد الله حاكم المغرب لدى نيابات تونس وطرابلس الغرب لوقف مهاجمة سفنهما على السفن التجارية الأمريكية العاملة فى البحر الأبيض المتوسط .

وعندما انتخب جورج واشنطن رئيســا للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٨٩ م اشاد فى رسالة بعث بها الى الحكومة المغربية بالعلاقات الودية التى تربط البلدين منذ فجر الاستقلال الأمريكى والواقع أن مراسلات المولى محمد بن عبد الله مع الكونجرس الأمريكى منذ اعلان الاســتقلال الأمريكى تعتبر اول اعتراف دولى بحــكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، ولن تنسى الولايات المتحدة ذلك للمغرب وستكون القنصلية الأمريكية فى مدينة طنجة المغربية التى قامت عام ١٨٢٠ م اول قنصــلية أجنبية فى المغــرب (٥) .

---

(٥) د . جلال يحيى : المغرب الكبير ، العصور الحديثة ص ٧٤ .

واذا كانت المغرب أول قطر عربى يقيم علاقات ودية وتجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية فان سلطنة عمان كانت القطــر الثانى الذى أقام هذه العلاقات على المستوى العربى ككل والقطر العربى الاول فى منطقة الخليج والجزيرة العربية ولعلنا نجد تشابها بين القطــر المغربى والقطر العمانى فى النظر الى الولايات المتحدة آنذاك باعتبارهــا دولة حديثة الاستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الاستعمارى فى العالم وعن فرنسا مثيلتها وباعتبارها تسعى لتحقيق مصالح اقتصادية وليست لها نوايا استعمارية واضحة هذا بالاضافة الى أنه لم تكن للعرب معها على الأقل خبرة استعمارية مؤلمة تجعلهــم يتشككون او يتخوفون من اقامة علاقات معها ومن ثم سعت المغرب الى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة فى مواجهة التآمر الاستعمارى الاوروبى على المغرب كما سعت سلطنة عمان الى اقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقا للتوازن مع القوى الأجنبية الاخــرى الطامعة فى مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندى وشرق أفريقيا .

ويجب أن نلاحظ أن الولايات المتحــدة كانت حريصة كل الحرص على توفير الأمن والرعاية لمصالحها الاقتصادية فى العالم ومن ثم لم تكن لتقف مكتوفة الأيدى اذا ما تعرضت تلك المصالح للخطر ولعلنا لا ننسى فى هذا المجال قصة السفينة الحربية الأمريكية المسماه « فيلادلفيا » فى مياه مينـــاء طرابلس الغـــرب فى عهد يوســـف القرمانلى أول القـــرن التاسع عشر (٦) .

وتفصيل ذلك أن يوسف القرمانلى باشـــا انذر الولايات المتحدة عام ١٨٠٠ م بانه ما لم تدفع السفن الأمريكية المارة فى البحر المتوسط جزية وهدية سنوية لحكومته فان سفنه سوف تهاجم السفن الأمريكية

(٦) د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ص ١٠٨ .

وتسلبها ما تحمله ولكن الحكومة الامريكية رفضت الخضوع لتهديدات الباشا فتعرضت السفن الأمريكية لهجوم من سفن يوسف باشا مما دفع الرئيس الأمريكى الى تكليف بعض القطع البحرية الأمريكية بمعاقبة الباشا وبالفعل حاصرت هذه القطع ميناء طرابلس الغرب واخذت تضربه بالقنابل .

وحدث أثناء ضرب القطع البحرية الأمريكية لميناء طرابلس الغرب ان جنحت احدى هذه القطع على شاطىء الميناء وتدعى « فيلادلفيا » فى ٣١ اكتوبر ١٨٠٣ م فأسرها جنود يوسف باشا وأخذوا بحارتها البالغ عددهم ٣٠٠ رجل اسرى ، ورفض يوسف باشا اطلاق سراح السفينة الأمريكية فيلادلفيا وبحارتها الا اذا تعهدت الولايات المتحدة بدفع مطالبه السابقة ومن ثم اتجهت الولايات المتحدة الى اسلوب آخر تجبر به الباشا على اطلاق سراح السفينة وبحارتها وتولى هذه العملية القنصل الأمريكى فى تونس ويدعى « ايتون » (٧) .

قام ايتون باقناع احمد القرمانلى المقيم بمصر منذ ان فر من طرابلس الغرب امام بطش اخيه الأصغر يوسف باشا بأن يرافق حملة عسكرية قوامها البدو والمالطيين واليونانيين لكى يستعيد حكم الولاية من أخيه يوسف وبالفعل استطاعت الحملة العسكرية احتلال مدينة درنة فى ٢٦ ابريل عام ١٨٠٤ م مما أجبر يوسف باشا على فتح باب المفاوضات مع الأمريكيين حيث قبل اطلاق سراح السفينة الأمريكية « فيلادلفيا » وبحارتها الاسرى مقابل ٦٠ الف قرش بدل ٤٠٠ الف قرش كان يوسف باشا قد طلبها من الأمريكيين كما تعهد بعدم التعرض للسفن الأمريكية ومن ثم قام « ايتون » بالعمل على عودة احمد القرمانلى الى مصر وانهاء الحملة

---

(٧) د . نقولا زيادة : ليبيا من الاحتلال الايطالى الى الاستقلال ص ٤٧ .

العسكرية التى قادها ضد يوسف باشا وان كان الأمريكان قد نجحوا فى احراق السفينة فى الميناء قبل الاتفاق مع الباشا (٨) .

كما يجب أن نلاحظ ان البعثات التبشيرية الأمريكية اخذت تزاول نشاطها فى الاقطار العربية منذ اوائل القرن التاســـع عشر حيث بدأت تنشىء مستشفيات ومدارس وكنائس فى كل من مصر وســـوريا ومنطقة الخليج العربى منذ عام ١٨١٩ م .

ومن هنا فان عقد اتفاقية بين ســـلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣ م جاء متمشيا مع سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة العربية بمعنى أن قيام سلطنة عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر اليه على انه عمل منفرد قامت به السلطنة دون غيرها من الاقطار العـــربية .

ثالثا : الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة عـــام ١٨٣٣ م

تمتعت سلطنة عمان فى عهد السيد سعيد بن سلطان بقدر كبير من الاستقلال تمتاز به عن غيرها من اقطار الخليج العربى ، كما تميزت بامتدادها حتى شرق أفريقيا ، حيث صار للسلطنة جناح أفريقى فى زنجبار أو (زنزبار) الى جانب القلب الذى مقره مسقط فى مدخل الخليج العربى ورغم أن زنجبار ظلت خاضعة لحكم سلطنة عمان منـــذ منتصف القرن السابع عشر الميلادى الا انها لم تلق العناية الكافية بالتنمية والتطور حتى اتجه اليها السيد سعيد بن سلطان فى العشرينيات من القرن التاسع عشر ،

---

(٨) جلين تكر (ترجمة عمر الديراوى أبو حجلة : معارك طرابلس بين الاسطول الليبى والاســطول الأمريكى فى القرن التاســـع عشر) ص ٤١٩ — ٤٤١ .

حيث ادخل زراعة القرنفل فى زنجبار واعتباره محصولا تجاريا ، وحيث انشأ عدة مزارع على الأرض الافريقية ودفع بالتجار العمانيين للتوغل فى القارة الافريقية للمتاجرة مع الافارقة . كما قدم مساعدات ذات اثر كبير فى نجاح رحلات المستكشفين الأوروبيين داخل افريقيا الذين مارسوا عمليات الكشف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر .

كان تطوير الشق الافريقى من سلطنة عمان فى عهد السيد سعيد عامل جذب للقوى الأجنبية لكى تسعى الى تقوية علاقتها بالسلطنة ككل ولكى تحصل على متاجر زنجبار بصفة خاصة ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية اول القوى الأجنبية فى التطلع الى فتح اســـواق زنجبار امام التجار الأمريكان لبيـــع المنتجات والسلع الأمريكية مـــن ناحية ولشراء المنتجات والسلع المنتجة فى الشق الافريقى من سلطنة عمان من ناحية اخـــرى .

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين سلطنة عمان والولايات

المتحدة الأمريكية حينما زار التاجر الأمريكى الكابتن (ادموند روبرتس) **Edmond Robertes** الذى ينتمى الى نيوهامبشير فى عام ١٨٢٧ زنجبار متطلعا الى تحقيق كسب مادى كبير هناك ولكنه لم يجد التسهيلات التى يلقاها البريطانيون هناك حلفاء السيد سعيد بن سلطان ومن ثم عاد الى الولايات المتحدة يحمل فكرة عقد معاهدة مع السلطنة لكى تروج التجارة الأمريكية فى ممتلكات السلطنة (٩) .

وافق الرئيس الأمـــريكى « اندروجاكسون » **Andrew Jackson** على فكرة عقد معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان وعهد

---

(٩) د . ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الامريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٣٣ — ١٨٥٦) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ص ١٢٢ .

الى « ادموند روبرتس » باجراء المفاوضات اللازمة والتوصل الى المعاهدة المنشودة وكان وصول السفينة الامريكية « بيكويك » حاملة بعثة روبرتس الى مسقط دليلا ليس فقط على الاهتمام الأمريكى بكل من اسيا وافريقيا ، بل وايضا كون سلطنة عمان دولة ذات اهمية بارزة .

تم توقيع الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣ م وكانت أول اتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى وقد صارت تلك الاتفاقية المثل الذى سارت على منواله معاهدات السلطنة مع بريطانيا عام ١٨٣٩ م ومع فرنسا عام ١٨٤٤ م وقد ظلت الاتفاقية الأمريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨ م حين ابطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين .

وبموجب هذه الاتفاقية تمتع الأمريكيون فى ممتلكات السلطان العربية — مسقط — والافريقية — زنجبار بامتيازات اقتصادية وقضائية ، حيث صار التجار الأمريكيون يتاجرون فى اراضى السلطنة وينزلون فى موانيها يدفعون ٥٪ فقط رسوما على البضائع التى يجلبونها الى موانى السلطنة وان يعفوا من دفع اية ضرائب اخرى على الصادرات والواردات وان يعفوا كذلك من رسوم الارشاد الملاحى فى موانى السلطنة . كما صار من حق القنصل الامريكى فى السلطنة فض المنازعات التى تنشأ بين رعايا دولته ، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل السلطنة فى الفصل فى القضايا بين رعايا دولته فى الولايات المتحدة (١٠) .

وفى تقييمنا للاتفاقية التجارية الأمريكية العمانية نلاحظ أن الاتفاقية جعلت السيد سعيد بن سلطان يشعر بأهميته وبقدرته على الدخول فى

---

(١٠) نفس المصدر ص ١٢٥ .

اتفاقية مـــع دولة كبرى ، مما جعله يميل الى كســـب المزيد من رضـــا الأمريكيين فيعرض عليهم امتيازات تجارية خاصة فى شرق افريقيا على ان يقفوا بجواره ويساعدوه بالسلاح لاخضاع « مومباسا » لسيادته ، ولم يغضبه عدم استجابة الأمريكيين لطلبه .

كما أن ادراك السلطان السيد سعيد بأنه قادر على عقد اتفاقية مع دولة كبرى شعره بالندية ويستند اليها فى مواجهة القـــوى الكبرى الأخرى — خاصة انجلترا وفرنسا — فى تحقيق نفع له ولسلطنته تكسبه مكانة دولية وتكسب السلطنة اعترافا دوليا تسعى اليه الاقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة فى كل من افريقيا واسيا بل وامريكا اللاتينية .

وعلى الجانب الأمريكى فقد استقبل الرئيس الأمريكى اندرو جاكسون رسالة السلطان التى حملهـــا ادموند روبرتس مع نص الاتفاقية عنـــد عودته الى الولايات المتحدة بكل تقدير حيث اكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الأمريكى وشكره على الرسالة التى حملها اليه روبرتس التى حملت المودة والتقدير من الرئيس الأمريكى للســـيد ســـعيد .

ومما جاء فى رسالة السيد سعيد للرئيس جاكسون ولقد استجبت من كل النواحى لرغبات معالى سفيركم روبرتس وذلك بابرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين ، هذه المعاهدة التى سنتقيد بها بكل اخلاص انا ومن يخلفنى فى الحكم الى الابد ، وتستطيع ســـيادتكم ان تطمئن بان كل السفن الأمريكية التى ترسو فى الموانى التابعة لى ستلقى نفس المعاملة الكريمة التى تلقاها فى موانى بلادكم السعيدة التى يسود فيها الهناء . وامل من كل قلبى بان سيادتكم ستعتبرنى صديقك الدائم والحميم ، وان صداقتى لسيادتكم لن تزول مع الايام بل ستستمر زيادة فى الرسوخ الى الابد (١١) .

---

(١١) نفس المصدر ص ١٢٦ .

ونتيجة لما جاء فى الرسالة وما احتوته الاتفاقية من نصـــوص فى صـالح الولايات المتحـــدة دون ان ــ تحملها تبعات او تضـع عليها مـــن قيود ، فقد كان وقع الاتفاقية فى الولايات المتحدة طيبا ، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكســــون والكونجرس دون ابطاء . كيف لا والاتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة اية التزامات نحو سلطنة عمان كما أن الولايات المتحدة قد اصبحت مرتبطة بصداقة احدى القوى الآسيوية الافريقية التى تفخر بامتلاكها اسطولا اكبر من الاسطول الأمريكى ، اذ كان اســـطول السلطنة مكونا من حوالى ٧٥ سفينة مختلفة الاحجام كل منهـــا مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين ٤ و ٥٦ مدفعا ، كما أن الســـفن العمانية التجارية ــ وكمـــا لاحظهـــا المبعوث الامريكى روبرتس ــ تبحر شرقا الى الهند وسيلان وجاوة الى جانب موانى شرق افريقيا .

ويمكن ان نضيف انه رغم ان الاتفاقية احتوت نصا على أن يكون من حق القنصل الأمريكى فى السلطنة الفصل فى المنازعات بين رعاياه ، وأن يكون من حق القنصل العمانى اذا وجد فى الولايات المتحدة الفصل فى الخصومات التى قد تنشأ بين المواطنين العمانيين هناك ، فان هذا النص كان لصالح الولايات المتحدة اكثر من كونه فى صالح السلطنة ، اذ لم يكن من المحتمل ان يقوم مواطنـــون عمانيون بالاقامة والاتجار فى الولايات المتحدة وان كان تخلص السيد سعيد من مسئولية الفصل فى الخصومات التى تقع بين الأجانب المقيمين فى السلطنة قد يجنبه كثيرا من المشـــاكل .

وكان رد الفعل البريطانى نحو الاتفاقية الأمريكيـــة العمانية يدل على السياسة البريطانية نحـــو منطقة الخليج العربى وشرق افريقيـــا والمحيط الهندى بصفة عامة تلك السياســـة التى تقوم على الانفـــراد بالنفوذ دون منافس من قوة كبرى خارجية او حتى داخلية وفى ســـبيل ذلك قيدت حكام امارات الساحل العمانى اواخر العقد الثانى من القرن

التاسع عشر بمجموعة اتفاقيات اعقبت القضاء على قوة التواسم فى رأس الخيمة ، تقضى بسيطرة النفوذ البريطانى دون منازع وحرمان تلك الامارات من عقد اتفاقات حتى ولو كانت تجارية دون موافقة الحكومة البريطانية .

ولما كانت سلطنة عمان فى عهد السيد سعيد دولة مستقلة تتمتع بقدر لا بأس به من الاستقلال لا تتمتع به اى من امارات الخليج العربى فانه بحكم الصداقة التى ربطت بين السيد سعيد مع بريطانيا حذروا السيد سعيد من أن تكون للولايات المتحدة أطماعا فى شرق أفريقيا — ومن ثم يجب عدم قبول النشاط الأمريكى المتزايد فى ممتلكات السلطنة واستجاب السيد سعيد لوجهة النظر البريطانية وعرض على البريطانيين عقد معاهدة مشابهة للمعاهدة مع الولايات المتحدة .

ورغم ان الولايات المتحدة لم تكن من سياستها التدخل فى الامور الداخلية فى سلطنة عمان او فى غيرهـا من الاقطار التى توجد معهـا اتفاقيات تجارية وان جل هم الأمريكيين هو الاتجار مع الاقطار الأخرى ورغم أن البريطانيين تأكدوا أن الأمريكيين لا يسعون الى تكوين مستعمرات فى ممتلكات السلطنة الافريقية الا ان السيد سعيد استجاب للموقف البريطانى فقصر العلاقة بينه وبين الأمريكيين على النواحى التجارية فقط ، وعقد مع البريطانيين معاهدة تشبه فى نصوصها المعاهدة مع الأمريكيين وذلك عام ١٨٣٩ م .

وقد أدت الاتفاقية الأمريكية العمانية التجارية الى ازدهار التجارة الأمريكية فى ممتلكات السلطنة الافريقية اكثر من ازدهارها فى مقر السلطنة بمسقط ، اذ تزايد عدد السفن الأمريكية التى ترسو فى زنجبار والتى تحمل قماشـا قطنيا أمريكيا متينا سرعان ما شاع استعماله فى شرق افريقيا والخليج العربى والجزيرة العربية ، الى جانب الأدوات المنزلية والبنادق والبارود والساعات والأحذية ، وفى المقابل تحمل من زنجبار

القرنفل والعاج وصمغ الكوبال الذى يستخدم فى تحضير الطلاء ولب جوز الهند المجفف والتوابل (١٢) .

ونتيجة لازدياد النشاط التجارى الأمريكى فى ممتلكات سلطنة عمان بشرق افريقيا فقد اختارت الحكومة الأمريكية احد رعاياها ويدعى المستر ريشارد ووترز Richard Waters عام ١٨٣٦ م ليكون أول قنصل امريكى فى زنجبار تلاه تعيين قنصل امريكى اخر يدعى هنرى مارشال فى مسقط ذاتها فى عام ١٨٣٨ م .

الا ان النشاط التجارى الامريكى مع زنجبار كان اكثر بصورة واضحة من ذلك النشاط مع مسقط فعلى سبيل المثال زارت مسقط خلال العام ١٨٣٨ / ١٨٣٩ م ثلاث سفن امريكية فقط بلغت قيمة البضائع التى افرغتها فى ميناء مسقط حوالى ١١٠٠ دولار فقط وكان التمر يمثل ركنا اساسيا فى التجارة الأمريكية العمانية حتى الحرب العالمية الأولى ، فكانت السفن الأمريكية تنقل من مسقط كميات كبيرة منه الى الولايات المتحدة .

وقد ظلت العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر اى على مدى ما يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الاتفاقية التجارية بين الطرفين عام ١٨٣٣ م ولكن حدث ان اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها :

اولا : رغبة السيد سعيد فى تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٣٣ م والتى تنص على ان من حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانى الخاضعة للسلطان واصر السيد سعيد على ان المادة الثانية تشير — فى رايه — الى ان هذا

---

(١٢) دونالد هولى : عمان ونهضتها الحديثة ص ١٨٧ .

الحق كان يقتصر على ميناء رئيسى واحد هو ميناء زنجبار ولم ترغب الحكومة الأمريكية فى الاستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة فى بقية موانى السلطنة خشية أن تفتح هذه الموانى امام تجار دول اخرى .

ثانيا : الخلاف بين السيد سعيد والأمريكيين حول مدى سلطة المحكمة القنصلية الأمريكية فى السلطنة على الرعايا الأمريكيين وقد فجر هذا الخلاف ارتكاب بحار أمريكى جريمة قتل فى حق مواطن عربى ، كما فجره الخلاف الذى كثيرا ما كان ينشب بين الرعايا الأمريكيين فى السلطنة وبين التجار الهنود المعروفين باسم « البونايان » — الهندوس من غير ذوى الكتاب — والمشمولين بالحماية البريطانية (١٣) .

وقد لعب القنصل الأمريكى فى زنجبار « شارلس وارد » **Charles Ward** الذى تسلم مهام وظيفته فى الجزء الافريقى من السلطنة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦ م ، دورا فى سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما أدى الى قطع العلاقة بين البلدين فى يوليو ١٨٥٠ م ، واعتقد « وارد » أن القنصل البريطانى فى زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة والسلطنة ، وتوقع تفكك السلطنة بعد وفاة السيد سعيد واشاع ذلك مما اغضب السيد سعيد .

ورغم أن السيد سعيد كان حريصا على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة فانه اضطر الى توقف تلك العلاقة بعد أن استنفذ الوسائل المتاحة لكى يحل المشكلات التى اثيرت بين الطرفين ، فقد بعث السيد سعيد برسالة الى الحكومة الأمريكية فى سبتمبر ١٨٤٧ م ، الا أنه لم يتلق ردا عليها مما دفعه الى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقوده بين البلدين . وكانت الرسالة تطلب ضمانات أمريكية محددة

---

(١٣) د . ريتشارد ستيفنس : المرجع السابق ص ١٣٠ .

حول المدى المحدد للتجارة الأمريكية فى سواحل افريقيا الشرقية التابعة للسلطنة . وتطلب تحديدا للاختصاصات القضائية للقنصل الأمريكى فى السلطنة ، ووقف اى تدخل فى الشـــئون الداخلية للسلطنة من جانب القنصل الأمريكى .

وارادت الولايات المتحـــدة الا تفقد صداقة الســـلطان فأرســـل الرئيس الأمريكى « ميلارد فيلمور » رســـالة ودية حملهـــا مبعوثه الى السيد سعيد يدعى « الكومودور اوليك » ، وغـــــادر القنصل « وارد » الى الولايات المتحدة ، وعندما وصـــل « اوليك » الى زنجبار فى أول ديسمبر عام ١٨٥١ م اجتمع مع التجار الأمريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الأمريكى للسيد سعيد ، وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم ، وانه لم يسىء للعلم الأمريكى كما ادعى القنصل « وارد » وأنهم يتمتعون بامتيازات فى السلطنة تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الأجانب .

وعندما غادر المبعوث الأمريكى « اوليك » زنجبار ترك أثرا طيبا بين أهل السلطنة وحكامها ، وتحمل القناصل الأمريكيون منذ عام ١٨٥٢ م مسئولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحـــدة الامريكية . وبالفعل امتلات تقارير هؤلاء القناصل بالاشادة بروح المـــودة التى يبديها السيد سعيد نحو الأمريكيين ، وان العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة (١٤) .

ومما تجدر الاشارة اليه انه نظرا للاهتمام بالجانب الافريقى من السلطنة كان تعيين قناصل أمريكيين فى زنجبار أسبق من تعيين زملاء لهم فى مسقط ، بل ان القنصلية الأمريكية بمســـقط احيانا ما خلت ممن

---

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٣ .

يشملها . وأحيانا أخرى تخضع لسلطان القنصل الأمريكى فى زنجبار ، وإذا كان أول القناصل الأمريكيين قد وصل الى زنجبار عام ١٨٣٦ م ويدعى « ريتشارد ووترز » — السابق الاشارة اليه — فان آخر قنصل للولايات المتحدة قد غادر زنجبار عام ١٨٩١ م بعد أن اخضعت هذه البلاد للسيطرة الانجليزية . بينما تسلم المستر « هنرى مارشال » عمله كقنصل للولايات المتحدة فى مسقط عام ١٨٣٨ م ، ثم ألغيت القنصلية الأمريكية بمسقط فى المدة من ١٨٤٥ الى ١٨٨٠ م ، حين عين المستر « ماجبور » Magbour وهو تاجر بريطانى — قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية فى مسقط ، وفى عام ١٨٨١ م اعترفت به فرنسا قنصلا لها أيضا فى سلطنة عمان .

ورغم أن العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣ م ، ولمدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أى من الطرفين ، الا أن وجودها فى حد ذاته كان يبشر بعهد جديد فى مجال العلاقات الدولية .

رابعا : زيارة سفينة السيد سعيد لنيويورك

تمشيا مع السياسة الودية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة التى بدأت مع معاهدة الصداقة والتجارة التى عقدت بين البلدين عام ١٨٣٣ م ، بعث السيد سعيد بسفينته المسماه « سلطانة » فى رحلة الى ميناء نيويورك الأمريكى عام ١٨٤٠ م لشراء الأسلحة والذخيرة التى كان فى حاجة اليها اثناء صراعه ضد الوجود البرتغالى فى موزمبيق ، وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطانى يدعى وليام سليمان William Soliman . واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج أحمد بن نعمان ليكون ممثلا له فى الولايات المتحدة ، بل أول مبعوث عمانى الى الولايات المتحدة .

وقد حمل الحاج احمد بن نعمان معه هدية السيد سعيد للرئيس الأمريكى وكانت عبارة عن جوادين عربيين ، وبعض الجواهر وسيفا مطعما بالذهب الى جانب العطور ، وقد اهدى الرئيس الأمريكى للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة بأثاث فاخر الى جانب ٤ مسدسات تلقائية الدوران وبندقيتين تلقائيتى الدوران كذلك .

كما حملت السفينة « سلطانة » اكثر من الف من اجولة التمر العمانى وحوالى عشرين بالة من السجاد الايرانى ، ومائة كيس من قهوة « مخا » و١٠٨ من انياب العاج وحوالى ثمانين جوالا من صمغ الكوبال الراتينجى ، و ١٣٥ جوالا من القرنفل ، والف جلد من جلود الحيوان المجففة ، وهذه الحمولة بيعت لحساب السيد سعيد فى نيويورك (١٥) .

وحملت « سلطانة » من نيويورك بضائع متنوعة كان منها ١٢٥ بالة من الملاءات الرمادية تسمى « ميركانى » و ٢٤ ثوبا من قماش قرمزى اللون و ١٣ حقيبة من الخرز الأحمر والأبيض والأزرق ، وعشرين دستة من القماش المطبوع ، و ٣٠٠ بندقية ، وبارود ، وأطباق من الصينى ، وبعض الأشياء الشخصية للسيد سعيد (١٦) .

وعندما وصلت « سلطانة » الى ميناء نيويورك ، لقى ركابها العرب بعض المضايقات من بعض الأمريكيين ، اذ اثار منظر العرب العمانيين بملابسهم المميزة انتباه الناس فى شوارع نيويورك فتعقبوهم فى السير واقتربوا منهم واخذوا يتحسسون لحاهم ولا يتركون لهم فرصة للخلو الى انفسهم ، الا ان هذه المضايقات سرعان ما ضاع اثرها حين لقى ركاب السفينة سلطانة كل تكريم وترحيب من محافظ « بيروكلين » ومن

---

(١٥) دونالد هولى : المرجع السابق ص ١٨٨ .
(١٦) نفس المصدر ص ١٨٩ .

رئيس نادى البحرية فى نيويورك ، وصدرت اوامـــر الرئيس الأمريكى « فان بورين » Van Buren ووزير بحريته بادخال السفينة سلطانة الى حوض الاسطول الأمريكى وتجهيزها للابحار على نفقة الحـــكومة الأمريكية . ومن ثم شحنها بالمنتجات الأمريكية التى اشرنا اليها لتعود بها الى السيد سعيد .

استغرقت رحلة الســـفينة سلطانة حوالى عشرة اشـــهر منذ أن خرجت من زنجبار حتى عادت اليها ، وقد قاد رحلة العودة الى أرض الوطن ربان أمريكى اســـتطاع أن يجتاز بها المحيط الاطلنطى بأمواجـــه المضطربة ، بسلام ، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج احمد بن نعمان بعد أن اتم مهمته على خير وجه فكان بحق خير سفير لبلده فى تلك البلاد البعيدة .

وان دلت رحلة السفينة ســـلطانة الى نيويورك على شىء فانما دلت على رغبة كل من سلطنة عمان فى عهد السيد ســـعيد بن سلطان والولايات المتحدة الأمريكية فى تقوية واســـتمرار العلاقات الودية بين الطرفين وخاصة فى المجالات الاقتصادية وهى المجالات التى كانت تستهوى التجار الأمريكيين أكثر من أى شىء آخر ، فى الوقت الذى لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية راغبة فى التدخل فى المشكلات السياسية انطلاقا من سياسة العزلة التى سارت عليها منذ أعلنت استقلالها عن انجلترا .

خامسا : اهمية الصلات بين السلطنة والولايات المتحدة على المستوى الخليجى والعربى والعالمى

كان للعلاقات بين سلطنة عمان والولايات المتحدة اثر هام علـــى موقف كل من البلدين ، فقد استفادت الولايات المتحدة بازدهار تجارتها لأكثر من نصـــف قرن من الزمان ، بل أن هـــذه التجارة فاقت التجارة البريطانية فى ممتلكات السلطان العمانى ، وقد شهدت السنوات ما بين

١٨٣٣ م الى ١٨٥١ م تصاعدا مستمرا فى ارباح التجارة الامريكية ، ففى عام ١٨٣٣ م كان مجموع السفن الأمريكية التى وصلت الى زنجبار تسع سفن بينما كان عدد السفن الانجليزية اربع سفن فقط ، وارتفـــع عدد السفن الأمريكية التى وصلت الى زنجبار عام ١٨٥٦ م — وهى ســـنة وفاة السيد ســـعيد — الى ٢٦ سفينة بينما لم يتجاوز عدد الســـفن البريطانية أثنتين ، وهذا يعنى أن السيد سعيد قد ضمن للولايات المتحدة تطوير لمصالحها فى المنطقة .

وعلى الجانب الآخـــر ، فقد استفادت سلطنة عمان من علاقتهـــا بالولايات المتحدة ، فى أن الوجود التجارى الأمريكى القوى فى السلطنة قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمرا ثابتا لا يحتاج الى نقاش . وحتى بعد انقسام السلطنة بين ولدى السيد سعيد : « ماجد » فى زنجبار و « توينى » فى مسقط ، فقد بقيت السلطنة فى مسقط بعيده عن اى نزاع استعمارى لأن سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية بينما وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الانجليزى والالمانى .

وقد أشار تقرير عن السياسة الخارجية الأمريكية عام ١٩٤٦ م نحو امارات الخليج العربى عامة وسلطنة عمان خاصة (١٧) ، بأنه فى الوقت الذى تعترف فيـــه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيـــا العظمى فى امارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العمانى المتصالح ، فان سياستنا — اى سياسة الحكومة الأمريكية نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطانى الخاص فى هذه الامارات لن يؤدى الى الحاق الضرر بالمصالح الأمريكية أو مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة . وان سياستنا نحو سلطنة عمان تستند على واحدة من أقدم معاهداتنا التى مازالت نافذة المفعول وهى معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٢ م .

(١٧) — **Memorandum prepared in the department of state (secret), Washington, March 15, 1946, No. 790.0014-946 — Current U.S. policy** toward **the Arab Principalities of the Persion Gulf and the Gulf of aman.**

ويضيف التقرير مؤكدا على اهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان مشيرا الى ان الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشار اليها والتى احييت فى مارس ١٩٣٤ م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية امريكية خاصة لمسقط ، وفى عام ١٩٣٦ م استقبل الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » Franklin Rosevelt فى واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان كضيفه الخاص .

واختتم التقرير سرده للاحداث المقارنة بين تلك المعاهدات التى وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر ، وبين المعاهدات العمانية البريطانية فالامارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠ م بالمساعدة للقضاء على « القرصنة » فى الخليج العربى ، ووضع حد لدخول السلاح والرقيق على بلادهم ، وعن طريق سلسلة من المعاهدات أعطى حكام الامارات للبريطانيين حق استغلال اراضيهم مقابل الحماية البريطانية ، وفيما بين عامى ١٩١٣ ، و ١٩٢٣ ربط حكام الامارات العربية الخليجية أنفسهم اكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات للبحث عن البترول فى أراضيهم لأية دولة اخرى دون موافقة وقبول البريطانيين .

بينما وافق سلطان عمان فى عام ١٩٢٣ على مجرد استشارة الوكيل السياسى البريطانى فى الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول فى سلطنته .

مصادر يمكن الرجوع اليها

١ ـــ د . رأفت الشيخ : افريقيا فى العلاقات الدولية . القاهرة ١٩٧٥ م .

٢ ـــ د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العـــرب الحديث . القاهرة ١٩٧٥ م .

٣ ـــ د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى . القاهرة ١٩٧٤ م .

٤ ـــ د . جمال زكريا : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ص ١٩١٤ ـــ ١٩٤٥ . القاهرة ١٩٧٠ م .

٥ ـــ لوريمر : دليل الخليج ٧ اجزاء . الدوحة بدون تاريخ مترجم القسم التاريخى .

٦ ـــ د . جلال يحيى : المغرب الكبير جزآن القاهرة ١٩٦٩ م .

٧ ـــ The American Assembly Columbia University : The United States and the Middle East, New York, 1964.

٨ ـــ De Novo, J.A. : Amreican interests and Policies in the Middle East 1900-1939, the University of Minnesota Press 1968.

٩ ـــ Polk, W.R. : The United States and the Arab World, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts 1965.

١٠ ـــ Coupland, R. : Exploitation of East Africa, London 1939.

١١ ـــ Sanger, R.H. : Arabian Peninsula, New-York, 1924

١٢ — د . ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٣٣ — ١٨٥٦ م) ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، عدد يوليو ١٩٧٧ م .

١٣ — دونالد هولى : عمان ونهضتها الحديثة . لندن ١٩٧٦ م .

١٤ — U.S. Documents, Memorandum prepared in the Department of State (secret), Washington, March 15, 1946, No. 790-0014-946 — current U.S. policy towards the Arab Principalities of the Persion Gulfand the Gulf of Oman. Foreign Relations of the U.S., 1946, vol. VII.

١٥ — د . جمال زكريا : دولة البوسعيد فى عمان وشرق افريقيا ، القاهرة ١٩٦٧ م .

١٦ — دار المحفوظات التاريخية القاهرة — محافظ الحجاز .

١٧ — د . نقولا زيادة : ليبيا من الاحتلال الايطالى الى الاستقلال ، القاهرة ١٩٥٨ م .

١٨ — جلين تكر ترجمة عمر الديراوى ابو حجلة : معارك طرابلس بين الاسطول الليبى والاسطول الأمريكى فى القرن التاسع عشر ، منشورات مكتبة الفرجانى طرابلس الغرب بدون تاريخ .

ثانيا : اثناء الحرب العالمية الثانية (*)

مقدمـــة

كانت الولايات المتحدة الامريكية منذ فجر استقلالها الذى اعلن فى الرابع من شهر يوليو عام ١٧٧٦م ، راغبة فى ابرام معاهدات ودية وتجارية مع دول اوربا وفى فتح ابواب التجارة الموصدة فى وجهها ، وازالة جميع العقبـــات والقيود المعرقلة لنشر تجارتها ، فصدر قرار الكونجرس الامريكى فى الثالث والعشرين من شهر مايو ١٧٨٣م بناء على توصية جون آدمز **John Adams** مبعوث السلم الامريكى ، بعقد معاهدات تجارية مع دول أوربا البحريـــة وشمال افريقيا(١) .

وحقيقة ان مثل هذه المعاهدات لم تشمل آنذاك اقطار المشرق العربى عامة واقطار الخليج العربى بصفة خاصة ، فانها على اية حال تمثل بداية لنشاط الولايات المتحدة الامريكية بعد استقلالها مع اقطار العالم العربى فى الوقت الذى كانت فيه هذه الاقطار تخضـــع للدولة العثمانية ، وان كانت السيادة العثمانية على كثير من هذه الاقطار العربية اسمية حيث بدت السلطة العثمانية ضعيفة أمام العصبيات المحلية .

ويجب ان يكون واضحا ان الاهتمام الامريكى بالاقطار العربية عـــامة واقطار الخليج العربى خاصة جاء متأخرا عن اهتمامات الدول الاوربيـــة الأخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وانجلترا ، ومرجع ذلك الى تأخـــر

(*) نشر هذا البحث بمجلة المؤرخ العربى ــ اتحاد المؤرخين العرب ــ بغداد العدد ١٢ ، ١٩٨٠ م .

(١) د . محمود حلمى مصطفى : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الباشوية المصرية رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠ م ــ غير منشورة .

Samuel F. Bemis : Diplomatic **History of the United States, p. 176.**

الولايات المتحدة الامريكية فى حصولها على استقلالها عن انجلترا حتى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ولأنها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بسياسة مؤسسها **الاول** جورج واشنطن **George Washington** **الداعية** الى العزلة **non entanglement** وهى السياسية التى سارت عليها الولايات المتحدة لمدة تزيد على قرن من الزمان(٢) .

ونتيجة لذلك جاء الاهتمام الامريكى بالمنطقة على استحياء ، **ويتمشى** مع امكانيات الدولة الجديدة ، ومع رغبتها فى التفرغ للبناء الداخلى دون تدخل من الغير ودون ان تنغمس فى مشكلات الآخرين ، كما أشار الى ذلك الرئيس منرو **Monroe** فى تصريحه الشهير عام ١٨٢٣م ومن ثم كان الاهتمام الامريكى بالمنطقة متواضعا بالنسبة لنشاط الدول الاوربية المشار اليها سابقا.

وانطلاقا من خضوع اقطار الوطن العربى للسيادة العثمانية كانت اتصالات الولايات المتحدة الامريكية مع تلك الاقطار تتم عن طريق الاستانة حتى عام ١٩١٨م ، وعن طريق لندن وباريس بعد عام ١٩١٩م الى ان استقلت الاقطار العربية ، فى الوقت الذى كانت فيه كل من طهران والرياض عواصم لدول ذات استقلال سياسى(٣) وتتم معها الاتصالات الامريكية بصورة مباشرة

ومن الطبيعى ان تكون اقطار العالم العربى مجهولة للامريكيين فيما عـــدا ما قرأوه عنها فى كتب « الف ليلة وليلة » وتاريـــخ فراعنـــة وادى النيل ، كما أن سكان تلك الاقطار كانوا يجهلون كل شىء عن الامريكيين ، ولذلك جـــاء الاهتمام الامريكى لاقـــامة جسر من التعـــارف المتبـــادل بين الطرفين .

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة ان علاقات الولايات المتحدة الدبلوماسية بأقطار الشرق الاوسط بدأت مع ايران وتركيا قبل ان تبدأ مع الاقطار العربية،

---

(٢) **Brock, W.R. The character of American History (1965).**

(٣) **— The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East (1964), p.1**

ومما يذكر فى هذا المجـــال ان أول وزير — دبلوماسى — أمريكى يصـــل الى طهران لتمثيل الولايات المتحدة الامريكية فى بلاط الشاه فى المدة من ١٨٨٣ الى ١٨٨٥م وجـــد كثيرا من المسئولين الايرانيين لم يسمعوا من قبل بالولايات المتحدة قبل انشاء المفوضية الامريكية فى ايران ، بل ان الشاه نفسه سأل عن كيفية السفر الى امريكا(٤) وقد تطور الاهتمام الامريكى بالاقطار الخليجية طوال القرنين التاسع عشر والعشرين من النشاط التجارى فالنشاط التبشيرى فالاستثمار فى مجال النفط ثم الاهتمام بالجوانب الاستراتيجية وكان ابـــرز نشاط تجارى للولايات المتحدة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تلك الاتفاقية التجارية التى عقدتها مع السلطان سعيد سلطان مسقط وعمـــان وزنزبار بشرق افريقيا ومع ذلك فان هذا الاهتمام الامريكى المبكر لم يتخـــذ لا فى الخليج العربى ولا فى شرق افريقيا خطوات عملية اخـــرى(٥) اكثر من النشاط التجارى المحدود باعتبار هذه الجهات بعيدة جدا عن واشنطن مما يؤثر على فعالية هذا النشاط(٦) واستمراره وتطوره .

وكان انشاء الارسالية العربية فى البحرين اواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر وجها آخر للنشاط الامريكى فى الخليج ، فلقد بـــدأت هـــذه الارسالية — والتى تتبع مذهب الاصلاح الدينى الهولندى Dutch Reformed Church بمركز فى البحرين يشرف عليه مبشرون امريكيون ثم صارت لها مراكز فى كل من البصرة بالعراق ، والكويت ، ومسقط . واتخذت من وسائل التأثير كتقديم الخدمات التعليمية والطبية ، وبيع الكتاب المقدس وغيره مـــن المطبوعات المسيحية باللغتين العربية والفارسية ركائز لنشاطها . . .

---

(٤) — De Nova; J.A. : American interests and policies in the Middle East 1900-1939, p.7.

(٥) د . رأفت الشيخ : افريقيا فى العـــلاقات الدولية ، القاهرة ١٩٧٥ ص ١٦٣ .

(٦) Coupland, R. : Exploitation of East Africa, London 1939.

حتى اذا ظهر النفط فى منطقة الخليج استحوذ على الاهتمام الأكــبر للولايات المتحــدة التى ارادت فتح المنطقة دون قيــود امام الاستثمارات الامريكية فى هذا المجال الحيوى . وعندما قامت الحرب العالمية الثانيــة اتجهت الولايات المتحدة الى التفاوض مع المملكة العربية السعودية للحصول على تسهيلات جوية فى منطقة الظهران ، ثم مع سلطنة مسقط وعمان للحصول على تسهيلات جوية فى اراضى السلطنة .

بداية العــلاقة

بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان

بدات العلاقات الرسمية بين الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة مسقط وعمان فى عهد السيد سعيد بعقد اتفاقية للصداقة والتجارة وقعها عــن الولايات المتحدة الكابتن **ادموند روبرتس** **Edmond Robertes** مــع السيد سعيد سلطان مسقط وعمان فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م ، وكانت أول معاهدة عقــدها حــاكم عمــان مــع دولــة كبــرى مبــاشرة ، وكانت تلك المعاهدة هى المثل الذى احتذى فى معاهدتى عمان مع بريطانيا فى سنة ١٨٣٩م وفرنسا فى سنة ١٨٤٤م(٧) . وظلت سارية المفعول حتى سنة ١٩٥٨م حين ابطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين(٨) .

وقد اعطت هذه المعاهدة للامريكيين فى ممتلكات السلطان العربيــة ، مسقط والأفريقية — زنزبــار — امتيازات لا يتمتــع بها غــيرهم باستثناء

---

(٧) لوريمر ، ج ، ج : دليــل الخليج ، القســم التاريخى ج ٢ ص ٧٢٧/٧٢٨ .

(٨) د . ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الامريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة مسقط وعمان (١٨٣٣ — ١٨٥٦م) — مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد يوليو ١٩٧٧ م ص ١٢٥ .

البريطانيين ، فصار التجار الامريكيون الذين يزورون موانيء السلطنة لا يدفعون اكثر من ٥٪ رسوما على البضائع التى يجلبونها الى تلك الموانيء ، وان يعفوا من اية ضرائب اخـــرى على الصادرات او الواردات ومن رسوم الارشاد الملاحى ايضا . ومنح القنصل الامريكى حق الفصل فى القضـــايا بين رعايا دولته .

وقد كان وقع هذه المعاهدة فى الولايات المتحدة طيبا وتمت مصـــادقة كل من الرئيس الامريكى اندروجاكسون **Andrew Jackson** ومجلس الشيوخ دون ابطاء لأنها لم تحمل الولايات المتحدة اية التزامات نحو سلطنة مسقط وعمان ، كما ان الولايات المتحدة قد اصبحت مرتبطة بصداقة احدى القوى الأسيوية التى تفخر — بامتلاكها اسطولا اكبر من الاسطول الامريكى اذ كان مؤلفا مما لا يقل عن ٧٥ سفينة كل منها مزودة بعدد من المدافع يتراوح ما بين ٤ الى ٥٦ مدفعا ، كما لاحظ روبرتس ايضا ان السفن العمانيـــة التجارية كانت تصل حتى الهند وسيلان وجاوه(٩) .

وعلى الجانب الآخـــر فان السلطان سعيد شعر بأهميته اكثر وبقدرته على الدخول فى اتفاقية مع دولة كبرى ، مما جعله ، يميل الى كسب المزيد من رضـــا الامريكيين بمنحهم امتيازات تجارية خاصة فى شرق افريقيا على أن يقفوا بجواره ويساعدوه بالسلاح والرجال لاخضاع ذلك الاقليم لسيادته(١٠) ولم يغضبه عدم تجاوب الامريكيين لمطالبه هذه .

وقد اثارت هذه المعاهدة ثائرة البريطانيين الذين اعتقدوا ان للولايات المتحدة اطماعا فى شرق افريقيا ، ورغم ان الحكومة البريطانية لم تكن مقتنعة بوجود نشاط استعمارى امريكى فى افريقيا ، فان الادميرالية البريطانيـــة امرت الكابتن هـ. هارت **H. Hart** قبطان السفينة « ايموجين » التابعة

---

(٩) نفس المرجع ص ١٢٦ .

(١٠) لوريمر : نفس المرجع ص ٧٢٨ .

للاسطول الملكى بتقييم طبيعة الاتصـال الامريكى فى تلك القـارة ، وفى فبراير ١٨٣٤م وصل هارت الى زنزبار ، وفى حين انه أكد لحكومته تزايد حجم التجارة الامريكية ، فقد كان باستطاعته فى نفس الوقت ان يؤكد لهـا ان الامريكيين لم يكونوا يفكرون باستيطان شرق أفريقيا(١١) .

ورغم ذلك التأكيد فقد اظهر هارت للسلطان سعيد عدم قبول النشاط الامريكى المتزايد فى ممتلكات السلطنة . ومن ثم فانه اذا كان سعيد مازال يفكر بكسب المسـاعدة الامريكية فان وصـول السفينة البريطانية «ايموجين» كان بمثابة تحذير له بأن الحكومة البريطانية ستنظر بعداء الى مثل هـذه الخطوة ولذلك فان السلطان فاوض الكابتن « هارت » حـول معاهـدة رسمية مع بريطانيا كانت جـوهرها مقتبسة من المعاهـدة الامريكية(١٢) .

عملت المعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمـان على ازدهار التجـارة الامريكية فى ممتلكات السلطنة الافريقية اكثر مـن ازدهارها فى مقر السلطنة بالخليج العربى ، فتزايد عدد السفن الامريكية التى ترسو فى زنزبار والتى تحمل قماشا قطنيا امريكيا متينا سرعان ما شاع استعماله فى شرق افريقيا والخليج والجزيرة العربية الى جانب بيع البارود وفى المقابل تحمل من زنزبار العاج ، وصمغ الكوبال الذى يستخدم فى تحضير الطـلاء ، والقرنفل وغير ذلك من منتجات المنطقة .

ونتيجة لازدياد النشاط التجارى الامريكى فى ممتلكات السلطنة بشرق افريقيا فقـد اختارت الحكومة الامريكية احـد رعاياهـا ويدعى المستر ريتشارد ووترز **Richard Waters** عام ١٨٣٦م ليكون أول قنصل امريكى فى زنزبار تـلاه خمسـة قناصل آخـرين مـن « سيلم » بولايـة

---

(١١) **— Coupland : op. cit. p. 374.**

(١٢) د . ريتشارد ستيفنس : نفس المرجع ص ١٢٧ .

ماساتشوستس عينوا — أيضا — فى زنزبار التى غادرها آخرهم سنة ١٨٩١م(١٣) .

واما فى مسقط فقد عينت الحكومة الامريكية مواطنا امريكيا آخر يدعى هنرى ب. مارشال **Henry B-Marshall** قنصلا للولايات المتحدة فى عاصمة السلطنة منذ ١٥ فبراير ١٨٣٨م ، وقد تسلم عمله بمسقط منذ منتصف شهر اكتوبر حيث استقبله ابن السلطان بحفاوة نظرا لوجود السلطان فى زنزبار العاصمة الثانية للسلطنة ، ولم يمكث مارشال فى مسقط اكثر من تسعة اشهر وانتقل الى بومباى تاركا المواطن العربى سعيد بن خلفان مترجم روبرتس سابقا نائبا للقنصل فى مسقط ، الذى ظل يمارس هذا الدور حتى وفاته فى يونيو ١٨٤٥م . وبعدها الغيت القنصلية فى مسقط الى عام ١٨٨٠م حين عين المستر ماجبور **Magbour** وهو تاجر بريطانى قنصلا للولايات المتحدة الامريكية فى مسقط ، وفى عام ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلا لها ايضا فى عمان(١٤) .

ولقد كانت التجارة الامريكية مع مسقط قاصرة على شراء كميات كبيرة من التمر (البلح) ونقلها الى الولايات المتحدة الامريكية من ميناء مسقط ، وظلت هذه المادة تمثل ركنا اساسيا فى التجارة بين الطرفين حتى الحرب العالمية الاولى(١٥) .

ولعل هذا يفسر لنا انشغال السلطان واهتمامه بشرق افريقيا حيث الامكانيات اكثر ، كما يفسر لنا ازدهار التجارة الامريكية فى ممتلكات السلطان بشرق افريقيا اكثر من ممتلكاته فى الخليج العربى .

---

(١٣) نفس المرجع ص ١٢٨ .

(١٤) لوريمر : المرجع السابق ص ٨٠٨ .

15 - De Nova : op. cit. p. 40

وقد ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر حين بدات تظهر علامات فتور بين الطرفين منها رغبة السلطان فى تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجـــارة المعقودة بين الطرفين عـــام ١٨٣٣م والتى تنص على ان من حق التجـــار الامريكيين دخول كل الموانى الخاضعة للسلطان ورفض حكومـــة الولايات المتحدة الاستجابة لطلب السلطان ، الى جانب الخلافات حـــول مـــدى سلطة المحكمة القنصلية الامريكية ، وامتداد التجارة الامريكية فى شرق افريقيا دون تحديد للمدى الذى تصل اليه ، بالاضافة الى الوضع القضائى للرعايا الامريكيين الذين يقترفون جرائم قتل ضد المواطنين العرب ويختلفون مـــع التجار الهنـــود المعروفين « بالبونايان » والمشمولين بالحماية البريطانية .

ولقد لعب القنصل الامريكى تشارلز وارد Charles Ward الذى تسلم مهام وظيفته فى زنزبار بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦م دورا فى سوء العلاقـــة بين السلطان والولايات المتحدة مما ادى الى قطع العلاقة بين البلدين فى يوليو ١٨٥٠م واعتقد وارد ان القنصل البريطانى فى زنزبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة والسلطنة وتوقع تفكك السلطنة بعد وفـــاة سعيد ، كما توقع أن الصراع سيدور بين ولديه وبعد ان ينهك كل منهمـــا الآخر فى القتال تتدخل الحكومة البريطانية بحجة حماية المصالح البريطانية أو تحت ستار اية ذريعة اخرى لتضع حدا للنزاع وتفرض حمايتها علـــى البلاد(١٦) .

ولكن الولايات المتحدة أرادت الا تفقد صداقة السلطان فارسلت الكومودور اوليك مندوبا يحمل رسالة من الرئيس الامريكى للسلطان وغادر وارد السلطنة الى امريكا وعندما وصـــل اوليك الى زنزبار فى أول ديسمبر ١٨٥١م عرف من التجار الامريكيين مـــدى صداقة السلطان وحسن معاملته

---

(١٦) د . ريتشارد ستيفنس : نفس المرجع ص ١٣٢ .

لهم ، وانه لم يسيء للعلم الامريكى كما ادعى وارد ، وانهم يتمتعون بامتيازات فى السلطنة تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الاجانب .

وتوالى القناصل الامريكيون فى السلطنة واستمرت التجارة الامريكية مزدهرة بالسلطنة لاكثر من نصف قرن تحت حكم السلطان سعيد ، وحتى أن هـذه التجارة فاقت التجارة البريطانية فى ممتلكات السلطان ، وحتى بعـد انقسام السلطنة بين ابنى السلطان سعيد ماجـد فى زنزبار وثوينى فى مسقط وعمان فقد بقيت مسقط وعمان بعيدة عن اى نزاع استعمارى لان سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية ، بينما وقعت زنزبار فريسة للاستعمار البريطانى والالمانى ، ورغم ان العلاقات بين كل من الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة مسقط وعمان خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣م ، ولمدة مائة عام لم تكن تعتبر ذات اهمية بالغة من وجهة نظر اى من الطرفين ، الا ان — وجودها فى حد ذاته كان يبشر بعهد جـديد فى مجـال العـلاقات الدولية(١٧) .

وليس ادل على ذلك مما اشار اليه تقرير عن السياسية الامريكيـة الخارجية عـام ١٩٤٦م نحـو امارات الخليـج العربى وسلطنة مسقط وعمان ، بانه فى الوقت الذى تعترف فيه بالوضـع الخـاص لبريطانيـا العظمى فى مشيخات الكويت والبحرين وقطر والسـاحل العمانى المتصالح فان سياستنا نحـو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضـع البريطانى الخاص فى هـذه الامارات لن يؤدى الى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية او مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة . وان سياستنا نحـو سلطنة مسقط وعمـان تستند على واحـدة من اقدم معاهداتنا التى مازالت نافذة المفعول وهى معاهـدة الصداقة والتجـارة الموقعة بين الطرفين فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م(١٨) .

---

(١٧) نفس المرجع : ص ١٣٤ .

(١٨) U.S. Documents, Memorandum prepared in The Department of state (secret), Washington, March 15, 1946, No. 790-0014-946-6- current U.S. policy toward the Arab principalities of the persion Gulf and the Gulf of Oman.

ويضيف التقرير مؤكدا على اهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان مشيرا الى ان الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشـــار اليها والتى احييت فى مارس ١٩٣٤م تميزت بزيـــارة قامت بها بعثة دبلوماسية امريكية خاصة لمسقط ، وفى عـــام ١٩٣٦م استقبل الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt فى واشنطن السلطان سعيد بن تيمور آل بوسعيد سلطان مسقط وعمان كضيفه الخاص(١٩) واختتم التقرير مقارنا بين تلك المعاهدة التى وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من القرن التاسع عشر وبين المعاهدة العمانية البريطانية فالامارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠ بمساعدة البريطانيين للقضاء على « القرصنة » ووضع حـــد لدخول السلاح والرقيق الى بـــلادهم وعن طريق سلسلة من المعاهدات اعطى الشيوخ (حكام الامارات) للبريطانيين حق استغلال اراضيهم مقابل الحماية البريطانية ، وفيما بين عامى ١٩١٣ ، ١٩٢٣ ربط حكام الامارات الخليجية انفسهم اكثر بالتعهد بعـــدم اعطـــاء امتيازات للبحث عن البترول فى اراضيهم لاية دولة اخـــرى دون موافقـــة وقبول البريطانيين .

بينما وافق سلطان مسقط وعمان فى عام ١٩٢٣ م على مجـــرد استشارة الوكيـــل الســـياسى البريطانى وحـــكومة الهنـــد البريطانية قبل البحث عن البترول فى سلطنته ، ومن ثم تمتع السلطان بقدر اكبر من حرية الحركة حرم منها غـــيره من حكام الامارات العربية الخليجية الأخرى الذين تمتعوا بحماية الحكومة البريطانية وان كانت بلادهم ليست محميات بريطانية(٢٠) .

العلاقات اثناء الحرب العالمية الثانية

اولا : مع المملكة العربية السعودية

اتضح لنا ان سلطنة مسقط وعمان كانت تتمتع باستقلال محـــدود تمتاز به عن غيرها من امارات الخليج العربية ، رغم وجود نفوذ بريطـــانى

(١٩) Sanger, R.H. : Arabian peninsula, (1954), p. 194.

(٢٠) U.S. Documents, memorandum prepared in the Department of state, op. cit.

فى السلطنة ، ومن هنا ففى الوقت الذى دخلت فيه الولايات المتحدة الحرب الى جانب انجلترا وفرنسا ، واحتاجت الى قواعـد حربية فى الاراضى العربية ساعدت السلطات البريطانية فى تقديم هـذه التسهيلات للقوات المسلحة الامريكية ، ومن ثم اتجهت انظار المسئولين العسكريين الامريكيين الى اراضى المملكة العربية السعودية وبعض مناطق فى سلطنة مسقط وعمان .

وفيما بين شهرى مارس وسبتمبر ١٩٤٢م دارت اتصالات بين كل مـن الولايات المتحدة والحكومة البريطانية والمملكة العربية السعودية بقصـد الحصول على تسهيلات جوية بعبور الطائرات الامريكية فى سماء بعض مناطق المملكة وكان ذلك راجعا الى حاجة الحلفاء لنقل قواتهم العسكرية الى الشرق الاقصى لمتابعة الحـرب مع اليابان ، واحتياجهم الى قاعدة كبيرة فى منتصف الطريق ، والى تسهيلات جوية ومرور الطائرات فى اجواء الاقطار الواقعة فى طريق الوصول الى الشرق الاقصى ، فوقع اختيار الامريكيين على الظهران قرب آبار النفط السعودية(٢١) .

وقد شارك فى هـذه الاتصالات كل من المستر ويليس (Welles) القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكية ، والوزير الدبلوماسى الامريكى فى القـاهرة المستر كيرك (Kirk) والدبلوماسى الامريكى فى المفوضية الامريكية بجـدة المستر موس (Moose) وقد بدأت برسالة من المستر ويليس الى المستر كيرك المسئول عن العلاقات الدبلوماسية مع المملكـة العربية السعودية الى جانب مصر رغـم وجـود وزير مفوض امريكى فى جده يذكر باهتمام وزارة الحربية الامريكية بانشاء مطـار او اكثر فى المملكة العربية السعودية وان هذا الطلب الامريكى يجىء بعد زيارة المستر كيرك للمملكة العربية السعودية وتسليم الملك عبد العزيز رسالة ودية من الرئيس روزفلت فى فبراير ١٩٤٢م ، وارسال بعثة زراعية للمملكة ، وانشاء مفوضية امريكية فى جدة فى نفس الشهر أيضا .

---

(٢١) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليـج العربى ، ص ٣٧٧ .

وأضافت رسالة المستر ويليس بأن وزارة الحربية الامريكية ترى ان استخدام المجال الجوى السعودى واراضى المملكة مناسبة لنزول الطائرات قصيرة المدى بين الخرطوم وكراتشى ، بل وايضا اكثر امنا من الطريق عبر القاهرة . وتشعر الوزارة ان اية اتفاقات مع حكومة المملكة العربية السعودية بخصوص اقامة منشئات عسكرية ، او اتفاقات دفاعية ، أو انشاءات لقواعد جوية يجب ان تتم بمعاونة المملكة المتحدة ، حيث ان المملكة العربية السعودية تقع فى منطقة مسئولية الدفاع البريطانية . وعلى هذا فيقترح حث هيئة القيادة الحربية البريطانية لتأخذ على عاتقها القيام باجراءات ضرورية وعملية من أجل انشاء قواعد جوية بالمملكة العربية السعودية لصالح الجيش الامريكى ، وان وزارة الحربية الامريكية لن توصى بتقديم مساعدة للمملكة العربية السعودية بمقتضى قانون الاعارة والتأجير (lend-lease) فى شكل مواد حربية ، ولكن ليس لديها مانع من تقديم اية مساعدات مالية كما تقررها وزارة الخارجية وتراها ضرورية ومطلوبة(٢٢) .

ورد المستر كيرك على وزارة الخارجية الامريكية بأن زيارته للمملكة العربية السعودية كانت زيارة تقليدية لتقديم رسالة ودية ، وحيث انه لم تصل من وزارة الحربية تفصيلات محددة عن الاقتراحات الخاصة بخطوط الطيران الجوية فى سماء السعودية وانشاء قواعد جوية فى اراضى المملكة ، فأننى تجنبت اثارة هذه الموضوعات أثناء لقائى بالملك عبد العزيز وحديثى معه . وأننى علمت قبل مغادرتى القاهرة فى طريقى الى جدة أن الوزير الدبلوماسى البريطانى بجدة قد تقدم لوزير المالية السعودية – عبد الله سليمان – بمذكرة حول موضوع خطوط الطيران والقواعد الجوية فى تلك المنطقة ، وسمعت ايضا ان « كاسوك » (Casoc) شركة استاندارد كاليفورنيا العربية للبترول (California Arabian Standard Oil Company) قد بعثت برسالة الى الملك ترجو السماح لشركة

(٢٢) U.S. Documents, The Acting secretary of state (welles) to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, April 15, 1942-9 p.m., No. 890 F. 7962/3 a : Telegram.

طيران (Panair) بالتحليق فوق الاراضى السعودية بما يحقق المصالح البترولية للطرفين .

واضاف كيرك فى رسالته انه بينما كان يتحدث مع وزير المالية السعودى ادهشه وزير المالية حين تطوع من تلقاء نفسه بالقول بأنه ليس لدى المملكة العربية السعودية ما يمنع من تحليق طائرات الولايات المتحدة فى سماء المملكة او حتى انشاء مطارات على الساحل ، وقدم مناطق معينة باعتبارها صالحة لهذا الغرض ، وقد اشار بصفة خاصة الى « البركة » فى الجنوب « والضبة » فى الشمال والاولى فى طريق الخط المباشر بين الخرطوم الى البحرين ، والاخرى تساهم فى تقصير الطريق الى العراق وايران والهند(٢٣) .

واجاب وزير الخارجية الامريكية المستر هل (Hull) على رسالة المستر كيرك بأن وزارة الحربية الامريكية تقترح بذل الجهود الدبلوماسية للحصول على موافقة السعودية على عبور خطوط طيران محددة دون توقف عبر وسط شبه الجزيرة العربية من الخرطوم الى البحرين ، ومن الخرطوم الى البصرة ، وكلا الطريقين لتجنب المناطق المحرمة ، وتشمل الحق فى الهبوط الاضطرارى . واقترح ايضا مسألة الهبوط بالمطارات لطائرات الاستطلاع قصيرة المدى(٢٤) .

وعندما رد كيرك على وزير الخارجية اشار الى راى المستر موس (Moose) الوزير المفوض الامريكى بجدة بأن مسألة خطوط الطيران دون توقف أمر ممكن وأما تأمين مطارات للهبوط الاضطرارى فأمر مع صعوبته ولكن يمكن تحقيقه ، وأن الحكومة البريطانية تقدم للمملكة العربية السعودية هذا العام مساعدة قدرها ٣ ملايين جنيه بينما من المفهوم ان كاسوك

(٢٣) U.S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the secretary of state, Cairo, May 19, 1942 - 7 p.m., (Received May 21-5 : 15 p.m.) No. 890 F. 7962/s : Telegram.

(٢٤) U.S. Documents, The Secretary of state (Hull) to the minister in Egypt (Kirk), Washington, July 7, 1942-8 p.m. No. 890 F. 7962/11 a : Telegram.

(CASOC) لن تتقدم بمساعدات اضافية ومن ثم يجب علينا أن نساهم مع البريطانيين فى تقديم المساعدة اللازمة للسعودية .

واضاف كيرك انه يرى ان يقوم المستر موس حاملا تعليمات لاستطلاع الراى النهائى لحكومة المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بالطرق الجوية المحددة والتسهيلات التى تحتاجها وزارة الحربية . وان تكون مباحثاته مع عبد الله سليمان وزير المالية ، وانه يجب ان تتناول اتفاقات حول مطارات النزول اكثر من مجرد السماح بالطيران دون توقف فى سماء الاراضى السعودية(٢٥) .

ومالبث وزير الخارجية (Hull) ان اجاب بأن شركة (CASOC) تقدر مبلغ المساعدة البريطانية للمملكة العربية السعودية هذا العام بما يقرب من اربعة ملايين جنيه استرلينى ، وتذكر انها — الشركة — رصدت لهذا الغرض مبلغ ثلاثة ملايين دولار على اقساط كل قسط ٥٠٠ الف دولار كل شهرين(٢٦) .

واقترح كيرك فى رسالة اخرى بانه تبعا للوضع الخاص الذى تتمتع به بريطانيا فى المملكة العربية السعودية ، وانه قد سبق للوزير الدبلوماسى البريطانى فى جدة (Bird) ان ناقش مسألة خطوط الطيران والمطارات فى المملكة السعودية ، فانه — كيرك — يوصى بأن يقوم « موس » بالتعاون مع «بيرد » فى التفاوض حول هذه المسألة ، وان اى اجراء غير هذا سوف يؤدى الى الاضطراب والتأخير(٢٧) .

ثم ابرق كيرك الى وزير الخارجية بما قام به المستر موس فى جدة بانه فى ٢٨ يوليو تسلم الوزير الدبلوسى البريطانى رد الملك عبد العزيز

(٢٥) U.S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the secretary of state, Cairo, July 14, 1942-5 p.m. (Received July 15-5 : 47 p.m.) No. 890 F. 7962/13 : Telegram.

(٢٦) U.S. Documents, The secretary of state (Hull) to the Minister of Egypt (Kirk), Washington, July 18, 1942-7 p.m., No. 890 F. 51/51 : Telegram.

(٢٧) U.S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the secretary of state (Hull), Cairo, July 24, 1942-5 p.m. (Received 6 : 09 p.m.) No. 890 F. 7962/16 : Telegram.

بواسطة وزير ماليته برجـــاء ابلاغ الرد للمستر موس ، وفحـــوى الرد أن الملك يقبل بأن يسمح للبريطانيين باستخدام الطرق الجوية دون توقف من الخرطوم الى البحرين مـــارة شمال الخط المباشر من البركة الى البحرين ، ومن الخرطوم الى البصرة ومارة الى الشمال من الخط المباشر من الضبة الى البصرة وانه لن يعترض على استخدام الطائرات الامريكية لهذه التسهيلات الممنوحة للبريطانيين . وانه طلب أن يبقى الموضـــوع فى اقصى درجـــات السرية(٢٨) .

وحسم الأمر فى برقية الوزير المفوض الامريكى بجـــدة مستر موس الى وزير الخارجية الامريكية والتى حملت رد الحكومة السعودية النهائى ــ ذلك العام ــ على المطالب الامريكية ، وقد حمل الرد الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودى ، الذى عبر عن رغبة الملك فى التعـــاون مـــع الحكومة الامريكية ، وان الملك وافق على الطيران دون توقف فى سماء المملكة العربية السعودية فى الخطوط التالية :

اولا : من البحر الاحمر الى « بحاره او بحرة » Bahare مرورا بجنوب « بيرك » وبيشه ومن ثم باتجاه شمالى تاركا « سوليل » Suleil الى الجنوب والشرق ، ثم باتجاه شرقى كبير مارا وسط الطريق بين سوليل وافلاجا او الأفلاج Aflaja وثم باتجاه اكثر شمالا الى « بحـــارة » تاركا الحوطة فالهفوف » (الحوطة Hauta) والعقير الى الشمال .

ثانيا : من العقبة مارا بمدينة الضبة على ساحل البحر الاحمر ثـــم منتصف وادى « السرحان » مارا بشمال الجوف Jauf وجنوب « قريات » Qoriyat ثـــم الى وادى « البصرة » .

واقترح أن تطير الطائرات فرادى أو فى جماعات صغيرة وان تطير على ارتفاعات كبيرة كلما امكن . واعلن الشيخ يوسف ياسين انه يمكن للطائرات

(٢٨) U.S. Documents, The Minister in Egypt (Kirk) to the secretary of state (Hull), Cairo, July 31, 1942 — 10 p.m. (Received July 31-6 : 03 p.m.) No. 890 F. 7962/18 : Telegram.

البدء فورا باستخدام هـــذه الطرق . وفى رايى — موس — ان رد الملك قد جعل البريطانيين والامريكيين يعاملون معاملة واحدة(٢٩) .

وكان هذا بداية للتفكير فى اقامة قاعدة جوية بالظهران تحقق هدفين الاول حماية حقول البترول التى تمتلكها الشركات الامريكية والهدف الثانى تسهيل عمليات نقل المعدات والقوات الامريكية الى ميدان الشرق الاقصى للحرب ضـــد اليابان ولكن فى هـــذا العام — ١٩٤٢م — لم تحصل الولايات المتحدة من المملكة العربية السعودية اكثر من تسهيلات المرور فى خطوط طيران محـــددة عبر اراضيها حتى عقدت اتفاقية بين الطرفين لانشاء مطار عسكرى فى الظهران فى ١٣٥٤/٨/٢٧ هـ (٦ — ٨ — ١٩٤٥ م) .

وهكذا تحددت التسهيلات التى منحتها المملكة العربية السعوديـــة للطائرات الامريكية للتحليق فوق اراضيها من الغرب الى الشرق اى من ساحل البحر الاحمر الى ساحل الخليج العربى على امتداد الاراضى السعودية فى خطين اثنين هما : الخط الاول يبدأ من بلدة البركة الواقعة على ساحل البحر الاحمر مقابل المدينة المنورة ويمر بكل من بلدة بيرك « البرك » وبيشه وسوليل « أو سليل او السليل كما تعرف احيانا » وتقع فى منتهى وادى الدواسر ، وافلاجا ، ثم بحارة « او بحرة » فالهفوف حتى شمال العقير .

ويبدأ الخط الثانى من العقبة الى مدينة الضبة « أو ضبا » الواقعـــة على ساحل البحر الاحمر ، الى الشمال من الخط الاول ، ويمر هـــذا الخط بمنتصف وادى السرحان ، فشمال الجوف ، ثم الى الجنوب من قريـــات (الواقعـــة فى طرف وادى السرحان من الشمال الغربى قرب الحـــدود الاردنية الحالية) ، حتى وادى — البصرة على الخليج العربى .

---

(٢٩) U.S. Documents, The charge in Saudi Arabia (Moose) to the secretary of state (Hull), Jidda, August 29, 1942 — 6 p.m. (Received August 31-9 : 02 a.m.), No. 890 F. 7962/27 : Telegram. (Repeated to Cairo).

ثانيا : مع سلطنة عمان

وبينما المفاوضات دائرة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الامريكية لحصول الاخيرة على تسهيلات جوية باراضى المملكة ، بدات ومنذ اغسطس ١٩٤٢م مفاوضات مماثلة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان ورغم أن للولايات المتحدة علاقات خاصة بسلطنة مسقط وعمان تحكمها اتفاقية التجارة والصداقة لعام ١٨٣٣م ، الا انه صار لبريطانيا منذ وفاة السيد سعيد سلطان مسقط وعمان وزنزبار عام ١٨٥٦م واقتسام ولديه ماجد وثويني ممتلكاته مركز خاص ونفوذ قوى فى السلطنة .

وقد حاولت الحكومة الامريكية منذ عام ١٩٣٠م احياء نفوذها فى السلطنة بعقد معاهدة جديدة بين الطرفين الا ان الحكومة البريطانية وقفت للمحاولات الامريكية بالمرصاد ، ومع ذلك فقد ظهرت نشاطات امريكية فى السلطنة تمثلت فى اتساع نشاط البعثة التبشيرية الامريكية فى مجال الصحة والتعليم فى كل من مسقط ومطرح ، حتى انه عند افتتاح المستشفى الجديد التابع للبعثة فى مطرح عام ١٩٣٤م قام الوزير المفوض الامريكى فى بغداد بافتتاح هذا المستشفى اثناء زيارته لمسقط احتفالا بمرور مائة عام على توقيع المعاهدة المسقطية الامريكية(٣٠) .

كما تمثلت النشاطات الامريكية فى السلطنة وقبل الحرب العالمية الثانية فى التطلع للتنقيب عن البترول فى السلطنة ، ولما كانت شركة البترول الانجليزية الايرانية قد بدات منذ عام ١٩٢٤م بالتنقيب عن النفط فى السلطنة فلم تواجه بمنافسات تذكر من جانب الشركات الامريكية اذ كانت المنطقة خاضعة للنفوذ البريطانى . وفى عام ١٩٣٧م بدات شركة بترول عمان وظفار المحدودة وهى فرع من شركة نفط العراق وبها راسمال امريكى فى التنقيب

---

(٣٠) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ — ١٩٤٥ ، ص ٣٦٣ .

عن البترول بموجب اتفاق وقعته الشركة مع سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمـــان .

وقد حاولت شركات البتـــرول الامريكية اســـتخدام احـــد الرعايا الايطاليين ويدعى باســـتورى (Pastori) واحد البولنديين ويـــدعى الكونت بروركٰ (Prork) للحصول على امتياز عن النفط فى سلطنة مسقط وعمان لصالح الشركات الامريكية الا ان الوكيـــل البريطانى فى مســـقط تشكك فى نشاطهما ومن ثم رفض التصريح لهما بالاقامة فى مسقط . وقد ظهر أن باســـتورى كان يعمل لحســـاب بعثة ايطالية أمريكيـــة مهتمة بالتنقيب عن النفط كما اوضحت تحريات الوكيل البريطانى على أن بروركٰ كان بدوره عميلا لشركة الزيت العـــربية الامريكية التى كانت لا تكف فى خلال الثلاثينيات عن محاولاتها للحصول على عقود امتيازات فى الساحل الجنوبى من الخليج (٣١) .

ومعنى هـــذا أن سلطنة مسقط وعمان صارت تتبع فى سياستهـــا الخـــارجية « النصيحة البريطانية » وهذا يعنى أن الولايات المتحـــدة فى محاولاتها التفاوض مع السلطنة بشأن التسهيلات الحربية يجب أن تأخذ فى اعتبارها الوضع الخاص لبريطانيا فى السلطنة والذى يستلزم دخول بريطانيا كطرف فى اى مفاوضات تجريها الولايات المتحدة مع السلطنة . وقد دارت هذه المفاوضات من خلال الوزير المفوض الامريكى فى نيودلهى ، وسكرتير حـــكومة الهند للشئون الخارجيـــة ووزير الخارجية الامريكيـــة واستغرقت الفترة من يونيو الى نوفمبر ١٩٤٢ م .

وتبدا اثارة هذا الموضوع فى رسالة بعث بها الوزير الامريكى فى نيودلهى (The officer in charge) الى وزير الخارجية الامريكية جاء فيها انه منـــذ يونيو ١٩٤٢ م بعث ببرقية الى البعثة الدبلوماســـية

---

(٣١) نفس المرجع ، ص ٩٠٥ .

الامريكية بالقاهرة ويعود ليؤكد ما جاء بها من أن سكرتير حكومة الهند المسئول عن ادارة الشئون الخارجية قد سبق واقترح بطريقة غير رسمية انه من المستحسن لحكومة الولايات المتحدة القيام باتصالات دبلوماسية مع سلطان مسقط من اجل الحصول على تسهيلات من السلطنة لصالح القيادة الجوية الامريكية .

واضافت الرسالة بأنه تبعا لما قاله سكرتير حكومة الهند ، فان السلطان الذى كان فى الماضى حياديا ومن السهل اثارة شكوكه عند تعامله مع البريطانيين صار متعاونا ، ومن اجل هذا السبب ، فان اى مندوب امريكى يذهب الى هناك يجب اختياره بدقة . وهذا ينطبق بصفة خاصة عند الذهاب الى « سلالة » حيث يتخذها السلطان مقرا لاقامته فى الصيف ، وملجأ له حين كان فى الماضى يبحث عن ملجأ له بعيدا عن البريطانيين .

ومضت الرسالة الى القول بأنه طبقا لمعلومات سكرتير حكومة الهند عن الأثر الذى احدثه عند السلطان وصول أربعة موظفين من شركة بان أمريكان للطيران (Pan American Airways) الى سلالة بدون سابق انذار الذين قرروا أنهم جاءوا لعمل ترتيبات ضرورية للتسهيلات الارضية .

وتضيف الرسالة بأنه تنفيذا لتوجيهات وزارة الخارجية الامريكية المؤرخة فى ٣ يوليو ١٩٤٢ م ، فاننى سألت سكرتير حكومة الهند اذا كانت حكومة الهند لديها الرغبة لاعطاء الممثل البريطانى فى مسقط تعليمات للتباحث مع السلطان بهذا الخصوص نيابة عن الحكومة الامريكية وبعد عدة ايام تلقيت اجابة مشجعه فسطرت مذكرة الى السكرتير فى ٨ يوليو ١٩٤٢ م اعبر عن الرغبة فى الحصول على موافقة السلطان على التسهيلات لجيش الولايات المتحدة شبيهة بتلك التسهيلات المعطاه حاليا للبريطانيين بحيث تشمل هذه التسهيلات استخدام المطارات فى مسقط

بواسطة الطائرات العاملة فى خدمة جيش الولايات المتحدة واقامة الاشخاص سواء كانوا عسكريين او مدنيين ، اللازمين لخدمة الطائرات ، ولانشاء ولتشغيل محطات اللاسلكى والارصاد الجوية .

وتمضى الرسالة الى القول بأن هناك ثمة تاخير من جانب حكومة الهند فى ارسال التعليمات للممثل البريطانى فى مسقط نظرا لضرورة التشاور مع السلطات العسكرية البريطانية فى القاهرة بخصوص تسهيلات اللاسلكى والارصاد الجوية المطلوبة كما ان الصعوبة ايضا حدثت عند الحصول على وسيلة نقل جوية للوكيل البريطانى السياسى من مسقط الى سلالة . والمعتاد وجود موظف صغير مساعد للوكيل السياسى فى سلالة .

وعلى اية حال — كما جاء فى الرسالة — فاننى تلقيت الان مذكرة مؤرخة فى ٢١ اغسطس ١٩٤٢ م من السكرتير المقيم لحكومة الهند تصف نتائج مباحثات الوكيل السياسى ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، ومعطيا اهتماما لملاحظات السكرتير المقيم بهدف تقديم المساعدة المطلوبة ، وكما ستلاحظ وزارة الخارجية فان صاحب العظمة السلطان قد وافق على التسهيلات المطلوبة ولكن تحت خمسة شروط بموجبها يتوقف عليها اعطاء التسهيلات . ويعتقد السكرتير المقيم لحكومة الهند أن هذه الشروط عادية ومعقولة ، وقرر أن — الوكيل السياسى البريطانى ، ومساعد الوكيل السياسى ، سوف يكونان مسئولين اذا رغبت وزارة الخارجية الامريكية عن تدبير أمور الاشخاص الامريكيين كما يقومون بالنسبة للسلاح الجوى الملكى البريطانى (٣٢) .

واختتمت الرسالة بطلب تعليمات برقية حول ما اذا كانت شروط السلطان مقبوله من عدمه لدى وزارة الخارجية الامريكية ، وانه يجب

---

(٣٢) U.S., The officer in charge at New Delhi (Merrell) to the secretary of state (Hull), New Delhi, August 23, 1942 (Received Seplember 14, 1942) No. 26, No. 811. 248/720.

أن يكون مفهوما أنه لن تكون هناك صعوبات فى سبيل الحصول على التسهيلات المطلوبة فى مسقط على اساس مؤقت ، وارفق الوزير المفوض الامريكى فى نيودلهى برسالته هذه ثلاثة مرفقات هى :ـ

جاء بالمرفق الاول انه فى السادس من شهر يونيو ١٩٤٢ م تم ابلاغ المستر ميريل بأن حكومة الهند قد تلقت علما بأن قيادة الدفاع الجوى للولايات المتحدة عازمة على انشاء محطات للتوقف فى مطارات بأراضى مسقط للطائرات التى تستخدم خطوط الطيران المارة بجنوب الجزيرة العربية فى كل من « سلالة » و « راس الحد » وربما مصيرة وقد اشير الى وجود اتفاقية للصداقة والتجارة بين حكومة الولايات المتحدة الامريكية وسلطان مسقط المعقودة فى ٣١ سبتمبر ١٨٣٣ م واقترح انه من المناسب لتنظيم ذلك انه قبل ارسال القوات الامريكية التى ستعسكر فى المطارات بأراضى مسقط بأن تعمل حكومة الولايات المتحدة الامريكية على الحصول على الموافقة الكاملة لصاحب العظمة السلطان .

وكان واضحا أنه تحقيقا لذلك فان الحكومة البريطانية كانت مهتمه واخذت على عاتقها مهمة الحصول مسبقا على موافقة صاحب العظمة سلطان مسقط على بناء مطارات ، وايضا استخدام الطائرات لها ، ووجود فنيين أرضيين من اجل صيانة وحماية هذه المطارات . وكان مفهوما ان مستر « ميريل » قد خاطب وزارة الخارجية بذلك .

وانه قد وصلت الآن معلومات من « سلالة » بأن اربعة رجال من شركة بان امريكان للطيران قد وصلوا هناك وقرروا انهم جاءوا من اجل انشاء محطة مرحلية لخدمة خطوط طيران بان امريكان بين الخرطوم وكراتشى ، وان رجالا آخرين من الشركة سيفدون خلال ايام قليلة ومعهم معدات لاسلكية وانهم يتوقعون نقل ركاب لهم صفة الخصوصية حسبما تسمح بذلك الاولويات فى سجلات الرحلات الحكومية ، وانهم يرغبون فى التفاوض مع سلطان مسقط بخصوص بناء معسكر ، واستخدام عمال محليين ، وتدبير المؤن والامدادات اللازمة .

وجاء بالتقرير أن سلطان مسقط شـــعر بالقلق من وصول هؤلاء الاشخاص المفاجىء — دون سابق انذار — وفى نفس الوقت اصر على أن هؤلاء الرجال يجب أن يتم الحاقهم بسلاح الجو الملكى البريطانى وأن يرتبطوا بقوانين سلاح الجو الملكى البريطانى .

ان التقرير المقدم مـــن رجال شركة بان امريكان للخطوط الجوية فى سلالة والذى يحمل رغبة الشركة بنقل ركاب خصوصيين اذا سمحت بذلك سجلات الرحلات الحـــكومية انما يخالف ما أكده — تعهد به — الكولونيل لويس جونســـون **Louis Johnson** الممثـــل الشخصى للرئيس روزفلت فى الهند ، فى الاجتماع الذى عقد بادارة الشئون الخارجية فى الســـابع والعشرين مـــن أبريل ١٩٤٢ م بأن شركة طيران بان امريكان انما تعمل تحت ظل ادارة وملكية حربية كاملة وأن عملياتها تتقرر كليا عن طريق وزارة الحربية الامريكية ، وأن ذلك لم يحدث شىء منه للآن ومن ثم فانه ســـوف يؤدى أو قد يؤدى الى تأكيد أو اثبات أو ترتيب حقوق تجارية (٣٣) .

وجاء بالمرفق الثانى رسالة من الوزير المفوض الامريكى بنيودلهى الى السكرتير المقيم لحكومة الهند المسئول عن ادارة الشئون الخارجية . يشير فيها الى المباحثات التى دارت حديثا بوزارة الخارجية بخصوص استخدام الطائرات وهيئة الموظفين **personnel** فى دائرة اختصاص جيش الولايات المتحـــدة فى مطارات « ســـلالة » ، « راس الحد » ، « مصيرة » ، و« مسقط » ، ومذكرة السكرتير المقيم الموضحة للموضوع بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٢ م تؤكد هذه الامور .

وأن لديه الآن ما يمكن اضافته وهو أن حـــكومة الولايات المتحدة تطلب من حكومة الهند لتقوم بجهد مكثف لابلاغ الممثل البريطانى فى مسقط

(٣٣) **U.S. Documents, Enclosure 1, The joint secretary to the Government of India in the External Affairs Department (weight man) to The American officer in charge at New Delhi (Merrell), Aide-Memoire, (file copy not signed) joint secretary to the Government of India, New Delhi, 13 June 1942.**

لمفاتح صاحب العظمة سلطان مسقط فى هذا الموضوع لصالح حكومة الولايات المتحدة . وهــذه الرغبة من الحكومة الامريكية تهــدف الى الحصول على موافقة صاحب العظمة على تســهيلات لجيش الولايات المتحدة مشابهه لتلك التسهيلات الممنوحة للبريطانيين ، تلك التسهيلات التى تشمل استخدام مطارات مسقط بواســطة طائرات تحت مسئولية جيش الولايات المتحدة ، واقامة اقل عدد ممكن من الاشخاص ، سواء كانوا عسكريين او مدنيين ، اللازمين لصيانة الطائرات وتشغيلها ، ولاقامة وتشغيل محطات للارصاد الجوية واللاسلكى .

وأن المعلومات المتصلة بالمهمة الجديدة كما وردت من وزارة الحربية الامريكية والآتية قدمت من أجل امكان الاستفادة منها فى تقــديم تعليمات لممثل بريطانيا العظمى .

فالبريجادير جنرال فيتزجرالد Brigadir General Fitzgerald من جيش الولايات المتحدة قد تعين ليتولى قيادة العمليات الجوية Ferry فى الشرق الاوسط وافريقيا ، وسيكون تحت اشرافه وادارته المباشرة عمليات شركة بان امريكان للطيران فى هــذه المناطق . وأن الخــدمة المقترحـــة تعتبر ذات اهمية قصوى لاتصالهـــا بنقل المعدات الحــربية الاساسية الى كراتشى ، وفى طيران طائرات النقل ، وعــودة الملاحين الجـــويين .

وانطلاقا من ترتيبات متفق عليها مع وزارة الحربية الامريكية ، فان شركة بان امريكان للطيران سوف تشغل رحلات جوية من الخرطوم الى كراتشى لنقل معــدات عسكرية واشخاص عســكريين . وفى الحالات التى يكون فيها الفضاء مهيأ ، وعلى اية حال . وبعد اتمام عملية نقـــل المعدات الحربية الاساسية ، فانه من المرغوب فيه أن يسمح للطائرات بنقل أى مسافرين غير رسميين تكون ســـفرياتهم معينة كضرورة ملحة يقررها ممثلو الولايات المتحدة فى المنطقة .

وفى عرض هذا الموضوع على حكومة الهنـــد ، **ابلغت بأن أوضح** التاكيدات الكبيرة على اهمية هذه الخدمة — **المهمة — الجديدة للدفاع** عن الهند (٢٤) .

واما المرفق الثالث برســـالة ميريل **Merrell** فجاء موجهـــا من السكرتير المقيم لحكومة الهند الى المستر ميريل ، بانه ورد له تقرير من وكيل صـــاحب الجلالة البريطانية الســـياسى فى مســـقط يتعلق بنتيجـــة مباحثاته ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، وانا اقرر الوضـــع المناسب لمعلوماتك .

* وافق صاحب العظمة الســـلطان بأن يمنح حـــكومة الولايات المتحدة تسهيلات للقوات الجوية التابعة لجيش الولايات المتحدة مشابهه لتلك التسهيلات المنوحة حاليا للحكومة البريطانية ، وتشمل بالتحـــديد استخدام المطارات فى اراضى مسقط بواســـطة الطائرات العاملة ضمن خدمات جيش الولايات المتحدة ، والاذن بانشـــاء مبـــــانى فى « صلالة » و « مصيرة » و « راس الحد » (وتشمل خورجاراما **Jarama** وعمل محطات نزول لاسراب الطائرات فى تلك الأماكن . ومنح الاذن أيضـــا بنزول اقل عدد ممكن من الاشخاص اللازمين لتشـــغيل وصيانة هـــذه الطائرات ، وانشاء وتشغيل محطات لاسلكى وارصاد جـــوية ضرورية لسلاح الجو التابع للولايات المتحدة لتدعيم مثل هـــذه الخدمات القائمة آنذاك والعاملة بواسطة سلاح الجو الملكى البريطانى **Royal Air Force** والاتفاقات (الامتيازات) المنوحة من قبل صاحب العظمة تشمـــــل اكثر مـــن ذلك باعفاء الرســـوم الجمركية كل مـــن البترول وزيوت التشـــحيم اللازمة لطائرات سلاح الجو التابع للولايات المتحدة الامريكية ، وايضا للامدادات ، التى يتم تخزينها ، والصالحة التى ترد الى اراضى مسقط واللازمة لتشغيل هذه الطائرات .

---

(٢٤) **U.S. Documents, Enclosure 2, The American officer in charge at New Delhi (Merrell) to the joint secretary the Government of India in the External Affairs Department (weightman), No. 20, New Delhi, July 8, 1942.**

* وقد قرن السلطان تحقيق هذه التسهيلات بشروط معينة وهى كما جاءت فى كلماته :

١ — يشترط أن توضح الامور لنا مثل : على من تقع المسئولية ومن يجيب على اى سؤال يثار بخصوص تصرف الاشخاص الامريكيين ... الخ .

٢ — الاقرار ببيع الآتى للسلطنة اعترافا بما قدمته بمنح هذه التسهيلات :

(أ) ٢٠٠ بندقية و ٢٠٠،٠٠٠ صندوق من الذخيرة .
(ب) ٢ مدفع ماكينة بقطع غياره وذخيرة كافية .
(ج) ٢ مدفع يدوى بقطع غياره وذخيرة كافية .

(د) ٢ سيارة حجم متوسط والتى تستخدم بواسطة العسكريين .
(هـ) بعض المهمات الطبية كما يقدرها اصدقاؤنا بالحكومة البريطانية .

٣ — التعهد بدفع تعويض عن اية اضرار يتسبب فيها الموظفون الامريكيون أو الطائرات وتصيب ممتلكاتنا ، أو الاشخاص أو ممتلكات رعايانا .

٤ — التعهد بأن الموظفين الامريكيين يقبلون ويلتزمون بكل قوانيننا واحكامنا المحلية كما هى أو مايتم وضعه فى تصرفاتهم خاصة تلك التى تتصل بتعيين الحراس لمعسكراتهم او لاشخاصهم .

٥ — والتعهد بأن حراس المعسكرات الامريكية وحراس الاشخاص الذين نمدهم نحن بهم يجب أن يتقبلوا وان تدفع لهم رواتب .

ومن المحتمل ان اجد مناسبا اضافة بعض الايضاحات حول هذه الشروط فى ضوء الخبرة التى اكتسبتها حكومة الهند فى علاقاتها مع سلطان مسقط .

* بالنسبة للشرط الأول (١) فان الحقيقة المؤسفة أن شكوك السلطان المتوارثة فى الاجانب قد تدعمت بتصرفات معينة جعلت صاحب العظمة يعترض على هيئة موظفى شركة بان أمريكان للطيران الذين كانوا لفترة ما فى « سلالة » تحت اشراف وادارة غير كافيين . وينصح الوكيل السياسى بأن صاحب العظمة يتمسك بالاهمية العظمى لهذا الشرط ، وأنه من الضرورى أرضاءه تماما بالالتزام بهذا الشرط . وأن حكومة الهند ستكون سعيده أن تقدم مساعدتها فى هذا الأمر ، وأنه اذا رغبت حكومة الولايات المتحدة ، فانهم سيكونون مستعدين لاعطاء تأكيد للسلطان بأن وكيلهم السياسى ومساعد الوكيل السياسى فى مسقط سوف يمثلان سلاح الجو التابع للولايات المتحدة ، تماما بنفس الدرجة التى يمثلان بها سلاح الجو الملكى البريطانى فى علاقاتهم بالسلطان .

والشرط رقم (٢) يتفق مع العادات المألوفة للحكام العرب عند اعطاء تسهيلات فى اقطارهم لقوى اجنبية ، وأن حكومة الهند لا تشك أن حكومة الولايات المتحدة سوف تقنع بمطالب صاحب العظمة السلطان . واذا أرادت حكومتك ورغبت فى تلقى مقترحات حول نوع وكمية الامدادات الطبية التى تكون مقبولة لدى السلطان فان حكومة الهند ستكون مستعدة تماما لكى تحصـــل على تقرير من الوكيل السياسى وفى ضـــوء الظروف والاحوال المحلية . ويمكن الاضافة هنا انه بالنسبة لتأكيدات الوكيـــل السياسى فان الامدادات بالأسلحة وبسيارات النقل ، والمهمات الطبية ، تلك التى طلبها السلطان يمكن أن تتطلب بعض التأجيل ، وأن السلطان ابلغه بأنه لا يعتبر امدادهم بأى حال من الاحوال كشرط مسبق لاعطاء التسهيلات المطلوبة .

والشروط رقم ٣ ، ٤ ، ٥ لم تؤخذ كأســـباب تؤدى الى مصاعب خاصة ، أن رجال سلاح الجو الملكى البريطانى قد قبلوا قوانين محلية معينة فى سلوكهم فى أراضى مســـقط وبالنسبة لمســـألة تعيين الحراس للمعسكرات والاشخاص فهذه لم تكن باهظة من الناحية العملية كما أن

هناك اوامر صارمة بالنسبة لافراد السلاح الجوى الملكى البريطانى الموجودين فى مطارات جنوب الجزيرة العربية فى أراضى مسقط .

وبالنسبة للشرط الخامس فان الوكيل السياسى فى مسقط سوف يعطى تعليمات لاستخدام نفوذه لضمان الا يلجأ السلطان الى مطالب غير معقولة فيما يتصل بعدد الحراس المحليين الذين يطلب استخدامهم او بالنسبة للأموال التى ستعطى لهم .

ويطلب السكرتير المقيم معرفة ما اذا كانت شروط صاحب العظمة السلطان مقبولة لدى حكومة الولايات المتحدة من عدمه ، فاذا كان الامر كذلك ومطلوب التوقيع على اتفاق مع السلطان فيجب اخطار الوكيل السياسى البريطانى بمسقط حتى يخبر السلطان بذلك (٣٥) .

وجاءت خاتمة الموضوع — موضوع التسهيلات الجوية العسكرية الامريكية بأراضى مسقط — فى رسالة برقية بعث بها وزير الخارجية الامريكى الى المستر « ميريل » وجاء فيها : لقد ابلغت وزارة الحربية وزارة الخارجية بأنها سوف ترد على الشروط العديدة التى فرضها سلطان عمان كما جاءت فى المرفق رقم (٣) فى الرسالة المشار اليها . وفيما يختص بالشرط الأول تقرر وزارة الحربية بأن البريجادير جنرال فيتزجرالد القائد العام لجناح افريقيا والشرق الأوسط ، وقائد النقل الجوى بجيش الولايات المتحدة الامريكية ، مع أركان حربه فى اكرا وساحل الذهب البريطانية هو الشخص الذى يمكنه الاجابة على اية اسئلة تتصل بتصرفات الاشخاص الامريكيين . وعلى اى حال فاذا رغب السلطان فى وجود شخص فى او

(٣٥) U.S. Document, Enclosure 3, The joint secretary to the Government of India in the External Affairs Department (weightman) to the American officer in charge at New Delhi (Merell), No. 7195- X 142, New Delhi, 21 August 1942.

قريب من أرض عمان فان وزير الحربية سوف يطلب من فيتزجرالد تعيين ضابط له صلاحية من قيادته .

وبالنسبة للشرط الثانى ، تقرر وزارة الحربية ، أنها فى مركز يسمح لها بتقديم وتسليم الامدادات العسكرية للسلطان خلال فترة زمنية معقولة . وأن على حكومة الهند — أن يطلب منها — لتعيين نـــوع وكمية المهمات الطبية لتقديمهـــا . وتعتبر وزارة الحربية الشرط الثالث معقـــول تماما وتقرر ان الشرطين الرابع والخامس مقبولين مع المحافظة على الأوامر الحكيمة الصارمة فيما يتصل بالنقاط التى يعسكر فيها الامريكيون ، ومن ثم فانهـــا اذا فسرت بطـــريقة معقولة فلن تكون هناك عقبات فى الوقت الحـــاضر .

وفى ضوء ما سبق فان علـــى البعثة أن تطلب من حـــكومة الهند لتوجيه وكيلها السياسى فى مســـقط فى أن ينقل عن هذه الحـــكومة — الامريكية — التأكيدات أو الضمانات الضرورية للسلطان (٣٦) .

وعند هـــذا الحد توقفت الوثائق الامريكية ، بقبول الســـلطات الامريكية لشروط سلطان مســـقط وعمان ازاء منح تســـهيلات جوية فى أراضى السلطنة للطائرات الامريكية خلال معارك الحرب العالمية الثانية ، واستعانة المسئولين الامريكيين بزملائهم البريطانيين فى الهند من أجل اعطاء السلطان الضمانات التى طلبها .

ومن الجـــدير بالذكر ان المناطق التى كانت مثار مفاوضـــات بين الطرفين من أجل التسهيلات الجوية للطائرات الامريكية باراضى سلطنة مسقط وعمان تركزت على الساحل العمانى المطل على البحر العـــربى مثـــل سلالة (أو زلالة أو صلالة وهو الاسم الغـــالب) وجزيرة مصيرة ، وخورجاراما (أو جرما) ومثل راس الحد عند مدخل خليج عمان .

---

(٣٦) U.S. Documents, The secretary of state to the officer in charge at New Delhi (Merrell). Washington, November 4, 1942, 6 p.m., No. 811, 248/720 : Telegram.

مصـــادر البحث

أولا ـــ الوثائق :

U.S. Documents — Foreign Relations — 1942-1946.

ثانيا ـــ المصـــادر الاجنبية :

1. Samuel F. Bemis : Diplomatic History of the United States.
2. Brock, W.R. : The character of American History 1965.
3. The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East, 1964.
4. De Nova, J.A. : American interests and policies in the Middle East 1900-1930.
5. Coupland, R. : Exploitation of East Africa.
6. Sanger, R.H. : Arabian Peninsula, 1954.

ثالثا ـــ المصـــادر العربية :

(١) د . محمود حلمى مصطفى : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الباشوية المصرية ـــ رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة غير منشورة

(٢) د . رأفت غنيمى الشيخ : أفريقيا فى العلاقات الدولية القاهرة ١٩٧٥

(٣) لوريمر ج . ج . دليـــل الخليج ـــ القسم التاريخى . الـــديوان الامير ـــ قطر .

(٤) د . صلاح العقاد : التيارات السياســـية فى الخليج العربى . القاهرة ١٩٧٤ .

(٥) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ـــ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـــ ١٩٤٥ .

(٦) د . ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الامريكيـــة التجارية والقنصلية مع سلطنة مسقط وعمان ١٨٣٣ ـــ ١٨٥٦ م مجلـــة دراسات الخليج والجزيرة العربية .

الفصل الحادي عشر

علاقة الولايات المتحدة بالعراق

أولا : فى مجال التعليم :

— مقــدمة .

— الموقف الامريكى من قانون التعليم .

— الموقف الحالى للمدارس الأجنبية بالعراق .

ثانيا : فى مجال البترول :

— أمريكا والبصرة قبل البترول .

— أمريكا والعراق عامة .

— أمريكا وبترول البصرة .

أولا : فى مجـــال التعليم *

مقــدمة

انطلاقا من ارتباط التعليم فى اية دولة بنظام هذه الدولة السياسى ، وبرنامجها الاقتصادى وتكوينها الاجتماعى واتجـاهاتهـــا الروحية ، فاننا لابد قبـــل مناقشة اتجاهات التعليم الوطنى بالعراق عام ١٩٤٠ م من الاشارة الى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى عاشـــها العراق قبيل واثناء هذا التاريخ لنرى التأثير المتبادل بين التعليم وهـــذه الظـــروف .

ذلك أن قيادات العـــراق الوطنية حاولت اعادة صياغة المجتمـــع العراقى منذ الثلاثينات والأربعينات من القرن الحالى فى النواحى السياسية والاجتماعية والتربوية بعيدا عن التأثير الأجنبى انطلاقا من عروبة العراق ووطنيته ، ولما كانت تلك الصياغة الجديدة تمس الادعاءات الأجنبية — خاصة الانجليزية منها والامريكية — فقد كان لهذه القوى الأجنبية مواقف مضادة للاتجاهات الوطنية العراقية والمسئولين عنها .

اذن كانت صياغة البناء التربوى للمجتمع العـــراقى باتجاه وطنى مرتبطة أشد الارتباط بالبناء السياسى والاقتصـــادى، ومن ثم جاء موقف القوى الأجنبية من تشريعات التعليم الوطنية فى العـــراق عام ١٩٤٠ م مكملا لموقفها من الصياغة السياسية الجديدة للمجتمع العراقى بروح وطنية عراقية عربية .. فماذا كانت مقومات تلك الصياغة السياسية وما موقف القوى الأجنبية منها ؟

عاش العراق ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى يتطلع الى انهاء

---

* قدم هذا البحث فى الندوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة تحت عنوان « الانسان والمجتمع فى الخليج العربى » فى الفترة من ٢٩ — ٣١ مارس ١٩٧٩ م .

عهد الانتداب البريطانى . ويسعى الى الاعتراف العالمى باستقلاله الكامل ، ومن ثم دخلت حكومات العـراق المتعاقبة فى مفاوضات مع الحـكومة البريطانية من اجـل تحقيق الاهداف الوطنية العـراقية . واذا كانت المفاوضات قد اسـفرت عام ١٩٢٢ م عن عقد معاهـدة بين العـراق وبريطانيا انهت الانتداب البريطانى على العراق — اسميا فقط — فانها امتلأت بالقيـود التى جعلت لبريطانيا اليد الطولى ، وكان العـراقيون يفهمون أن هدف المعاهدة هو الغاء الانتداب اما البريطانيون فقد تصوروها بديلا عنه لارضاء العراقيين فى الظاهر (١) .

وقد أثارت معاهدة ١٩٢٢ م استيـاء عاما لدى العراقيين ممـا أدى الى ضغط شعبى عراقى من اجل تعديل هذه المعاهدة وانضمام العراق الى عصبة الأمم ، ومن ثم عقدت بين بريطانيا والعراق معاهـدة عام ١٩٣٠م التى وان خففت من القيـود التى نصت عليها معاهدة ١٩٢٢م الا انها ابقت على وجود قوات بريطانية فى المطارات العراقية الى جانب الامتيازات التى يتمتع بها البريطانيون فى العراق ، وأن يستمر التشاور فى شئون السياسة الخارجية بين بريطانيا والعراق .

وقد نتج عن عقـد معاهدة ١٩٣٠ م ظهـور اتجاه وطنى قوى فى العراق يعارض القيود البريطانية التى احتوتها المعاهدة ، وقد تمثل هذا الاتجاه فى اندماج حزب الاخاء والحزب الوطنى ليصبح اسمه حزب الاخاء الوطنى من قيادته رشيد عالى الكيلانى وحكمت سليمان وياسين الهاشمى . كما بدأ ظهور دور وطنى للجيش العراقى واشتهر من قادة الجيش بكر صدقى الذى بدأ دوره فى الظهور منذ حدوث حركة الأشوريين المسيحيين بالجزيرة عام ١٩٣٣ م ، والذى قاد انقلاب عام ١٩٣٦ م ضد حـكومة ياسين الهاشـمى باعتبارها معوقة لتقدم العراق وعقبة أمام برنامـج الاصـلاح .

---

(١) د . صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ص ١٩٩ .

ولكن منـــذ عام ١٩٣٩ م ، ونتيجة لبدء الحرب العالمية الثـــانية ، انتقلت المنافسة بين السياسيين العراقيين حول اصلح برامج الاصلاح للعراق ، الى خضم الصراع بين القوى الأوروبية ، اذ بينما كان البريطانيون يعتبرون العراق منطقة نفوذ لهم وحدهم تطلع الوطنيون العراقيون الى المانيا عدوة انجلترا من اجل تحقيق الامانى الوطنية والقومية فى الوقت الذى كان فيه بعض الزعماء السياسيين موالين لبريطانيا وعلى رأسهم نورى السعيد .

تزعم الاتجاه الموالى لالمانيا والداعى للتعاون معها ضد انجلترا كل من رشيد عالى الكيلانى يسانده ما عرف باسم « المربع الذهبى » ويتمثل فى اربعة من قادة الجيش والطيران العراقى البارزين يتولون قيادة سلاح الطيران والقوات الميكانيكية وفرق الجيشين الاول والثانى ، وهم العقداء صلاح الدين الصباغ وفهمى سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب . بينما كان يتولى رئاسة الوزارة العراقية آنذاك نورى الســـعيد اكثر الزعماء العراقيين ميلا الى التعاون مع بريطانيا .

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية بادر نورى السعيد — وفقا لمعاهدة ١٩٣٠ م — بتأييد الموقف البريطانى ضد المانيا ، فطرد المبعوث الألمـــانى فى بغداد وجميـــع الرعايا الالمان المقيمين بالعراق . واســـتاء الوطنيون العراقيون من قرار وزارة نورى السعيد باعلان الحرب ضد المانيا ومشاركة الجيش العراقى فى الحرب الى جانب القوات البريطانية رغم أن معاهدة ١٩٣٠ م لا تلزم العراق بأكثر من تقديم التسهيلات البرية والجوية والبحرية للقوات البريطانية .

اضطر نورى السعيد الى الاستقالة ليشكل رشـــيد عالى الكيلانى وزارة وطنية قومية بقيت فى الحكم من مارس ١٩٤٠ م الى يناير ١٩٤١ م ، كان لها برنامج اصلاحى يهدف الى راحة الجماهير العراقية فى الداخل كرفع الاحكام العرفية ، والافراج عن كثير من المعتقلين السياسيين وتقديم

مشروع القانون الجديد لتعليم الذى تتضح فيه النزعة الوطنية فى مواجهة استفحال دور المدارس الاجنبية والبعثات التبشيرية الى البرلمان العراقى لاصداره ، كما يهدف البرنامج الى عدم مجاملة بريطانيا بأكثر مما حددته معاهدة ١٩٣٠ م . ومـن ثم رفض قطع العلاقات مع ايطاليـا ، عندما اعلنت الأخيرة الحـرب ضد بريطانيا ، الا اذا نفـذت بريطانيا ما جاء بالكتاب الأبيض البريطانى بخصـوص فلسطين الذى يدعو الى تسـليم السلطة فى فلسطين للعرب الذين يمثلون أغلبية السكان ، وأن يتم تزويد الجيش العراقى بأسلحة من اى مصدر متاح وكسر احتكار انجلترا لتوريد السلاح للعراق ، وكسر الاحتكار الانجليزى ايضا لشراء التمر العراقى ببيعه لليابان (٢) التى رحبت بشراء التمر العراقى فى نظير تزويد الجيش العراقى بأسلحة يابانية .

استاءت بريطانيا من موقف حكومة العراق برئاسة رشـيد عالى الكيلانى التحررى وطنيا وقوميا وبدأت تثير امام هذه الحكومة المؤامرات الداخلية اعتمادا على رجالها من السياسيين ورجال الجيش فى العراق ، واستنادا الى مواقف القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، فبينما تعرض اتجـاه الحكومة الوطنية بالعراق — وبتشجيـع من مفتى فلسطين السيد محمد أمين الحسينى — للتعاون مع المانيا اذا أقرت من البداية تعهدا بمساعدة العراق وبقية الاقطار العربية لاستكمال استقلالها السياسى والاقتصادى ، الى معارضة نورى السعيد وانصاره فى الداخل ، أعربت الولايات المتحدة الامريكية عن عدم رضاها عن سياسة حكومة رشـيد عالى الكيلانى فى الداخل ومعاداتها لبريطانيا والاتجاه نحو المانيا فى الخارج ، وجاء هذا الموقف الامريكى استجابة لطلب السير ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية للرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت ليحذر العراق من مغبة التقارب من المحور لأن ذلك التقارب لا يخدم استقلال العراق .

---

(٢) لم تكن اليابان قد دخلت الحرب بعد ، بل كانت تقف علـى الحياد من المعارك الحربية .

وكان هـذا الموقف الغربي في مواجهة موقف عربي قومي اتخـذه رشـيد عالي الكيلاني بأن العراق على استعداد للتعاون مـع بريطانيا بموجب معاهدة ١٩٣٠ م تحت الشروط التالية :ـ

١ ـ حصول سوريا على الاستقلال الكامل .

٢ ـ التطبيق الفوري لما جاء بالكتاب الأبيض البريطاني بخصوص فلسطين ، باقامة دولة عربية مع الأخذ بعين الاعتبار الأقلية اليهودية .

٣ ـ أن تزود بريطانيا فورا الجيش العراقي بالأسلحة التي يرى العراق ضرورتها في مواجهـة الموقف الجديد ، وأن تكون الأسلحة بكميات كافية وليست قطرات (٣) .

وكانت هذه الشروط العراقية ذات المضمون القومي تحركها مشاعر شعبية معادية لبريطانيا ، ومع ذلك فان البريطانيين رفضوا الخضـوع لهذه الشروط وتمسك السير ونستون تشرشل بأنه لا شيء يمكن عمله بخصوص فلسطين قبل نهاية الحرب . واعتقد البريطانيون أن الشعور المعادي لبريطانيا في العراق لن يترجم الى عمليات من شأنها أن تضطر بريطانيا الى تغيير حساباتها في العمليات العسكرية (٤) .

وجاء رد الفعل العراقي باتخاذ القوات العسكرية العراقية مواقع استراتيجية حول بغداد . وعندما قدم نوري السـعيد وزير الخارجية العراقية استقالته احتجاجا على تشـدد رئيس الوزراء نحو بريطانيا لم تقبل استقالته ، هذا في الوقت الذي توقع فيه السفراء الغربيون في بغداد (الانجليزي والامريكي خاصة) سقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني ، أو تحدي تلك الحكومة للبريطانيين (٥) .

---

(٣) U.S. Documents : The Minister Resident in Iraq (Knobenshue) to the secretary of state, Baghdad June 28, 1940 No. 740.

(٤) Ibid, Baghdad, November 12, 1940, No. 890 G. 00/514 : Telegram.

(٥) Ibid, Baghdad, November 30, 1940, No. 747-90 Gll/28 : Telegram.

وكانت شكوى بريطانيا من الموقف العراقى تتمثل فى قيام الحكومة العراقية بالخطوات التالية :ـ

١ ـ استئناف الاتصالات البرقية مع المانيا وايطاليا .

٢ ـ رفض قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا .

٣ ـ عدم ايقاف الدعاية المؤيدة للالمان والمعادية للبريطانيين فى الصحف المحلية .

٤ ـ عدم انكار الاشاعات عن قرب استئناف العلاقات الدبلوماسية مع المانيا .

٥ ـ منع النقد فى الصحافة للاعلان الالمانى الصادر فى اكتوبر ١٩٤٠ م .

٦ ـ محاولة الحكومة العراقية اتباع سياسة حيادية بدلا من موالاة الاتجاه البريطانى كما كان متوقعا من دولة حليفة . والفشل فى تعبئة الرأى العام مع هذا الاتجاه ، واظهار الفائدة من تأييد حليفتهم (٦) .

ومن ثم اتخذت الحكومة الامريكية موقف التأييد لبريطانيا فى مواجهة السياسة العراقية ، وان هذا التأييد ـ كما ابلغ للحكومة العراقية ـ يتمثل فى مساعدة بريطانيا فى حربها ضد دول المحور وان هذه المساعدة تتزايد يوميا ، وسوف تستمر تتزايد ، وعليه فان الحكومة الامريكية سوف تنظر الى ان اى قرار او اجراء تتخذه الحكومة العراقية قد ينتج عنه اقل اتجاه لعدم التعاون فى علاقتها مع بريطانيا العظمى بأنه لن يستطيع منع الشعور بالالم فى الولايات المتحدة ، وان هزيمة البريطانيين تهديد حقيقى لاستقلال العراق كما هو حال جميع دول الشرقين الأدنى والأوسط الأخرى(٧) .

ورغم ان الوزير المفوض الامريكى فى بغداد حرص على ابلاغ الحكومة العراقية بانها لا تتدخل فى الشئون الداخلية للعراق فان السفير البريطانى فى العاصمة العراقية الذى نقل شكر حكومته على التأييد الامريكى لبريطانيا قد حدد الموقف البريطانى من العراق كما بعث به

---

(٦) Ibid, Baghdad, December 2, 1940, No. 741-90 Gll/ 30 : Telegram.

(٧) The secretary of state (Hull) to the Minister Resident in Iraq (Knabenshue) December 3, 1940, No. 791-90 Gll/28 : Telegram.

اليه اللورد هاليفاكس Halifax وزير الخارجية البريطانية ، والذي يتمثل فى ان حكومة جلالة الملك — البريطانية — قد فقدت الثقة وروح الصداقة مع رئيس الوزارة العراقية وأنها تترك للعراقيين انفسهم ليقرروا ما يجب عمله . وأكد السفير البريطانى بأن الحل المرضى الوحيد يتمثل فى استقالة رئيس الوزراء العراقى الحالى وتشكيل حكومة تكون راغبة حقا فى تنفيذ اتفاقية الصداقة المعقودة بين بريطانيا والعراق(٨) .

ومع حرص وزير الخارجية الامريكية على ترديد ما سبق ان اعلنه — عن لسانه — الوزير المفوض الامريكى فى بغداد من ان المصالح الامريكية لا تتطلب بالضرورة التدخل فى الشئون الداخلية للعراق من اجل ازاحة الحكومات او ممارسة الضغط الاقتصادى ، فان الحكومة الامريكية تعلن ان غرضها الوحيد هو التأكيد للسلطات العراقية على قناعتنا بأن يتخذوا من تلقاء انفسهم سياسة التعاون مع البريطانيين فى جهودهم لمقاومة العدوان النازى (العنصرى)(٩) .

ومع هذا التأكيد على عدم التدخل فى الشئون الداخلية للعراق فان المفوضية الامريكية فى بغداد قد لعبت دورا خطيرا فى تسهيل المؤامرات التى دبرت ضد الحكم الوطنى الجديد فى العراق . وكانت مصدر المنشورات المعادية ، كما أنها آوت كثيرا من اليهود بالاضافة الى مساعدة الوصى على العرش الأمير عبد الاله — على الهرب(١٠) من بغداد .

الموقف الامريكى من قانون التعليم

وفى اطار هذا الموقف الامريكى المؤيد للبريطانيين ازاء السياسة القومية العراقية كان للولايات المتحدة الامريكية موقف من تشريعات التعليم الوطنية التى تقدمت بها الحكومة الوطنية — حكومة رشيد عالى الكيلانى — الى البرلمان العراقى ، باعتبار ان هذه التشريعات تمس المدارس الامريكية بوضع السيطرة العراقية على كل المدارس الاجنبية العاملة بالعراق .

---

(٨) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the secretary of state (Hull) Baghdad December 5, 1940, No. 791-90 Gll/32 : Telegram.

(٩) The secretary of state (Hull) to the Minister Resident in Iraq (Knabenshue) Washington, December 14, 1940 No. 90 Gll/34 : Telegram.

(١٠) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٢٣٩ .

فعندما أعدت وزارة المعارف العراقية منذ عام ١٩٣٩م مشروع قانون لاخضاع المدارس الاجنبية لاشراف الوزارة وانهاء صبغتها الاجنبية وأرادت تقديمه للبرلمان لاصداره بدأت التحركات الامريكية تساندها التحركات البريطانية لعدم سريان هذا القانون على المدارس الامريكية الموجودة بالعراق ، ويمكن التأريخ لهذه المدارس منذ امتداد نشاط الارسالية الامريكية من البحرين الى البصرة عام ١٨٩١م ، وكان نشاط هذه الارسالية يتمثل فى فتح مدارس ومراكز خدمة طبية .

وكان حكام العراق من باشوات الدولة العثمانية ينظرون بارتياب لنشاط مركز الارسالية التبشيرى فى البصرة ، ومن ثم فقد كاد هذا النشاط يتجمد ، الا انه بعد سنتين من تأسيسه — أى عام ١٨٩٣م — بدأ نشاط التنصير فى ارسالية البصرة يستعيد مكانته وزادت مبيعات الانجيل ، بل وامتد نشاط هذا المركز المحلى من البصرة بافتتاح مراكز خارجية فى كل من مدينتى العمارة على نهر دجلة والناصرية على نهر الفرات(١١) ، واحتوت هذه المراكز الجديدة كذلك على مدارس تابعة للارسالية .

وكانت هذه المدارس تابعة لكنائس الارسالية وملحقة بمبانيها ، ومن ثم يمكن القول ان ما انشىء من مدارس كان بهدف خدمة غاية الارسالية الكبرى وهى التأثير فى الناس عن طريق تقديم خدمة تعليمية فى جو مسيحى ، واتقانا للدور تعلم المبشرون اللغة العربية واستخدموها فى مدارسهم ، ومنذ عام ١٩٠٥م بدأ انشاء المدارس التابعة للارسالية فى العراق بانشاء مدرسة فى مدينة البصرة ملحقة بالمركز التبشيرى ولكن السلطات التركية لم تعترف بوجودها وحاولت غلقها بالقوة(١٢) . ولذلك كان ارتباط الامريكيين بالعراق قليل نظرا لأن حكومته كانت لا تميل كثيرا الى تقوية ارتباطها بالولايات المتحدة الامريكية(١٣) ، وان كانت الحكومة العراقية سمحت لعلماء آثار أمريكيين بالتعاون مع جامعة بنسلفانيا للبحث عن الآثار فى منطقة نيفاز منذ عام ١٨٨٨م(١٤) .

---

(١١) لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى ج ٦ ص ٣٤٤٠ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٤٤٢

(١٣) De Nova, J.A. : American interests and policies in the Middle East (1900-1939), p. 347.

(١٤) لوريمر : نفس المصدر ج ١ ص ٤٦٨ .

وقد بدأت التحركات الامريكية فى مواجهـــة مشروع القانون الوطنى للتعليم بالعراق باجتماع عقده الاب ادموند والش Edmund Walsh نائب رئيس جامعة « جورج تاون » Georgetown والمسئولين عن ادارة شئون الشرق الادنى بوزارة الخارجية الامريكية أواخـــر عام ١٩٣٩م لبحث كيفية حماية المدارس الامريكية من ان تخضع للقانون العراقى(١٥) ، وفى هـــذا المقام اتخذ السفير البريطانى فى بغـــداد بتعليمات من حكومته موقف التأييد من وجهة النظر الامريكية ، بل ان السفير البريطانى تطوع فقابل السيد / على جودت وزير المعارف العراقى الذى اوضح له ان مشروع القانون كان الهدف منه معاملة ايران بالمثل ، حيث أن السلطات الايرانية اغلقت مدارس عراقية عديدة فى ايران ، وان الحكومة العراقية ترغب فى اتخاذ اجراء مماثل مـــع المدارس الايرانية فى العـــراق . فطلب السفير البريطانى من الوزير ان يبحث عن وسيلة للتعامل مع المدارس الايرانيـــة دون المساس بالمؤسسات التعليمية الاجنبية الاخرى(١٦) .

ويتضح من الاتصالات التى جرت بين المفوضية الامريكية ببغـــداد والمسئولين العراقيين ان مشروع القانون الخاص بالتعليم تجرى مناقشته واعداده طوال عام ١٩٣٩م ونشرته الصحف المحلية ، وان حكومة رشيد عالى الكيلانى هى التى استخدمت فكرة تقديمه للبرلمان لاصداره ، تمشيا مع سياستها الوطنية والقومية ، فى الدورة البرلمانية الحالية ١٩٤٠/٣٩م ، وعليـــه فان الوزير المفوض الامريكى فى بغـــداد داوم التركيز على عـــدم تطبيق القانون الجديد على المدارس الامريكية وساعده فى ذلك السفير البريطانى رغم عدم وجود مدارس بريطانية بالعراق ، الى جانب الوزير المفوض الفرنسى فى بغداد الذى اتخذ أيضا موقف التأييد للجانب الامريكى .

وكان تركيز الوزير المفوض الامريكى فى بغداد يقـــوم على ان نصوصا عديدة من مشروع القانون المقترح ، كما نشرت فى الصحف ، اتضح انهـــا

---

(١٥) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the secretary of state, No. 1459, Baghdad, January 3, 1940; No. 890 G. 42/44.

(١٦) The British Ambassador in Iraq (Newton) to the American Minister Resident in Iraq (Knabenshue), Baghdad, 14 November, 1939.

ضارة بالمؤسسات التعليمية الامريكية فى العراق ، ومخالفة بصفة خاصة لاعلان انضمام مملكة العراق لعصبة الامم فى ٣٠ مايو ١٩٣٢(١٧) . وان كان يتوقع أنه رغم أن الحكومة العراقية الحاضرة تظهر على ما يبدو نحو ملاحظاتنا السابقة روحا طيبة فانه ليس من المستبعد أننا قد نرغم على مواجهة نفس الموقف فى المستقبل(١٨) .

وفى ١٤ ابريل ١٩٤٠ ابلغ وزير الخارجية العراقى الوزير المفوض الامريكى ببغداد بأن مشروع قانون التعليم قد أجازه مجلس النواب ، وان كان لن يرسل الى مجلس الشيوخ فى دورة انعقاده الحالية ، وسوف يعلق الى الدورة القادمة فى الخريف ، ومن ثم فانه يمكن استمرار المناقشات للوصول الى حل يرضى المدارس الاجنبية المختصة . ومع ذلك فقد استدعى الوزير المفوض الامريكى الى وزارة الخارجية العراقية يوم ٦ مايو ١٩٤٠ حيث ابلغه الوزير العراقى بأن مجلس الشيوخ قد أجاز مشروع قانون التعليم عشية فض دورته ، ولما طلب الوزير المفوض تأجيل تصديق الوصى على العرش على القانون أجاب رئيس الوزراء العراقى — اثناء اتصال تليفونى قام به وزير الخارجية — بأنه اذا لم يكن الوصى على العرش قد صدق على القانون فانه سيطلب منه تأجيل التصديق ، واذا كان قد صدق عليه فسوف يؤجل نشره فى الجريدة الرسمية حتى لا يصبح نافذ المفعول من تاريخ نشره ، وذلك من أجل اتاحة الفرصة لمزيد من المناقشات .

وبناء على ذلك قرر الوزير المفوض الامريكى ببغداد دعوة مديرى المدارس الامريكية بالعراق الى اجتماع ليحددوا اعتراضاتهم على قانون التعليم الجديد . ثم الالتقاء بوزارة الخارجية العراقية من أجل بحث هذه الاعتراضات مع المسئولين بوزارة المعارف(١٩) . وتمهيدا لهذا اللقاء فقد عقد مدراء المدارس الامريكية بالعراق اجتماعهم المبدئى فى دار المفوضية الامريكية ببغداد فى ٩ يوليو للاتفاق على رأى موحد يواجهون به المسئولين

---

(١٧) The American Minister Resident (Knabenshue) to the Iraqi acting Minister for Foreign Affairs, Baghdad, April 6, 1940, No. 765.

(١٨) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the secretary of state No. 1542, Baghdad, April 12, 1940, No. 890 G. 42/48.

(١٩) Ibid, No. 1567, Baghdad, May 16, 1940, No. 890 G. 42/49.

بوزارة المعارف العراقية بمقــر وزارة الخارجية ببغداد ، لمناقشة مواد قانون التعليم وخاصة المواد : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ من القانــون .

ورغم أن القانون قد اكد على اتاحة الفرصة كاملــة لكى تمارس الارسـاليات نشاطاتها الدينية وتمارس نشاطاتها التعليمية بحرية ، فـأن الشيء الاكثر اهمية والذى يحجب الحرية من الممارسة وتضمنته المادة ٣٦ هو منع الطلاب العراقيين من الالتحاق بالمدارس الابتدائية الاجنبية ، وفى هذا الخصوص فانه يبدو ان العراقيين يرغبون السماح للارساليات الامريكية بتقديم تعليم ابتدائى للطلاب العراقيين من خلال فترة انتقال فى مدارس مسجلة اسميا بأسماء عراقية وان كانت ادارتها أمريكية .

وختم الوزير المفوض رسالته ــ والتى ارفق بها محضر اجتمــاع مدراء المدارس الامريكية ببغداد ــ مبديا تخوفه من عدم استطاعته ابقاء تأجيل نشر القانون فى الجــريدة الرسمية العراقية طويلا ، حيث ان الحــكومة العراقية ترغب فى وضع القانون موضــع التنفيذ قبل بداية العام الدراسى الجــديد (٢٠) .

وعندما عقد الاجتماع المشار اليه(٢١) بين كل من الدكتور فاضــل الجمالى المدير العــــام للتربية والتعليم العــام ممثلا لوزارة المعارف من ناحية وكل من المستر فان ايس Van Ess والدكتور ستودات Staudt والأب سارجانت Sarjeant ومستر هاكن Hakken ممثلين للمدارس الامريكية فى العراق فى ١٠ يوليو ١٩٤٠م بمكتب السيد يوسف الجيلانى مدير الشئون الغربية بوزارة الخارجية وبحضـــور السيد صديق شنشل المستشار القانونى لوزارة الخارجية ، دارت المناقشات على النحو التالى : ــ

اوضح الدكتور فاضل الجمالى للمجتمعين أن الهدف من القـــانون الجــديد للتعليم ليس محاربة المدارس الامريكية وليس ضــد أى مــن

(٢٠) Ibid, No. 1591, Baghdad, July 16, 1940, No. 890 G. 42/51.

(٢١) Enclosure 1 : Minutes of meeting between The Iraqi Director General of Public Instruction and representative of the American Schools in Iraq.

الحاضرين شخصيا ، وانما الهدف هو حماية التعليم الوطنى العام ، وان وزارة المعارف مستعدة للتعاون مع المؤسسات الامريكية التى تثبت حسن نواياها نحو المملكة بصفة عامة ونحو التعليم بصفة خاصة . وعنــدما سئل الدكتور الجمالى عن الغرض من اشتمال القانون على مادتين احداها نصت على اصدار وزارة المعارف قرارات تعيين مديرى ومدرسى المدارس الخاصة والاجنبية ، والثانية نصت على ان تتولى وزارة المعارف بنفسها اختيار مدرسى التاريخ والجغرافية واللغة العربية بهذه المدارس ، اجــاب بأن الوزارة الى جانب رغبتها فى ضمان سلامة جميع مؤسسات التدريس ترغب فى ان تختار بنفسها أولئك الذين تقوم على اكتافهم مهمة تدريس المــواد الانسانية . ومع ذلك فان الوزارة سوف تأخذ بعين الاعتبار استخدام المدرسين الاكفاء العاملين بالمدارس الامريكية عند اصدار قرارات التعيين لهذه المدارس .

واستمرت المناقشة بين الطرفين بينمــا مديرو المــدارس الامريكية يؤكدون باستمرار بأنهم لا يتكلمون بلهجة الاحتجاج أو المطالبة بحقوق . ومن ثم فعندما سأل الأب سارجنت ان كان ممكنا أن يقوم الأباء الامريكيون بدراسة اللغة العربية ثم تدريس هذه المواد الانسانية أجاب الدكتور الجمالى بأن روح القانون كما يفهما تقول بأن ابنــاء اللغة انفسهم هم أقدر على تدريس المواد الانسانية واللغة العربية ، وعندما تطرقت المناقشـــة الى مسئوليات أو شروط المعلمين الذين سوف تعينهم وزارة المعارف نحو نظم المدارس التى سوف يعملون بها اجاب الدكتور الجمالى بأنهم سيعاملون نفس المعاملة التى يعامل بها مدرسو المدارس الحكومية ، فسوف يحاسبون على سلوكهم وعلى ادائهم لواجباتهم . وان معاقبة اى منهم على تقصيره فى واجباته لا يعنى فرض عقاب على المدرسة التى يعمل بها . وأن المدارس الاجنبية يجب أن تكون ايام عطلتها هى نفس الايام التى تعطل فيها المدارس والمصالح الحكومية .

واختتمت المناقشة باثارة ما نص عليه القانون من منع العراقيين من الحاق ابنائهم بالمدارس الاجنبية ، وكانت اجابة الدكتور الجمالى بأنه مع تقدير الحكومة العراقية لبعض الامريكيين الذين خدموا التعليم بمدارسهم بالعراق فان الهدف من نص القانون هو حماية الثقافة الوطنية ، ووعد الدكتور الجمالى بتوفير جميع التسهيلات الممكنة ، وتم الاتفاق على بقاء المدارس الابتدائية الامريكية على أن يعهد بها الى عراقيين يتقدمون بطلب للسماح من أجل فتح هذه المدارس باسمائهم كمدارس خاصة وأن توافق وزارة المعارف على قبول منح كمساعدات يمكن أن تقدم اليهم من أمريكا عن طريق المدارس الامريكية .

وقد علق المستر « فان ايس » احد مدراء المدارس الامريكية بالعراق على الاجتماع بأن ما توصل اليه المجتمعون كان « كلمة شرف » أو « اتفاق جنتلمان » الذى بدون تلاعب بالالفاظ ، وبروح النية الشريفة من كلاالجانبين سوف يمكن من عمل اتفاق يأتى عن طريق مفاوضات رسمية بين الحكومة العراقية وحكومة الولايات المتحدة الامريكية(٢٢) .

وكان نورى السعيد وزير الخارجية العراقية قد أكد بأن الاجتماع الذى تم فى وزارة الخارجية بين المسئولين عن وزارة المعارف العراقية وممثلى المدارس الامريكية بالعراق قد انتج اتفاقا فى وجهات النظر بين الطرفين ، وأن الأخيرين قد وافقوا على اتخاذ اجراءات ادارية معينة يمكن أن تضمن استمرار اداء تلك المدارس لمسئولياتها التعليمية فى العراق بدون اية صعوبة . وأن مذكرة رسمية حول هذا المفهوم قد تم اعدادها سوف تكون اساس اتخاذ اى اجراء فى المستقبل (٢٣) .

ورد عليه الوزير المفوض الامريكى ببغداد بأنه حتى ذلك الحين فليست هناك موافقة نهائية أو محددة لمواد القانون الجديد المقترح للتعليم من جانب المدارس الامريكية أو من جانب حكومة الولايات المتحدة ، وعليه فانه يطلب استمرار تأجيل نشر القانون بالجريدة الرسمية حتى

(٢٢) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the Secretary of State, No. 1592, Baghdad, July 17, 1940; No. 890 G. 42/52.

(٢٣) Ibid, Enclosure 1 : The Iraqi Minister for Foreign Affairs (Nuri as-Said) to the American Minister Resident (Knabenshue), No. 12/2881/gh. Baghdad, July 15, 1940.

تنتهى الاتصالات بينه وبين حكومته (٢٤) . وعندما اجتمع هـذا الوزير المفوض مع كل من السيد موسى شهبندر السكرتير الخاص لوزير الخارجية والسيد يوسف الجيلانى رئيس مكتب الشئون الغربية والسيد صـديق شنشل القائم بعمل المستشار القانونى للوزارة اوضح انه رغم كونه غير مفوض لتقديم اية اقتراحات محددة حـول قانون التعليم المقترح الجديد فان عليه فقط أن يوضـح ان حكومة الولايات المتحدة لا يمكنهـا قبول ما يمكن اعتباره اجـراء من جانب واحد اتخذه العراق وهـو نقض او ابطال للحقوق التى تعود لنا والتى تضمنها البيان العـراقى بالانضمام لعصبة الأمم فى شهر مايو ١٩٣٢ م .

وقد اجابه المسئولون العراقيون بأن تعيين وزارة المعارف لمدرسى مواد معينة فى المدارس الخاصة كما نصت عليه المادة رقم ٢٧ كان امرا يتطلبه ضمان حيـوى وجدت الحكومة العـراقية نفسها مخولة لاتخاذه لتحقيق مبادىء خلقية وثقافية . وطبقا للضمانات التى اعطيت لمديرى المدارس الامريكية ، فان الحكومة العراقية ستكون راغبة فى ان تسمح للمدارس الامريكية ان تختار معلميها للتدريس من القائمـة التى تعـدها الحكومة . وبالنسبة لما جاء بالمـادة رقم ٣٦ من القانون المذكور التى تمنع التلاميذ العراقيين من دخول المدارس الابتدائية الاجنبية فقد كان واضحا أن هذا النص كان ضروريا لسببين هما : الأول أنهم اعتبروا ذلك أساسيا من الناحيتين الخلقية والثقافية لأن الأطفال العراقيين فى سن حرجة . وخلال التكوين المبكر لسـنوات عمرهم يجب أن يتلقـوا تعليمهم الأولى فى مدارس عراقية فى اطار القيم الخلقية والثقافية للمجتمع العـراقى . والسبب الثانى ان هناك مدارس ابتدائية اجنبية عـديدة (خاصة المدارس الايرانية واليهودية) . ومن الضرورى تبنى قانـون اساسى حتى لا تكون هناك مطالب استثنائية .

Enclosure 2 : The American Minister Resident (٢٤) (Knabenshue) to the Iraqi Minister for Foreign Affairs (Nuri as-Said) No. 791, Baghdad, July 16, 1940.

وعلى اية حال ، وحيث ان الحكومة العراقية ليس لديها اعتراض محدد خاص بالنسبة للمدارس الابتدائية الامريكية العاملة بالعــراق ، فانهم تقدموا باقتراح لمديرى المدارس الامريكية هنا — فى بغداد — بأن مدارسهم الابتدائية يمكن أن تسجل بأسماء عراقيين وانهم يوافقون على الســماح لتلك المدارس أن تدار وتعمل كما هو الحال الآن بواســطة اشخاص امريكيين . وقد تم ايضاح أن هــذا سوف يسمح للحــكومة العراقية ان تجيز موافقات لنقل تلك المدارس الابتدائية الامريكية وتسجيلها اسميا لعراقيين ، ولكنهــا ترفض الموافقة على نقل المدارس الأجنبية الاخرى بنفس الطريقة .

وقد اشـار الوزير المفوض الامريكى فى بغداد الى مخالفة القانون الجديد للتعليم لنص الاعلان العراقى بالانضمام لعصبة الأمم وأشار الى أن الاتفاق الثلاثى بين كل مــن العراق وبريطانيــا العظمى والولايات المتحدة الامريكية المعقود فى ٩ يناير ١٩٣٠ . جاء فى مادته الرابعة ما نصه : بخصوص النصوص المتعلقة بأية قوانين محلية من اجل المحافظة على النظام العام والأخلاق العامة ، والمتعلقة بأية متطلبات تعليمية عامة مشار اليها فى القانون العراقى ، فان مواطنى الولايات المتحدة سوف يسمح لهــم بحرية ان يؤسسوا وان يرعوا مؤسسات تعليمية ودينية وخيرية بالعراق من اجل استقبال راغبى العلاج المجانى ، وتعلم اللغة الانجليزية .

ورغم عدم اشتمال نص هذه المادة فى الاعلان العراقى للانضمام لعصبة الأمم فان المســئولين العراقيين اعطــوا تأكيدات بأن المبادىء المتضمنة يجب ان تكون مقبولة بوضوح . ولكن موقفهم الحازم بالنسبة لما جاء فى نصوص القانون قد نقل الى السفير البريطانى بالعراق فى مذكرة مؤرخة فى ١٥ يوليو ١٩٤٠ الذى ابلغ الوزير المفوض الامريكى بأنه لم يستطع أن يفعل شيئا لتأييد وجهة النظر الامريكية خاصــة انه ليست

لبريطانيا مدارس بالعراق ، بينما نجد الوزير المفوض الفرنسى فى بغداد يقف عاجزا رغم الصلاحيات التى اعطيت له من حكومته لأن مديرى المدارس الفرنسية بالعراق كانوا غير راغبين فى معارضة قانون التعليم الجديد بالعراق مخافة اثارة عقبات امام نشاطهم .

وقد أعرب الوزير المفوض الامريكى ببغداد بدوره لحكومته عن مخاوفه من استمرار اثارة الموضوع مع المسئولين العراقيين خوفا من عقبات جديدة ، فى الوقت الذى صرح فيه العراقيون بأن القانون لا يمنع المدارس الابتدائية الأجنبية المسموح لها بالعمل فى العراق من قبول تلاميذ اجانب ، ولكنهم يعطون لأنفسهم الحق — وهو لهم — فى منع التلاميذ العراقيين من الالتحاق بهذه المدارس .

وفى نفس الوقت فان التلاميذ العراقيين الملتحقين بمدارس ثانوية أجنبية التى تتبع فى نظامها مناهج وزارة المعارف مسموح لهم بدخول الامتحانات الحكومية وضمان الحصول على الشهادات الحكومية التى تؤهلهم، للتعيين فى الوظائف الحكومية . وهذا يبدو من حق الحكومة العراقية ، اذا رأت ذلك مناسبا كما أن من حقها رفض السماح للطلاب الملتحقين بالمدارس الأجنبية من دخول الامتحانات وضمان الحصول على الشهادات الحكومية ، وبوضوح فان مثل هذه الاجراءات « التعسفية » سيكون لها أثرها فى اغلاق المدارس الاجنبية .

وختم الوزير المفوض الامريكى كلامه بأنه يعتقد أن الدافع الحقيقى وراء القانون الجديد دافع وطنى ، من أجل وضع المدارس الأجنبية أكثر فأكثر تحت الادارة العراقية من وجهة النظر القائلة بأنها خطوة لازالتها كليا أو جزئيا على الأقل متبعين فى هذا المجال ما حدث وما هو فى سبيله للحدوث فى كل من ايران وتركيا (٢٥) .

وكان الامريكيون يعلقون الأمل على تأجيل تصديق الوصى على العرش على القانون الجديد للتعليم ، ولكن الوزير المفوض علم فى ٧

---

(٢٥) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the Secretary of States, No. 1601, Baghdad; July 23, 1940. No. 890 G. 42/53.

اغسطس ١٩٤٠م بأن الوصى على العرش قـد صدق على القـانون ، وان الوصى كان معارضـا للقانون حتى آخر لحظة ولكنه اضطـر الى التصديق عليه تحت ضغط تهديد الوزارة بالاستقالة (٢٦) . ومن ثم أبلغ وزير الخارجية الامريكية وزيرة المفوض فى بغداد بأن الوزارة تضع فى اعتبارها كل الظروف المحيطة بالموضوع ، وانها تتفق مع الوزير المفوض من عدم اتخاذ اى اجراء فى ذلك الوقت فى مواجهة قانـون التعليم العام الجـديد .

واضاف وزير الخارجية الامريكى بأن وزارته لديها بهذا الخصوص اعتقاد بأن اية تأكيدات يمكن للحـكومة العراقية أن تعطيها للحـكومة الامريكية بخصوص تنفيذ قانون التعليم العام لن يكون مخالفا لـما سبق ان أعطته الحـكومة العراقية من تأكيدات قائمة حاليا وتلقاهـا ممثلو المدارس الامريكية بالعراق على لسان المدير العام للتربية والتعليم العام ومن ثم فليس هناك ضرورة لتقديم اية وعود من هذا النوع اكثر من تلك التأكيدات المعطاه فعلا (٢٧) .

ومع ذلك اتخذت الحكومة الامريكية موقف التأييد المطلق للسياسة البريطانية نحو العراق . وقد تمثل ذلك فى استجابة تلك الحكومة لوجهة نظر وزيرهـا المفوض فى بغداد برفض تنفيذ تراخيص تصدير المعـدات العسكرية الى العراق ، فيما عدا ما يختص منها بقطع غيار الطائرات التى سلمت فعـلا حاليا (٢٨) . كما أن وزارة الخارجية الامـريكية غير مهتمه آنذاك بقضية الاعتراف أو عدم الاعتراف بوزارة الكيلانى الجديدة بقدر قلقها حول المصالح الامريكية فى العراق التى يجب أن تكون المحل الاول للاهتمام (٢٩) .

وتمشيا مـع الموقف الامريكى طلبت وزارة الخارجية الامـريكية من وزيرها المفوض فى بغداد ترحيل الرعايا الامريكيين من العراق ، وبالفعل تم ترحيل جميع النسـاء الامريكيات والاطفال الامـريكان فى ٢٩ ابريل

---

(٢٦) Ibid, Baghdad, August 7, 1940; No. 890 G. 42/50 : Telegram.

(٢٧) The Secretary of State (Hull) to the Minister Resident in Iraq (Knabenshue) Washington, Seplember 7, 1940 No. 890 G. 42/53 : Telegram.

(٢٨) Ibid, Washington, March 1, 1941; No. 890 G. 24/19 : Telegram.

(٢٩) Ibid, Washington, April 7, 1941; No. 890 G. 00/544 : Telegram.

١٩٤١ م فيما عدا من رفض منهم باختياره عدم الرحيل (٣٠) وان من هؤلاء الآباء الجزويت المسئولين عن كلية الجزويت ، والدكتور ستودت Staudt مدير مدرسة الامريكان للبنين وزوجته الذين اختاروا البقاء فى مدارسهم وهم بخير كما أن احد الآباء الجزويت الامريكى الجنسية والآنسة آدمز العاملة بالسفارة البريطانية مازالوا موجودين بالعراق ولم يرحلوا (٣١) .

كان هذا موقف الولايات المتحدة الامريكية من قانون التعليم الوطنى العراقى بصفة خاصة ومن السياسة الوطنية العراقية بصفة عامة ، ولا يكتمل الموضوع دون الاشارة الى تطور العلاقة بين الولايات المتحدة والعراق منذ نشوء تلك العلاقة حتى عام ١٩٤١ م . ذلك أن العراق كان أول مجال من اقطار الشرق الأوسط للاستثمارات البترولية الامريكية حين دخلت سبع شركات أمريكية (٣٢) بترولية كشريك فى شركة بترول العراق التى صارت اسهمها مقسمة بين الشركات البريطانية والفرنسية والهولندية ثم الامريكية بواقع ٢٣٫٧٥٪ لكل منها والباقى من الاسهم وقدره ٥٪ حصل عليه جوبلنكيان Sarkis Gublenkian الوسيط الأرمنى الذى ادار المفاوضات لعقد الاتفاق (٣٣) وكان ذلك تمشيا مع دعوةالولايات المتحدة الى تطبيق سياسة الباب المفتوح أمام الشركات البترولية فى اقليم الموصل بشمال العراق (٣٤) .

وعندما عقدت الاتفاقية الثلاثية الانجليزية الامريكية العراقية فى ٩ يناير ١٩٣٠ م اعترفت الولايات المتحدة الامريكية رسميا فى المادة الأولى من الاتفاقية لأول مرة بحكومة العراق المستقل وانتهاء الانتداب البريطانى رسميا ، ومع ذلك سارت العلاقات الامريكية العراقية فى اطار رعاية المصالح الامريكية : فكانت تلك العلاقات ايجابية اذا تعرضت المصالح التجارية والثقافية للامريكان المقيمين بالعراق لأية مصاعب ومع

---

(٣٠) The Minister Resident in Iraq (Knabenshue) to the Secretary of State, Baghdad; April 29, 1941, No. 890 G. 1115/15 : Telegram.

(٣١) Ibid, Baghdad, May 1941; No. 740-0011, European War 1939/10693 : Telegram.

(٣٢) والشركات السبع هى :
ستاندارد اوف نيوجيرسى — سوكونى — سنكلير — تكساس — جلف — مكسيكان — اتلانتيك .

De Nova, J.A. : Ibid, p. 186.

(٣٣) Armajani, J. : Middle East past and present, p. 304.

(٣٤) De Nova : Ibid, p. 200.

ذلك كانت سـلبية امام النفوذ الانجليزى فى العـراق ، بل لم تمارس الحكومة الامريكية اية ضغوط على بريطانيا العظمى لكى تتخلى عن انتدابها الذى فرضت على العراق ، ولم تؤيد الأمانى الوطنية العراقية الهادفة الى الاستقلال الكامل للقطر العـراقى (٣٥) . وكان هناك فى العـراق اعتراف مبكر بأن الجيش كان مدرسة للوطنية الصحيحة . وقد كان الى جانب المجموعات البرلمانية حارسا للأمانى الوطنية (٣٦) .

وكان العداء العراقى لكل ما هو غربى ــ خاصة ضـد انجلترا وفرنسا ــ لا ينسحب على الامريكيين نظرا لأن الأخيرين اهتموا بالامور التعليمية والاقتصـادية والروحية ، ولم تكن للولايات المتحـدة أهداف سياسية بعد فى منطقة الشرق الأوسط نظرا لأن تلك المنطقة كانت منطقة نفوذ بريطانية ، وكانت الولايات المتحدة كل ما رغبت فيه حتى معارك الحرب العالمية الثانية أن تكون على علم بما يحدث دون الانغماس فى اية مشكلات هناك (٣٧) . ولكن يهمها ضمان مرور سفنها وطائراتها بسـلام فى بحار وأجواء المنطقة ، واستمرار تدفق البترول الى الاسواق الغربية ، الى جانب توفير الاسواق بحرية للتجارة الامريكية مع ترغيب السكان المحليين فى طريقة الحياة الامريكية (٣٨) .

الموقف الحالى للمدارس الأجنبية بالعراق

لا يكتمل بحثنا هذا دون ان نشير الى الاجراءات التى صدرت عن مجلس قيادة الثورة فى الجمهورية العراقية واعنى به قرارات استملاك المدارس الأهلية تلك الاجراءات التى تعيد الى الأذهان الاتجاهات القومية والوطنية فى العراق وهى الاجراءات الثورية التى ما كانت لتصدر لولا وجود حكم وطنى يدير الامور فى بغداد .

فمنذ اول العشرينات من القرن الحالى صدر اول دستور للعراق عرف باسم « القانون الأساسى » اشتمل على مادة واحدة تتعلق بأمور التعليم جاء نصها : للطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم افرادها

---

(٣٥) op. cit. pp. 349-354.

(٣٦) The American Assembly : The United States and the Middle East, p. 45.

(٣٧) op. cit, pp. 151-152.

(٣٨) Polk, W.R. : The United States and the Arab World, pp. 288-290.

بلغاتها الخاصة والاحتفاظ بها على أن يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التى يعينها القانون . وكان هذا النص يتمشى مع وجــود مدير لمديرية المعارف العامة انجليزى شجع المدارس الأجنبية والارساليات التبشيرية ومساعدتها بالاموال ، ومن ذلك أن مدرسة الارسالية الامريكية بالبصرة هى التى كانت تتولى شئون التربية والتعليم فى أول عهد الانتداب البريطانى باتفاق معه (٣٩) .

وتمشيا مــع الاهتمام الامريكى بالعراق الملكى وســعت الولايات المتحدة الامريكية من مساعداتها للعراق منذ أبريل ١٩٥٤ م كمقدمة لانضمام العراق لحلف بغداد (٤٠) . الذى يلقى التأييد الكامل ماليا وعسكريا من الولايات المتحدة رغم أنها لم تنضم اليه رسميا ، وخلال الاعوام الاربعة التالية بلغت مساعدات الولايات المتحدة للعراق الملكى الاقتصادية والعسكرية ٥٨٫٦ مليون دولار (٤١) .

وكان اشتراك الولايات المتحدة فى حلف بغداد — التى جعلت مقرا للحلف وبتأييد كامل من رئيس الوزراء العراقى نورى السعيد المتعاون مع الدول الغربية خاصة انجلترا ثم الولايات المتحدة ، قد ساعد على بدء عدم الثقة بين العرب عامة ، وبين الولايات المتحدة ، ومن ثم حاربت مصر هذا الحلف حتى أسقطته ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ العراقية .

كانت ثورة ١٩٥٨ م التى تفجرت صباح ١٤ تموز (يوليو) بداية لوضع العراق فى طــريقه الصحيح وطنيا وقوميا . ذلك أن الحــكومة العراقية قبل الثورة فى رأى الشعب العراقى كانت ذات ارتباط واسع بالولايات المتحدة الامريكية ومن ثم لم تكن تعمل لمصلحة العــراق أو مصالح العرب بصفة عامة بل كانت تعمل لمصالح البريطانيين والامريكيين . وعندما حدثت ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ م أصيبت الولايات المتحدة بالدهشة ، كما أدهشها أن ضباطا مــن الشباب قادوا الثورة الناجحة

---

(٣٩) د . محمد منير مرسى : التعليم العــام فى البلاد العــربية ص ١٩٠ — ١٩٢ .

(٤٠) Polk, Ibid, p. 272.

(٤١) The American Assembly, Ibid, p. 160.

التى جعلت بغداد تتحول من كونها المركز الرئيسى لحلف بغداد لتصبح واحدة من اكثر المدن العربية عداء للامريكيين فى الشرق الأوسط (٤٢) .

ثم جاءت ثورة ١٧ — ٣٠ تموز (يوليو) عام ١٩٦٨ لتضع الخط الوطنى والقومى موضع التنفيذ علـــى الصعيدين المحلى والعربى . وما يهمنا هنا هو معالجة حكومة الثورة لنشاط المدارس الاجنبية فى الجمهورية العراقية . وقد جاءت هـــذه المعالجة فى القرارات رقم ١٢١٧ لعـــام ١٩٧٤ م ورقم ٢٨٤ ورقم ٥١٩ لســـنة ١٩٧٥ م والتى تضمنت مبادىء التعامل مع كل اوجه نشاط هذه المدارس .

اذ نص قرار مجلس قيادة الثورة رقم ١٢١٧ بجلسته المنعقـــده بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٣ على نقل منتسبى المدارس الاهلية الى ملاك وزارة التربية ووزارة الداخلية ، ويقضى القرار بأن ينقل الى وزارة التربيـــة منتسبى التعليم الثانوى الأهلى والى وزارة الداخلية منتسبى المدارس الابتدائية ورياض الاطفـــال والأهلية وبنفس وظائفهم . وعلى اســـاس الراتب الذى يستحقه كل منهم حسب احكام قانون الخدمة المدنية بعد احتساب مدة خدمته الســـابقة لاغراض تحديد الراتب . وان تعامـــل الاجنبية المتزوجة من عراقى معاملة المستخدمات العراقيات ، كما يخضع العراقيين مـــن منتسبى المدارس الاهلية الى احكام عقود اســـتخدام الاجانب ، وتخـــول الوزارة المختصة صلاحية التعاقد معهم وتحـــديد راتبهم ، وان يعمل بهذا القرار اعتبارا من ١٩٧٤/٩/١ م (٤٣) .

ونص قـــرار مجلس قيادة الثـــورة رقم ٢٨٤ بجلسته المنعقـــدة بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ م على استملاك المدارس الاهلية (الملغاة) المبينة تفاصيلهـــا بالقائمة المرفقة (٤٤) . وتســـجل ملكا صرفا باســـم وزارة الداخلية/الادارة المحلية ، على ان يكون استملاك هذه المدارس بدون بدل عدا المدارس التى تعود ملكيتها الى الافراد فيجرى تعويضهم عنها وفق الاسس المنصوص عليها فى قانون الاستملاك رقم ٥٤ لسنة ١٩٧٠ م

(٤٢) Polk, Ibid, pp. 283-284.
(٤٣) مجلة التوثيق التربوى : وزارة التربية العراقية : ص ٢٠ — ٢١ .
(٤٤) القائمة ملحقة بالبحث .

المعدل ومن قبل الهيئة المؤلفة بموجب المادة الثامنة من القانون المذكور . ويعتبر قرار الهيئة نهائيا وملزما ولا يقبل طريقا من طرق الطعن ، وان تصرف بدلات استملاك المدارس التى يتقرر دفع التعويض عنها من اعتمادات خطة التنمية القومية (٤٥) .

ونص قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٥١٩ الصادر عن جلسة المجلس المنعقدة فى ١٩ / ٥/ ١٩٧٥ بنقل ملكيــة الاموال والموجودات فى المدارس الاهلية المشمولة بقرار مجلس قيادة الثورة رقم (٢٨٤) فى ١٩٧٥/٣/٦ م الى كل من وزارتى التربية والداخلية كل حسب اختصاصها بدون بدل ، فيما عدا المدارس التى تعود ملكيتها الى الافراد فيجرى تعويضــهم عــن تلك الاموال والموجودات حسب القيمة المقدرة من قبل لجان الجرد المختصة ، ويعتبر قرار التقدير نهائيا (٤٦) .

وليس لنا من تعليق سوى الاشارة الى ان نصوص هذه القرارات الثورية وما الحق بها من قائمة باسماء المدارس التى آلت ملكيتها الى الدولة تظهر كيف كانت المدارس الاجنبية تمثل وزنا كبيرا خاصـــا فى التعليم الابتدائى ورياض الاطفال مما يكون له اثـــره فى توجيه النشء فى غير الوجهة القوميــــة والوطنيـــة التى تبتغيها الدولة فى العراق الجمهورى الثورى ، ووضع تلك المدارس تحت اشراف الدولة يضمن خضوع كل ابناء المجتمع العراقى لتوجيه موحد رائده الله والوطن والعروبة .

(٤٥) مجلة التوثيق التربوى ص ١٢ .

(٤٦) نفس المصدر ص ٢٢ .

مصادر البحث

اولا — الوثائق :

1. U.S.A. Documents : F.R. (Foreign Relations) :

   A. Representations by the United States to the Iraqi Government urging a cooperative attitude in its relations with the United Kingdom May-December 1940.

   B. Informal assurances by the Iraqi Government regarding application of new education law to American Schools in Iraq. January-September 1940.

   C. Attitude of the United States toward anti-British Military Coup in Iraq. January-November, 1941.

٢ — قرارات مجلس قيادة الثورة العراقية رقم ١٢١٧ بتاريخ ١٣/١١/١٩٧٤ م ، وقرار رقم ٢٨٤ بتاريخ ٦ — ٣ — ١٩٧٥ ، وقرار رقم ٥١٩ بتاريخ ١٩/٥/١٩٧٥ م ، بمجلة التوثيق التربوى التى تصدر عن المديرية العامة للتخطيط التربوى — قسم التوثيق والدراسات — وزارة التربية العراقية ، باشراف الدكتور صالح حمدان الناصر العدد ١٨ السنة الخامسة ١٩٧٧ م . مطبعة الثقافة العمالية — بغداد .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East, edited by Georgiana G U.S, Stevens, 1964.

Polk, William R. : The United States and the Arab world, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1965.

3. Armajani, Yahya : Middle East past and present, prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jerssey, 1970.

4. De Nova, John A. : American Interest and policies in the Middle East 1900-1939, the University of Minnesota press, Minneapolis, 1968.

ثالثا : المراجع العربية :

١ ـ لوريمر : دليل الخليج ج ١ ، ج ٦ .

٢ ـ د . صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠ م .

٣ ـ د . محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية ، عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤ م .

٤ ـ د . احمد عبد الرحيم مصطفى : الولايات المتحدة والمشرق العربى ، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ ابريل ١٩٧٨ م .

ثانيا : فى مجــال البترول *

امريكا والبصرة قبل البتــرول

كانت مدينة البصرة اول محطــة خليجية نزل فيهاالمبشر الامــريكى البروتستانتى « صمويل زويمر » Samuel Zwemer أول التسعينات من القرن التاسع عشر قادما من بلاد الشام وبرفقته كل من « جيمس كانتين » James Cantine وفيليب فيلبس Philip Philips حيث كانــوا فى بيروت وجاء قدومهم الى هذه الارض الخليجية العربية بعد أن تعلموا اللغة العــربية ودرسوا أوضـــاع المنطقة بمعونة المبشرين الامريكـــان الذين كانوا يعملون فى الشام مدة طويلة وقد انشأ زويمر ورفاقه مركزا تبشيريا بمدينة البصرة عام ١٨٩١ (١) وكان هذا المركز النواة الاولى لما صار يعرف باسم الأرسالية العربية الامريكية فى الخليج العربى التى تتبــع مذهب الاصـــلاح الدينى الهــولندى البروتســـتانتى المعــروف باســـم Dutch Reformed Church وجاء انشاء هـــذا المركز فى الوقت الذى كان فيه العراق يخضع لسيطرة الدولة العثمانية ، وكان حكام العراق من باشوات الدولة العثمانية ينظرون بارتياب نحو نشاط هـــذا المركز التبشيرى الامريكى بالبصرة ، ومن ثم فقــد كاد هذا النشاط يتجمد بعــد سنوات قليلة من انشائه ، الا أن التنصير فى مركز البصرة عاود العمل فزادت مبيعات الانجيل ، بل وامتد نشاط هذا المركز من البصرة بافتتاح مراكز تبشيرية أخرى فى كل من العمارة على نهر دجلة والناصرية على نهر الفرات (٢) .

ويضم مركز البصرة التبشيرى عـــدة مجالات ينشط من خلالهـــا للتأثير على السكان منها تقديم خدمات طبية وخدمات تعليمية حديثة الى

---

* قدم هذا البحث فى ندوة وثائق تاريخ البصرة ــ كلية التربية جامعة البصرة ــ ديسمبر ١٩٨١ م .

(١) د. عبد الملك التميمى : الاستعمار الثقافى الغربى فى منطقة الخليج العــربى .

(٢) Hamilton, Ch. W. : Americans and Oil in the Middle East, p. 14.

جانب بيع كتب الأدب المسيحى واتاحة جــو اجتماعى متفتح غير مألوف للمسلمين بالاضافة الى عملية التنصير التى تتم بطريق غير محسوسة ومن الطبيعى أن يكون نشاط هذا المركز موجها بالدرجة الأولى الى الجماعات المسيحية فى المنطقة ، ومن ثم كانت هــذه الجماعات المسيحية ســندا للارسالية الامريكية ودعاتها ومنها وعبرها يتم توجيه النشاط التبشيرى المتنوع الى المسلمين (٣) .

وكانت الخدمات الطبية التى يقدمها مركز البصرة التبشيرى اكثر الوسائل تأثيرا فى الناس خاصة اذا ادركنا حرمانهم من مثل هذه الرعاية فى ظل تنظيماتهم القبلية او حتى فى ظل الحكم العثمانى فى المناطق التى تخضع لهذا الحكم ، وفى عام ١٨٩٤ م بدأ مركز البصرة التبشيرى يمارس نشاطا طبيا بوصــول الطبيب « جيمس وايكوف » James Wiekof الذى كان طبيبا ومبشرا ، وفى العام التالى — ١٨٩٥ م — خلفه الطبيب « لانكفورد وورول » Lankiford Wowrol الذى كان كزميله وايكوف طبيبا ومبشرا ، وشاركت السيدة زويمر فى تقديم الرعاية الطبية للنســاء المسلمات فى البصرة ، ومدت نشاطها الى نساء الاحساء والبحرين ، وقد اجتذبت الرعاية الطبية الكثيرين من المسلمين والمسلمات للاستفادة من هذه الرعاية ، وكان لمركز البصرة مستشفى صغير وصيدلية يصرف منها الدواء بالمجان الى جانب مدرسة لم تعترف بوجودها فى البداية سلطات الحكم التركى وحاولت غلقها بالقوة .

وكانت الوسيلة الثانية التى اعتمدت عليها الارسالية الامريكية فى البصرة انشاء المدارس الملحقة بالكنائس والتى تبدأ بالمرحلة التمهيــدية للتعليم واعنى بهـــا رياض الاطفال التى تعتمد فى منهجهـــا على التربية

(٣) De Nova, J.A. American interests and policies in the Middle East, p. 11.

المسيحية ، وان كانت هذه المدارس لا ترغم الاطفال المسلمين على اداء الصلوات فى طابور النظام او فى الفصول الدراسية ولكنها ترغمهم عـــلى حضورها ومشاهدة الاطفال المسيحيين وهم يؤدونها ، وما من شك فى أن هذه المشاهدة فى حد ذاتها ذات اثر فى نفوس الاطفال المسلمين الذين يقلـــدون مـــا يشاهدون (٤) .

وقد استمرت مدارس الارسالية الامريكية فى البصرة تؤدى وظيفتها حتى بعد انتهاء الحكم التركى وحلول الانتداب الانجليزى ، ومن ثم استمر مركز الارسالية فى البصرة يباشر نشاطه فى حماية الانجليز ، وان كان ارتباط الامريكيين بالعراق ظل قليلا ونظرا لأن الحـــكومة العراقية كانت لا تميل كثيرا الى تقوية ارتباطها بالولايات المتحدة الامريكية (٥) .

ومنذ اول العشرينات من القرن العشرين صدر اول دستور للعراق عرف باسم « القانون الأساسى » اشتمل على مادة واحدة تتعلق بأمور التعليم جاء نصها : للطوائف المختلفة حق تأسيس المدارس لتعليم أفرادها بلغتها الخاصة والاحتفاظ بها على ان يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التى يعينها القانون وكان هذا النص يتمشى مع وجود مدير لمديرية المعارف العامة انجليزى شجع المدارس الاجنبية الموجودة بالعراق ومنها بالطبع مدارس البعثـــة التبشيرية الامريكية لاشراف كامل من جـــانب الوزارة وعرضته على البرلمان العراقى عام ١٩٤٠ م سعت السلطات الامريكية الى عدم سريان هذا القانون على المدارس الامريكية التى تمارس نشاطها فى بعض أنحاء القطر العراقى .

ويتضح من الاتصالات التى جرت بين المفوضية الامريكية فى بغداد والمسئولين العراقيين ان مشروع القانون الخاص بالتعليم تجرى مناقشته واعداده طوال عام ١٩٣٩ م ، ونشرته الصحف المحلية ، وان حكومة رشيد عالى الكيلانى هى التى استخدمت فكرة تقديمه للبرلمان لاصداره

(٤) لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى — ج ٦ ، ص ٢٤٤٢
(٥) De Nova, J.A. : op. cit. p. 347.

تمشيا مــع سياستهــا الوطنية والقومية فى الدورة البرلمانية الحاليــة ١٩٣٩/١٩٤٠ ، وعليــه فان الوزير المفوض الامريكى فى بغداد داوم التركيز على عــدم تطبيق القانون الجديد على المدارس الامــريكية ، وساعده فى ذلك السفير البريطانى رغم عــدم وجود مدارس بريطانيــة بالعراق الى جانب الوزير المفوض الفرنسى فى بغداد الذى اتخذ أيضا موقف التأييــد للجانب الامريكى (٦) .

وعندما انتهت حركة رشيد عالى الكيلانى الوطنية فى العراق فى عام ١٩٤١ م ظلت مدارس الارسالية الامريكية فى البصرة وفى غيرها من مدن العراق تمارس نشاطها التعليمى دون ان تتأثر كثيرا بالقانون الوطنى للتعليم السابق الاشارة اليه ، وذلك نظرا لأن العراق الملكى كان صديقا للدول الغربية ، ومن ثم راعى مصالحها فى البلاد .

كما كانت هناك وسائل اخرى نشطت الارسالية الامريكية فى البصرة من خلالها مثل فتح المكتبات العامة امام الجمهور للمطالعة مع بيع نسخ من التوراة والانجيل وكتب الادب المسيحى وخاصة كتب الادب البروتستانتى وهذه الكتب ترجمت الى اللغة العربية (٧) . هذا الى جانب اقامة اندية اجتماعية رياضية ثقافية واستدراج الشباب من الجنسين اليها ، ويتيح اختلاط الجنسين — الرجال والنساء — التأثير على الشباب بما يجذبهم بل يربطهم بهذه الاندية الارسالية .

كما أن الارسالية الامريكية فى البصرة عملت على رعاية المتنصرين والمتنصرات بتوظيفهم عن طريق تسلط المبشرين علــى بعض الادارات العــامة واستغلال نفوذهم لمنفعة التبشير لجذب المزيد من الناس الى التنصر ، والعمل على تزويج المتنصرين والمتنصرات وخلق مجالات تجارية لهم ووضعهم فى المراكز الحيوية فى البلاد ، الى جانب اصــدار صحف ومجلات باللغتين العربية والفارسية تبطن التبشير .

(٦) د . محمد منير مرسى : التعليم العام فى البــلاد العربية ، ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٧) De Nova, J.A. : op. cit. p. 12

على الرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية صاحبة سياسة الباب المفتوح فى العــراق Open door policy وحصــلت بمقتضى هــذه السياسة على ٢٣٫٧٥٪ من اسهم شركة بترول العــراق لتمارس من خلال هذه النسبة الشركات البترولية الامريكية استثمار اموالها فى البحث عن البترول فى العراق ، وذلك عقب الحرب العالمية الأولى فقد ظلت حكومة الولايات المتحدة تتخذ موقف العزلة وعدم مزاحمة النفوذ السياسى الانجليزى فى العراق وغيره .

ومع حرص الولايات المتحدة على تزايد الاستثمارات الامريكية فى العراق وحماية هذه الاستثمارات الا انها كانت حريصة وخاصة اثناء معارك الحرب العالمية الثانية علــى تأييد المواقف البريطانية فى مواجهة الحركات الوطنية فى العراق وغيره من الاقطار العربية ومن امثلة ذلك التأييد الامريكى لبريطانيا ازاء معالجة الحكومة البريطانية للخلاف الناشب بينها وبين حكومة رشيد عالى الكيلانى الوطنية فى العراق ١٩٤٠/١٩٤١ .

وكانت بريطانيا قــد استاءت من موقف حكومة العــراق الوطنية برئاسة رشيد عالى الكيلانى التحررى وطنيا وقوميا ، وبدات تثير امام هــذه الحكومة المؤامرات الداخلية اعتمادا على رجالها من السياسيين ورجال الجيش فى العراق ، واستنادا الى مواقف القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، وقد أعربت حكومة واشنطن عن عدم رضاها عن سياسة حكومة رشيد عالى الكيلانى فى الداخل ومعاداتها لبريطانيا والاتجاه نحو المانيا فى الخارج ، وجاء هــذا الموقف الامريكى استجابة لطلب السير « ونستون تشرشــــل » رئيس الوزارة البريطانية للرئيس « فرانكلين روزفلت » ليحذر العراق من مغبة التقارب مع دول المحــور بدعوى أن هذا التقارب لا يخدم استقلال العراق (٨) .

---

(٨) F.R. : Representations by the United States to the Iraqi Government urging a cooperative attitude in its relations with the secretary of state, Baghdad, June 28, 1940, No. 790-0011.

كما اتخذت حكومة الولايات المتحدة موقف التأييد من الرفض البريطانى لمطلب حكومة رشيد عالى الكيلانى القاضية بتسليح بريطانيا للجيش العراقى بالاسلحة التى يحتاجها وتطلبها الحكومة العراقية الوطنية ، والمطالب القومية القاضية بمساعدة سوريا للحصول على استقلالها من فرنسا ، وتطبيق الكتاب الابيض البريطانى بخصوص فلسطين فورا ، كما توقع سفراء الغرب فى بغداد — وخاصة الامريكى والانجليزى — سقوط حكومة رشيد عالى الكيلانى او ان تتحدى تلك الحكومة البريطانيين (٩) .

كما تمثل التأييد الامريكى للنفوذ السياسى البريطانى بالعراق — وكما ابلغ لحكومة العراق الوطنية — فى مساعدة بريطانيا فى حربها ضد دول المحور — ولم تكن الولايات المتحدة قد دخلت الحرب رسميا بعد — وان هذه المساعدة تتزايد يوميا وسوف تستمر فى التزايد ، وعليه فان حكومة الولايات المتحدة سوف تنظر الى اى قرار او اجراء تتخذه الحكومة العراقية قد ينتج عنه ظهور اتجاه عراقى ولو كان قليلا لعدم التعاون مع بريطانيا العظمى بأنه اتجاه مؤلم وستنظر اليه الحكومة الامريكية على هذا النحو ، لأن فى هزيمة بريطانيا تهديد حقيقى لاستقلال العراق كما هو حال جميع اقطار الشرقين الادنى والأوسط الأخرى (١٠)

وعلى الرغم من ان المسئولين الامريكيين حرصوا وهم يبلغون وجهة نظرهم المؤيدة للموقف البريطانى بالعراق لحكومة رشيد عالى الكيلانى الوطنية ، بأن حكومة الولايات المتحدة لا تتدخل فى الشئون الداخلية للعراق ، فان المفوضية الامريكية فى بغداد لعبت دورا خطيرا فى تسهيل المؤامرات التى دبرت ضد الحكم الوطنى الجديد فى العراق بزعامة رشيد عالى الكيلانى ، كما كانت المفوضية الامريكية ببغداد مصدرا للمنشورات المعادية الى جانب انها اوت كثيرا من اليهود بالاضافة الى

(٩) Ibid : Baghdad, November 30, 1940, No. 741-10 G 11/28.

(١٠) The secretary of state (Hull) to the Minister Resident in Iraq, Washington, December 3, 1940. No. 741, I0 G 11/28.

بمساعـده الوصى على عرش العراق الامـير عبد الالـه على الهرب من بغداد (١١) كما رحبت الحكومة الامريكية بنجاح البريطانيين فى اقصـاء حكومة رشيد عالى الكيلانى الوطنية ، وبذلك استحقت الحكومة العراقية الجديدة الموالية للغرب والتى تشكلت برئاسة نورى السعيد فى ٩ اكتوبر ١٩٤١ م المساعدات الامريكية .

ونتيجة لتمسـك بريطانيا بنفوذها فى العراق اسـتمرت الولايات المتحدة تدعم هذا النفوذ او على الاقل لا تدخل معه فى تنافس طالما لا يعيق هذا النفوذ الاستثمارات الامريكية فى العراق ، ومن هذا المنطلق وجدنا الولايات المتحدة تبارك زعامة بريطانيا لحلف بغداد عام ١٩٥٥ م الذى صار العراق مقرا له وعضوا فيه ولم تشترك فيه الولايات المتحدة رسميا وان دعمته ماليا وعسـكريا وسياسيا وعندما سقط حلف بغداد بقيام ثورة العراق الوطنية عام ١٩٥٨ م شعرت الولايات المتحدة بالقلق على مصالحها فى المنطقة بعد اقصاء الحكومة العـراقية الموالية للغرب وانهاء النفوذ البريطانى من العراق .

امريكـا وبتـرول البصـرة

منذ ان حصل المغامر الاسترالى « وليام نوكس دارسى »William Nox D'Arcy على امتياز للتنقيب على البترول واستغلاله عام ١٩٠١م فى جبال ايران الصخرية القريبة من الخليج العربى اتجه ببصره نحو العراق فاعد تقريرا عن احتمالات البترول فى كل من بغداد والموصل ، وعرضه على الحـكومة التركية صاحبة السـيادة على العراق ، كما عرضه على الحكومة البريطانية .

واستنادا الى تقرير دارسى تكونت شركة البترول التركية عام ١٩١٢ م من كل من تركيا وانجلترا والمانيـا ، وقد حصلت الشركة على اذن من

(١١) د. صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر طبعة اولى ص٢٣٩ .

رئيس الحكومة التركية بالبحث عن البترول فى كل من ولايات الموصل وبغداد والبصرة ولكن انجلترا ما لبثت عام ١٩١٣ م أن استولت على نصيب تركيا فى الشركة فصار للحكومة الانجليزية ٥٠٪ من أسهم الشركة بينما تقاسمت كل من المانيا وشركة شل Shell الانجليزية الهولندية للبترول بقية الاسهم ومقدارها ٥٠٪ .

وبعد معارك الحرب العالمية الأولى وخروج الاتراك من العراق وهزيمة الالمان انفردت انجلترا بالسيطرة على المنطقة ، وارادت ان تحتكر البحث عن البترول فى العراق ، الا أن الولايات المتحدة التى شاركت فى صنع النصر للحلفاء ضد المانيا وتركيا ساءها ان تحرم شركاتها من استثمار اموالها فى البحث عن البترول فى العراق ، فنادت بما عرف باسم سياسة الباب المفتوح(١٢) التى اشرنا اليها سابقا وتدعو هذه السياسة الى ضرورة خضوع مواطنى مختلف الدول لنفس المعاملة وان يقفوا على قدم المساواة فى البلاد الخاضعة للانتداب وانه لا ينبغى منح امتياز من شأنه الاضرار بمصالح الدول الأخرى او ان تحتكر دولة امتيازا بعينه (١٣) .

ونتيجة للضغط الامريكى والتهديد بالتفاهم مع الاتراك بخصوص اقليم الموصل خضعت الحكومة البريطانية لسياسة الباب المفتوح الامريكية وعام ١٩٢٣ م فأعطت حكومة العراق الوطنية المشمولة بالنفوذ البريطانى فى ظل الانتداب ، امتيازا للتنقيب عن البترول فى ٢٤ قطعة من الارض العراقية لشركة البترول التركية التى سميت فيما بعد باسم شركة بترول العراق Iraq Petroleum Company (I.P.C.) التى وزعت اسهمها بحيث نالت شركات كل من انجلترا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة ٢٣٫٧٥٪ من الأسهم والباقى وقدرة ٥٪ من الأسهم كان من نصيب الوسيط الارمنى « سركيس جولبنكيان » Serkis Gublenkian الذى شارك فى المفاوضات منذ عام ١٩١٤ م (١٤) .

---

(١٢) De Nova, P.A. : op. cit., p. 176-177.

(١٣) محمد جواد العبوسى : البترول فى البلاد العربية .

(١٤) Polk, W.R. The U.S and the Arab World; p. 304.

ويرجع السبب فى تغيير اسم الشركة من شركة البترول التركية الى شركة بترول العراق الى ان حكومة العراق الوطنية عارضت اعطاء امتياز بترولى فى اراضيها من الباطن ودون موافقتها ، ونظرا لأن انجلترا كانت قد وافقت على سياسة الباب المفتوح الامريكية وامام اصرار العراقيين على استقلالهم الوطنى الذى يعطيهم الحق الكامل لأخذ موافقتهم على التاجير من الباطن ، فقد لجأت بريطانيا عام ١٩٢٩ م الى تغيير أسم الشركة ليصير كما راينا شركة بترول العراق .

كانت السياسة الامريكية فى مجال الاستثمارات البترولية فى مواجهة المنافسة الانجليزية القوية تستند كما رأينا الى سياسة الباب المفتوح ، ومن هنا باركت وزارة الخارجية الإمريكية تكوين اتحاد لسبع شركات امريكية (١٥) هى التى حصلت على نسبة ٢٣٫٧٥٪ من اسهم شركة بترول العراق ومن ثم استحقت تأييد الحكومة الامريكية تأييدا سياسيا لتحقيق عائد اقتصادى ، وهذا ما يدعونا الى القول بانه لا يمكن الفصل بين الاقتصاد والسياسة ، وان عزلة الولايات المتحدة السياسية لم تمنعها من التدخل سياسيا لتأييد مكاسب اقتصادية لشركات امريكية ، انطلاقا من ان حكومة الولايات المتحدة إعتقدت انه يمكن تقديم مساعدة طيبة لمواطنيها الذين يرغبون المشاركة فى مجالات التنمية الاقتصادية لدول الشرق الأوسط (١٦) .

احتكرت اذن شركة بترول العراق التنقيب عن البترول فى منطقة الموصل بموجب الامتياز الذى صدر عام ١٩٢٣م وتأيد عام ١٩٢٩م . ولكن هذه الشركة حصلت فى عام ١٩٣٨م على امتياز للتنقيب عن البترول فى منطقة البصرة واستغلالها وهذا يعنى أن شركة واحدة قد مارست احتكار واقعيا على انتاج البترول فى كل العراق . ومنعت دخول شركات بترول امريكية اضافية الى مجال استغلال البترول فى الارض العراقية(١٧) .

---

(١٥) الشركات الامريكية السبع هى مكسيكان Mixican تكساس Texas ستاندرد اويل اوف نيوجيرسى Standard oil of New Jerssey جلف Gulf سنكلير Sinclair سوكونى Socony اتلانتيك Atlantic وقد كونت ما عرف بهيئة تنمية الشرق الاوسط

(١٦) De Nova, J.A. op. cit., p. 196.

(١٧) bid, p. 202.

ومنذ عام ١٩٣٠م — وهو العام الذى تم فيه توقيع اتفاق ثلاثى انجليزى عراقى أمريكى اعترفت فيه الولايات المتحدة رسميا ولاول مرة بحكومة العراق الوطنية وبالانتداب البريطانى المستتر فى نفس الوقت مقابل موافقة العراق على وجود الاستثمارات الامريكية فى شركة بترول العراق — استمرت السياسة الامريكية تجاه العراق قائمة على عدم الدخول فى منافسة سياسية مع بريطانيا فى العراق ، واكتفت حكومة الولايات المتحدة برعاية مصالح رعاياها هناك ، فى الوقت الذى كانت فيه شركة بترول العراق ذات الادارة البريطانية ترعى أو تحقق مصالح الشركات البترولية الامريكية المشاركة فيها ، وفى الوقت نفسه كان معظم الامريكيين المقيمين بالعراق غير راغبين فى تورط حكومتهم فى مسائل سياسية دولية (١٨) .

وعندما سقطت حكومة العراق الوطنية برئاسة رشيد عالى الكيلانى بادرت الولايات المتحدة بتقديم مساعدات اقتصادية للعراق فى ظل حكومة يرأسها نورى السعيد صديق الغرب ، وذلك بمقتضى قانون الاعارة والتأجير منذ عام ١٩٤٢م وفى نفس الوقت عملت على حماية مصالحها البترولية فى امتياز البصرة الى جانب استمرار حماية مصالحها البترولية فى امتياز الموصل .

ورغم أن امتياز البحث عن البترول فى منطقة البصرة قد حصلت عليه شركة بترول العراق . وللشركات الامريكية فيها ٢٣٫٧٥٪ من الاسهم كما نعرف — وذلك عام ١٩٢٨ الى انه يبدو أن الشركة لم تقم بأعمال البحث حتى خريف ١٩٤١م مما دعا الحكومة العراقية الى أن تعلن فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤١م بأن الشركة فشلت فى تنفيذ شروط الامتياز ليصبح الامتياز سارى المفعول .

ورغم هذا الاعلان العراقى فقد طلبت الحكومة العراقية من الشركة فى الاول من شهر يناير ١٩٤٢م دفع مبلغ ٢٠٠ الف جنيه ذهب بمثابة ايجار لارض الامتياز فى البصرة عن عام ١٩٤٢م . وقد استجابت الشركة للطلب

(١٨) Ibid, p. 354.

العراقي كدليل على حسن النية ولان الطلب تنفيذ لبنود الامتياز . وفى الاول من يناير ١٩٤٣ م طالبت الحكومة العراقية بدفع المبلغ السنوى — وهـــو ٢٠٠ الف جنيه ذهب كما ذكرنا — عن عام ١٩٤٣م ، ولكن الشركة تذرعت بظروف قاهرة لاثبـــات عجزها عن الاستمرار فى الـــدفع ، ممـــا جعـــل الحكومة العراقية تستنكر موقف الشركة وتعتبره غير شرعى .

ورغم ان شركة بترول العراق صاحبة الامتياز للبحث واســـتغلال البترول فى كل العراق ادارتها انجليزية وللشركات الامريكية ٢٣٫٧٥٪ من أسهمها فقط ، فان حكومة الولايات المتحدة تدخلت عند حدوث ازمـــة بترول البصرة المشار اليها بين الشركة والحكومة العراقية ، وبعث وزير الخارجية الامريكى هل Hull الى الوزير المفوض الامريكى فى بغداد فى ١٢فبراير ١٩٤٣ برقيـــة طلب نقلها الى نورى السعيد رئيس الحكومة العراقيـــة ؛ مؤكدا على ان الموقف الامريكى المساند للشركة نابع من ان بعض المساهمين فى شركة بترول العراق ليست لديهم الاهتمامات الملحة فى تنمية منطقـــة البصرة واستغلال بترولها بقدر اهتمام الشركات الامريكية .

وجـــاء فى برقية وزير الخارجية الامريكية(١٩) ان الحكومة الامريكية على اقتناع بأن قيـــــام الحكومة العراقية بطلب وقبول مبالغ مالية نظـــير تأجير ارض امتياز البصرة فى الاول من شهر يناير ١٩٤٢م ، ثم طلبها ايجار ارض الامتياز فى الاول من شهر يناير ١٩٤٣م انما هى امور تتعارض مع أى ادعاء بأن الامتياز صار لاغيا ، كما ان مذكرة الحكومة العراقية فى اول يناير ١٩٤٣ م للشركة بطلب دفع مبلغ ٢٠٠ الف جنيه ذهب المحدد دفعه فى او قبل ٣١ مارس ١٩٤٣ م ، دليـــل على سريان الامتيـــاز وعليه تطلب الحكومـــة الامريكية تأكيدا فوريا من الحكومة العراقية بأن الامتياز مازال ســـارى المفعـــول .

واضافت برقية وزير الخارجية الامريكية الى ان حكومـــة الولايات المتحدة قررتتأييد هيئة تنميةالشرقالادنى الامريكية ، التى تمتلكعن طريق شركاتها السبع ٢٣٫٧٥٪ من اسهم شركة بترول العراق ، فى نزاعها مع

---

(١٩) The Secretary of State (Hull) to the Minister Resident in Iraq (Wilson), Washington, February 12, 1943, No. 810 G 6363/387 : Telegram.

الحكومة العراقية . وتعتبر موقف العراق بطلب قبول مبالغ سنوية عن امتياز البصرة ثم اعلان الحكومة العراقية بأن الامتياز صار لاغيا ، أمر غير قانوني وغير عادل ، ومن ناحية اخرى ترى الحكومة الامريكية انه سيكون مفيدا للعراق استغلال امتياز البصرة استغلالا كاملا ، خاصة ان هيئة تنمية الشرق الادنى ابلغت الحكومة الامريكية انها على استعداد للموافقة على دفع اية مبالغ مالية معقولة للحكومة العراقية مقابل استمرار سريان امتياز البصرة او تعدلت بنوده لمصلحة الطرفين .

وختم وزير الخارجية الامريكي برقيته بأنه علم بأن المستر سكليروس Skliros المدير الاداري لشركة بترول العراق قد غادر لندن في طريقه الى بغداد للتفاوض مع الحكومة العراقية ممثلا للشركة بخصوص امتياز البصرة وامتياز الموصل سواء بسواء ومع ذلك طلب وزير الخارجية الامريكي من وزيره المفوض في بغداد ابلاغ نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية بأن الحكومة الامريكية تؤيد تغيير امتياز بترول البصرة ، وان هذا لمصلحة كل من العراق والولايات المتحدة .

ويتضح من برقية وزير الخارجية الامريكي هذه مساندة الحكومة الامريكية لشركاتها العاملة بالعراق مساندة مطلقة ، ويبدو ان الامريكيين قد تشجعوا بعد ان اسهموا بصورة وان كانت غير مباشرة في سقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني الوطنية بالعراق عام ١٩٤١ م . ومن ثم اتخذت هذا الموقف السياسي الايجابي والذي قد يوصف بأنه توجيه اللوم الى الحكومة العراقية .

كما يجب الانتباه الى تأكيد الحكومة الامريكية بأن الشركات البترولية الامريكية تحظى بتأييد الحكومة الامريكية لا لمجرد انها تساهم — اي الشركات الامريكية — في تكوين مؤسسة اجنبية ، هي شركة بترول العراق ، وعليه فان مساهمة هذه الشركات لا تقوم على مجرد حصولها على نصيب من

الارباح المالية التى تحصل عليها شركة بترول العراق ، وانما تقوم هى وغيرها من الشركات المساهمة فى شركة بترول العراق على الحصول على نصيبها من البترول الذى تستخرجه وتعده للتصدير ، وهناك فارق كبير من حصول الشركات الامريكية على نصيبها من البترول المستخرج والذى يتم تصديره وبين مجرد حصولها على نصيبها من الارباح الناتجة من بيع البترول المستخرج ، وهذا ما يفسره الاهتمام السياسى الامريكى بالقضية .

اجاب الوزير المفوض الامريكى فى بغداد على وزير الخارجية الامريكى ببرقية بعث بها بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٤٣(٢٠) وجاء فيها : انه تحادث مع السفير البريطانى بالعراق السير كيناهان كورنواليس Kinahan Cornwallis وعلم منه انه سيكون هناك تحكيم بين الحكومة العراقية وشركة بترول العراق بخصوص امتياز البصرة ، وان المستر سكليروس المدير الادارى للشركة قد غادر لندن فى ١٩ فبراير الحالى مزودا بسلطة تمثيل الشركة فى لجنة التحكيم كما ان الحكومة العراقية قد عينت « عبد الله حافظ » وزير الخارجية ممثلها فى اللجنة بينما لم يتقرر للان من هو الحكم ، وان الشركة لا ترغب اجراء التحكيم ولكن المستر سكليروس سيضطر الى قبول التحكيم اذا فشل فى التوصل الى اتفاق مع الحكومة العراقية .

واضاف الوزير المفوض الامريكى ببغداد المستر ويلسون بأنه بعد أن تحادث مع نورى السعيد شعر بأنه . اى نورى السعيد — متمسك بمصلحة العراق وغير مهتم بمصالح الشركة ، وانه صرح بأن منطقة البصرة مختلفة اقليميا عن كل من بغداد والموصل بالنسبة لشروط الامتياز وانه كان يأمل أن يحتفظ بالبصرة كمجال تستثمره الشركة الوطنية وانه لم يوافق مطلقا على امتياز شركة بترول البصرة — التى هى فرع من شركة بترول العراق — وانه حيث تم اعطاء مثل هذا الامتياز فانه يعارض اية مواجهة لبنوده والتى يشعر بأنها سوف ينتج عنها فقط الضرر للعراق . وانه مدرك لزيارة سكليروس القادمة ولكنه ليس عارفا بمقترحات مراجعة بنود الامتياز .

---

(٢٠) The Minister Resident in Iraq (Wilson) to the secretary of state (Hull); Baghdad, February 24, 1943, No. 840 G. 6363/343, : Telegram.

واضاف ويلسون بأن نوري السعيد ذكر ان استمرار امتياز شركة بترول البصرة سارى المفعول مرتبط باستمرار دفع مبلغ ٢٠٠ الف جنيه ذهب كل عام كايجار لارض الامتياز بالاضافة الى دفع مبالغ اخرى تتمثل في مبالغ يتفق عليها تقدم للحكومة العراقية سنويا تعويضا عن خسارة عدم تنفيذ الامتياز لان عمليات التنقيب قد اعاقتها الحكومة البريطانية حيث لم تورد التجهيزات اللازمة ، ومن ثم يجب على شركة بترول البصرة المطالبة بالتعويض من الحكومة البريطانية ، واضاف نوري السعيد انه مستعد لقبول التحكيم وتساءل لماذا لا تقبل السلطات الامريكية التحكيم . ؟

واختتم الوزير المفوض الامريكي ويلسون عرضه لاراء نوري السعيد قائلا : ان نوري السعيد يوافق على سياسة الباب المفتوح والمشروعات التي تصبح مجالا للمناقشات ولا يرغب في ربط مصادر الثروة في العراق بأية احتكارات في هذا المجال . دون مراجعة بنود الامتياز لتجنيب الجزاءات الناجمة عن التقصير والتأخير .

وهنا تبدو مناورات نوري السعيد لتحقيق مصلحة اكثر للعراق ، وظهرت هذه المناورات في اظهاره عدم موافقته على منح امتياز البصرة من الاصل ، وانه كان يرغب المحافظة على منطقة البصرة لاستثمار الشركة الوطنية ، وان على شركة بترول العراق طلب التعويض من الحكومة البريطانية وانه يقبل التحكيم عندما وجد عدم تحمس الشركة له ورفض الولايات المتحدة له .

وعندما وصلت برقية الوزير المفوض الامريكي في بغداد الى واشنطن بادر القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكية بالرد جاء فيها(٢١) : ان وزارة الخارجية تطلب منك التأكيد ثانية لنوري السعيد بأن التأييد الامريكي للاستثمارات الامريكية البترولية في شركة بترول العراق يستند الى عدم عدالة الاجراء الذي اتخذته الحكومة العراقية بطلب وقبول ايجار كامل لارض امتياز البصرة بينما ترفض العراق في نفس الوقت الاعتراف بأن الامتياز مازال سارى المفعول ، وان حكومة الولايات المتحدة ترى انه اذا ظل

(٢١) The Acting secretary of state (Welles) to the Minister Resident in Iraq (Wilson), Washington, March 11, 1943; No. 890 G. 6363/390 : Telegram.

الامتياز ســـارى المفعول صـــار ايجار الارض مستحقا ، واذا لم يظـــل ســـارى المفعول فليس ثمة ايجار يصبح مستحقا ، وان واشنطن لا تقبل المراوغـــة فى هـــذا الموضوع ويجب ان يدرك نورى السعيد موقف الحكومة الامريكية الحازم .

واضافت برقية القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكى بـــأن وزارة الخارجيـــة واعيـــة بأن الحكومة العراقية سوف تفقد دخـــلا حكوميا متوقعا بتأجيل استغلال امتياز البصرة ، ومن ثم فان المصالح الامريكية الشريكة فى الامتياز مستعدة لمناقشة الموضوع فى اطار من العدالة الكاملة ، وأن هذه المصالح تدرك انه من المحتمل ان تكون الاستثمارات الانجليزية الايرانيـــة فى شركة بترول العـــراق تشعر بالقلق لزيادة الانتـــاج فى منطقة البصرة حينمـــا يصبح مثـــل هذا الانتاج منافسا محتملا كما أن هذه الاستثمارات تفضل قصر الانتـــاج على منطقة كركوك حيث تتمتع شركـــة البتـــرول الانجليزية الايرانية هناك بالسيطرة .

واختتم القائم بأعمال وزير الخارجية الامريكى برقيته بـــأن وزارة الخارجية ســـوف تعتمـــد عليك — اى على المستر ويلسون الوزير المفوض الامريكى فى بغـــداد — كمندوب للاستثمارات والمصالح الامريكية فى العراق لتاكيد الرغبة العملية لدى هـــذه المصالح لاستغلال منطقة البصرة ويجب نقـــل هذه الرغبـــة لنورى السعيد ، واذا اراد الاحتفاظ بالمنطقة لاستغلال الشركة الوطنية ، ومن ثم فانه غير راغب فى استغلالها من جانب شركات اخرى ، فانـــه يجب أن يعلم انـــــه اذا أراد أن يحقق للعراق الـــــدخل الذى يرغبه من منطقة البصرة فان ذلك يتم بتأييد وجهة النظر الامريكيـــة فى هـــذا الخصوص ويمكن تحقيق ذلك ايضا باعتبار منطقة البصرة منافسة لبقية مناطق العـــراق التى لمصالح شركة البترول الانجليزية الايرانيـــة سيطرة فيها ، وطلب القائم بعمل وزير الخارجية الامريكى من الوزير المفوض الامريكى فى العـــراق الاستمرار فى الضغط على الحكومة العراقية للتوصل الى نتيجة مرضية للمصالح الامريكية .

ومن هذا الموقف الامريكى المتشدد اتضحت السياسة الامريكية التى أسفرت عن نفسها فى تشكيل تهديد لحكومة نورى السعيد بأن الحكومة الامريكية مستاءة من التعنت العراقى — من وجهة النظر الامريكية — واقترن التهديد الامريكى بعرض يقوم على اتاحة الفرصة امام الشركات الامريكية لاستغلال منطقة البصرة للفائدة المشتركة العراقية الامريكية .

ويبدو أن هذا الموقف الامريكى المتشدد قد ترك أثرا عند نورى السعيد لانه ذكر — وكما جاء فى برقية الوزير المفوض الامريكى فى بغداد(٢٢) — انه يتفق مع وجهة النظر الامريكية باستغلال منطقة البصرة مع اتاحة فرصة المنافسة فى بترول البصرة مع انتاج المناطق الاخرى التى لشركة البترول الانجليزية الايرانية استثمارا مسيطرا فيها كما أن نورى السعيد وافق على انهاء الخلافات الحالية باتفاق ودى وليست لديه نية فى الغاء الاتفاق اذا بقيت بنوده دون تعديل واعترف بانه ليس ضد التعديل ولكنه يعترف بأن هذا الوقت الذى تشتعل فيه معارك الحرب العالمية الثانية ليس مناسبا لاجراء مثل هذا التعديل .

واضاف الوزير المفوض الامريكى فى بغداد فى برقيته بأن المستر سكليروس عرض على نورى السعيد عدة مقترحات من أهمها دفع مبلغ معين من المال للحكومة العراقية كتعويض عن العجز فى الايرادات من الاستثمارات البترولية فى بقية الارض العراقية والاتفاق على تأجيل دفع الديون لمدة عامين بعد ان توقع دول المحور اتفاق الهدنة .

وفى رسالة اخرى بعث بها الوزير المفوض الامريكى فى بغداد الى حكومته(٢٣) ذكر ان نورى السعيد عارض فى البداية وجهة النظر الامريكية نتيجة عوامل سياسية لم يشأ الافصاح عنها ويبدو أن لانجلترا دور فى هذا ، لان ويلسون — الوزير المفوض الامريكى فى العراق — طلب ارسال مفاوض امريكى مزودا بسلطات كافية لتمثيل شركات البترول الامريكية فى المفاوضات مع الحكومة العراقية ولكى يضع امام رئيس

(٢٢) The Minister Resident in Iraq (Wilson) to the secretary of state, Baghdad, March 15, 1943, No. 840 G. 6363/344 : Telegram.

(٢٣) The Minister Resident in Iraq (Wilson) to the secretary of state (Hull), Baghdad, March 6, 1943, No. 234-890 G. 6363/402.

الوزراء العراقى وجهة النظر الامريكية لانه — اى ويلسون — لا يملك صلاحية التفاوض باسم هذه الشركات .

واضاف ويلسون انه شعر من سكليروس ومن الحكومة العراقية عدم القبول لتدخله وعرضه وجهة النظر الامريكية بخصوص امتياز بترول البصرة . بل ان رئيس الوزراء العراقى نورى السعيد ووزير خارجيته عبد الله حافظ عبرا له — اى لويلسون — عن اسفهما لان الحكومة الامريكية تتدخل فى موضوع لا يخص سوى الحكومة العراقية وشركة بترول العراق وحدهما ، ورغم ان سكليروس لم يفتقد الكياسة فى حديثه الا انه اتخذ وجهة النظر العراقية ، كما ان السفارة الانجليزية فى بغداد بدت وكانها لا تشارك اطلاقا فى المفاوضات الجارية آنذاك ، وقد اشار سكليروس بانه وان كانت الشركات البترولية الامريكية تشعر بالاهتمام نحو نشاط معينة فيجب الا تتحدث كاقلية والا تطلب تاييد الحكومة الامريكية .

وقد راينا ان هذه الاحداث مظهر للصراع حول بترول العراق بين انجلترا والولايات المتحدة ، فرغم أن الاستثمارات البترولية الامريكية فى العراق تتمثل فى شركات خاصة غير حكومية فى مقابل الاستثمارات البترولية الانجليزية الحكومية ، فان الحكومة الامريكية لم تكن على استعداد فى هذه المرحلة للتخلى عن التزامها نحو شركائها باعتبار ان هذه الشركات تحقق المصالح الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة .

ولم تكن انجلترا فى نفس الوقت لتقبل مثل هذا التدخل الامريكى فى الوقت الذى تمثل فيه الشركات البترولية اقلية فى شركة بترول العراق ذات الادارة الانجليزية ومن ثم نجد المستر سكليروس — وهو انجليزى — رئيس شركة بترول العراق يستنكر تدخل الحكومة الامريكية فى شأن من شئون شركة بترول العراق ، وانه بادر بابلاغ ويلسون — الوزير المفوض الامريكى فى بغداد — بأنه أى سكليروس توصل الى اتفاقين مع رئيس الحكومة العراقية سوف يعرضها على مجلس ادارة الشركة فى

لندن لاختيار احدهما ومن ثم يتم التوقيع على الاتفاق الذى يتم اختياره .

وبادر ويلسون بارســـال نص الاتفاقين اللذين تم التوصـــل اليهما بين سكليروس ونورى السعيد الى وزارة الخارجية الامريكية فى ٢٣ مارس ١٩٤٣م(٢٤) وينص الاتفاق الاول والخاص بشركة بترول البصرة فقط على موافقة الحكومة العراقية لتأجيل دفــع الـــديون المستحقة على الشركة لمــدة تبدأ من ٢ مايون ١٩٤١م وتنتهى بعد مرور عامين بعــد التوقيــع على الهدنة مع المــانيا وايطاليــا او اليابان ايهما أبعد مقابل تقــديم قرض مقداره مليون جنيـــه يــدفع فى أول يونيــو ١٩٤٣م وتغطية عائــدات البترول .

ونص الاتفاق الثانى — والذى يغطى كلا من شركة بترول البصرة وشركة بترول الموصل والتى حلت محــل شركة تنمية البترول البريطانيــة British Oil Development Company فقد تضمن شروط الاتفاق الاول فيما عــدا مقدار القرض الذى تتم تغطيته عن طريق عائدات البترول حيث تحدد مبلغ ٥ر١ مليون جنيه ، يدفع مليون جنيه منهــا فى أول يونيو ١٩٤٣م . ونصف المليون الباقيــة تدفع فى أول يناير عقب التوقيع عــلى الهدنة مع المانيا وايطاليا او اليابان أيهما أبعد .

وهكذا اصبح من حــق شركة بترول العراق اختيار احــد الاتفاقين او رفض كليهما . وفى حالة الرفض يتم اللجوء الى التحــكيم وان كان سكليروس يعتقد ان اجراء التحكيم غـــير ممكن قبل انتهاء الحــرب وانه يشعر بالسعادة لتوصله الى هذه النتيجة التى لم يكن من الممكن التوصل الى ما هــو افضل منها وان الاتفاقين لن يعرضا علــى مجلس الوزارة العراقى قبل اختيار شركة بترول العراق لاحدهما .

كان هــذا اذن ما توصلت اليه شركة بترول العراق مــع الحكومة العراقية بدون تدخل من الحكومة الامريكية . وهذا يعنى ان سكليروس

---

(٢٤) The Minister Resident in Iraq (Wilson) to the secretary of state (Hull), Baghdad, March 23, 1943. No. 890 G. 6363/396 : Telegram.

حرص على أن يبعد اليد الامريكية عن مناقشة مثل هذه الامور في حضوره . واعلن ان ما توصل اليه هو افضل ما سمحت به الظروف الحاضرة . وعندما اختارت شركة بترول العراق الاتفاق الثانى قام وزير الخارجية العراقى بابلاغ هذا الخبر للمستر ويلسون فى ٣١ مارس ١٩٤٣م الذى بادر بارساله فى ٢ ابريل الى حكومته فى واشنطن (٢٥) ، واضاف أن الاتفاق مقدم للبرلمان العراقى للتصديق عليه حتى يصبح نافذ المفعول قبل ٢٠ مايو ١٩٤٣م ، كما صار الاتفاق الاول لاغيا وعندما اجاز البرلمان العراقى الاتفاق ابرق ويلسون لوزير الخارجية الامريكية بذلك فى ٧ مايو وذكر ان مرسوما ملكيا صدر أول مايو ١٩٤٣ م للتصديق على ذلك الاتفاق الذى يشمل نشاط الشركة فيما صار معروفا بشركة بترول البصرة وشركة بترول الموصل معا .

وبهذا ينتهى هذا الفصل من الموقف الامريكى الرسمى من شركة بترول البصرة الى نتيجة مؤداها ابعاد اليد الامريكية الرسمية عن التدخل فى قضية هى من صميم اختصاص شركة بترول العراق ومن ثم فقدت الولايات المتحدة هذه الجولة بفشلها فى فرض نفوذها الرسمى فى العراق (٢٦) .

---

(٢٥) Baghdad, April 2, No. 890 G. 6363/400 : Telegram.

(٢٦) Baghdad, May 7, 1943, No. 890 G. 6363/408 : Telegram.

المصــــادر

اولا : الوثائق :

1. Foreign Relations of the U.S. Diplomatic papers, 1940, vol. 3 : The British Commonwealth, the Soviet Union, the Near East and Africa - U.S. Government printing office, Washington, 1958.

2. Foreign Relations of the U.S. Diplomatic papers, 1943, vol. 4 : The Near East and Africa, U.S. Government printing office : Washington 1964.

٣ ــ دليل الخليج ــ القسم التاريخى الجزء السادس جمع لوريمر ترجمة وطبع الديوان الاميرى بدولة قطر .

ثانيا : المؤلفات الاجنبية :

1. De Nova, John A. : American Interests and Policies in the Middle East (1900-1939), the University of Minnesota press, 1968.

2. Hamilton, Charles, W. : Americans and oil in the Middle East, New York, 1964.

3. Polk W.R. : The U.S. and the Arab World, Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, 1965.

ثالثا : المؤلفات العربية :

١ ــ د . صلاح العقــاد : المشرق العربى المعاصر ، طبعــة أولى القــاهرة ١٩٧٤م .

٢ ــ د. عبد الملك التميمى : الاستعمار الثقافى الغربى فى منطقة الخليج العربى بحث مقدم للنــدوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة مارس ١٩٧٩ م .

٣ ــ د. محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية . القاهرة ١٩٧٤م .

٤ ــ محمد جواد العبوسى :البترول فى البــلاد العربية ــ معهــد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٦م .

الفصل الثاني عشر

المصالح الامريكية فى الخليج العربى

- نظرة عامة .
- التجارة الامريكية .
- الامريكان وبترول العراق .
- الامريكان وبترول السعودية .
- الامريكان وبترول البحرين .
- الامريكان وبترول الكويت .
- الامريكان وبترول قطر وساحل عمان .
- تطور الاستراتيجية الامريكية فى الخليج العربى .



أولا : نظرة عامة

— تطور الاستراتيجية الامريكية فى الخليج العربى .

لم يكن الاهتمام الامريكى بمنطقة الخليج العربى — والذى حدث متأخرا عن غيره من الاهتمامات الاوروبية — بالأمر المنفرد عن اهتمامها ببقية اقطار منطقة الشرق الاوسط ، بمعنى أن السياسة الامريكية تجاه أقطار الخليج العربى تسير فى اطار السياسة الامريكية تجاه بقية أقطار الشرق الأوسط ، وان بدأ خلاف ما فيرجع فقط الى الاختلاف بين اقطار المنطقة من حيث الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة .

ومن هنا فان النظر الى تطور الاهتمام الامريكى بأقطار الخليج العربى يجب أن يبرز الارتباط الطبيعى والسياسى بين تلك الأقطار من ناحية وبقية أقطار الشرق الأوسط من ناحية أخرى ، وتوضيح مراحل السياسة الامريكية نحو منطقة الشرق الأوسط ككل منذ بدأ هذا الاهتمام .

ومن هذا المنطلق فان هذا الموضوع يجب أن يعالج بطريقة شاملة نواحى الاهتمام الأمريكى بأقطار الخليج العربى فى المجالات الآتية :—

أولا : البعثات التبشيرية الامريكية ، وما ارتبط بها من خدمات فى ميادين التعليم والطب والدين وغيرها .

ثانيا : النشاط الاقتصادى الامريكى وركائزه .

ثالثا : الاستراتيجية الامريكية نحو اقطار الخليج العربى وغير العربية فى مواجهة الخطر الشيوعى ، وحماية المصالح الامريكية .

كانت الولايات المتحدة منذ فجر استقلالها الذى أعلن فى الرابع من شهر يوليو عام ١٧٧٦ م ،واعترفت به انجلترا — الدولة المستعمرة للولايات الامريكية فى الثالث من شهر ديسمبر عام ١٧٨٣ م ، راغبة

فى ابرام معاهـدات ودية وتجارية مع دول أوروبا ، وفى فتـح أبواب التجارة الموصدة فى وجهها ، وازالة جميـع العقبات والقيود المعرقلة لنشر تجارتها ، فصدر قرار الكونجرس الامريكى فى الثالث والعشرين من شهر مايو عام ١٧٨٣ م بناء على توصية جون آدمز John Adams مبعوث السلم الامريكى ، الذى كان يقضى بعقد معاهدات تجارية مع دول أوروبا البحرية وشمال أفريقيا (١) .

وصحيح ان مثل هذه المعاهدات لم تمتد الى اقطار الخليج العربى ، وصحيح أيضا أن الولايات المتحدة الامريكية كانت مضطرة آنذاك الى اداء جزية سنوية اما نقدا أو على صورة معدات بحرية الى البلاد الواقعة فى شمال أفريقيا (٢) ، تجنبا لاعتراض سفن تلك البلاد للتجارة الامريكية المارة فى البحر المتوسط ، فان هذا الاتجاه الامريكى يعتبر بداية للنشاط الامريكى بعد استقلال الولايات المتحدة الامريكية مع دول العالم ومنها اقطار عربية هى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ، ثم يمتد هذا النشاط نحو بقية اقطار العالم العربى فى المشرق حتى يصل الى أقطار الخليج العربى الحد الشرقى للوطن العربى .

وقد جاء نشاط الولايات المتحدة الامـريكية التجارى فى الاقطـار العربية فى الوقت الذى كانت فيه هذه الاقطار خاضعة للـدولة العثمانية ، وان كانت السيادة العثمانية على كثير من هذه الاقطار العربية اسمية ، حيث بدت السـلطة العثمانية ضعيفة أمام العصبيات المحلية كمـا كان الحال فى مصر حيث طغت سلطة المماليك على السلطة العثمانية الممثلة فى الباشا والأوجاقات العثمانية ، أو عاشت بعض الاقطار العربية فى ظل حركات استقلال ذاتى عن الدولة العثمانية كالعـراق الذى عاش تحت سيطرة دولة المماليك الكرجية من عام ١٧٠٤ م الى عام ١٨٣١ م ، وليبيا التى عاشت تحت حكم الاسرة القرمانلية فى المدة من عام ١٧١١ م الى عام ١٨٣٥ م (٣) .

---

(١) د. محمود حلمى مصطفى : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الباشوية المصرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة من جامعة القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) **Samuel Flagg Bemis : Diplomatic History of the United States, p. 176.**

(٣) يمكن الرجوع الى مزيد من التفاصيل عن الحركات الاستقلاليـة فى الوطن العربى تحت الحكم العثمانى فى كتاب المؤلف دكتـور رأفت غنيمى الشيخ بعنوان : فى تاريخ العرب الحديث الباب الثانى الفصول : الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع من ص٤١الى١٨٢

ويجب أن نوضح من البداية أن الاهتمام الامريكى بالاقطار العربية جاء متأخرا عن اهتمامات الدول الاوروبية الاخرى مثل البرتغال والاسبان والهولنديين والانجليز والفرنسيين ، ومرجع ذلك تأخر الولايات المتحدة الامريكية فى حصولها على استقلالها من انجلترا الى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، ولأنها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بسياسة مؤسسها الاول جورج واشنطن George Washington الداعية الى العزلة Non entanglement وهى السياسة التى سارت عليها الولايات المتحدة لمدة تزيد على قرن من الزمان (٤) .

ونتيجة لذلك جاء الاهتمام الامريكى بالمنطقة على استحياء ، ويتمشى مع امكانيات الدولة الجديدة ، ومع رغبتها فى التفرغ للبناء الداخلى دون تدخل من الغير ودون أن تنغمس فى مشكلات الغير ، كما اشار الى ذلك الرئيس منرو Monroe فى تصريحه الشهير عام ١٨٢٣ م ، ومن ثم كان الاهتمام الامريكى بالمنطقة متواضعا فى الوقت الذى مارس فيه البرتغاليون منذ القرن السادس عشر ، ثم الهولنديون فالانجليز والفرنسيون سياسة استعمارية نشطة فى منطقة الخليج العربى وغيرها من مناطق العالم .

وانطلاقا من خضوع أقطار الوطن العربى جملة للسيادة العثمانية كانت اتصالات الولايات المتحدة الامريكية مع تلك الاقطار تتم عن طريق الآستانة — عاصمة الدولة العثمانية — حتى عام ١٩١٨ م ، وعن طريق لندن وباريس بعد عام ١٩١٩ م حتى استقلال الاقطار العربية ، فى الوقت الذى كانت فيه كل من طهران — عاصمة ايران — والرياض — عاصمة الدولة السعودية العربية — عواصم لها استقلالها (٥) وتتم معها الاتصالات الامريكية بصورة مباشرة .

---

(٤) يمكن الرجوع الى الكتب الآتية لمزيد من التفاصيل عن سياسة العزلة الامريكية .

(أ) د. سمعان بطرس فرج الله : العلاقات السياسية الدولية فى القرن العشرين جـ١ .

(ب) بيير رنوفان تعريب د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٤ — ١٩١٤م .

(جـ) W.R. Brock : The character of American History

(د) د. السيد رجب حراز : مبدأ منرو وازمة التضامن الامريكى . مجلة السياسة الدولية العدد السادس اكتوبر ١٩٦٦ .

(٥) The American Assembly Columbia University : The United States and the Middle East.

ومن الطبيعى أن تكون أقطار العالم العربى مجهولة للامريكيين فيما عدا ما قراوه عنها فى الكتب مثل « الف ليلة وليلة » وتاريخ فراعنة وادى النيل ، كما أن سكان منطقة الشرق الأوسط كانوا يجهلون كل شىء عن الامريكيين ، ولذلك جاء الاهتمام الامريكى لاقامة جسر من التعارف المتبادل بين الطرفين .

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن علاقات الولايات المتحدة بدول الشرق الأوسط بدأت مع ايران وتركيا قبل أن تبدأ مع الأقطار العربية ، ومما يذكر فى هذا المجال أن أول وزير — دبلوماسى — أمريكى يصل الى طهران لتمثيل الولايات المتحدة الامريكية فى بلاط الشاه فى المدة من ١٨٨٣ — ١٨٨٥م ، وجد كثيرا من المسئولين الايرانيين لم يسمعوا من قبل عن الولايات المتحدة الامريكية مثل انشاء المفوضية الامريكية فى ايران ، بل ان الشاه نفسه سأل عن كيفية السفر الى أمريكا(٦) .

ورغم أن الولايات المتحدة الامريكية قد عقدت اتفاقية تجارية عام ١٨٣٣م مع السلطان سعيد سلطان مسقط وعمان وزنجبار بشرق أفريقيا ، على غرار المعاهدات التى عقدها السلطان مع الدول الاوروبية المتنافسة والمتسابقة للاستعمار ، فان هذا الاهتمام الامريكى المبكر لم يتخذ لا فى الخليج العربى ولا فى شرق افريقيا خطوات عملية أخرى(٧) — كالتى اتخذتها الدول الأوروبية — أكثر من النشاط التجارى المحدود ، باعتبار هذه الجهات بعيدة جدا عن واشنطن(٨) ، مما يؤثر على فعالية هذا النشاط واستمراره وتطوره .

ولعل النشاط التبشيرى الامريكى كان أول تواجد أمريكى فى منطقة الخليج العربية ، وتمثل هذا النشاط التبشيرى فى الارسالية الامريكية التى أقامت لها مراكز فى كل من امارة البحرين — حيث كان بها المركز الرئيسى — والبصرة بالعراق ، ومسقط فى سلطنة عمان ، وقد توالى انشاء هذه المراكز التبشيرية منذ عام ١٨٨٩ م .

وكانت الارسالية الامريكية بفروعها فى انحاء الخليج العربى تتبع مذهب الاصلاح الدينى الهولندى المعروف باسم **Dutch Reformed church** ومن الطبيعى أن يكون نشاط الارسالية ورجالها موجها الى الجماعات المسيحية فى منطقة الخليج العربى ، ومن المعلوم أن الجماعات

---

(٦) **John A. De Nova : American interests and policies in the Middle East 1900-1939.**

(٧) د. رأفت الشيخ : افريقيا فى العلاقات الدولية ص١٦٣ .

(٨) **R. Coupland : Exploitation of East Africa, p. 336.**

المسيحية المتناثرة فى انحاء الاقطار العربية كانت دائمـا وابدا سـندا للارساليات التبشيرية ودعاتها .

وكان للارسالية الامريكية بالخليج العربى أدوات ووسائل لجأت اليها للتأثير على اهل المنطقة من العرب ، من تلك الأدوات والوسائل محاولات التنصير ، وبيع الكتاب المقدس ــ الأنجيل ــ وغيره من المطبوعات المسيحية باللغة العربية واللغة الفارسية .

وكان تقديم الخدمات الصحية للمواطنين العرب من اهل الخليج من الوسائل التى لجأ اليها مبشرو ومبشرات الارسالية الامريكية ، وعلى هذا الاساس انشئت مستشفى فى المنامة بالبحرين تابعة للارسالية وعيـادة خارجية تضمان ٢١ سريرا وذلك عام ١٩٠٣م باسم مستشفى ماسـون التذكارى(٩) . كما قدمت المبشرات خدمات طبية للنساء المسلمات فى البصرة والبحرين والاحساء ، ومما يعيب هذه الخدمات الصحية أن التشخيص الطبى وصرف الدواء لا يتم الا لمن يحضر صلاة الصباح بالارسالية(١٠) ، أى لمن يقوم بطقوس الارسالية الكنسية حتى ولو كان عربيا مسلما مادام يسعى للحصول على الرعاية الطبية .

وكان انشاء المدارس بجوار مراكز التبشير من وسائل الارسالية فى التأثير فى المواطنين العرب من اهل الخليج، ومن اجل ذلك تعلم المبشرون اللغة العربية ليسهل عليهم التفاهم مع عرب الخليج والتأثير فيهم ، وقد أنشئت مدارس تابعة للارسالية فى كل من المنامة ، والبصرة . وكانت هناك مدارس للبنين واخـرى للبنات .

ورغم أن الأسلوب الغربى المتقدم فى الطب والتعليم قد وصـل الى اجزاء كثيرة من منطقة الشرق الاوسط عن طريق الارساليات التبشيرية المسيحية . فانه بقى لهذا الأسلوب تأثير قـوى ومستمر(١١) ، ولكن أفراد الارسالية الامريكية فى الخليج العربى تجاوزوا فى كثير من الاحيان المهمة الظاهرية التى أعلنوا عن تواجـدهم من اجلها ، الى تهجم على الاسـلام والمسلمين ومحاولة تنصير المسلمين المتصلين بهم والمستفيدين من وجودهم،

---

(٩) Charles W. Hamilton : Americans and oil in the Middle East, p. 12.

(١٠) لوريمر : دليل الخليج جـ٦ ص ٣٤٤١ .

(١١) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova : p. 12.

وكان أعضاء الارسالية يبالغون فى تشويه صورة الاسلام امام المسئولين الامريكيين من اجل الحصول على مزيد من الأموال(١٢) .

وانطلاقا من هذه الحقائق وترتيبا عليها يصدق القول بأن البعثات التبشيرية ماهى الا غــرق استطلاع للسيطرة والاستعمار والاســـتغلال الاقتصادى . ومعنى هــذا أن الارسالية الامريكية التبشيرية بالخليج كانت فى خدمة المصالح الاقتصادية الامريكية ، بل وتمهيدا للتواجد السياسى بل الاستراتيجى فى المنطقة بعد ذلك .

ورغم أن حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تتخــذ مواقف ايجابية فى تأييد نشاط المبشرين الامريكيين ، نظرا لسياسة العزلة التى اتخــذتها حكومة واشنطن ، الا أن هـــذه الحكومة ما كانت تبخل بالتأييد السياسى لدى حكومة الامبراطورية العثمانية أو الحكومة البريطانية من اجل رعاية المواطنين الامريكيين المقيمين بالخليج العربى سواء العاملين فى الارسالية الامريكية التبشرية بنشاطها المتنوع او المنقبين عن الآثار خاصة فى العراق، أو التجار الذين يبيعون المنتجات الامريكية لعرب الخليج ويشترون منهــم منتجاتهم كالتمور ، وبعد ذلك شركات البترول الامريكية .

---

(١٢) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova : p. 32.

ثانيا : التجارة الامريكية

عندما قدمت الولايات المتحدة الامريكية الى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة واقطار الخليج العربى بصفة خاصة فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى لم تكن لها اهداف سياسية محددة ، وبقيت على المستوى الرسمى تتخذ من شعوب وحكومات المنطقة موقفا وديا ولكنه لم يكن معقدا(١) .

ولذلك تركت الحكومة الامريكية نشاط رعاياها التجارى وغير التجارى يمارس دوره فى المنطقة دون تدخل رسمى فى بادىء الأمر ، نظرا لأن السياسة الامريكية كانت تحكمها مبادىء العزلة التى عرفت باسم أمريكا للامريكيين ودعت الى عدم تدخل الغير فى الامريكتين ، وعدم انغماس الامريكيين فى مشكلات اوروبا وغيرها من قارات العالم .

ونتيجة لذلك فقد حظى الشرق الاوسط — والاقطار العربية فيه قلبه أو لحمه وسداه كما يقول المثل العربى — باهتمام أمريكى قليل تجاريا وسياسيا أثناء القرن التاسع عشر والسنوات الاولى من القرن العشرين . وهذا على العكس من امريكا اللاتينية واوروبا والشرق الاقصى التى كان الاهتمام الامريكى بها اكبر بكثير من منطقة الشرق الأوسط . وتجلى هذا الاهتمام الامريكى القليل بالشرق الاوسط فى بقاء الرعايا الامريكيين العاملين فى منطقة الشرق الأوسط تحت رعاية القناصل البريطانيين(٢) قبل أن يظهر القناصل الامريكيين فيما بعد بالمنطقة .

لقد تمثلت المصالح الامريكية فى الخليج أول ما تمثلت فى التجارة ، وكانت سلطنة مسقط وعمان أول قطر خليجى ينال اهتمام الامريكيين وتتحقق فيه المصالح الاقتصادية الامريكية ، وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر ، لوقوع هذا القطر فى طريق الهند والشرق الاقصى ، كما أن هذا القطر مركز للعلاقات مع العالم العربى والعالم الفارسى بل والعالم الافريقى .

وتمشيا مع هذا الاهتمام الامريكى بسلطنة عمان نسمع عن وصول المستر روبرتس Roberts الوزير المفوض الامريكى فوق العادة على ظهر السفينة الحربية الامريكية « بيكوك » الى مسقط عام ١٨٣٣م ، ويوقع مع السيد سعيد سلطان عمان معاهدة رحب بها السلطان سعيد باعتبارها

(١) John A. De Nova : American interests and Policies in the Middle East 1900-1939, p. 151.

(٢) Willim R. Polk : The United States and the Arab World, p. 261.

اعتراف من الولايات المتحدة بسلطنته ، ومن ثم قبل اعطاء الامريكيين — كما نصت المعاهدة — امتيازات تجارية فى دولته بالخليج — فى عمان — وشرق افريقيا(٣) — زنجبار — .

ورغم توقيع هذه المعاهدة فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الامريكية فانه لم يتم تعيين قنصل امريكى فى مسقط حتى عام ١٨٨٠م ، وكان يدعى المستر ماجبور Magboor وهو تاجر بريطانى الجنسية ، وتلى ذلك ان بدأت السفن التجارية الامريكية تفد الى مسقط وغيرها من اقطار الخليج منذ عام ١٨٨٦ م (٤) .

ورغم ذلك فان الولايات المتحدة ظلت منذ بداية علاقاتها التجارية مع مسقط بلا مصالح اقتصادية ثابتة وقوية ومتطورة فى اقطار الخليج العربى ، الى ان ظهر البترول فى تلك الاقطار . وقبل ظهور البترول كانت حكومة الولايات المتحدة الامريكية كل ما تأمله هو ضمان استمرار فتح الاسواق أمام الرعايا الامريكيين ، وانتقالهم واقامتهم بأمان فى منطقة الخليج العربى(٥) .

وكانت اسواق الخليج العربى تستقبل المصنوعات الامريكية التى لم تكن لتستطيع منافسة المصنوعات البريطانية سواء فى الوفرة أو رخص الأسعار أو حتى فى التأييد السياسى والنفوذ البريطانى فى المنطقة ، وكان التمر أهم منتجات الخليج التى كانت تستوردها الولايات المتحدة الامريكية من اقطار الخليج العربى ، وقد ظلت الولايات المتحدة الامريكية تستورد التمر الخليجى بكميات كبيرة خلال سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وبصفة خاصة من سلطنة عمان حيث كانت السفن الامريكية تحمله من ميناء مسقط ، وقد قدر عدد نخيل عمان آنذاك بأربعة ملايين نخلة مثمرة(٦) ، كما كانت تمور العراق تصدر أيضا الى الولايات المتحدة الامريكية عن طريق ميناء البصرة(٧) .

ونظرا لتوفر الانتاج الامريكى المتنوع ولتوفر رءوس الاموال الامريكية عن طريق مراكز لها فى كل من مصر والشام والعراق واليونان ،

---

(٣) لوريمر : دليل الخليج ج٢ ص ٧٢٨ .
(٤) لوريمر : دليل الخليج ج١ ص ٤٦٨ .
(٥) نفس المرجع لنفس المؤلف William R. Polk : p. 289.
(٦) نفس المرجع لنفس المؤلف John A. De Nova : p. 40.
(٧) نفس المرجع لنفس المؤلف . William R. Polk : p. 347.

حرص الامريكيون على تاسيس ما عرف بالغرفة التجارية باستانبول American Chamber of Commerce في عـام ١٩١١م لتشجيع التجارة الامريكية مع دول منطقة الشرق الاوسط ، وقـد اشرفت هذه الغرفة على التجـارة الامريكية عن طريق مراكز لها في كل من مصر والشـام والعراق واليونان ومن الطبيعي ان يمارس مركز الغرفـة في العراق الاشراف على التجارة الامريكية في الخليج العربي .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد وقعت منذ عـام ١٨٣٠م مـع الامبراطورية العثمانية معاهدة الدولة الاولى بالرعاية Most-favored Nation-Treaty خولت للولايات المتحدة حقوق التمتع بالامتيازات في مجالات رعاية المواطنين الامريكيين من مبشرين ومعلمين واطبـاء وتجار وغـيرهم المقيمين في انحاء مختلفة من الولايات العثمانية ، ومنها بطبيعة الحـال الاقطار العربية ، ونتج عن هذه الامتيازات والمعاهدة أن بدأت حكومـة الولايات المتحـدة الامريكية في تعيين قناصل أمريكيين في بعض الاقطـار العربية .

كان القنصل الامريكي في بغداد في مقدمة القناصل الذين تم تعيينهم في الاقطار العربية نتيجة للمعاهـدة الامريكية العثمانية ، ثم تـلاه افتتـاح سبعة قنصليات اخـرى في المنطقة تحت اشراف القنصـل الامريكي العام في استانبول (٨) ، وكان القنصل الامريكي — البريطاني الجنسية وكمـا ذكرنا — في مسقط يأتي في الترتيب بعد القنصل الامريكي في بغداد ، وكلا الرجلين توليا التجارة الامريكية في الخليج ، هذا الى جانب جهود القنصل الامريكي الذي تواجد في القنصلية الامريكية بميناء عدن باليمن .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه رغم افتتاح حكومة الولايات المتحـدة الامريكية لهذه القنصليات في اقطار الخليج العربي — وفي غيره من الاقطار العربية — الا ان السياسة الامريكية حددت منذ البداية هذه القنصليات التي تمثلت في رعاية مصالح المواطنين الامريكيين المقيمين في الاقطار العربية ، سواء كانوا افرادا او جماعات(٩) ، وامتنع عن هذه القنصليات ممارسـة اية مهـام سياسية ، حيث حرصت حكومة الولايات المتحدة الامريكيـة على عدم الاصطدام بالنفوذ البريطاني السائد في المنطقة .

---

(٨) لم تكن آنذاك قد انشئت بعد سفارة للولايات المتحدة الامريكية في استانبول ، واقتصر الامر على القنصلية العامة ، وهذا يوضح لنا أيضا تمسك الامريكيين الرسميين بسياسة العزلة وعدم التخلي عنها بسهولة .

(٩) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova : p. 19.

استخدامه بمعدل ضخم فى تسيير السفن وادارة المصانع وغير ذلك من الآلات .

كان الامريكيون اذن أول من استخدم البترول واكتشفه فى الارض الامريكية ، فلا عجب ان يعرفوا قيمته الاقتصادية وتأثيره فى حياة الناس خاصة بعد أن اصبح عصب القوى المنتجة كالمصانع وادوات الركوب والنقل فى البر والبحر ، ثم بعد ذلك فى الجو ، ومن هنا ، ومن هذا الادراك لاهمية البترول لم يتوان الراسماليون الامريكيون — عندما راوا تدفق آبار البترول فى منطقة الشرق الأوسط وعلى ضفاف الخليج — لم يتوانوا عن القاء دلائهم فى بحار البترول بالمنطقة ليغترفوا منها كما يغترف غيرهم .

وكانت الارض الايرانية أول ارض فى منطقة الشرق الأوسط كله يستخرج منها البترول بجهود بريطانية منذ عام ١٩٠٠م ، وما ان حلت عام ١٩١٢ م حتى صارت كمية بترول ايران تجارية تمر فى انابيب الآبار الى ميناء عبادان على خليج شط العرب ، وتبع ذلك ان اخذ الاهتمام باستخراج البترول من العراق يأخذ مكانته منذ عام ١٩٠٤م .

واذا كان البريطانيون سباقين الى استغلال الفرص المتاحة للكسب ، فان ذلك كان دافعا للامريكيين لكى ينالوا نصيبا من الكسب هم أيضا ، ولذلك نسمع عن وصول رجل امريكى يدعى المستر « كولبى تشستر Colby Chester » الى الآستانة عام ١٩٠٩م ، وعرض على الحكومة العثمانية عدة مشروعات امريكية للبحث عن البترول فى بعض الممتلكات العثمانية ومنها العراق ، ولكن المسئولين العثمانيين لم يتحمسوا لمشروعاته، ثم عاد الى الآستانة مرة اخرى بعد ذلك بعامين — ١٩١١م — ولكنه لم يصل مع المسئولين فى الآستانة الى نتيجة حاسمة(١٢) :-

(١٢) نفس المرجع لنفس المؤلف . William R. Polk : p. 303.

ومن هذا المنطلق نستطيع ان نرجع انشاء تلك القنصليات الامريكية فى اقطار الخليج العربى الى وجود الارسالية الامريكية للتبشير وتقديم خدمات صحية وتعليمية للمتصلين بها والوافدين عليها . واذا كان أول من شغل أول قنصلية امريكية بمسقط عام ١٨٨٠م بريطانى الجنسية ، فانه بمقتضى قرار الحكومة الامريكية الصادر فى ٣٠ يناير ١٨٨٢م تم تعيين قناصل ونواب قناصل امريكيين فى القنصليات الامريكية ببغداد منذ عام ١٨٨٩م وفى البصرة منذ عام ١٩٠٠م(١٠) .

كانت المصالح الامريكية فى اقطار الخليج العربى اذن قبل ظهور البترول متواضعا كما رأينا ، ومن ثم اقتصر عمل القنصليات الامريكية على تأمين أرواح وممتلكات المواطنين الامريكيين المشتغلين فى الارسالية الامريكية التبشيرية او المنقبين عن الآثار أو المتاجرين مع أهل المنطقة ، ولكن بظهور البترول فى المنطقة بدأت المصالح الرأسمالية الامريكية تتواجد بصورة واسعة مما اضطر حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى ان تتخذ سياسة اكثر ايجابية او ان شئت فقل اقل سلبية ، وذلك تحت ضغط أصحاب المصالح الرأسمالية من المواطنين الامريكيين الذين يزاولون نشاطهم الاقتصادى فى المنطقة العربية ذات الموارد البترولية .

ومما هو جدير بالملاحظة انه ليس من قبيل المصادفة أن يهتم الامريكيون ببترول منطقة الخليج العربى ، ذلك انهم كانوا أول من اكتشف البترول فى أراضى الولايات المتحدة نفسها منذ عام ١٨٥٨م وفى ولاية «بنسلفانيا» وبالذات فى بلدة « تيتوس » ، وعلى يد مهندس فى الجيش الامريكى يدعى « ادوين دريك » الذى اخترع آلة بخارية استطاع بها استخلاص البترول من الصخور .

وبعد حوالى خمسة أعوام من هذا الاكتشاف — أى فى عام ١٨٦٣م — بدأ تاجر صغير يدعى « جون روكفلر » نشاطه فى جعل البترول سلعة تجارية لها تجارها ولها أسواقها ، ومن ثم تكونت جمعية لتجار البترول فى الولايات المتحدة الامريكية مقرعا مدينة « كليفلاند » . وفى عام ١٨٦٨ — أى بعد تشكيل هذه الجمعية بخمس سنوات — تكونت شركة ستاندارد أويل Standard Oil وهى نفس الشركة الكبرى التى تحمل هذا الاسم للآن (١١) . ومنذ استخراج البترول الامريكى وجعله سلعة تجارية ظل يستخدم فى الاضاءة فقط حتى أمكن بين عامى ١٩٠٥م و ١٩٢٠م

---

(١٠) لوريمر : دليل الخليج ج٧ ص ٣٩٥١ — ٥٩٦١ .

(١١) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص ١٠٢ .

ثالثا : الامريكان وبترول العراق

كان دخول الولايات المتحدة الامريكية مجال المنافســـة على البحث واستغلال بترول الخليج العربى اقتصاديا بحتا وذلك علـــى عكس موقف انجلترا الذى كان تنافسها بل وتسابقها اقتصاديا وسياسيا فى آن واحد ، وذلك راجع كما هو معلوم الى ان انجلترا دخلت فى منافسات استعمارية — سياسية وعسكرية — ضد كل من البرتغال فالهولنديين ثم الفرنسيين من اجل الاستئثار بالنفوذ السياسى فى منطقة الخليج طريق الوصول الى الهند درة التاج البريطانى والشرق الاقصى منبع تجارة التوابل ، وبينما خرجت انجلترا ظافرة من هذا التنافس وصار لها النفوذ الأعلى والأوحد فى منطقة الخليج العربية فى المجال السياسى والتجارى . كان من المنطقى أن تدافع عن مصالحها الاقتصادية عند ظهور البترول امام اى وافد جديد حتى ولو كانت الولايات المتحدة الامريكية .

ونتيجة لسياسة العزلة الامريكية لم تشأ حكومة الولايات المتحـــدة الامريكية أن تزج بنفسها فى صراع سياسى مع انجلترا من اجل نفط الخليج العربى ، ولذلك رأينا الاستثمارات الراسمالية الامريكية فى مجال البترول وغيره من المجالات الاقتصادية قـــد ارتكزت على القطاع الخـــاص ، ولم تساهم فيها الحكومة الامريكية التى اقتصرت مواقفها على مجرد الاطمئنان على سلامة رعاياها وحرية انتقالهم وتمتعهم بحقهم فى ممارسة نشاطهم الاقتصادى فى الأقطار التى يتواجدون فيها .

هذا بينما دخلت الحكومة البريطانية — بصفتها الرسمية — كمساهم فى شركة النفط الانجليزية الايرانية التى امتد نشاطها الى بعض الاقطـــار العربية فى الخليج ، كما اسهمت فى تأسيس شركة نفط العراق ، وصارت الشركتان — الانجليزية الايرانية ، ونفط العراق — تهتمان بالحصـــول على امتيازات التنقيب عن البترول فى الشاطىء العربى للخليج (١) ، ومن خلف هذا الاهتمام التأييد البريطانى الرسمى من لندن ، والنفوذ البريطانى

---

(١) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العـــربى ص ٣٢٠ .

ويمكن الاستزادة فى هذا الموضوع فى المصادر الآتية :

Charles W. Hamilton : Americans and oil in the Middle East.

- د . جمال زكريا : الخليج العربى من ١٩١٤ — ١٩٤٥ م .
- د . جمال زكريا : الخليج العربى من ١٩٤٥ — ١٩٧١ م .

فى الخليج المتمثل فى حكومة الهند البريطانية وفى المقيم العام البريطانى فى الخليج العربى .

ولعل موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية السلبى وامتناعهــا عن المشاركة الرسمية فى استثمار أموالها فى البحث واســتغلال بترول الخليج العربى يفسره سياسة العزلة التى اشرنا اليها من ناحية ، وعدم حاجة الولايات المتحــدة الامريكية لاستهلاك بترول الخليج مــن ناحية اخرى ، لأنها كانت منذ الحرب العالمية الأولى مــن اكبر الدول المصدرة للبترول فى العالم .

وهذا لا ينفى وجــود رغبة أمريكية فى ان يكون لها مســاهمة فى البحث واســتغلال بترول الخليج ، وتستند هــذه الرغبة فى حــرص الأمريكيين على اتاحة الفرص أمام رؤوس الاموال الامريكية المكدسة فى الولايات المتحــدة لكى يتم استثمارها فى مشروعات بترولية هى أقدر عليه من غيرها بحكم خبرتها السابقة — والتى سبقت بها غيرها من دول العالم فى مجال استخراج واستخدام البترول — فى هذا المجال ، وما تحتاجه عمليات التنقيب من اموال طائلة قبل ظهور البترول بكميات تجارية . هذا بالاضافة الى الخوف من نضوب احتياطيات البترول فى الارض الامريكية (٢) .

كل ذلك يفسر لنا الرغبة الامريكية — الرسمية — الدفينة من أجل الاسهام فى مجال الاستثمارات البترولية فى منطقة الخليج العربى ، ومن ثم حرصت حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، رغم سياســة العزلة المتمسكة بها ورغم حرصهــا على عدم الدخول فى صراع مــع النفوذ السياسى البريطانى المستشرى فى الخليج ، حرصت على تأييد نشــاط شركات البترول الامريكية من أجــل الدخول فى تنافس للحصــول على امتيازات بترولية فى منطقة الخليج العربى .

دخلت شركات البترول الامريكية ميدان المنافسة اذن مع شركات انجليزية قوية مــن حيث مساندة الحكومة البريطانية لهــا وان لم تكن

(٢) William R. Polk : The United States and the Arab World, p. 238.

رؤوس اموالها بنفس وفرة شركات البترول الامريكية ، ومن هنا كانت المنافسة مريرة والصراع شديدا ، حتى استطاعت شركات البترول الامريكية أن تثبت وجودها فى بعض أقطار الخليج العربى .

ولعل أول ميدان للمنافسة بين الشركات الامريكية والشركات البريطانية فى مجال البترول كان بترول العراق ، ذلك أنه منذ أن نال المغامر الاسترالى المولد البريطانى الجنسية المدعو « وليام نوكس دارسى » D'Arcy امتيازا فى ايران — فى الجبال الصخرية القريبة من مياه الخليج العربى — للتنقيب عن البترول واستغلاله عام ١٩٠١ م اتجهت أنظاره نحو العراق ، فأعد تقريرا عن احتمالات وجود البترول فى كل من بغداد والموصل ، وعرضه على الحكومة التركية صاحبة السيادة الشرعية والرسمية على العراق — بحكم ان العراق كان ولاية عثمانية كما عرض « دارسى » تقريره على الحكومة البريطانية .

واستنادا الى تقرير « دارسى » ولتطلعات الراسمالية الانجليزية والالمانية (٣) ، تكونت شركة البترول التركية فى عام ١٩١٢ م تمثل كل من حكومات تركيا وانجلترا والمانيا ، ولكن الحكومة البريطانية لم تلبث فى العام التالى — ١٩١٣ م — أن استولت على نصيب تركيا من اسهم الشركة وصار لها ٥٠٪ من الاسهم ، وبقى لكل من المانيا وشركة شل الانجليزية — الهولندية المشتركة بقية الاسهم ، ونتيجة للاتفاقية بين شركة البترول التركية هذه — والتى صار لانجلترا السيطرة الفعلية عليها — والحكومة التركية فقد حصلت الشركة على اذن من رئيس حكومة استانبول للبحث عن البترول فى أرض العراق وخاصة فى أقاليم الموصل وبغداد والبصرة .

وعقب معارك الحرب العالمية الاولى وخروج الاتراك من العراق منهزمين مع حلفائهم الالمان ، انفردت انجلترا بالمنطقة ، كما عملت على الانفراد بالبحث واستغلال البترول فى العراق . ولكن حكومة الولايات المتحدة الامريكية التى شاركت بأكبر نصيب فى صنع النصر للحلفاء على

---

(٣) انتهزت المانيا فرصة تحسن علاقاتها بالدولة التركية ، بل وميل الاتراك الى التعاون مع المانيا بعد ما وضحت المطامع الاستعمارية لانجلترا وفرنسا فى الممتلكات العثمانية العربية منذ احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ م وتونس عام ١٨٨١ م ثم مراكش عام ١٩١٢ م ، واحتلت انجلترا مصر والسودان منذ عام ١٨٨٢ م ،فسارعت الشركات الراسمالية الألمانية لتحصل على نصيبها من فرص الاستثمار فى الممتلكات التركية الباقية تحت السيادة العثمانية ، ولتدخل فى منافسة اقتصادية — مؤيدة =

المانيا وتركيا ساءها أن تحرم شركاتها من استثمار أموالهـــا فى البحث واستغلال البترول فى أرض العراق .

ظهر التحول الرسمى الامريكى الايجابى فى السياسة العالمية أثناء معارك الحرب العالمية الاولى بالدخول الى جانب الحلفاء ، وبعد الحرب شاركت حكومة الولايات المتحدة ايضا فى عملية صنع السلام فى مؤتمر الصلح ، ومن ثم فانها نادت أثناء عملية صنع الســـلام بما عرف باسم سياسة الباب المفتوح Open door policy وتدعو هـــذه السياسة الى ضرورة خضوع مواطنى مختلف الدول لنفس المعاملة وأن يقفوا على قدم المساواة فى البلاد الخاضعة للانتداب ، وانه لا ينبغى منـــح امتيازا من شأنه الاضرار بمصالح الدول الاخرى ، أو أن تحتكر دولة امتيازا بعينه (٤) .

ومعنى هذا أن الولايات المتحدة ترغب فى فتح باب الاستثمار فى أرض العراق خاصة — والاراضى الواقعة تحت الانتداب عامة — لجميع الدول الحليفة المنتصرة فى الحرب والتى شاركت فى صنع النصر ، والا يغلق هذا الباب لمصلحة دولة واحدة دون بقية دول الحلفاء فهى اذن دعـــوة مشروطة بالدول المنتصرة فى الحرب لاستغلال خيرات قطـــر من

= رسميا من الحكومة الألمانية — ضد الشركات الانجليزية والنفوذ الانجليزى الرسمى خاصة فى منطقة الخليج العربى ، ومن ثم طرحت المانيا عـــدة مشروعات استثمارية سياسية فى نفس الوقت مثل مشروع سكة حديد برلين — بغداد الذى منح السلطان العثمانى امتيازه للألمان عام ١٨٩٩ م وهو مشروع كبير يهدف الى مد خطوط حديدية بين برلين — عاصمة المانيا — عابرة أراضى أوروبا الشرقية الى استانبول فآســـيا الصغرى فسوريا وينتهى فى بغداد ، وبهذا يصل النفوذ الألمانى الى العراق والخليج مما يهـــدد المصالح الاستعمارية البريطانية ، ومن ثم حاربت انجلترا هـــذا المشروع بكل ما أوتيت من امكانيات حتى بقى بعيدا عن تهديد المصالح الانجليزية ، وان كانت انجلترا فشلت — قبل معارك الحـــرب العالمية الأولى — فى ابعاد الشركات الألمـــانية من الاســـهام فى شركة البترول التركيـــة .

(٤) د . جمال زكريا : الخليـــج العـــربى ١٩١٤ — ١٩٤٥ م ص ٤٦٧ .
ومحمد جواد العبوسى : البترول فى البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٥٦ م .

الاقطـــار لم يكن لاهله يد فى تقرير مصيره الذى صـــار فى يد الانتداب البريطانى .

وتمسكت الولايات المتحدة الامريكية بسياسة الباب المفتوح هذه فى مواجهة الاعتراضات البريطانية المستنده الى عدم انضمام الولايات المتحدة الامـــريكية الى عصبة الأمم ، فى الوقت الذى اقرت فيه العصبة مبـــدأ فرض الانتداب الانجليزى فى العراق وفلسطين ، والانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان وهذا مع العلم بأن فكـــرة عصبة الأمم واردة فى مبادىء الرئيس ولسون Wilson رئيس الولايات المتحدة الامريكية المشتملة على ١٤ بندا ، وقد ظلت سياسة الباب المفتوح — تحت ضغط الراسمالية الامريكية —توجه سياسة حكومة الولايات المتحدة الامريكية طوال فترة ما بين الحربين العالميتين ، رغم عودة الولايات المتحدة الى سياســـة العزلة مرة اخرى عقب معاهدات الصلح والتسوية للمشكلات الناجمة عن معارك الحرب العالمية الاولى .

وقد ظلت الحكومة البريطانية تساندها الحكومة الفرنسية فى معارضة دخول شركات البترول الامريكية مجال الاستثمار فى العراق منذ انتهاء معارك الحرب العالمية الاولى حتى انعقد مؤتمر « لوزان » بسويسرا فى عام ١٩٢٣ م ، وعندئذ هددت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بأنها ستلجأ الى التفاهم مع رئس الدولة التركية مصطفى كمال اتاتورك لعقد صفقة معه تتيح للامريكيين الحصول على امتيازات بترولية فى العراق نظير تأييد الولايات المتحدة للمطالب التركية فى اقليم الموصل بالعراق (٥) .

---

(٥) مر اقليم الموصـــل بعدة تطورات منذ اوائل معارك الحـــرب العالمية الاولى وخاصة عام ١٩١٦ الى معاهـــدة لوزان بسويسرا عام ١٩٢٣ م ، ذلك ان اتفاق ســـايكس — بيكو الانجليزى الفرنسى لعـــام ١٩١٦ م جعل اقليم الموصل من نصيب فرنسا عند تقسيم الاقطار العربية بالمشرق بين الدولتين الاستعماريتين ولكن معاهدة ســـان ريمو لعـــام ١٩٢٠ م جعلت الاقليم ضمن القطر العـــراقى واقعا تحت الانتـــداب الانجليزى ، هذا على الرغم من مطالبة تركيا به ، وكانت هذه المطالبة التركية باقليم الموصل هى الورقة التى لعبت بها حكومة الولايات المتحدة الامريكية لانهاء العناد الانجليزى ضد سياسة الباب المفتوح لمصلحة شركات البترول الامريكية .

ونتيجة للتهديدات الامريكية هذه اقتنع البريطانيون بأنه لا يمكنهم الاستمرار فى ابعاد الامريكيين عن المشاركة فى استغلال بترول العراق ، كما فعلوا فى ايران ، وانتهى الأمر بأن اعطت حكومة العراق المشمولة بالنفوذ البريطانى — فى ظل الانتداب — امتيازا فى ٢٤ قطعة ارض لشركة البترول التركية التى سميت فيما بعد باسم شركة بترول العراق .

وفى ظل الامتياز الجديد تم توزيع اسهم شركة بترول العراق بين شركات كل من انجلترا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الامريكية ، بحيث نال كل طرف من هذه الاطراف الاربعة ما يوازى ٢٣٫٧٥٪ من الاسهم ، والباقى من اسهم الشركة وقدره ٥٪ كان من نصيب الوسيط الأرمنى « سركيس جولبنكيان » Sarkis Gulbenkian الذى شارك فى المفاوضات بين اطراف الشركة منذ عام ١٩١٤ م (٦) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان السبب فى تغيير اسم الشركة — من شركة البترول التركية الى شركة بترول العراق — يرجع الى ان حكومة العراق الوطنية عارضت اعطاء امتياز بترولى فى اراضيها من الباطن ودون موافقتها ، ونظرا لان الحكومة البريطانية كانت قد وافقت على سياسة الباب المفتوح التى دعت اليها حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وامام اصرار العراقيين على ان استقلالهم الوطنى يعطيهم الحق الكامل لأخذ موافقتهم على التأجير من الباطن ، فقد لجأت الحكومة البريطانية عام ١٩٢٩ م الى تغيير اسم الشركة واصبح اسمها الرسمى شركة بترول العراق . Iraq Petroleum Company

---

(٦) William R. Polk : The United States and the Arab World, p. 304.

رابعا : الامريكان وبترول السعودية

انطلاقا من خبرة شركات البترول الامريكية فى استخراج البترول الامريكى ، وانطلاقا من وفرة رءوس الاموال الامريكيــة فى مرحلة البنــاء الوطنى ، انطلق الامريكيون عنــدما احسوا بوجــود بترول فى منطقة الشرق الاوسط ليثبتوا وجودهم ويمارسوا نشاطهم الاقتصادى الاستثمارى . ورغم ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تدخل رســميا فى مجال الاستثمار البترولى فى منطقة الشرق الاوسط ، فانها حرصت على تأييد الشركات الامريكية فى صراعها مع الشركات الاوروبية الأخرى وخاصة الشركات الانجليزية .

وكانت السياسة الامريكية فى مواجهة المنافسة القوية الانجليزية ، يحكمها مبدآن هما :

المبدأ الاول : سياسة الباب المفتوح الداعية الى عدم احتكار فرص الاســتثمار فى الاقطار الخاضــعة للانتداب الاوروبى لصلحة طرف واحد بعينه ، بل تتاح الفــرص لكل الاطراف التى شاركت فى صنع النصر علــى الالمان والاتراك فى معارك الحــرب العالمية الاولى ، وهى سياسة موجهة للقضاء على محاولات انجلترا ابعاد الشركات الامريكية العاملة فى مجال البترول من أن يكون لها اسهام فى استخراج بترول العراق — باقليم الموصل خاصة — واستغلاله .

والمبدأ الثانى : مبدأ التساوى فى الفرص التجارية ، وهــو يعنى ان يكون للشركات الراسمالية الامريكية نصيب متساوى فى فرص الاستثمار فى الاقطار العربية مماثل للشركات الاوروبية الأخرى وخاصة الشركات الانجليزية .

ونتيجة لهذين المبداين باركت وزارة الخارجية الامريكية تكوين اتحاد امريكى لسبع شركات بترولية امريكية هى :

١ — شركة بترول الخليج .	1.	Gulf Company.
٢ — شركة البترول المكسيكية .	2.	Mixican Petroleum Company.
٣ — شركة بترول تكساس .	3.	Texas Company.
٤ — شركة سنكلير للبترول .	4.	Sinclair Company.
٥ — شركة سوكونى للبترول .	5.	Socony Company.
٦ — شركة ستاندارد اوف نيوجيرسى .	6.	Standard of New Jersey Company.
٧ — شركة بترول الاطلنطى .	7.	Atlantic Company.

وهذه الشركات هى التى ساهمت فى استغلال بترول العراق (١) ، وجاءت مباركة حكومة الولايات المتحدة الامريكية لهذا الاتحاد الامريكى لشركات البترول انطلاقا من اعتقاد الحكومة أنه يمكن تقديم مساعدة طيبة لمواطنيها الذين يرغبون المشـــاركة فى التنمية الاقتصادية والاســـتثمار بمنطقة الشرق الاوسط (٢) .

ومنذ ظهور شركة بترول العراق I.P.C. احتكرت وحدها البحث واستغلال بترول الموصـــل ، ثم حصلت على امتياز آخر للتنقيب عـــن البترول فى منطقة البصرة عام ١٩٣٨ م ، وهذا يعنى ان شركة واحدة قد مارست احتكارا واقعيا على انتاج البترول فى العـــراق ، ومنعت دخول شركات بترول امريكية اضافية الى مجال اســـتغلال البترول فى الاراضى العراقية (٣) . وبهذا حصلت شركات البترول الامريكية السبع على

---

(1) John A. De Nova : American interests and policies in the Middle East 1900-1939, p. 186.

(٢) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova : p. 196

(٣) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova: p. 202

نسبة ٢٣٫٧٥٪ من أسهم شركة بترول العراق Iraq Petroleum Company لتمارس من خلاله نشاطا استثماريا فى مناطق حددت فى الامتياز ، ودون تخطى هذه المناطق اى عدم تجاوز ما عرف بالخط الاحمر ، الذى يحمى المصالح البريطانية الاقتصادية والاستراتيجية وخاصة فى اقطار الخليج العــربى .

وقد وقعت اتفاقية الخط الاحمر Red Line Agreement بين تسع شركات امريكية وشركة نفط العراق عام ١٩٢٨ م ، رســم بمقتضاها خطا احمر حــول البلاد العربية التى كانت داخلة ضمن الامبراطورية العثمانية ماعدا مصر والكويت — من مراكز الاهتمام البريطانى المنفرد — ونص على المساهمة بصورة جماعية فى اية امتيازات جديدة فى البــلاد التى يشملها الخط الاحمر — بما فيها طبعا الخليج العــربى — وعدم القيام بأى عمل فردى لاية شركة او دولة . وقد استمر العمل بهــذه الاتفاقية حتى سقطت فى عام ١٩٤٨ م (٤) .

ومنذ عام ١٩٣٠م — وهو العام الذى تم فيه توقيع اتفاق ثــلاثى انجليزى عراقى أمريكى ، اعترفت فيه الولايات المتحدة رسميا ولأول مرة بحكومة العراق الوطنية وبانتهاء الانتداب البريطانى فى نفس الوقت مقابل موافقة الحكومة العراقية على مساهمة الشركات الامريكية فى شركة نفط العراق — استمرت السياسة الامريكية تجاه العــراق قائمة على عدم الدخول فى منافسة سياسية مع بريطانيا فى العراق .

وطبقا لهذا الموقف الامريكى الرسمى غير الايجابى ، اكتفت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بالعمل على رعاية مصالح مواطنيها هناك فى الوقت الذى كانت فيه شركة بترول العــراق — التى كانت ادارتهــا أساسا بريطانية — تعمل على عدم مراعاة حقــوق الشركات البترولية الامريكية المشاركة فى الاستثمار ، وفى الوقت نفسه كان معظم الامريكيين العاملين فى العراق غير مستعدين لادخال حكومتهم فى مسائل سياسية

---

(٤) د . جمــال زكريا : الخليــج العــربى ١٩١٤ — ١٩٤٥ م ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .

دولية (٥) ، بمعنى عدم ادخال الحكومة الامريكية فى صراع سياسى مع انجلترا بصفة خاصة .

لم يكن الاستثمار الامريكى المحدود فى منطقة الخليج العــربى من خلال شركة بترول العــراق نهاية المطاف أو تحقيق لأهداف النشـــاط البترولى الامريكى فى المنطقة ، لأن الشركات البترولية الامريكية شركات راسمالية خاصة تسعى الى مزيد من فرص استثمار رءوس أموالها بما يعود بفوائد كبيرة على أصحاب هذه الشركات .

ومن هنـــا تطلعت شركات البترول الامريكية نحو أقطار الخليـــج العربى وشبه الجزيرة العربية بصفة عامة ، وكان يحكم تطلعات شركات البترول الامريكية فى هذا المجال عاملان هما :

العامل الأول : اتفاقية الخط الأحمر لعام ١٩٢٨ م المشار اليهـــا ســـابقا .

والعامل الثانى : سيادة النفوذ البريطانى فى اقطار الخليج العربى ، ذلك النفوذ الذى يحمى الاســـتثمارات البريطانية هناك .

وكانت الحكومة البريطانية قد اخذت تعهدات مكتوبة على حـــكام اقطار الخليج العربى بالا يمنحوا امتيازات للتنقيب واستغلال البترول فى اراضيهم لشركة او دولة ما دون الرجوع اليها ، واخذ حكام اقطار الخليج العرب يعطون هذا التعهد تباعا ، كان أولهم الشيخ مبارك حاكم الكويت الذى قدم تعهده للمسئولين البريطانيين فى الخليج عام ١٩١٣م تلاه تقديم حاكم البحرين للتعهد عام ١٩١٥ م ، ثم قطـــر عام ١٩١٦ م ، وأخيرا حكام الساحل العمانى المتصالح عام ١٩٢٣ م (٦) .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه رغم أن حكام المنطقة العرب لم يقدموا تعهداتهم للمسئولين البريطانيين دفعة واحـــدة وفى وقت واحد ، فان صيغة هذه التعهدات تكاد تكون واحدة لا تخرج عن القول : بأننا نوافق فى حالة وجود الزيت فى أراضينا على عدم منح أى امتياز فى هذا الشأن

---

(٥) نفس المرجع لنفس المؤلف . **John A. De Nova : p. 354**

(٦) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العــربى ص ٣٢٠ — ٣٢١ . ويذكر دكتور جمال زكريا أن تعهد حاكم البحرين كان عـــام ١٩١٤ م .

الى أحد الا الشخص الذى تعينه الحكومة البريطانية (٧) . ولم تدخل المملكة العربية السعودية فى هذا التعهد ، وكان هذا باب العمل الانفرادى الامريكى الوحيد فى المنطقة ، بمعنى أن المملكة العربية السعودية ظلت بعيدة عن النفوذ الانجليزى وعن نشاط الشركات الانجليزية حتى جاءت شركات البترول الامريكية وانفردت بامتيازات التنقيب عن البترول فى الاراضى السعودية واستغلاله .

وقد بدأ الاهتمام الامريكى بالبحث عن البترول فى أراضى المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٢٦ م عندما زار الاحساء مهندس امريكى يدعى « تويتشل » Twitchell وأعد تقريرا قدمه الى الملك عبد العزيز آل سعود — سلطان نجد وملك الحجاز (٨) — عام ١٩٣١ م ،أكد فيه وجود البترول بكثرة فى الاحساء — وعلى هذا وقع اتفاق بين المملكة العربية السعودية وشركة « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » الامريكية Standard Oil of California Company وذلك عام ١٩٣٣ م ، ونص الاتفاق بين الطرفين على أن تقوم الشركة بالتنقيب عن البترول واستغلاله لمدة ٦٠ سنة نظير أن يتقاضى الملك عبد العزيز عائدا قدرة أربعة شلنات ذهب مقابل كل طن من البترول الخام يتم انتاجه من منطقة الامتياز (٩) . Arabian American Oil Company (AR. AM. Co.)

وفى العام التالى — أى عام ١٩٣٤ م — انضمت الى شركة « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » العاملة فى الاراضى السعودية شركة امريكية اخرى هى شركة تكساس Texas Company ، وبانضمام شركة تكساس تغير اسم الشركة صاحبة الامتياز الى « شركة الزيت العربية الامريكية » (أرامكو)

ومنذ عام ١٩٣٤م اخذت الشركة الجديدة — أرامكو — تنقب عن البترول فى منطقة الامتياز بالاحساء ، وبدأت آبار البترول فى كل من الظهران ، والدمام ، وبقيق ، وأبو حيدرية وكلها فى اقليم الاحساء

---

(٧) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص ١٠٢ .

(٨) لم تكن المملكة العربية السعودية قد اعلنت رسميا بعد ، حيث تم ذلك بعد عام أى ١٩٣٢ م ، وكان الاسم الرسمى لمؤسس الدولة عبد العزيز آل سعود هو سلطان نجد وملك الحجاز منذ عام ١٩٢٦ م ، ثم تغير الى ملك المملكة العربية السعودية عند اعلان الاسم الرسمى للدولة وهو « المملكة العربية السعودية » عام ١٩٣٢ م .

(٩) William R. Polk : The United States and the Arab World, p. 313.

تنتج البترول بكميات تجارية منذ عام ١٩٣٨ م (١٠) . ولكن اشتعال الحرب العالمية الثانية اضطرت الشركة الى توقف اعمالها نظرا لصعوبة النقل والمواصلات ، ولكنها عادت فاستأنفت نشاطها فى عام ١٩٤٦ م .

وحقيقة انفردت الشركات الامريكية فى الحصول على امتيازات التنقيب عن البترول فى المملكة العربية السعودية ، ولكن هذه الشركات تطلعت نحو اقطار الخليج العربى الأخرى بقصد فتح مجالات جديدة للاستثمار الامريكى ، وهى فى سعيها هذا كان امامها محاذير سبق أن أشرنا اليها : وهى سيطرة النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج العربى والذى كبل حكام اقطار هذه المنطقة العرب بقيود تمنعهم من فتح بلادهم لاية استثمارات اجنبية دون موافقة الحكومة البريطانية ، والمحاذير الثانية اتفاقية الخط الاحمر التى تمنع شركات البترول الامريكية الموقعة على هذه الاتفاقية من محاولة الحصول على امتيازات بترولية فى الاراضى التى تشملها الاتفاقية .

واذا اخذنا فى الحسبان وجهة النظر البريطانية نحو موضوع منع شركات الولايات المتحدة الامريكية من الحصول على امتيازات بترولية فى منطقة الخليج ، فاننا نجد أن الوثائق البريطانية تعلل الموقف البريطانى بعاملين هما :

العامل الأول : حماية حكام منطقة الخليج العرب من النشاط المريب لبعض صائدى الامتيازات الذين انقضوا قبل الحرب العالمية الأولى على ممتلكات الامبراطورية العثمانية .

والعامل الثانى : منع تسلل النفوذ الاجنبى فى الخليج وذلك بقصد منح الامتيازات الى شركات بريطانية فقط (١١) .

وهذا يفسر لنا رغبة الحكومة البريطانية فى الانفراد بالنفوذ السياسى ، بل والاحتكار الاقتصادى فى منطقة الخليج العربى ، وابعاد اية قوى اخرى تسعى الى منافسة الانجليز فى المنطقة .

(١٠) George Lenczowski : The Middle East in World Affairs, p. 548-549.

(١١) د . جمال زكريا : الخليج العربى من ١٩١٤ — ١٩٤٥ م ص ٤٥٣ .

خامسا : الامــريكان وبتـــرول البحرين

تتميز الشركات الامريكية بميزتين رئيسيتين هما : وفرة الامـــوال السائلة لديها ، والنشاط الواسع الذى لا يهدا لتحقيق مزيد من الربح وزيادة الاموال بفتح مجالات جديدة لاستثمارها . ومن هذا المنطلق فان شركات البترول الامريكية حرصت رغم المحاذير التى وجدتها فى اقطار الخليج العربية والتى تمثل فى موقف الانجليز المعادى للنشاط الامريكى المتحفز لاستثمار أموال الشركات الامريكية فى تلك الاقطار العـــربية ، حرصت على عدم الاستسلام لهذه المحاذير .

فهـــل تتوقف شركات البترول الامريكية عن استثمار اموالهـــا فى مجالات الكسب ، والكسب الوفير فيهـــا اصبح محتملا جدا ان لم يكن مؤكدا ؟ ، وهل تكتفى بالفتات الذى تسمح به شركة نفط العـــراق ، ونسبة اسهم الشركات الامريكية فيها اقل من الربع ؟ .. الأمر يحتاج فعلا الى مخاطرة نظرا لأن الرسميين الامريكيين كانوا يعتقدون ان المصالح البترولية فى منطقة الخليج العربى تعنى تدخلا اكبر فى السياسة الدولية المعقدة للعالم العربى ، فى الوقت الذى يعتزل الامريكيون عن المشاركة فيهـــا (١) .

وكانت امارة البحرين المحك الاول للنشـــاط البترولى الامريكى فى امارات الخليج بعد المشاركة فى شركة بترول العراق ، وكان «فرانك هولمز» **Frank Holmes** ممثل الشركة الشرقية والعامة المحدودة **The Eastern and General Syndicate Ltd.** فى منطقة الشرق الاوســـط ، والذى كان مهتما بالحصول على امتيازات بترولية فى منطقة الخليج العربى باسم شركته وبيعها للشركات الأخرى .

ويعتبر « فرانك هولمز » مسئولا عن دخول شركات البترول الامريكية الى منطقة الخليج العربى ، بنقل امتياز البحث عن البترول فى البحرين الى الشركات الامريكية ، وبهذا يمكن تسجيل اول نشاط لشركات البترول

---

(١) **John A. De Nova : American interests and policies in the Middle East, 1900-1939, p. 365.**

الامريكية فى اقطار الخليج العربى بعد أن كانت هذه المنطقة من المناطق المغلقة على النفوذ الانجليزى وحده (٢) .

ولكن شركات البترول والحكومة البريطانية كان لهما موقف آخر بالنسبة لبترول البحرين منذ بدأت انظار شركات البترول الامريكية تتجه نحو امارة البحرين ذلك الموقف الذى يستند الى تفوق النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج العربى ، والى تعهدات حكام امارات الخليج العرب بعدم منح امتيازات للتنقيب عن البترول لأية شركة او دولة او فرد ايا كانت جنسية الشركة أو الدولة او الفرد دون موافقة الحكومة البريطانية .

وكان تعهد الشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين للمستر « برسى كوكس » Bercy Coxe المقيم العام البريطانى فى الخليج العربى عام ١٩١٤ م ، كان هذا التعهد مجحفا تماما بالبحرين ، اذ نص على : انه اذا كان هناك اى امل فى الحصول على زيت الكيروسين فى منطقتى — يقصد امارته البحرين — فانى لن اقوم باستثماره بنفسى ، ولن اقبل اى عرض من أية جهة حوله دون استشارة الوكيل السياسى فى البحرين ، ودون موافقة الحكومة السامية البريطانية (٢) .

وانطلاقا من الموقف الانجليزى فى الخليج العربى فان شركة البترول الانجليزية الفارسية Anglo Persian Petroleum Company قد اهتمت بمد نشاطها الى جزر البحرين ، ولكن دراساتها الأولية لم تسفر عن احتمالات بترولية ، وتكررت المحاولة على يد جيولوجيى شركة نفط العراق ، ولكنهم حصلوا على نفس النتيجة السلبية ، مما اقنع البريطانيين — خطأ — أن البترول غير متواجد فى المناطق الساحلية وانما يتواجد فقط فى الداخل ، وبمعنى آخر يوجد البترول داخل هضبة نجد وهى بعيدة عن النفوذ السياسى البريطانى المتمركز على السواحل فى اقطار الخليج العربى .

وهنا كانت فرصة المغامر النيوزيلندى المولد البريطانى الجنسية فرانك هولز ممثل شركة البترول الشرقية والعامة المحدودة البريطانية ،

---

(٢) د. جمال زكريا : الخليج العربى من ١٩١٤ — ١٩٤٥م . ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .

(٣) د. جمال زكريا : نفس المرجع ص ٤٥٠ .

الذى دخل فى منافسة مع الشركة الانجليزية الفارسية للحصـــول على امتيازات بترولية فى اقطار الخليج العربى ، وقد نجح هولز فى الحصول على امتيازات للتنقيب عــن البترول باسم شركته من حــكام البحرين والسعودية والكويت ، فسبق بذلك شركة البترول الانجليزية الفارسية مما جعل المقيم العام البريطانى يحتج لدى حكام الامارات العرب لمنحهم امتيازات لشركة غير معتمدة من الحكومة البريطانية .

وهذه الذريعة البريطانية واهية لأن الشركة التى يمثلها هولز كانت تتكون من اربعة عشرة شركة انجليزية تهتم باستغلال البترول وغيره من المشروعات الاستثمارية ، ولكن الموقف البريطانى يفسره ان انجلترا لها السيطرة الكاملة على شركة البترول الانجليزية الفارسية ، كما أن شركة بترول العراق ادارتها انجليزية الى جانب نصيب انجلترا من اسهمهـــا البالغ ٥٠٪ . ولكن الشركة الشرقية والعامة المحدودة التى يمثلها هولـــز شركة راسمالية تسعى الى بيع الامتيازات البترولية التى تحصل عليهـــا من حكام امارات الخليج العربى لشركات قد تكون غير انجليزية أو غير معترف بها من الحكومة الانجليزية .. وهذا هو التفسير الحقيقى للموقف البريطانى نحو نشاط هولز .

وما يهمنا فى هذا ان هولز عرض امتياز التنقيب عــن البترول ثــم استغلاله فى البحرين على الشركات الامريكية ، وكان قد حصل على هذا الامتياز عام ١٩٢٥م بعد تردد طويل من حــاكم البحرين ، الذى كان قد وقع منذ عام ١٩١٤م ــ كما اشرنا ــ تعهدا للمقيم العـــام البريطانى فى الخليج العربى ، بعدم منح اية امتيازات بترولية فى اراضيه لأية جهـــة دون موافقة الحكومة البريطانيـــة ، وجـــاء عـــرض هولز على شركات البترول الامريكية عام ١٩٢٨م بعد أن رفضت الشركات البريطانية الاشتراك فى هــذا الامتياز او شرائه ، ومن بين هـــذه الشركات كانت الشركـــة الانجليزية الفارسية التى ظهرت منافسة للشركة الشرقية والعـــامة فى بداية الأمـــر(٤) .

---

(٤) د. جمال زكريا : نفس المرجع ص ٤٦٣ .

تلقفت شركات البترول الامريكية عرض هولمز للتنقيب عن البترول واستغلاله فى البحرين ، فتقدمت شركة بترول الخليج Gulf Corporation وقبلت العرض من هولمز ، ولكنها ما لبثت أن اعتذرت عـــن استطاعتها الاستمرار فى تملك هـــذا الامتياز بالبحرين بسبب معارضة انجلترا عقب توقيع اتفاقية الخط الأحمر ، باعتبار أن شركة بترول الخليج عضـــو فى مجموعة الشركات الامريكية المساهمة فى شركة بترول العراق .

وعندئذ تقدمت شركة ستاندارد اويل أوف كاليفورنيا Standard Oil of California الامريكية وقبلت العرض ، ولكنها شعرت فى نفس الوقت بالحاجة الى تأييد دبلوماسى أمريكى من وزارة الخارجية لمواجهـــة المعارضة البريطانية للاستثمارات الامريكية فى البحرين(٥) ، باعتبـــار ذلك القطر من مناطق النفوذ البريطانى .

وأمام تقدير الحكومتين البريطانية والامريكية لظروف المنطقة وطبيعة العلاقات البريطانية العربية ، وحتمية التعاون — لا التصـــادم — الانجليزى الامريكى . فقد تقدمت الحكومة البريطانية بخطوة فى سبيل انهاء الأزمـــة الناجمة عن معارضتها للاستثمارات البترولية الامريكية فى البحرين وغيرها من اقطار الخليج العربى ، وجاءت هذه الخطوة فى شكل تصريح رسمى انجليزى صـــدر عن وزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٢٩م يؤكـــد استمرار موافقة الحكومة البريطانية على سياسة الباب المفتوح Open Door Policy ، ولكنها ترغب فقط ان تخطر مسبقا بأية اتفاقيات وامتيازات بترولية فى المنطقة .

كما تقدمت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بخطوة من جانبها اكدت فيها — فى بيان رسمى — بأنها تقدر وتعترف بالمركز المتفوق لبريطـــانيا استراتيجيا فى الخليج ، وانها فى حاجة الى القـــوة البريطانية لتأمـــين المصالح الامريكية هناك . ونتيجـــة لهذا التفاهم الانجليزى الامريكى تأسس فرع مستقل من شركة ستاندارد أويـــل اوف كاليفورنيا تـــم تسجيله فى كنـــدا عام ١٩٣٠م ، وحمل هـــذا الفرع جنسية احدى دول الكومنولث البريطانى وهى كنـــدا .

---

(٥) نفس المرجع لنفس المؤلف . John A. De Nova : p. 202.

وتمشيا مع هذا التفاهم صـــار ذلك الفـــرع يعرف باسم شركـــة نفط البحرين (بابكو)(٦) (Ba. P. Co.) Bahrein Petroleum Co.

وتحتل هـــذه الشركة مكانا فريدا من حيث كونها شركة امريكيـــة الملكية ، وفى نفس الوقت يقـــوم بادارتها موظفون معظمهم بريطانيون ، كما انها تحمل جنسية احدى دول الكومنولث البريطانى ، وتعمل فى منطقة خاضعة للحماية البريطانية(٧) .

مارست شركة «بابكو » نشاطها فى التنقيب عن البترول فى عـــام ١٩٣١ م بالبحرين وقد تم اكتشاف البترول فى منطقة « عوالى » فى شهر مايو من العام التالى ، وبهـــذا الاكتشاف اعتبرت البحرين اول امـــارة خليجية يظهر فيها البترول ، مما استدعى ضرورة عقد اتفاق بين الشركة وبين حاكم البحرين لتحديد العلاقة بين الطرفين ، وبالفعل تم التوقيع على اتفاق عـــام ١٩٣٤م كان مجحفا بالبحرين ، اذ أصبح للشركة الحق فى استغلال البترول فى جميع جزر البحرين ومياهها الاقليمية ، والحق فى اعفـــاء كل مـــا تستورده الشركة من ادوات أو اجهزة ، وفى مقابل ذلك يحصل حاكم البحرين على عائد قدره ثلاث روبيات مقابل كل طن من النفط الخـــام المستخرج وبحـــد ادنى قدره « ٧٥ الف » روبية سنويا . كما أن الاتفاقية لم تحـــدد مساحة معينة للتنقيب مما جعل جميع أراضى البحرين خاضعة لاحتكار الشركة وقلل امـــام حكومة البحرين من فرص المساومة ، كما كان أجل الامتياز طويلا(٨) .

وقد تم شحن اول سفينة من النفط الخام البحرينى عام ١٩٣٤م ، وفى العـــام التالى انضمت الى شركة « بابكو » شركة أمريكية أخـــرى هى شركة « تكساس » لتصبح شريكة فى الامتياز بنسبة ٥٠٪ من الأسهم ، وبهـــذا الانضمام تغـــير اسم الشركة مـــن « بابكو » الى « كالتكس » Caltex ، وقد مارست الشركة الجـــديدة نشاطا متزايدا فى انتاج النفط حتى بلغ ما انتجته آبـــار الشركة فى البحرين عام ١٩٣٧م نحو مليونى طن ، كما مارست نشاطا واسعا فى تسويق النفط المستخرج من البحرين

---

(٦) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص٣٢٣ .

(٧) Philiby : Arabian Oil Ventures, p. 77

ود. جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٣٣٠ .

(٨) د. صلاح العقاد : نفس المرجع السابق ص ٣٣٠ .

فى أسواق الشرقين الأوسط والاقصى ، وفى العـام التالى — ١٩٣٨م — انشىء فى البحرين معمل لتكرير البترول .

وجاء استخراج البترول من البحرين بكميات تجارية فى الوقت المناسب بسبب ما كانت تعانيه البحرين من أزمات اقتصادية نتيجة ما أصـاب استخراج اللؤلؤ والتجارة فيه من ضعف ، ولعل هذا يفسر لنا استغلال شركة « بابكو » لأزمة البحرين الاقتصادية فى فرض شروط مجحفة بحقوق البحرين فى اتفاقية عام ١٩٣٤م . كما أضفى انشاء معمل التكرير فى البحرين على صناعة النفط هناك اهمية كبيرة ، اذ أصبحت اهمية الشركة لا تقتصر على الانتـاج البترولى فحسب ، بل باعتبارها مركزا هاما لتكرير النفط الخام لكل من البحرين والسعودية(٩) . كما أن انتاج النفط وتكريره فى البحرين قـد أتاح فرص عمل كثيرة لأبنـاء البحرين ، بل واحدث تغييرات جذرية فى التركيب الاجتماعى لهم بظهور طبقة جـديدة هم عمال صناعة النفط فى البـلاد ، وظهور الموظفين الاجانب فى الشركة وعائلاتهم فى مجتمع البحرين العربى المسلم المحافظ .

كما أدى تدفق الانتاج البترولى من البحرين الى ازدياد الادعاءات الايرانية على البحرين التى ارتبطت بتعهـد حاكم البحرين للمقيم العـام البريطانى عام ١٩١٤م بعـدم منح امتيازات للبحث عن البترول فى أراضى البحرين دون موافقة الحكومة البريطانية ، وعندما أخذت الشركات البترولية تفد الى البحرين فى العشرينيات من القرن العشرين أخـذت الاحتجاجات الايرانية تتزايد وتلح فى طلب الاعتراف بملكية ايران لجزر البحرين ، ورغم أن هـذه الادعاءات لم تؤد الى نتيجة حاسمة بسبب الموقف البريطانى لحماية البحرين ، فان هـذا يعطينا مؤشرا بأن انتاج البترول فى البحرين بكميات كبيرة كان وراء تجـدد الادعاءات الايرانية ، حتى يمكن القول أن تجـدد تلك الادعاءات يرتبط الى حـد كبير بازدهار الأوضـاع الاقتصادية فى البحرين سواء فى الماضى بوجود مغاصـات اللؤلؤ أو بعد ذلك بوجـود الموارد البترولية (١٠) .

---

(٩) د. جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٧٢ .
(١٠) د. جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٧٣ .

كما ادى تدفق انتاج البترول فى البحرين الى اثارة اطماع شركة البترول الانجليزية الفارسية التى اندفعت بفعل تأثير بعض السياسيين والراسماليين الانجليز لكى تشارك شركة « كالتكس » فى استغلال بترول البحرين ، ولكن موقف الأعضاء الامريكان فى شركة البترول الانجليزية الفارسية الذين ساندوا انفراد الشركات الامريكية العاملة فى البحرين بنشاطها هناك قد افشل محاولات الشركة الانجليزية الفارسية ، بل وانتهى الأمر بحصول شركة « كالتكس » من حاكم البحرين عام ١٩٤٠م على تعديل لاتفاقية عام ١٩٣٤م بأن يشمل الامتياز جميع أراضى جزر البحرين ومياهها الاقليمية ، وان يمتد اجل الامتياز خمس وخمسين سنة من ١٩ يونيو ١٩٤٠م الى ١٨ يونيو ١٩٩٥م(١١) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان اشتعال الحرب العالمية الثانية وتعرض منطقة الخليج العربى وايران للعمليات العسكرية قد تسبب فى وقف انتاج البترول من آبار البحرين ومن آبار البترول فى بقية اقطار المنطقة ، ولكن الانتاج استؤنف بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية ، واتخذ البترول وسيلة للتواجد الامريكى فى المنطقة بدعوى حماية المصالح الامريكية .

---

(١١) د. جمال زكريا : نفس المرجع ص ٤٧٥ .

سادسا : الامريكان وبترول الكويت

كانت الكويت هى الامارة العربية الخليجية التى تم استثناءها من شروط اتفاقية الخط الأحمر لعام ١٩٢٨م ، ومع ذلك فقد كان لانجلترا موقف اكثر تشددا ضد الاستثمارات الامريكية الراغبة فى العمل بالكويت ، ويرجع ذلك الى تعهد حاكم الكويت للمقيم العام البريطانى فى الخليج عام ١٩١٣م بعدم السماح لأى نفوذ سياسى أو نشاط بترولى فى الاراضى الكويتية لانه قوة خارجية دون موافقة الحكومة البريطانية . كما يرجع هذا الموقف الانجليزى الى النفوذ الكبير الذى لبريطانيا العظمى فى الكويت والذى لا يرحب بأية مشاركة من اية دولة اخرى ، اى يرغب الانفراد بممارسة نشاطه فى الكويت .

ونتيجة لكل ذلك فانه عندما عرض « هولمز » على الشركات الامريكية — وخاصة شركة بترول الخليج — التنازل عن امتياز البحث عن البترول فى الكويت عام ١٩٢٦م ، وقبلت شركة بترول الخليج تنازله وان تحل محله ، تردد الشيخ احمد الجابر حاكم الكويت فى اتخاذ موقف حاسم حيال رغبة شركة بترول الخليج الامريكية ، وكان يتجاذب الشيخ أحمد الجابر عاملان هما :—

العامل الاول : رغبته فى ارضاء الانجليز الذين يحمون الكويت من جيرانه الأقوياء .

والعامل الثانى : هو رغبته فى الاستفادة من المساومات التى يفتحها «هولمز» أمامه وذلك باجتذاب الشركات الامريكية(١) .

ونتيجة للضغط البريطانى على الشيخ أحمد فقد طالب شركة بترول الخليج وهولمز الحصول على موافقة الحكومة البريطانية على تنازل هولمز عن الامتياز لشركة بترول الخليج ، ولكن الحكومة البريطانية اعلنت وجهة نظرها صريحة بأنها تعارض قيام اية شركة لا تحمل الجنسية البريطانية بمباشرة اى نشاط بترولى فى الكويت ، ورفضت عرض شركة بترول الخليج باتخاذ موقف وسط كذلك الموقف الذى اتخذ فى موضوع امتياز بترول البحرين بتسجيل الشركة فى كندا .

جاء رفض وزارة المستعمرات البريطانية لاقتراح شركة بترول الخليج

---

١ — د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٣٢٧ .

الامريكية مرتبطا بحث الحكومة البريطانية لشركة البترول الانجليزية الفارسية لتتقدم بعرض للحصـــول على امتياز البحث عن البترول فى الكويت علما بأن هذه الشركة كانت قـــد رفضت قبول هـــذا الامتياز عندما عرضه عليها عرضها على حاكم الكويت فى مواجهة عرض شركة بترول الخليج الامريكية ،

سارعت شركة البترول الانجليزية الفارسية عـــام ١٩٣٢م بتقـــديم عرضها على حاكم الكويت فى مواجهـــة عرض شركة بترول الخليج الامريكية، وكانت الشركة الاولى مدفوعة بعاملين :

العامل الاول : أن النفط قد تحقق وجوده فى المنطقة بظهور البترول فى البحرين والسعودية بل والكويت ذاتها .

والعامل الثانى : رغبة الشركة الانجليزية الفارسية فى البحث عـــن مجـــال آخر غير ايران لاستثمار اموالها فى الوقت الذى تتعرض فيه الشركة لتهديدات شـــاه ايران بعدم تجـــديد العقد المبرم بين الطرفين عـــــام ١٩٠١م اذا لم تعدل الشركة شروط الامتياز المجحفة بايران .

ولكن حكومة الولايات المتحدة الامريكية ما كانت لتقف مكتوفة اليدين ازاء المواقف العدائية البريطانية تجـــاه شركات البترول الامريكية الراغبة فى العمل بمنطقة الخليج العربى ، ومن ثم مارست حكومة الولايات المتحدة الامريكية ضغطا سياسيا على الحكومة البريطانية من اجل السماح للشركات الامريكية باستثمار اموالها فى بترول الكويت .

ونتيجة للضغوط الامريكية توصـــل الطرفان البريطانى والامريكى الى موقف وسط نتج عنه تكوين ما عـــرف بشركة بترول الكويت Kuwait Oil Company (كوك) K.O.C. عام ١٩٣٣م ، تشترك فيها من حيث الملكية والتمويل مناصفة كل من شركة بترول الخليج الامريكيـــة ، وشركة البترول الانجليزية الايرانية(٢) وفى العام التـــالى — ١٩٣٤م — حصلت الشركة الجديدة على امتياز البحث واستغلال البترول فى الكويت من حاكم الكويت الشيخ احمد الجابر .

ونص اتفاق عام ١٩٣٤م بين حاكم الكويت وشركة نفط الكويت — الممثلة لشركتى بترول الخليج الامريكية وشركة البترول الانجليزية الايرانية — على عـــدة مبادىء لا تخرج عن تلك التى تضمنها اتفاق البحث عـــن البترول واستغلاله فى البحرين .

واهم تلك المبادىء هى :

٢ — William R. Polk : The United States and the Arab World p. 238.

١ — يغطى الامتياز جميع أراضى الكويت وجزرها ومياهها الاقليمية.

٢ — للشركة الحق فى التصرف فى جميع ما تحصل عليه من المواد البترولية داخل أو خارج الكويت .

٣ — مدة الامتياز ٧٥ سنة من تاريخ التوقيع على الاتفاق .

٤ — تدفع الشركة لحاكم الكويت ثلاثة شلنات عن كل طن من النفط الخام فى حالة انتاجه بكميات تجارية .

٥ — اعفاء الشركة من أية رسوم فى الموانى والمطارات وايجار الاراضى .

٦ — تدفع الشركة لحاكم الكويت مبلغ ٤٧٥ الف روبية كمنحة توقيع عند المصادقة على الامتياز .

٧ — عدم اجراء اى تعديل فى اى نص من نصوص هذا الاتفاق الا بموافقة الطرفين(٣) .

ولم تكن هذه المبادىء او بنود الاتفاق الا صورة من صور الاستغلال من الطرف الاقوى — الانجليز أصحاب السيطرة والنفوذ — على حساب الطرف الأضعف وأعنى اقطار الخليج العربية المغلوبة على أمرها ، فالاتفاقية التى استعرضنا بنودها مجحفة بالكويت محققة كل الضمانات للراسمالية الغربية المستغلة .

ولما كانت انجلترا غير مستعدة للتسليم بدخول راس المال الامريكى بدون قيود تضعها أمامه هذه المرة ، ولذلك اضطرت الشركة الى عقد اتفاقية فى نفس العام — ١٩٣٤م — مع الحكومة البريطانية نصت على أن يكون للانجليز ٥٠٪ من اسهمها وأن تكون جنسية الشركة بريطانية ، وأن لا تتصل بحاكم الكويت الا عن طريق الوكيل البريطانى بالكويت ، وأن تستولى الحكومة البريطانية على احتياجاتها من بترول الكويت فى حالات الحرب والطوارىء ، وبذلك أصرت انجلترا على الا تتحول الشركة — شركة بترول الكويت — الى شخصية أمريكية(٤) .

انطلقت شركة نفط الكويت فى البحث عن البترول بموجب الامتياز الممنوح لها ، وقد استطاعت عام ١٩٣٨م من اكتشاف اكبر حوض بترولى فى العالم فى منطقة البرقان **Burgan Sands** التى تبلغ مساحتها

---

٣ — د . محمد لبيب شقير : اتفاقيات وعقود البترول فى البلاد العربية حـ٢ ص ٩٣ .

٤ — د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩١٤ — ١٩٤٥ ، ص ٤٩٦.

ثلاثين ميلا مربعا ، وتبعد عن الساحل بمسافة ١٤ ميــلا ، وعثر على البترول فيها على عمق ٣٤٠٠ قدم(٥) . وهــذه المنطقة تقع الى الجنوب من مدينة الكويت بمسافة ٢٧ ميلا .

وجــاء اشتعال الحرب العالمية الثانيـــة وتعرض المنطقة لآثــار العمليات العسكرية مما ادى الى توقف جميع اعمال البحث واستخراج البترول فى الكويت ، حتى اذا انتهت الحرب عادت الشركة الى استئناف نشاطها من جــديد فى الكويت ، وتم فى شهر يوليو ١٩٤٦م شحن اول انتـــاج من النفط الخام فى احتفال وطنى شهده الشيخ احمد الجابر . وفى عـــام ١٩٤٩م وقع الشيخ احمد اتفاقية ثانية بينه وبين شركة نفط الكويت بهدف استغلال جزر ومياه الكويت الاقليمية(٦) .

ونظرا لتطــور الاحــداث بمرور الزمن فان الاتفاقية المعقودة بين دولة الكويت وبين شركة نفط الكويت تعرضت لعــدة تعديلات خــلال اعــوام ١٩٥١م ، ١٩٥٥م والاعــوام التالية حتى عــام ١٩٦٢م ، وكل هذه التعديلات كانت تهدف الى تخفيف الاجحاف الذى حــاق بالكويت فى اتفاقية عــام ١٩٣٤م ، بحيث حصلت الكويت من هـــذه التعديلات على عائد كبير طفر بالدخــل من ثلاثة ملايين جنيه استرلينى عام ١٩٤٩م الى ستين مليون جنيه فى العام التالى لتوقيع اتفاق عام ١٩٥١م(٧) .

كما ضيقت التعديلات التى ادخلت على الاتفاقية بين شركة بترول الكويت وحــاكم الكويت من مســاحات الارض التى دخلت فى الالتزام ، واعطت للكويت الحــق فى الحصول على نصف احتياجاتها مــن النفط للاستهلاك المحلى دون مقابل ، وايضا السماح لشركة نفط الكويت الوطنية باحتكار بيع النفط ومنتجاته محليا ، الى غير ذلك من الحقوق الى جانب بنــاء ميناء كبير فى الأحمدى لشحن النفط والاستمرار فى الصرف عــلى البحث عن النفط فى حقول جديدة .

---

(٥) نفس المرجع لنفس المؤلف . William R. Polk : p. 238

(٦) د . جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٩٧ .

(٧) د . جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٢١ .

ولما كان استثمار شركات البترول الامريكية ثابتا واصيلا فى الاحساء، وكان شريكا فى استثمار بترول الكويت ، فانه حـاول الامتـداد الى المنطقة المحـايدة بين الاحساء والكويت ، تلك المنطقة التى شملها اتفاق العقـير لعـام ١٩٢٢م بين سلطنة نجـد من ناحية وانجلترا صاحبة النفوذ فى الكويت من ناحية اخـرى .

ورغم ما نص عليه هـذا الاتفاق من ضرورة اتفاق كل من حـاكم الكويت وسلطان نجـد — الذى صـار ملكا للمملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م — عند منح اى امتياز للبحث عـن البترول فى المنطقة المحايدة لايـة شركة ، فان الملك عبد العزيز آل سعود — الذى منح لشركـة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا الامريكية **Standard Oil of California** امتياز البحث عن البترول فى الأحساء عـام ١٩٣٣م — أعطى لشركة البترول العربية ، الامريكية (ارامكو) **(Ar. Am. Co.)** عام ١٩٣٩م امتيـاز البحث عن النفط واستغلاله فى المنطقة المحايـدة . وكان ذلك سببا فى سوء العلاقة بين السعودية وبريطانيا حتى اضطرت شركة ارامكو الى التخلى عن الامتياز عام ١٩٤٨م .

استغل بترول المنطقة المحايدة شركتان امريكيتان : الاولى هى شركة النفط المستقلة (امينويل) **The American Independent Oil Company** **(Am .In. Oil)** التى عهد اليها حاكم الكويت باستغلال نصيب الكويت من المنطقة المحايدة لمدة ٦٠ سنة عام ١٩٤٨م ، والشركة الثانية هى شركة غرب الباسفيك **Pacific Western Company** التى منحها الملك عبد العزيز آل سعود امتياز لمدة ٦٠ سنة ابتداء من عـام ١٩٤٨م للتنقيب عن النفط واستغلاله فى نصيب المملكة من المنطقة المحايدة ، وكانت الشركة الاخيرة هـذه تعرف باسم « جيتى » **Gitti** نسبة الى « بول جيتى » الذى كان يمتلك معظم اسهمها[٨] .

---

(٨) د. جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٨٦ .

وكانت الحقوق التى حصلت عليها كل من الكويت والسعودية فى هـذه المنطقة المحايدة تفوق ما حصلت عليه كل منهما فى اراضيها مـن شركات البترول ، ذلك أن شركة امنيويل وافقت على مناصفة الارباح بينها وبين حكومة الكويت ، وان كان ذلك قد تعدل فى عـام ١٩٦١م بجعـل نصيب الكويت ٧٥٪ من الارباح الفعلية أو ٥٠٪ مـن الاربـاح عـلى أساس السعر المعلن ايهما اكبر ، الى جانب شروط أخرى فى صالح الكويت. كما حصلت السعودية من شركة « جيتى » على احقيتها فى المشاركة بنسبة ٢٥٪ من الاسعار المعلنة ، وبنـاء معمل لتكرير النفط الخام ، وان يكون لها ١/٨ ارباح الانتاج و٢٥٪ مـن حصيلة الارباح الناتجة من عمليـات التكرير(٩) .

ونظرا لكون شركة « امينويل » و « جيتى » امريكيتين ، فقـد امكن التفاهم بينهما على العمل من اجل استغلال بترول المنطقة المحايدة عـلى اساس تبادل المنافع ، اى انهما يكونان منظمة مشتركة للعمل(١٠) . وقـد تم اكتشاف البترول فى عـدة مناطق « كالوفرة » فى وسط المنطقة المحايدة، و « نوراس » الى الغرب منها ، و« الحازمى »وتقع الى الجنوب . وتم تصدير أول شحنة من بترول المنطقة المحايدة عـام ١٩٥٤م واتجهت الى اليابان . وهكذا انتهى الأمـر بنفط المنطقة المحايدة الى قسمة ارباحـه مناصفة بين الحكومتين الكويتية والعربية السعودية ، بخـلاف نصـيب الشركات الامريكية المستغلة .

ومما تجب ملاحظته ان دولة الكويت اعلنت فى شهر سبتمبر ١٩٧٧م عن امتلاكها لاسهم شركة امينويل فى امتيازها لاستغلال البترول فى الكويت ، وبذلك سـيطرت حكومة الكويت على الجانب من ثروتها البترولية الذى كان موضع استغلال شركة امينويل الامريكية ، وذلك منذ سبتمبر ١٩٧٧م .

---

(٩) د. محمد لبيب شقير : نفس المرجع السابق ص ٧٠ ، ود. جـمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٢٤ .

(١٠) د. جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٢٤ .

سابعا : الامريكان وبترول قطر وساحل عمان

لم تكتف شركات البترول الامريكية بنشاطها فى السعودية والبحرين والكويت عن اقطار الخليج العربية ، حيث وجدناها تحاول ان تمد نشاطها الى شبه جزيرة قطر انطلاقا من مراكزها فى البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت والمنطقة المحايدة بين السعودية والكويت . واذا كانت شركات البترول الامريكية قد فشلت فى محاولاتها فى قطر ، فانها لم تترك فرصة على أية حال الا وبذلت محاولات متجددة وعنيدة مما يؤكد اتجاه رأس المال الامريكى الى بذل كل جهد وكل وسيلة ممكنة للحصول على فرص للاستثمار دون يأس أو كلل .

وكانت شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا **Standard Oil of California** الامريكية المؤيدة من حكومة المملكة العربية السعودية قد عرضت على حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى — الذى امتد حكمه من عام ١٩١٣ الى ١٩٤٩ م — استغلال النفط فى أراضى امارته ، أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين ،وكان الحاكم على وشك الموافقة لولا تدخل بريطانيا التى أوحت اليه بأن وراء الشركة الامريكية امتداد لنفوذ آل سعود الى قطر .

وهذا الموقف البريطانى يتمشى مع محاولة الحكومة البريطانية الإنفراد بالنفوذ السياسى والاقتصادى فى اقطار الخليج العربى ، ولكن الغريب فى الأمر ان تعتبر الحكومة البريطانية نفوذها فى قطر مشروع وقانونى ، بينما تعتبر نفوذ آل سعود فى قطر غير مشروع وغير قانونى يقتضى منها الوقوف ضده .

ومن هذا المنطلق ضغطت الحكومة البريطانية على الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى حاكم قطر لكى يرفض اعطاء امتيازات بترولية فى أراضى امارته ولجأت الحكومة البريطانية الى تذكير الشيخ عبد الله بن قاسم بتعهده الصادر منه للمقيم العام البريطانى فى الخليج العربى عام ١٩١٦ م بعدم اعطاء امتيازات بترولية فى امارته لأية قوة أجنبية دون

موافقة الحكومة البريطانية ، ونتيجة لتلك الضغوط البريطانيـــة اضطر حاكم قطر الى اعطاء شركة البترول الانجليزية الايرانية امتيازا للتنقيب عن البترول في بلاده وذلك عام ١٩٣٢ م .

اثار منح حاكم قطـــر لشركة البترول الانجليزية الايرانية امتيازا للتنقيب عن البترول في أراضي امارته ، أثار اعتراضات حكومة المملكة العربية السعودية ، التى لم تكن الحدود بينها وبين شبه جزيرة قطـــر محددة ، خوفا من امتداد النفوذ البريطاني لحماية الاستثمارات الانجليزية الى أراضي سعودية ، واتهمت الحكومة البريطانية شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا **Standard Oil of California** بأنها وراء الموقف السعودى ، واستدلت على ذلك بالزيارات المتعددة التى كان يقوم بها بعض المسئولين الامريكيين لابن سعود في عاصمته بالرياض (١) ، اثناء أزمة الحدود هـــذه ، وخاصة بين عامى ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ م وهى فترة عمليات الاستكشاف التى قامت بها شركة البترول الانجليزية الايرانية في شبه جزيرة قطر .

ورغم تســـليم الاستثمارات الامريكية بسيطـــرة النفوذ الســـياسى والاقتصادى البريطاني في قطر ، فقد ظلت الشركات الامريكية البترولية راغبة في أن تجد لهـــا فرصة لاستثمار أموالها في التنقيب واســـتغلال البترول في قطـــر ، ونتيجة لمحاولات الشركات الامريكية ، والضغوط الامريكية قبلت انجلترا حلا وسطا بتكوين شركة بترول جديـــدة عرفت باسم شركة بترول قطر المحدودة عام ١٩٣٧ م ، **Petroleum Development of Qatar** وهى من فروع شركة بترول العراق ، وفيها صارت المصالح الامريكية أكثر تمثيلا من شركة البترول الانجليزية الايرانية التى تنازلت عن امتيازها لشركة نفط قطر الجديدة حلا للمشكلة .

مارست شركة نفط قطر عمليات التنقيب عن البترول في الاراضى القطرية حتى عثرت عليه في منطقة دخان عام ١٩٤٠ م ، ولكن العمل

(١) د . جمال زكريا : الخليج من ١٩١٤ — ١٩٤٥ ص ٥٠٠ .

توقف بسبب معارك الحرب العالمية الثانية ، ثم عاد العمل فى هذا الحقل وصار انتاجه بكميات تجارية ابتداء من عام ١٩٤٩ م ، حيث تم — فى ذلك العام — شحن اول ناقلة من نفط قطر من ميناء « مسيعيد » الى دول غرب اوروبا .

وكانت بنود الاتفاقية المعقودة بين شركة نفط قطر المحدودة وحكومة قطـــر هى نفس البنود تقريبا التى وردت فى الاتفاقيات التى وقعتهـــا شركات البترول مع كل من البحرين والكويت ، كما انها تعرضت للتعديل ، الذى كان اهم ما جاء فيه الاخذ بمبدا مناصفة الارباح الى جانب تنازل الشركة المستغله عن بعض مناطق امتيازها حتى وصل هذا التنازل الى ما يقرب من ثلثى الاراضى التى كان يشملها عقد الامتياز الاول ، كما وافقت شركة نفط قطر على مبدا تنفيق العائدات التى تتقاضاها الحكومة بمعدل ١٢١/٢٪ من الســـعر المعلن باعتبارهـــا من جملـــة مصروفات الانتاج (٢) .

وامام تزايد النشاط البريطانى بحصول شركة شل — البريطانية — على امتياز للبحث عن البترول فى الجرف القارى عام ١٩٤٩ م ، تقدمت شركة كونتننتال اويل الامريكية Continental Oil Company بطلب الى حكومة قطر للحصول على امتياز للتنقيب عن البترول فى الاراضى القطرية ، وقد حصلت بالفعل عام ١٩٦٤ م على امتياز شمل جميع المناطق البرية والبحرية التى تخلت عنها شركة نفط قطر المحدودة وشركة شل Shell قطر ، الا انها لم تلبث ان تنازلت عن امتيازها نهائيا فى سبتمبر ١٩٦٨ م نظرا لفشلها فى العثور على النفط (٢) ، وهنا ظهرت شركة « فوجى » Fuji اليابانية لتحـــل محل شركة كونتننتال الامريكية للبترول فى امتيازها بقطـــر .

---

(٢) د . جمال زكريا : نفس المرجع ص ٤٣٧ .

(٢) دائرة نفط قطر : النهضة البترولية فى قطر ، شركات النفط العاملة فى قطر .

وكانت شركة نفط قطر المحدودة قــد اقامت مصفاة صغيرة لتكرير البترول القطـرى عام ١٩٥٤ م فى « مسيعيد » أو « أم سعيد » كما اصبح اسمها وشاع ، ثم انتقلت ملكية المصفاة الى شركة نفط قطـر الوطنية عام ١٩٦٨ م ، وفى عام ١٩٧١ م تحولت دائرة نفط قطر بعد استقلال امارة قطر ، الى وزارة البترول .

وهكذا اتضح أن الاستثمارات الامريكية البترولية فى قطـر كانت غير كبيرة ، وكانت امتيازات التنقيب عن البترول واستغلاله فى قطـر موزعة بين شركات انجليزية ويابانية حتى ظهرت شركة نفط قطر الوطنية ووزارة البترول التى عملت علـى تملك الاستثمارات البترولية بالكامل فى اراضى دولة قطر المستقلة .

ولم تكف شركة النفط العـربية الامريكية (ارامـكو (Ar. Am. Co. خلال الثلاثينات من القرن العشرين عن محاولاتها للحصول على عقود امتيازات بترولية فى الساحل الجنوبى الغربى من الخليج العربى (٤) ، ولكن أمام سيطرة النفوذ الانجليزى فى هذه الجهات اضطرت الحـكومة البريطانية الى جعل شركة نفط العراق ــ وللاستثمارات الامريكية فيها نصيب معلوم ــ تتولى عمليات التنقيب واسـتغلال البترول فى كل من مشيخات الساحل العمانى وسلطنة مسقط وعمان ، وان كانت البداية لشركة البترول الانجليزية الايرانية .

واذا كانت الحكومة البريطانية قد استندت فى ابعاد نشاط الشركات الامريكية على تعهدات حكام الساحل العمانى ، وهم حكام كل من امارة الشارقة وامارة راس الخيمة ، وامارة دبى ، وامارة ابو ظبى ، وامارة عجمان ، وامارة أم القوين ، تلك التعهدات التى حصل عليها من الحكام العرب المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى خلال عامى ١٩٢٢ م/ ١٩٢٣ م فان الحكومة البريطانية رغم ذلك لم تستطع ان تتجاهل دخول

(٤) د . جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٥٠٩ .

هذه المنطقة فى اتفاقية الخط الاحمر ، ومن ثم وافقت علـــى أن تتولى شركة نفط العراق البحث واســـتغلال البترول فى المنطقة وشركة نفط العراق وان كان لشركات البترول الامريكية فيها نصيب من الاســـهم معلوم الا أن الادارة فيها انجليزية .

وتمشيا مع السياسة الانجليزية فى الخليج العــربى ظهرت شركة بترول جديدة تتولى اســـتثمار أموالها فى التنقيب واستغلال البترول فى الساحل العمانى ، وعرفت هذه الشركة الجديدة باسم : شركة بترول ساحل الهدنة البحرى Petroleum Development Trucial Coast Ltd. وهى تابعة لشركة نفط العراق ، عام ١٩٣٦ م ، وباشرت نشاطهـــا البترولى بعقد اتفاقيات مع حكام امارات الساحل العمانى فى الفترة من ١٩٣٩ م الى عام ١٩٤٥ م . واخذت خلال تلك الفترة تنقب عن البترول فى مناطق الامتيازات ، ولكن اعمـــال البحث ما لبثت بعد أن بدأت أن توقفت بسبب اشتعال الحرب العالمية الثانية ، وظلت متوقفة طوال مدة الحرب ثم عادت الى العمل مرة أخرى عام ١٩٤٧ م .

ومنذ عام ١٩٦٣ م حصلت شركة كونتننتال الامريكية Continental of Delware على امتياز المناطق اليابسة فى دبى عن طريق شركة نفط دبى المملوكة لها ، وشاركتها فى العام التالى — ١٩٦٤ م — شركتا « دويتش أردول وصن اويل Dewitch Ardol and Sun Oil (٥) فى مجال التنقيب عن النفط فى امارة دبى عن طريق مشاركتها فى عقد الامتياز .

كما شاركت فى مجال البحث عن البترول واستغلاله شركات أمريكية أخرى فى امارة الشارقة مثل شركة « بيتر » Peter وشركة « كاليكو » «Calico» وشركة « جون ميكوم » John V. Mecum Company وذلك منـــذ عـــام ١٩٦٨ م ، وشاركت فى امـــارة عجمان شركة اكسدنتال

---

(٥) عبد الكريم احمد : البحرين واهميتهـــا بين امارات الخليـــج ص ٨٥ .
ود . جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٤٣ .

الامريكية Oxcidental Company ، وشركتى يونيون اويل اوف كاليفورنيا Union Oil of California ، وساذرن للغاز الطبيعى Sathern في امارة راس الخيمة .

وجاءت مساهمة شركات البترول الامريكية فى سلطنة مسقط وعمان على غرار مشاركتها فى مشيخات الساحل العمانى المهادن ، اى من خلال شركة نفط العراق ، وذلك لأن الاستثمارات الامريكية سلمت منذ البداية بتفوق النفوذ البريطانى منذ زمن فى السلطنة ، وأمام المحاولات الامريكية لاستثمار الاموال فى التنقيب عن النفط فى سلطنة مسقط وعمان قبلت الحكومة البريطانية بأن تتولى شركة نفط العراق البحث عن النفط من خلال شركة بترول عمان وظفار فى السلطنة ، وقد حصلت تلك الشركة من السلطان سعيد بن تيمور على امتياز التنقيب عن البترول فى السلطنة .

وعلى الرغم من ذلك فان العثور على النفط فى سلطنة مسقط وعمان لم يتم الا فى اواخر عام ١٩٦٤م ، كما لم تبدا عمليات التصدير الا فى عام ١٩٦٧ م وتستحوذ شركة استثمار نفط عمان المحدودة Petroleum Development of Oman Limited علـى امتياز النفط فى السلطنة ، وهذه الشركة مكونة من ائتلاف ثلاث شركات هولندية وبريطانية وفرنسية (٦) .

(٦) د . جمال زكريا : نفس المرجع السابق ص ٤٤٦ .

تطـــور
الاســـتراتيجية الامريكيـــة
فـــى
الخليـــج العـــربى

اعنى بالاستراتيجية الاتجاهات السياســـية والاتجاهات العســـكرية معا ، باعتبار ان السياسة الخارجية لدولة ما تساندها قوة عســـكرية لتصبح ذات فعالية ، وعلى قدر القوة العسكرية للدولة تكون صـــلابة السياسة الخارجية وقوتها ، باعتبار ان تلك القوة العسكرية تخضـــع لسياسة تلك الدولة الخارجية واستخدامها يأتى بقرار ســـياسى يتولاه صانعو السياسة الخارجية فى الدولة .

تنبثق الاهتمامات الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية فيما يتعلق بمنطقة الخليج العربى من اهتماماتها الاستراتيجية بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط ككل باعتبار ان اقطار الخليج العـــربى جزء من أجزاء الشرق الاوسط ، بل هى جزء مترابط عضـــويا ومصيريا مع الاقطار العـــربية ركيزة وقلب منطقة الشرق الاوسط ككل . كما ترتبط هـــذه الاهتمامات الاستراتيجية بمراحل السياسة الخارجية الامريكية كما حددها صانعو هذه السياسة .

مرت السياسة الخارجية الامريكية قبل الحرب العالمية الثانية بدور الحياد وسياسة العزلة منذ ان أعلنهـــا الرئيس منرو عام ١٨٢٣ م ، ورغم ازدياد المصالح الامريكية فى منطقة الشرق الاوسط الا ان صـــانعى السياسة الخارجية فى الولايات المتحدة كانوا دائمى التمسك بسياســـة الحيـــاد رغم صرخات المبشرين العاملين فى المنطقة وغيرهم مـــن علماء الآثار وأصحاب الشركات التجارية الامريكية ، وعندما اضطرت الولايات المتحدة الى مشاركة دول الوفاق فى معارك الحرب العالمية الاولى ، عاد

الموقف الامريكى الى العــزلة حتى وصلت الولايات المتحدة الى الحــد الذى لم تنضم فيه الولايات المتحدة الامريكية الى عصبة الأمم التى كان للرئيس ويلسون الفضل فى الدعوة الى قيامها .

كانت الولايات المتحــدة راغبة فى عــدم الدخول فى منافسة مــع الاتجاهات الاســتعمارية الانجليزية والفرنســية والالمانية والايطالية نحو منطقة الشرق الاوســط ، ولكن اشتعال الحرب العالمية الثــانية أجبر الولايات المتحدة على المشاركة فى المعارك الحربية الى جانب بريطانيا ، فظهرت القوات الامريكية فى ايران لتقديم التأييد للاتحاد الســوفيتى كما نزلت هذه القوات فى الاراضى المصرية والفلسطينية لتقديم مختلف الاعمال التكنولوجية المرتبطة بالسلاح الامريكى الذى تتسلح به القوات البريطانية كما لعب الاســطول الحربى الامريكى والســفن التجارية الامريكية دورا اســاسيا فى تقديم الامــدادات الى مسرح العمليات الحربية فى منطقة الشرق الاوسط (١) .

ولكن الولايات المتحدة التى انغمست فى معارك الحــرب العالمية الثانية ، وساهمت بأكبر دور فى صنع النصر للحلفاء ضد دول المحور ، لم يكن باستطاعتها هذه المرة ان تعود مرة أخــرى الى العزلة بسبب ظهور عوامل مؤثرة فى منطقة الشرق الاوسط يمكن تحديدها فيما يلى :

العامل الاول : النمو المطرد فى انتاج البترول فى المملكة العــربية السعودية والكويت والبحرين والعراق .

العامل الثانى : الصراع العربى ضد الصهيونية فى فلسطين .

العامل الثالث : التهديد السوفيتى لدول منطقة الشرق الاوســط ، وخطر انتشار الشيوعية فى هذه الدول .

وبالنسبة للعامل الاول فقد تزايدت الاستثمارات الامريكية فى كل من المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وقطر وامارات الساحل

(١) G. Lenczowski : The Middle East in World Affairs, p. 671.

العمانى (دولة الامارات العربية المتحدة الآن) ، الى جانب العراق ، وهذه الاستثمارات لم تكن ثمة تهديدات ضدها من سياسة نفطية وطنية فى اقطار المنطقة ، بقدر ما جاءت التهديدات من شركات البترول الانجليزية والفرنسية وغيرها من شركات البترول الاوروبية العاملة فى المنطقة ، والتى كانت تنظر الى الشركات الامريكية نظرتها الى دخيل غير مرغوب فيـــه .

وأمام التهديدات البترولية الاوروبية لشركات البترول الامـــريكية ، تطلعت الاخيرة الى الحصـــول على تأييد من حـــكومة الولايات المتحـــدة لتستطيع هـــذه الشركات الوقوف فى وجه المنافسة الاوروبية ، ولـــكن الحكومة الامريكية لم تكن على استعداد للدخول فى صراع ســـياسى فى منطقة الخليج العربى مع النفوذ السياسى الانجليزى المتعاظم فى المنطقة بل والمنفرد بهـــا .

ونظرا لتزايد اعداد الامريكيين الذين وفدوا الى المنطقة للعمل فى مجالات استثمار البترول منذ الثلاثينيات من قرننا الحـــالى ، الى جانب تدفق رءوس الاموال الامريكية للاستثمار فى المجالات التجارية المختلفة الى جانب البترول ، فانه كان على الولايات المتحدة الامريكية أن تتكيف مع هذه الاوضاع خاصة أن هـــذه المنطقة باتت ذات اهمية فى الدفاع الوطنى الامـــريكى ، وفى مركز الولايات المتحدة وحركتها فى السياســـة الدولية (٢) .

ومن الامثلة على تزايد الاستثمارات الامريكية فى المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية مد خط انابيب لنقل البترول من ساحل الخليج العربى ، وبالذات من حقول البترول السعودية التى تستغلها شركة الزيت العربية الامريكية (أرامكو) الى ساحل البحـــر المتوســـط ذلك الخط الذى عرف باســـم التابلاين Trans Arab Pipe Lines (T.A.P. Line) الذى

(٢) J.A. De Nova : American intersts and policies in the Middle East, p. 208.

بدأ التفكير فى انشائه اثناء الحرب العالمية الثانية ، واتفقت كل من الولايات المتحدة الامريكية وحكومة المملكة المتحدة — بريطانيا — عام ١٩٤٥ م على تنفيذه لمصلحة الدول المنتصرة فى الحرب .

ونتيجة لتزايد المصالح البترولية الامريكية فى منطقة الخليج العربى بعد الحرب العالمية الثانية وزيادة مجالات الاستثمار لرءوس الاموال الامريكية هناك ، ضغطت حكومة الولايات المتحدة من اجل الغاء اتفاقية الخط الاحمر (٣) **Red Line Agreement** المتعلقة باستغلال بترول الخليج ، وذلك باتفاق الولايات المتحدة الامريكية مع الاطراف المعنية الامريكية والفرنسية خارج هيئة التحكيم ، ومن ثم اصبحت شركتا **« ستاندارد اويل اوف نيو جيرسى » و « سوكونى فاكوم » فى حرية قانونية** لكى تشتركا مع شركة « ارامكو » ومع شركة التابلاين فى **استغلال بترول** منطقة الخليج حتى فى المناطق التى كانت داخلة اصلا فى اتفاقية الخط **الاحمر** (٤) .

وتمشيا مع ذلك نسجل موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية المتعاطف مع حركة الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء ايران لتأميم شركة البترول الانجليزية الايرانية ، العاملة فى الاراضى الايرانية عام ١٩٥١ م . فقد ادعت حكومة الولايات المتحدة تبريرا لتعاطفها مع حركة التأميم بأن

---

(٣) وقعت اتفاقية الخط الاحمر بين تسع شركات امريكية وشركة نفط العراق عام ١٩٢٨ م رسم بمقتضاها خطا احمر حول البلاد العربية التى كانت داخلة ضمن الامبراطورية العثمانية ما عدا مصر والكويت — من مراكز الاهتمام البريطانى المنفرد — ونص الاتفاق على المساهمة بصورة جماعية فى اية امتيازات جديدة فى البلاد التى يشملها الخط الاحمر بما فيها دول الخليج العربى — وعدم القيام بأى عمل فردى لاية شركة او دولة . وقد استمر معمولا بهذه الاتفاقية حتى سقطت فى عام ١٩٤٨ م .

(٤) **Hamilton : Americans and oil in the Middle East, p. 158.**

قيام حكومة وطنية قوية فى ايران امر ضرورى لمواجهة الخطر الشيوعى الطامع فى ايران .

ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل بالادعاءات الامريكية واعلنت أن هدف الولايات المتحدة هو الاستحواذ على الامتيازات البترولية فى ايران من الشركات الانجليزية ، ولعل ما حدث بعد ذلك يؤكد وجهة النظر البريطانية هذه ، اذ عندما سقط الدكتور مصدق عام ١٩٥٤ م عملت الولايات المتحدة الامريكية على تكوين « كونسورسيوم » دولى ساهمت فيه بالنصيب الأكبر ، بالتعاون مع شركة البترول الوطنية الايرانية لاستغلال بترول ايران (٥) . كما أن الحكومات الايرانية كانت منذ الاطاحة بحكومة الدكتور مصدق موالية للسياسة الامريكية (٦) .

كما تعاطفت الولايات المتحدة الامريكية مع المطالب السعودية بواحات البريمى التى احتدمت مشكلتها بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا التى كانت تفرض حمايتها على امارات الساحل العمانى فى الخليج العربى ، والمشكلة تخص امارة أبو ظبى وسلطنة مسقط وعمان ، وبدأت عام ١٩٥٤ م . وكان منطق الولايات المتحدة الامريكية ، مساعدة المملكة العربية السعودية باعتبارها الدولة القوية فى المنطقة (٧) ، وهو منطق نظرت اليه الحكومة البريطانية باعتباره تبريرا لكى تسيطر الاستثمارات الامريكية فى المنطقة وتمتد من المملكة العربية السعودية الى بقية الامارات العربية فى الخليج . ولكن نظرا لحرص الولايات المتحدة على حسن علاقاتها مع بريطانيا فى مواجهة تزايد قوة الاتحاد السوفيتى ، فقد تخلت الحكومة الامريكية عن مساندة المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٥٧ م

---

(٥) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢٧٩ .

(٦) احمد صبحى : البحرين ودعوى ايران ص ١٧٨ .

(٧) د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩١٤ — ١٩٤٥ م ص ٤٩١ .

وتركت الفرصة مواتية لبريطانيا لكى تحتل قواتها العسكرية واحات البريمى واعتبارها جزءا من امارة ابو ظبى .

كان تزايد المصالح الامريكية فى منطقة الخليج العربى اذن دافعا لحكومة الولايات المتحدة الى سياسة اكثر ايجابية وان كانت غير مباشرة لضمان المصالح الامريكية بصورة تجعلها غير مستهدفة لعداء اهل المنطقة ، ومن ثم راينا انه عندما اعلنت الحكومة البريطانية عام ١٩٦٨ م عن نيتهـا فى الانسحاب من شرقى السويس قبل أول عام ١٩٧١ م لجأت الولايات المتحدة الامريكية الى تدعيم كل من ايران والمملكة العربية السعودية باعتبار هاتين الدولتين من عوامل استقرار المنطقة فى مواجهة نمو الشعور الوطنى والقومى فى امارات الخليج وما قد يرتبط معه من عوامل اثارة وكراهية ضد المصالح الامريكية ، هـذا من ناحيـة ، ومن ناحية اخرى ان استقرار الامور فى المنطقة يساعد على مواجهة الخطر الشيوعى .

ذلك أن هذا الخطر تجلى ماثلا ضد المصالح الامريكية فى الخليج فى البيان الرسمى السوفيتى الذى صدر فى موسكو فى شهر مارس ١٩٦٨ م معترضا على فكرة قيام اتحاد بين امارات الساحل العمانى المتصالح ، واعتبار هذا الاتحاد حلف دفاعى موجه بالدرجة الاولى ضد أمن حدود الاتحاد السوفيتى الجنوبية . ومعنى هذا أن الاتحاد السوفيتى اعتبر — ولأول مرة — منطقة الخليج حدودا جنوبية له (٨) .

ولجأت الولايات المتحدة من اجل ذلك حماية لمصالحهـا الاقتصادية ومصالحها الأمنية فى وقت واحد ، استراتيجية هدفت الى انشاء القواعد والأحلاف العسكرية فى المنطقة ، وكانت أولى هذه القواعد قاعدة الظهران فى شرقى المملكة العربية السعودية على مقربة من ساحل الخليج العربى والتى انشئت فى الاصل بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ م لتأمين قاعدة جوية

(٨) د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩٤٥ — ١٩٧١ م ص ٣٥٢ .

صالحة فى الشرق الاوسط تربط القاهرة بكرانشى ، ومن ثم تسهل استمرار الحرب ضد اليابان (٩) .

واذا كانت قاعدة الظهران لم تمثل اهتماما لأمريكا حقيقيا حتى تم التوقيع على الاتفاقية التى تنظم تأجيرها من المملكة العربية السعودية عام ١٩٥١ م ، ثم تجددت لمدة خمس سنوات اخرى فى عام ١٩٥٧ م ، الا انها مع سياسة الولايات المتحدة غير المباشرة فى حماية مصالحها فى الخليج ومواجهة الخطر الشيوعى فقدت هذه القاعدة اهميتها ، ومن ثم آثرت الولايات المتحدة تصفية قاعدة الظهران فى نهاية المدة (١٠) .

وكان انشاء حلف بغداد عام ١٩٥٤ م استكمالا لسلسلة الاحلاف لصنع سور حديدى عسكرى حول الاتحاد السوفيتى ، بانشـــاء حلف الاطلنطى وانضمام تركيا واليونان اليه ، ثم حلف جنوب شرقى آسيا وانضمام الباكستان اليه ، ويجىء حلف بغداد ليضم العراق مع ايران وباكستان مع تركيا ، وتتزعم الحلف بريطانيا حتى تظل الولايات المتحدة تحرك الجميع من وراء ستار بما تمدهم به من أسلحة ودعم مالى ، ورغم معارضة مصر لهذا الحلف تلك المعارضة التى كان لها صدى عند ابناء الخليج ، فقد اســـتمر الحلف وباشتراك العراق فيه حتى قيـــام ثورة ١٩٥٨ م .

ورغم أن الولايات المتحدة الامريكية حرصت على تأييد اعضـــاء الحلف عسكريا وماليا ، بل وحضر بعض الرسميين الامريكيين اجتماعات الحلف ، الا انها لم تنضم اليه رسميا ، وكان ذلك كما يبدو لتجنب مواجهة الرأى العام العربى بصفة عامة ، والزعماء اليهود فى الولايات المتحدة ،

---

(٩) G. Lenczowski : The Middle East in World Affairs, p. 551.

(١٠) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العـــربى ص ٣٧٨ .

والملك سعود عدو نظام الحكم القائم آنذاك بالعراق ، وفوق الجميع الرئيس ناصر (١١) .

وحاولت بريطانيا ان تضم الى الحلف امارات الخليج العـــربى ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل رغم تلويح بريطانيا بالاستقلال لحكام الامارات نظير الانضمام للحلف ، فقـــد رفض حاكم الكويت العـــرض البريطانى تجنبا للتورط فى الانقسامات العربية ، ورفضت البحرين نفس العرض نظرا الى أن تيار المعارضة للحلف كان قويا عند اهل الجزر ، ويستند الى قواعد شعبية أكثر نضجا ورفض ســـعيد بن تيمور حاكم مسقط بسبب تمسكه بعزلته وخوفه من ان يكون الحلف اداة اتصـــال بالعالم الخارجى (١٢) .

ادركت الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية مبلغ الخطر الشيوعى على العالم الراسمالى ومصالحه فى انحاء العالم ، وجاء هذا الادراك مبنيـــا على شواهد وادلة ابعدت كل شك عن نوايـــا الاتحـــاد السوفيتى الحقيقية المتجهة الى التوسع مذهبا ونفوذا سياسيا .

ويمكن القول أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تشعر بالخطـــر السوفيتى على الراسمالية العالمية قبل الحرب العالمية الثـــانية ، ومع ذلك وقفت الى جانبه فى محاربة دول المحور ، وذلك رغم ما صرح به المستر مولوتوف **Molotov** وزير الخارجية السوفيتى فى عام ١٩٤٠ م بأن مركز اهتمام الاتحاد السوفيتى كان المنطقة الواقعة الى الجنوب من باطوم **Batum** وباكو **Baku** فى اتجاه الخليج العـــربى (١٣) . ورغم ما كشـــفت عنه محاكمات نورنبرج من محاولة جـــرت فى خلال

---

(١١) **American Assembly : The United States and the Middle East, p. 159.**

(١٢) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العـــربى ص ٣٨٠ .

(١٣) **American Assembly : The United States and the Middle East, p. 153.**

السنوات الاولى من الحرب العالمية الثانية وعلى وجه التحديد فى نهاية عام ١٩٤٠ م لتقسيم مناطق النفوذ بين دول المحور والاتحاد السوفيتى ، حيث طالب السوفييت ان تمتد منطقة نفوذهم عبر ايران حتى الخليج العربى (١٤) . ولا يعنى تقديم الولايات المتحدة مساعدات عسكرية الى الاتحاد السوفيتى أثناء الحرب عن طريق ايران للوقوف ضد اليابان ، أن الولايات المتحدة كانت تغفل الخطر الشيوعى .

ذلك أن الروس بعد عدة شهور من الهدنة بدات مطامعهم فى البلقان باثارة ما عرف بالحرب الاهلية فى اليونان التى اشعلها هناك الشيوعيون ، وبالضغط السوفيتى على تركيا من اجل التخلى عن ولايتين فى الشمال الشرقى والمشاركة فى الاشراف على المضايق — البسفور والدردنيل — وتحركات القوات السوفيتية فى شمال ايران عام ١٩٤٦ م باقامة حكومات شيوعية عميلة فى شمال غرب ايران .

ولم يكن بوسع الولايات المتحدة المدركة لتطلعات الاتحاد السوفيتى نحو الخليج العربى وربما أبعد من ذلك ، أن تقف مكتوفة اليدين ، اذ انتهزت فرصة الاجتماع الاول لمجلس الامن وطالبت بضرورة جلاء القوات السوفيتية من ايران (١٥) ، فتم ذلك بعد تأزم الموقف لمدة ثلاثة اسابيع ، وتبعه انهيار الحكومات العميلة فى شمالى غرب ايران .

ونتج عن ذلك حدوث الاهتمام الامريكى المباشر وبقدر كبير من المسئولية نحو أحداث الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، ومن خلال اهتماماتها الاوروبية فى اليونان ، فان الولايات المتحدة قد اجبرت على التدخل فى العالم العربى (١٦) ، وجاء مشروع ترومان **Truman** للتغلغل الفنى والاقتصادى فى منطقة الخليج وفى غيرها من البلاد

---

(١٤) د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩٤٥ — ١٩٧١ م ص ٧ .

(١٥) نفس المرجع لنفس المؤلف . American Assembly : p. 153.

(١٦) W.R. Polk : The United States and the Arab World, p. 263.

العربية (١٧) عام ١٩٤٧ م كمظهر للتدخل الامريكى أو ان شئت فقل حرص الولايات المتحدة على اغلاق كل باب أمام الخطر الشيوعى . كما جاءت خطط العسكريين السوفييت التى وضعت عام ١٩٤٨ م الرامية الى شن هجوم عسكرى مفاجىء على الخليج العربى ، مما يؤكد اقتناع الولايات المتحدة الامريكية بأهمية منطقة الخليج ، وادراكها أن هـذه المنطقة لم تعد مجالا للنفط فحسب بل أصبحت تشكل القاعدة الكبرى التى يمكن أن ينطلق منها هجوم جوى ضد منابع النفط السوفيتى فى باكو وباطوم (١٨) .

وبتوالى الاحداث فى المنطقة تنجر الولايات المتحدة الى مزيد مـن التدخل ، فعندما انحسرت القوة البريطانية الفرنسية شرقى السويس نتيجة لحـرب السويس عام ١٩٥٦ م ظهـر ما عرف بمبدأ ايزنهـاور **Eisenhawer Doctrine** الذى اعلنه الرئيس ايزنهاور فى يناير ١٩٥٧ م ووافق عليه الكونجرس بعد شهرين ، والمبدأ يعطى للرئيس سلطة تقديم مساعدة اقتصادية وعسكرية متضمنة التأييد بقوات عسكرية عند الضرورة لاية دولة من دول الشرق الاوسـط ترغب الحماية ــ وتقبل مـا يـدعو اليه المبدأ ــ ضد اية مغامرة عدوانية مسلحة من اية أمة تقودها الشيوعية الدولية (١٩) .

ونظرا لمعارضة الشعوب العربية لهذا المبدأ ، فان الرئيس الامريكى ايزنهاور لم يعمد الى تطبيق نظريته هـذه على منطقة الخليج العـربى معتبرا الحماية البريطانية سدا كافيا لهذا الفراغ (٢٠) . وهكذا لم يقدر

---

(١٧) د . سيد نوفل : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربى ص ٩٥ .

(١٨) بنو اميشان : عبد العزيز آل سعود ــ سيرة بطل ومولد مملكة ص ٢٢٧ .

(١٩) نفس المرجع لنفس المؤلف . **American Assembly : p. 165**

(٢٠) د . صلاح العقاد : الخليج العربى ونظرية الفراغ ، مجلة السياسة الدولية ــ أكتوبر ١٩٧٣ ص ١١٥ .

لهذا المبدأ أن يطبق فى منطقة الخليج العربى رغم ما أشيع من وجـــود اتفاق سرى بين الملك سعود بن عبد العزيز والرئيس ايزنهاور قبل فيه الملك مبدأ ايزنهاور . كما أصيب المبـــدأ بنكسة فى بقية منطقة الشرق الاوسط بسبب الشعور القومى الذى رأى فى كل مشروع للارتباط مع الغرب عودة الى عصر السيطرة الاستعمارية الاجنبية بأسلوب جديد .

كان على الامريكيين اذن أن يعدلوا من ســياستهم نحو أقطـــار الخليج العربى والاقطار العـــربية عامة ، ذلك أن انجلترا مارســـت نفوذها مطلقا فى الخليج ووقفت أمام الحركات الوطنية والقومية فى الخليج ، ولكن أصبح الوضع مختلف بعد النضج السريع الذى وصلت اليه دول الخليج ، والطفرة التى قطعتها فى المجالات التعليمية والاقتصادية (٢١) هذا فضلا عن شعورها بالانتماء العربى ازاء كل أحداث الامة العربية (٢٢) .

ومن الواضح ان الولايات المتحدة كانت حريصة على عدم منافســـة النفوذ البريطانى فى الخليـــج طوال وجود هـــذا النفوذ ، الا أن قرار بريطانيا عام ١٩٦٨ م بالانسحاب من شرقى السويس فى موعد أقصاه بـــداية عام ١٩٧١ م قـــد فرض على الولايات المتحدة أن تتخذ موقفا يتناسب مع رغبتها فى صـــــيانة الاستثمارات البترولية فى المنطقـــة والاستمرار فى ابعاد الخطر الشـــيوعى عن أن يمتد جنوبا عبر ايران الى الخليـــج العـــربى .

ولم يكن بوسع الامريكيين أن يلجأوا الى نفس الاسلوب الاستعمارى القديم الذى صار مكروها من المواطنين العرب عموما ، ولذلك نجدها تلجأ الى دعم الاستثمارات الاحتكارية فى مجالات النفط والمصـــارف ، والى تدعيم الدول الكبرى فى المنطقة كالمملكة العربية السعودية وايران ،

---

(٢١) د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩٤٥ — ١٩٧١ م ص ص ٣٦ .

(٢٢) نفس المرجع لنفس المؤلف . W.R. Polk : p. 283.

والتواجد العسكرى الامريكى فى الميـاه القريبة من المنطقة ، كل ذلك تحاشيا للاصطدام بالتيار الوطنى والقومى العربى المتزايد .

لقد ترتب على الانسحاب البريطانى من الخليج اذن تدخلا امريكيا اكثر ، وكان المجال الاقتصادى على راس الاهتمامات الامريكية ، وعن طريقه تظهر وتستـند الدعاوى الامريكية للتواجد الامـريكى ، ولذلك تزايدت رءوس الاموال الامريكية المستغلة فى بترول الخليج وفى المصارف ، وبالتالى لابد لهذه الاستثمارات الواسعة من حماية .

ومن الطبيعى أن تعلن الولايات المتحدة عن ضرورة تواجدها عسكريا فى منطقة الخليج من اجل حماية المصالح الامريكية ، ومن أجل ابعاد الخطر الشيوعى ، ولذلك نجدها تستغل ادعاءات ايران على البحرين لتصل الى اتفاقية مع دولة البحرين تمكن الاسطول الامريكى من الاحتفاظ بقاعدة الجفير التى كانت اصلا بريطانية ، وبررت الحـكومة الامريكية اهمية الاحتفاظ بهذه القاعدة أنها تساعد فى سد فراغ تركه الوجود العسكرى البريطانى ، فضلا عن أنها قد تكون عاملا للاستقرار فى المنطقة ، اذ قد تستخدم فى عرقلة تواجد سوفييتى محتمل (٢٣) .

واذا كانت دولة البحـرين قد قبلت هذه الاتفاقية فلأنهـا كانت تتعرض لتهديدات ايرانية ، ومـع ذلك فعندما انتهت تلك التهـديدات باعتراف ايران باستقلال البحرين أواخر عام ١٩٧١ م ، اتخذت البحرين اجراءات قصر دور القاعدة على تقديم تسهيلات للاسطول الامريكى الـذى كان يزور موانى الخليج ، وخلال حرب رمضان/أكتوبر ١٩٧٣ م ألغت البحرين هذه التسهيلات .

ولا يمكن ان ننهى كلامنا دون الاشارة الى دور الشعب العـربى فى دول الخليج العربى أمام الاستراتيجية الامريكية التى تبلورت اخيرا

---

(٢٣) د . جمال زكريا : الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى ، المجلد العشرون من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

فى اتخاذ مواقف غير مباشرة لتنفيذ هذه الاستراتيجية تجنبا للصدام مع الشعور العربى فى المنطقة .. ذلك ان الوعى القومى العربى قد نضج فى المنطقة متأثرا بالاحداث التى شهدتها الاقطار العربية منذ اكثر من ربع قرن من الزمان .

ولعل مواقف دول الغرب وعلى راسها انجلترا فى معاداة الامانى العربية فى الحرية والوحدة ، وكلما انغمس الغرب فى معاداة الحقوق والمطالب المشروعة للشعوب العربية ، وفى تأييد الصهيونية العالمية ، كلما ساعد ذلك على تطلع العرب نحو شعوب ودول كبرى معادية للغرب للحصول علـــى تأييدها ، ومن ثم يؤدى ذلك كما يقول الامريكيون الى مرور السوفييت الى المنطقة بسهولة (٢٤) .

وكانت دول المعسكر الغربى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية تنظر الى التعاون العربى السوفيتى نظرة عداء ، وتفسر تحركات اية دولة من الدول العربية على انها نتيجة للتاثيرات السوفيتية ، ولذلك اصيبت الولايات المتحدة بالدهشة من حدوث ثورة فى العراق عام ١٩٥٨ م على يد ضباط صغار الرتب ، ولكنها لم تستطيع ان تذكر ان هذه الثورة ترجع الى تاثيرات شيوعية لأن الشيوعيين لم يكن لهم فى الغالب دور فى انفجارها (٢٥) .

ولا يمكن اغفـــال المواقف القومية لعـــرب الخليج من القضـــايا والاحداث العربية ، من هذه المواقف قيـــام بعض افراد من حركة القوميين العرب فى الكويت باشعال النيران فى بعض آبار البترول خـــلال وقوع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م ، والذين وصل ثمانية منهم الى عضوية اول مجلس نيابى يتم تشكيله فى الكويت عام ١٩٦٣ م .

كما كان من هذه المواقف تلك الانتفاضات القومية فى البحرين المعتمدة على الشباب المتعلم ، والذين علـــى اكتافهم تم افشال مســـاعى ضم

(٢٤) نفس المرجع لنفس المؤلف . American Assembly, p. 171.

(٢٥) نفس المرجع لنفس المؤلف . W.R. Polk : p. 283

البحرين الى عضوية حلف بغداد عام ١٩٥٥ م ، وظهور زعامات وطنية قادت الى مظاهرات عنيفة ضد كل ما هو بريطانى نتيجة اشتراك بريطانيا فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م .

كما شهدت امارات الساحل العمانى مواقف قومية شملت الحكام والشعب ، منها موقف الشيخ صقر بن سلطان القاسمى حاكم الشارقة الذى اهتم بالاصلاحات الاجتماعية والثقافية ومال الى التعاون مع الجامعة العربية والابتعاد عن النفوذ الاستعمارى مما جلب عليه عداء بريطانيا ومن ثم ساعدت على خلعه عام ١٩٦٥ م ، وموقف الشيخ صقر بن محمد بن سالم القاسمى حاكم راس الخيمة ، وابن عم حاكم الشارقة ، والذى كانت له ايضا ميولا قومية تمثلت فى مناداته منذ عام ١٩٦٠ م بانشاء مكتب للجامعة العربية فى الساحل العمانى ، وتاييد اشتراك مصر وغيرها من الدول العربية فى تطوير الامارات والمناداة بقيام تعاون بين حكام الخليج (٢٦) .

ومن تلك المواقف القومية تجاوب أبناء الخليج عموما تجاوبا قوميا مع احداث المنطقة العربية فى سرائها وضرائها ، فلا يمكن تناسى الغضب الذى اجتاح الخليج العربى نتيجة العدوان الاسرائيلى على مصر وسوريا والاردن عام ١٩٦٧ م ومساهمة دول الخليج المستقلة فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م بصورة ساهمت فى تحقيق النصر العربى .

واخيرا فان سياسة الشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الامارات العربية فى تنمية مجالات الحياة المختلفة لشعب الدولة انما هى لتدعيم قوة العرب التى يسعى الى مدها بكل اسباب الاستمرار . ولقد شهدت دولة قطر منذ الحركة التصحيحية التى قادها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى فبراير ١٩٧٢ م نهضة شاملة فى كل ميدان من ميادين الحياة .. فى السياسة العربية الواعية ، والسياسة الدولية المتزنة ، والبناء الداخلى المستمر فى مجالات الاقتصاد النامى والتعليم المتكامل بمراحله الأولى والوسطى والعالية ، وغير ذلك من ميادين دفعت بدولة قطر خطوات كبيرة الى الامام ، وكل ذلك قوة لكل العرب ، ولا يمكن تناسى دور دولة قطر فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ م وبعدها لتحقيق الانسجام والتكامل العربى .

---

(٢٦) د . جمال زكريا : الخليج العربى ١٩٤٥ — ١٩٧١ م ص ٢١٠ .

الفصل الثالث عشر

مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربى

- مقدمة .
- المصالح الامريكية .
- الاطماع السوفيتية .
- مستقبل العلاقات الدولية .

مقدمـــة *

تتطلب النظرة المستقبلية للتاريخ الرجـــوع الى جذور الاحـــداث التاريخية المعاصرة لمعرفة مدى تأثيرها فى المستقبل ، انطلاقا من ان التنبؤ بالاحداث التاريخية عملية علميـــة وضروريـــة فى دراسة التاريخ اذ ان دراسة الماضى تفيد فى فهم وتفسير الحاضر وتفيد أيضا فى التنبؤ بالمستقبل

وحيث أن البحث المقدم يتناول مستقبل العلاقات الدولية فى الخليج العربى كان لابد للباحث من استقراء جذور الأحداث المعاصرة لايضـــاح مؤشرات المستقبل فى هـــذه المنطقة الحساسة من العالم . والتى لا نكون مبالغين اذا قلنا ان الصراع العالمى قد اقترب منها واصبحت بالتالى منطقة ســـاخنة قابـــلة للالتهـــاب مع اقتراب الصراع الـــدولى الاستراتيجى والاقتصادى .

وليس هناك شك فى ان اهمية منطقة الخليج العربى قديمة وليست وليـــدة الفترة المعاصرة فى التاريخ ، فالخليج منذ العصور الوسطى كان احـــد شرايين التجـــارة العالمية المزدهرة بين الهند وأوروبا ، والخليج اصبح مثار اهتمام انجلترا منذ تأسست مستعمرتها فى الهند ، حيث أصبح منـــذ أواخـــر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين طريقا رئيسيا لتجارة ومواصلات الامبراطورية البريطانية .

وجاء استخراج النفط من مسجد سليمان فى جنوب فارس عام ١٩٠٨م ليعطى للحكومة البريطانية سببا آخر يؤكد اهمية الخليج العربى للقـــوى العالمية ومن ثم اخذت تلك الحكومة على عاتقها احتكار ذلك المورد الهام(١)،

(*) قدم هذا البحث فى الندوة العلميـــة العالمية الرابعة لمركـــز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة فى المدة من ٢٩ — ٢١ مارس ١٩٨١م .

(١) د . محمد الرميحى : البترول والتغير الاجتماعى فى الخليـــج العربى ص ١٧ — ١٨ .

وحاولت ابعاد القوى الأخرى عن المنطقة وعن نفطها ، وكلنا يذكر موقف انجلترا العنيد من محاولات الشركات البترولية الامريكية الساعية للمشاركة في استغلال نفط العراق تحت دعوى سياسة الباب المفتوح Open Door Policy الامريكية ، تلك السياسة التى تقــوم على ضرورة تمتــع مواطنى مختلف دول العالم بنفس الفرص للنشاط فى الأقطار الخاضــعة للانتداب الدولى وانه يجب عــدم منح امتياز لأية دولة بمفردها يكون من نتائجه تحقيق ضرر بمصالح دولة اخرى .

كان ظهور النفط فى اقطار الخليج العربى اذن مجالا جديدا للتنافس الدولى ولدخول منطقة الخليج العربى ، مجال الصراعات الدولية ممــا سنفصله فيما بعــد ، لاننا يجب ان نوضح هنا تأثيرات « عصر النفط » على المجتمع الخليجى حيث اننا نعتقد ان للصراع الدولى صــداه وتأثيره داخليا الى جانب كونه يأتى بعوامل خارجية على المجتمع الخليجى .

من المسلم به ان الثروة النفطية المتزايدة فى اقطار الخليج العــربى ساعدت على بلوغ تلك الاقطار مبلغ الاستقلال وتكوين فائض لعائدات النفط استطاعت به اثبات وجودها على مسرح السياسة الدولية وان ظهر ذلك بصــورة تميــل الى المحافظة فظهرت انظمة حكم صديقة لبريطانيا من جهة ومسايرة لأحــوال المجتمع القبلى فى مرحلة تطوره الاولى نحــو المجتمع الحديث من جهة اخــرى ، وذلك لأن الطفرة فى انظمة الحــكم قد تحــدث نوعا من الفوضى والاضطرابات تضر بالمجتمع الخليجى غــير المهيأ لهذه الطفرة(٢) .

ومن الطبيعى أن يظل النفط والثروة العائدة منه اهم عوامل التغير الرئيسية فى المجتمع الخليجى خلال السنوات القادمة على المدى المنظور ولكن من الحقيقى ايضا ان النفط هو الآن ومن المحتمــل استمراره كعامل

---

(٢) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العــربى ص ٣٤٢ .

استقرار أو ضمان ضـــد الفوضى أو الاضطراب الداخلى . وأيضـــا وكما ذكـــر الرئيس جمـــال عبد الناصر ذات مـــرة مشيرا الى النفط « بـــأن أصحابه لا يمكنهم أن يشربونه » ، وأن الاسواق الرئيسية لاحتيـــاطى نفط الخليج الهائل ستبقى بعيدا عن سيطرة القـــوى المحلية الخليجيـــة فسيظل هنـــاك دائما نقاط احتكاك أو اثارة ، وحتى عند الثوريين قـــد تصل الى بعض الاتفاقات مع الذين يبيعونه (٣) .

ومن الملاحظ أن الاقطار الخليجية انشغلت بعائدات النفط المتزايـــدة لأحداث تغيير اجتماعى اقتصادى اكثر من انشغالها بأحداث تغييرات سياسية فقد ظـــل الحكم فى تلك الاقطار فى يد عائلات حاكمة حكما وراثيا — فيمـــا عـــدا العراق — تتجمع فى يد الأمير الحكم والسلطة والمال . وهو أمـــر لا يساعد كثيرا فى تجـــاوز الانقسامات بين أقطار الخليج بل ولا يؤدى الى توزيع الفائض المالى الكبير الذى يتعدى حاجة الأقطار المنتجة للبترول للمساهمة فى رفـــع مستوى معيشة شعوب الأقطار الخليجية وغـــير الخليجية الأخرى من أمة العـــرب .

ومن ناحية البناء الاجتماعى والاقتصادى فقد استعانت أقطار الخليج العربى البترولية بأبناء العرب وغير العرب الذين يتمتعون بمهارة لا تتوفر فى أبناء الخليج العربى ، مما كان له تأثير كبير فى تغيير ملامح المجتمع الذى أصبح نتيجة لذلك يتكون من مجموعتين من الســـكان : محليون وأجانب وترتب على وجود العناصر غير الخليجية عربية كانت أو أجنبية فى أقطار الخليج العربى منافسة هذه العناصر للعمال المحليين ، وما يساعد على ذلك عزوف القوى المحلية عن العمل فى كثير من الخدمات ، نظرا لظهور مجتمعات جديدة تعددت عناصرها مما أدى الى نمو أحاسيس من الكراهية تجـــاه هذه العناصر (٤) .

---

(٣) David Holden : The Persian Gulf; After the British-raj, p. 734.

(٤) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراســـة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ — ١٩٤٥ ص ٥١٥ — ٥١٦ .

كما ادت الثروة النفطية الى ظهــور طبقة من التجار الذين تخلوا عن التجارة التقليدية بترك صيد اللؤلؤ والغوص عليه فى مياه الخليج العربى والتخلى عن قوافل التجارة وسلعها الاولى ، الى العمــل فى المنتجات الاوروبية والامريكية ، وفى الوقت الذى انفردت فيه انجلترا بالنفوذ السياسى والاقتصادى فى منطقة الخليج العربى ، فقد استقبلت أقطار الخليج العربى المصنوعات الامريكية التى لم تكن تستطيع منافسة مثيلتها البريطانية ، وحملت السفن الامريكية منتجات الخليج مثل التمر من عمان والعراق الى جانب البترول (٥) . وسعت الولايات المتحدة الى ضمان استمرار فتح اسواق الخليج أمام الرعايا الامريكيين وتمتعهم بالاقامة والانتقال بأمان فى المنطقة (٦) .

كما ادت الثروة النفطية الى تدعيم النزعة الاقليمية عند الاقطار الخليجية المنتجة للنفط وتملكت هــذه الاقطار أنانية التملك القائمة على عدم الرغبة فى توزيع تلك الثروة على الاقطار المجاورة غير النفطية ، ومن ثم اهملت فكرة القومية العــربية ، وبقيت بالتالى عملية التجزئة قائمة ، واستمرار وضع التجزئة جعل الشركات والاستثمارات الاجنبية تطمئن على مستقبلها فى منطقة الخليج وخاصة فيما يتعلق باجراءات التأميم ، فالامارات الصغيرة اقل قدرة على اتخاذ مثل هذا الاجــراء . كما أن الثروة الاقليمية تزداد قوة لدى الدول الصغيرة قليلة السكان محدودة المساحة (٧) .

كما أن الثروة النفطية قد جرت الى حدوث خلافات حول الحدود المشتركة بين الاقطار الخليجية العربية ، حيث لم تعرف شبه الجزيرة

---

(٥) De Nova, J.A. : American intersts and policies in the Middle East, p. 40.

(٦) Polk, W.P. : The U.S.A. and the Arab World, p. 289.

(٧) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٣٤٥ — ٣٤٧ .

العربية تخطيطا جغرافيا للحدود بين القبائل ، اذ أن القبائل لا تعترف بالحدود والفواصل لعدم وجود وطن دائم ومستقر لها . وادى ظهور النفط واستخراجه بواسطة الشركات الاجنبية الى ظهور مشكلة تخطيط الحدود بين الاقطار العربية فى الخليج وشبه الجزيرة العربية ، حيث اصبحت مشكلات الحدود من المشكلات الحساسة فى الخليج حيث تقاس « بالاشبار » وليس بالاميال على مستوى الحكومات ، فنشأت فى كل مكان مشكلة حدودية بعد أن كانت الحدود من رسم المستعمر ورغما عن أنف الشعوب (٨) .

وكان من المفروض على أقطار الخليج العربى تجاوز هذه الحساسيات والالتفاف لمواجهة الاخطار المحلية والخارجية ، وكما هو معلوم فالاخطار المحلية تتمثل فى الاطماع الايرانية فى أقطار الخليج العربية ، كما تتمثل الاخطار الخارجية فى قوى الاستعمار العالمى الشيوعى والراسمالى وكان أمل القوميين العرب أن يتجمع عرب الخليج فى وحدة يكون البترول وثروته محور الارتكاز فيها حتى تكون تلك الوحدة شبيهة بالوحدة الاوروبية التى تجمعت حول اتحاد الصلب مع الفارق فى أن العرب أمة واحدة بينما الشعوب الاوروبية أمما قومية متعددة . واذا تحقق للقوميين العرب املهم فان ذلك سيحقق أمن الخليج بمفهومه الشامل من حيث الوحدة السياسية مع التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة لشعوب أقطار الخليج العربى .

المصالح الامريكية

رغم اننا لا نميل الى استخدام تعبير « المصالح الامريكية » عند الحديث عن الاستثمارات الاقتصادية الامريكية والنشاطات الثقافية والاهداف الاستراتيجية فى المنطقة العربية بصفة عامة ومنطقة الخليج العربى بصفة خاصة ، لان هذا التعبير يحمل فى طياته حقوقا للولايات

(٨) د . محمد الرميحى : المرجع السابق ص ١١٩ — ١٢٠ .

المتحدة فى الارض العربية ، الا اننا نستخدمه كتعبير مختصر عن النشاطات الاقتصادية والثقافية والاستراتيجية فى المنطقة تلك النشاطات التى تتطلب من الحكومة الامريكية اتخاذ مواقف واجراءات لحمايتها وتدعيمها سواء فى الحال او فى المستقبل .

ومن المعلوم أن النشاطات الامـريكية فى منطقة الخليج العـربى بدات أواخر القرن التاسع عشر فى صورة ارسالية بروتستانتية انشـأت لها مراكز فى كل من البصرة والبحرين والكويت ومسقط ، واحتوى كل مركز على كنيسة ومستوصف طبى او مستشفى صغير ، ومدرسة الى جانب انشاء نادى اجتماعى ، وقيام رؤساء الارسالية بزيارات دورية للبلاد الداخلية وطبع وتوزيع كتب الادب البروتستانتى وغير البروتستانتى (٩) وقد استغل زويمر رئيس الارسالية صداقاته مـع بعض زعماء المنطقة العرب فى توزيع تلك الكتب مما عده المسلمون هجوما من « الاب زويمر » والملتفين حوله على الدين الاسلامى (١٠) .

وجاء النشاط الاقتصادى الامريكى فى منطقة الخليج العربى على استحياء ويتفق مع رغبة الحكومة الامريكية فى عدم الدخول فى منافسات معقدة مع انجلترا صاحبة النفوذ السياسى فى المنطقة ، واقتصر هـذا النشاط — وقبل ظهور البترول — على عقد اتفاقية مـع سلطنة عمان للصداقة والتجارة عام ١٨٣٣ م حيث تمتع التجار الامريكيون فى السلطنة فى شقها العربى (مسقط) وشقها الافريقى (زنجبار) ببعض الامتيازات التجارية والقنصلية (١١) . وحتى بعد أن شاركت الاستثمارات الامريكية فى بترول العراق . استمرت السياسـة الامريكية تقوم على الاكتفـاء برعاية مصالح المواطنين الامريكيين هناك ، وفى الوقت نفسه كان هؤلاء

---

(٩) De Nova, J.A. : op. cit. p. 12.

(١٠) لوريمر : دليل الخليج التاريخى ج ٣ ص ١٤٠٨ .

(١١) نفس المرجع ص ٧٢٨ .

المواطنين غير مستعدين لادخال حكومتهم فى مسائل سياسية دولية لا نرغب فى الدخول فيها (١٢) .

ولان الحكومة البريطانية قد حصلت على تعهدات من حكام مشيخات الخليج العربية خلال الربع الاول من القرن العشرين بألا يمنحوا امتيازات بترولية فى اراضيهم لأية شركة اجنبية دون الرجوع الى الحكومة البريطانية ، فلم يكن امام شركات البترول الامريكية من مجال تنفرد بالنشاط فيه سوى المملكة العربية السعودية . وعندما نجحت تلك الشركات فى العثور على النفط فى الاراضى السعودية بكميات تجارية تقدمت شركات بترول بريطانية والمانية بعروض سخية للملك عبد العزيز للحصول على امتيازات مماثلة للامتيازات التى حصلت عليها الشركات الاجنبية الامريكية ، ولكن الملك رفض هذه العروض جميعا وفضل الاستمرار فى تعاقداته مع الشركات الامريكية وحدها تجنبا للصراع السياسى وتأثيره على التنمية الاقتصادية لبلاده (١٣) .

ومع هذا كانت هناك استثمارات بترولية امريكية فى اجزاء اخرى من امارات ودول الخليج العربى . اذ شاركت تلك الاستثمارات فى استخراج وتسويق بترول البحرين من خلال شركة « بابكو » (١٤) Ba. P. Co. عام ١٩٣٠ م والتى صارت تعرف باسم « كالتكس » Caltix بعد انضمام شركة « تكساس » Texas الامريكية اليها عام ١٩٣٥ م . كما شاركت الاستثمارات الامريكية فى البحث وانتاج وتسويق نفط الكويت من خلال شركة « كوك » (١٥) . «K. O. C. التى تأسست عام ١٩٣٣ م واشتركت فيها من حيث الملكية والتمويل كل من شركة بترول الخليج

(١٢) De Nova, J.A. : Op. Cit., p. 354.

(١٣) Lenczowski G. : The Middle East in World Affairs, p. 549.

(١٤) شركة بترول البحرين . Bahrein Petroleum Company.

(١٥) شركة بترول الكويت . Kuwait Oil Company.

الامريكيـــة وشركة البترول الانجليزية الفارســـية (١٦) . كما شـــاركت الاستثمارات الامريكية من خلال شركة بترول العراق فى التنقيب واستخراج البترول فى كل من قطر وامارات الساحل العمانى وسلطنة عمان .

وهكذا صارت للولايات المتحدة الامريكية استثمارات بترولية كبيرة فى منطقة الخليج العربى ، اذ صارت الشركات الامريكية عقب انسحاب بريطانيا من المنطقة تمتلك ٤٧٪ من استثمارات البترول فى المنطقة ، كما أن الاسطول السابع الامريكى يتم تموينه من بترول المنطقة ، ويبلغ دخل شركات البترول الامريكية العاملة فى منطقة الخليج العربى هذه ما بين ٢ر١ و ٦ر١ بليون دولار كل عام (١٧) . وهو ما يستدعى أن يكون للولايات المتحدة استراتيجية محدودة وواضحة هناك .

كان ظهور البترول فى منطقة الخليج العـــربى فى الثلاثينيات مـــن القرن الحالى الى جانب اشتراك الولايات المتحدة الامريكية فى الحرب العالمية الثانية وتواجـــدها فى المنطقة ، بالاضافة الى ظهـــور الاطماع السوفييتية فى الخليج العـــربى ، كان كل ذلك مبررا لمزيد من التدخل الامريكى فى المنطقة من أجل حماية الاستثمارات البترولية الامريكية ولوقف امتداد السوفييت عبر ايران الى المنطقة ، مما اعتبر الخليج العربى ذا اهمية فى الدفاع الوطنى وفى مركز الولايات المتحدة فى السياسة العالمية (١٨) .

وقد اتبعت الولايات المتحدة استراتيجية من أجل حماية استثماراتها البترولية وحماية المنطقة من اطماع السوفييت ، تقوم على اســـتخدام قواعد عســـكرية وتشـــكيل احلاف دفاعية ، وتقوية القـــوى المحافظة الصديقة ، فكانت قاعدة الظهران التى انشئت بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٦

(١٦) Polk, W.P. : OP. Cit., p. 238.

(١٧) هانسون وبالدوين مترجمة : استراتيجية للغد ص ١٨٤ .

(١٨) Lenczwoski, G. : OP. Cit., p. 671.

فى شرق المملكة العربية السعودية لتأمين قاعدة جوية صالحة فى الشرق الاوسط تربط بين القاهـــرة وكراتشى ، ومن ثم تســـهل الحرب ضـــد اليابان (١٩) ، كما دارت مفاوضات بين الولايات المتحدة الامريكية وسلطنة عمان للحصول على قواعد او تسهيلات عسكرية للقوات الامريكية بأراضى الســـلطنة الا ان السلطان سعيد بن تيمور اشترط شروطا اعتبرهـــا الامـــريكيون شروطا مغاليا فيهـــا من اجل اعطاء تســـهيلات للطائرات الامريكية فى اراضى السلطنة ، ومن ثم لم تتخذ خطوات ايجابية فى هذا السبيل (٢٠) .

وتمثلت الاستراتيجية الامريكية فى منطقة الخليج العربى أيضـــا فى فرض احلاف دفاعية على اقطار المنطقة ، ومن هنا ظهـــر حلف بغداد عام ١٩٥٥ م ورغم ان الولايات المتحدة لم تنضم رسميا للحلف وتركت لبريطانيا تزعمه وانضمت اليه اقطار صديقة للغـــرب مثل تركيا وايران وباكستان الى جانب العراق وبريطانيا فان اسلحة الحلف وتمويله كانت على عاتق الولايات المتحدة ، وحاولت بريطانيا ان تضم اقطار الخليج العربى الى الحلف فى مقابل منحها استقلالها الا ان المحاولة البريطانية فشلت ، وجاءت ثورة العراق عام ١٩٥٨ م لتقضى على الحلف .

وقد اصيبت الولايات المتحدة بالدهشة بسبب حدوث تلك الثورة على يد ضباط صغار الرتب ومن ثم لم تستطع الحكومة الامريكية ان تدعى ان هذه الثورة ترجع الى تأثيرات شيوعية لأن الشيوعيين لم يكن لهم دور اساسى فى انفجارها (٢١) .

واعتمادا علـــى النفوذ البريطانى فى حلف بغداد لم تلجأ الولايات المتحدة الى فرض مشروع ايزنهاور بملء الفـــراغ عام ١٩٥٧ م — بعد

---

(١٩) Ibid, p. 551.

(٢٠) د . رأفت الشيخ : امريكا والعلاقات الدولية ص ٢٢٩ .

(٢١) Polk, W.P. : Op. Cit. p. 283.

تقلص النفوذ البريطانى شرقى السويس بعد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م على اقطار الخليج العربى باعتبار ان الحماية البريطانية — القائمة فى المنطقة منذ سنوات الحرب العالمية الاولى — سدا كافيا لهذا الفراغ (٢٢) . وتمشيا مع الاتجاه القومى فقد شهدت منطقة الخليج العربى مظاهرات شعبية عقب عدوان اسرائيل على اقطار المواجهة العربية عام ١٩٦٧ م .

كما تمثلت الاستراتيجية الامريكية كذلك فى منطقة الخليج العربى فى تدعيم وتقوية القوى المحافظة والصديقة فى المنطقة والمتمثلة اساسا فى كل من السعودية وايران وذلك ببيع الاسلحة الحديثة للدولتين مع وجود فنيين أمريكيين مع صفقات الاسلحة والتواجد الثقافى والتكنولوجى فى اقطار الخليج العربى (٢٣) . وقد ظهر هذا التدعيم وهذه التقوية بصورة تدريجية مع زيادة الاستثمارات الامريكية فى المنطقة وان ظهرا بصورة واضحة وكبيرة عقب انسحاب بريطانيا من المنطقة عام ١٩٧١ م .

الاطماع السوفييتية

لم تكن الاطماع السوفييتية فى منطقة الخليج العربى خافية على الولايات المتحدة والمعسكر الغربى بصفة عامة قبل الحرب العالمية الثانية . وجاء تصريح المستر « مولوتوف » Molotov وزير خارجية الاتحاد السوفييتى ليظهر هذه الاطماع للجميع . فقد صرح عام ١٩٤٠ بأن محور اهتمام الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الاوسط يتمثل فى المنطقة الواقعة الى الجنوب من باطوم Batum وباكو Baku — مراكز انتاج النفط فى الاراضى السوفييتية قرب بحر قزوين — باتجاه الخليج (٢٤) .

(٢٢) د . صلاح العقاد : الخليج العربى ونظرية الفراغ ، مجلة السياسة الدولية اكتوبر ١٩٧٣ ص ١١٥ .

(٢٣) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٢٤) American Assembly, Columbia University : The U.S. and The Middle East, p. 153.

كما أن محاكمات « نورمبرج » التى اعقبت الحرب العالمية الثانية قد كشفت عن محاولة جرت فى نهاية عام ١٩٤٠ م — بينما المعارك الحربية دائرة — من اجل تقسيم مناطق النفوذ بين الاتحاد السوفيتى ودول المحور . وكان الاتحاد السوفييتى يطالب ان يمتد نفوذه ، عبر ايران الى الخليج العربى (٢٥) وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت الاطماع السوفييتية اكثر وضوحا فى منطقة الخليج حيث ادت تحركات القوات السوفييتية فى شمال غربى ايران عام ١٩٤٦ م الى اقامة حكومات عميلة شيوعية هناك .

ورغم أن الولايات المتحدة قدمت الى الاتحاد السوفييتى مساعدات عسكرية اثناء الحرب العالمية الثانية عن طريق الاراضى الايرانية للوقوف ضد اليابان الا انها كانت تدرك تلك الاطماع السوفييتية ، ومن ثم نجدها تنتهز فرصة الاجتماع الاول لمجلس الامن عام ١٩٤٦ م فطالبت بضرورة جلاء القوات السوفييتية من ايران (٢٦) ، فتم ذلك بعد تازم الموقف لمدة ثلاثة اسابيع وبعد جلاء تلك القوات انهارت الحكومات الشيوعية العميلة فى شمال غربى ايران .

ورغم ذلك فقد استمرت الاطماع السوفييتية فى منطقة الخليج العربى ماثلة فى اذهان السوفييت ، فعلى سبيل المثال فقد وضع العسكريون السوفييت عام ١٩٤٨ م خططا عسكرية ترمى الى شن هجوم مفاجىء على منطقة الخليج العربى ، مما كان له اثره على موقف الولايات المتحدة التى اقتنعت باهمية المنطقة وان الخليج لم يعد مجالا للنفط فحسب بل اصبح يشكل القاعدة الكبرى التى يمكن ان ينطلق منها هجوم جوى ضد منابع النفط السوفييتى فى باكو وباطوم (٢٧) .

---

(٢٥) د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى (١٩٤٥ — ١٩٧١) ص ٧ .

(٢٦) Ibid, p. 153.

(٢٧) بنواميشان : عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة ص ٢٧٧ .

وعلى هـذا تعددت المشاريع الدفاعية الامريكية عن مصالحها فى المنطقة (الخليج العربى) والجزيرة العربية بل وايران وباكستان . وقد تمثلت تلك المشاريع فى انشاء قاعـدة الظهران التى تقـع قرب شاطىء الخليج العربى وقرب حقول البترول فى الدمام بالاراضى السـعودية ، كما تمثلت تلك المشاريع فى ظهور حلف بغداد فى يناير ١٩٥٥ م ليشكل حزاما امنيا للمنطقة ضـد الاطماع السوفييتية حيث ضـم كلا مـن تركيا والعراق وايران وباكستان الى جانب بريطانيا وبتمويل من الولايات المتحدة الامريكية التى لم تنضم رسميا للحلف بسبب رغبتهـا فى عدم مواجهة الراى العام العربى الذى يكره الاحلاف الغربية . وعدم مواجهة الزعماء اليهود الامريكيين الذين لا يستريحون لتدعيم قوة العراق حتى ولو كان ذلك من خلال تنظيمات الحلف وتحت اشرافه . وعدم مواجهة معارضة الملك سعود بن عبد العزيز عدو الهاشميين فى العراق والاردن . وعدم مواجهة اكثر الجميع معارضة الرئيس المصرى جمال عبد الناصر (٢٨) .

كما تمثلت المشاريع الدفاعية الامريكية فى المنطقة أيضا فى ظهور ما عرف باسم مبدا ايزنهاور **Eisenhower Doctrine** الذى اعلنه الرئيس الامريكى ايزنهاور فى يناير ١٩٥٧ م ووافق عليه الكونجرس الامريكى بعد شهرين ، ويعطى المبدا للرئيس الامريكى سلطة تقديم مساعدة اقتصادية وعسكرية الى جانب التأييد بقوات عسكرية عند الضرورة الى أية دولة من دول الشرق الاوسط ترغب فى حماية امنها ضد أية مغامرة عدوانية مسلحة من اية امة تقودها الشيوعية الدولية (٢٩) .

وجاء مبدا ايزنهاور عقب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م فى الوقت الذى نضج فيه الشعور القومى العـربى فى الخليـج متأثرا

---

(٢٨) Ibid, p. 159.

(٢٩) Ibid, p. 165.

بالاحداث السياسية التى شهدتها الساحة العـــربية منذ ثورة ١٩٥٢ م بمصر وسياستها القومية والمناهضة للاستعمار ، ومن ثم رفضت اقطار الخليج العربى أن تجرها السياسة الغربية للانضمام لمبدا ايزنهاور ، حتى لا تكون هناك مواجهة بين حكام تلك الاقطار وبين الحركات الوطنية التى بدات فى الظهور فى المنطقة منذ عام ١٩٥٦ م كما حدث فى كل من البحرين والكويت ، كما ان بعض أقطار الخليج العربى شهدت تكوين منظمات عربية تحمل اتجاهات ايديولوجية (٣٠) .

ويمكن ارجاع هذه الاتجاهات الايديولوجية الى مواقف دول المعسكر الغربى وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية المعادية لأمانى العـــرب القومية وكلما انغمس المعسكر الغربى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية فى معاداة الأمانى العربية وتأييد الصهيونية العالمية كلما ساعد ذلك على مرور السوفييت الى المنطقة بسهولة (٣١) .

ورغم أن السوفييت اتفقوا مع القوميين العرب فى الترحيب بانسحاب بريطانيا من الخليج الذى اعلن عنه فى عام ١٩٦٨ م على أن ينفذ مـــع بداية عام ١٩٧١ م ، الا ان الحـــكومة السوفييتية اعترضت منذ عام ١٩٦٨ م على فكرة قيام اتحاد بين امارات الخليج العـــربى — امارات الساحل العمانى وقطر والبحرين — على اساس ان هذا الاتحاد يمثل — فى رأى الحكومة السوفييتية — حلفا دفاعيا موجها بالدرجة الاولى ضد أمن حدوده الجنوبية ، اى ان الاتحاد السوفييتى اعتبر منطقة الخليـــج العربى حدودا جنوبية له (٣٢) .

وفى ظل الاطماع السوفييتية فى منطقة الخليج العربى ومواقف دول المعسكر الغربى ، وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ضد هـــذه

---

(٣٠) د . جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٣١) Ibid, p. 171.
(٣٢) د . جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ص ٣٥٢ .

الاطماع ، وضد الاتجاهات القومية لشعوب المنطقة التى بدات تمارس ضغطا قويا على حكام اقطار الخليج العربى ، سواء جاءت هذه الاتجاهات القومية من حـــركات القوميين العرب فى كل من الكويت والبحرين او تمثلت فى نزعة بعض الحكام القومية — خاصة حكام كل من الشارقة ورأس الخيمة خلال الستينات من القرن الحالى — او ظهور زعامات وطنية فى مجالات العمال والشباب بالبحرين بصفة خاصة . وكل هـــذه الاتجاهات كانت متأثرة بحركة القومية العربية ومناهضة للاســـتعمار . وبالتالى تفرض على الولايات المتحدة وريثـــة بريطانيا فى فرض النفوذ فى المنطقة — كما تسعى — اتباع استراتيجية تناسب هذه الاتجاهات .

مستقبل العلاقات الدوليـــة

تطورت الصراعات الدولية حول الخليج العـــربى كما رأينا بصورة واضحة خلال العقود الخامس والسادس والسابع اى خلال الاربعينات والخمسينات والستينات من القرن الحالى ، وقد ظهر من خلال هـــذا التطور حدوث ارتباط طردى بين ازدياد المصالح الدولية فى المنطقة وبين ازدياد الصراع الدولى اى انه كلما اتضحت بصورة أكثر اهمية المنطقة استراتيجيا وازدادت الاســـتثمارات الاقتصادية فيهـــا كلما ازداد الصراع الدولى حولهـــا .

وقد زاد الصراع حدة منذ أعلنت بريطانيا عام ١٩٦٨ م عن نيتها فى الانسحاب من منطقة الخليج العـــربى بحلول عام ١٩٧١ م ، ذلك الانسحاب الذى سيثير تساؤلات عـــدة حول من يملأ فراغ بريطانيا فى المنطقة .

وهل تملأه الولايات المتحدة الامريكية ؟

— او هل تملأه اقطار الخليج ذاتها فى اطار وحدة او اتحاد فيما بينهـــا ؟

— وما موقف الاتحاد السوفييتى من هذه القضية ؟

— وأين دور العراق الجمهورى فى الخليج العربى ؟

— وما سياسة المملكة العربية السعودية نحو تلك الاحداث ؟
— وايران صاحبة المصالح الاقليمية فى المنطقة ماذا سيكون موقفها ؟
— وما صلة الصراع حول هذه المنطقة بالصراع العربى الاسرائيلى ؟
— وما صلة الصراع الدولى فى هذه المنطقة بالصراع على مناطق النفوذ فى دول العالم الثالث ؟

للاجابة على هذه التساؤلات نبدأ باثارة سؤال عن السبب أو الاسباب التى دفعت بريطانيا عام ١٩٦٨ م الى أن تعلن عن نيتها فى الانسحاب من منطقة الخليج العربى . اذ المعروف أن بريطانيا احكمت قبضتها على اقطار الخليج العربى من خلال الاتفاقيات التى عقدتها مع حكام هذه الاقطار فى مطلع القرن التاسع عشر ، وطالما تحقق لها هذه السيطرة مصالح اكبر مما تلتزم به نحو حماية المنطقة تستمر القبضة البريطانية واذا زادت الالتزامات عن المكاسب اتخذت من المواقف ما يخفف الاعباء .

وعن طريق اتباع سياسة « فرق تسد » البريطانية واثارة مخاوف حكام اقطار الخليج العربى من اقطار خارجية على كراسيهم ، وتكريس المخاوف بين أولئك الحكام وبين بعضهم البعض فقد وضعت بريطانيا حدودا غير واضحة بين امارات الخليج لتثير خلافات بين تلك الامارات فى الوقت الذى لم تكن تلك الامارات تعرف الحدود اذ أن معظم أهلها قبائل بدوية لا تعرف الاستقرار وينتقلون بحثا عن المياه والمراعى . وخير مثل على ما نقول تلك الحدود المائعة بين امارات دولة الامارات العربية المتحدة وبعضها وبين سلطنة عمان والساحل العمانى .

ونتيجة لتوفر عدة عوامل قررت بريطانيا الانسحاب من منطقة الخليج العربى ، من هذه العوامل تنامى حركات التحرر الوطنية ضد الاستعمار البريطانى بتأييد من مصر منذ قيام ثورة ١٩٥٢ م سواء تلك الحركات فى اليمن والجنوب العربى او فى الخليج فى الوقت الذى اخذت الاقطار الافريقية الخاضعة للاستعمار البريطانى وغير البريطانى — تجد

التأييد من مصر ايضا للتحرر . وكل ذلك القى على بريطانيا عبئا كبيرا من الناحية العسكرية والاقتصادية وجعلها تعانى من ازمات اقتصادية ، هذا الى جانب ضياع النفوذ السياسى لبريطانيا فى منطقة الشرق الاوسط بصفة عامة بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م . فى الوقت الذى عملت فيه الولايات المتحدة على احلال نفوذها فى المنطقة محل النفوذ البريطانى والفرنسى .

وهكذا أدركت بريطانيا ان وجودها فى المنطقة مع الالتزامات المتزايدة والنفقات التى لم تعد تأتى بعائد مادى ، وان وجودها فى الخليج سيجعلها تفقد الكثير من مصالحها فى حين ان انسحابها من منطقة الخليج لن يضر كثيرا بتلك المصالح ، بل انها تستطيع الانسحاب العسكرى والابقاء على مصالحهـــا فى نفس الوقت ، وذلك بربط الامارات اليهـــا والى نفوذها بمعاهدات صداقة تعقدها معهم ، كما ان نفوذها لدى حـــكام المنطقة لا يستهان به (٣٣) .

وبالتالى ادركت بريطانيا ان كفة خسائرها فى منطقة الخليج ستكون أرجح بكثير من كفة أرباحها ان هى قررت البقاء فى المنطقة ، وكانت تلك هى النتيجة التى وصلت اليها بريطانيا فى اول عام ١٩٦٨ م .

اقتنعت بريطانيا فى النهاية بأنه من الافضل الانسحاب من منطقة الخليج العربى ، خاصة ان القوى الكبرى فى المنطقة : ايران والعراق والمملكة العربية السعودية والكويت . تحبذ الانسحاب البريطانى ، الى جانب ان مشيخات الخليج الاصغر رات فى مواجهة نمو الشعور الوطنى والقومى العربى ، ان على بريطانيا تغيير خططها نحو المنطقة وان بقاء الوجود العسكرى البريطانى فى المنطقة بعد عام ١٩٧١ م سيكون شكلا

---

(٣٣) أمينة الفت محمد حسن فهمى : صراع القوى فى الخليج . رسالة ماجستير غير منشورة ص ١٢٧ .

من أشكال الاستعمار وسيعطى مبررا للثورتين فى العراق وفى ظفار لأبراز صداقة الاتحاد السوفييتى والصين لشعوب المنطقة العربية ، ومن ثم وجدت بريطانيا ان لا مبرر لبقاء القوات البريطانية فى منطقة الخليج العربى فى المستقبل من اجل حماية حكام المشيخات وحدودهم الاقليمية غير الواضحة ضد الثورة المحلية او العدوان الخارجى (٢٤) .

ولكن كيف تنسحب بريطانيا مع رغبتها فى بقاء نفوذها فى منطقة الخليج العربى ؟ يتم ذلك عن طريق التفاهم مع الولايات المتحدة الامريكية القوة المتنامية والمتجهة لفرض نفوذها فى المنطقة ، الى جانب التفاهم مع القوى المحلية فى المنطقة بالنسبة للتفاهم بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فقد جاء نتيجة تزعم الاخيرة للمعسكر الغربى فى مواجهة المعسكر الشيوعى بحكم انها — أى الولايات المتحدة — تملك المقدرة الاقتصادية والعسكرية الاكبر والاعظم فى المعسكر الغربى ومن ثم تستطيع الدفاع عن المصالح الراسمالية فى مواجهة الخطر الشيوعى وفى مواجهة الوعى القومى لشعوب المنطقة .

وبالنسبة لتفاهم بريطانيا مع قوى المنطقة ، فقد سعت لتحسين العلاقات بين كل من السعودية وايران والسعودية وسلطنة عمان ، وتغيير حكام الامارات الذين رأت عدم تقبل شعوبهم لهم واستبدالهم بحكام أكثر مرونة واقرب الى العصر مثل السلطان قابوس فى عمان والشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان فى أبوظبى ، مع عزل الحكام القوميين ، والسعى لأقامة اتحاد بين امارات الخليج العربى ظهر فى شكل دولة الامارات العربية المتحدة ، وفى الاعتراف باستقلال كل من دولة قطر ودولة البحرين، ولكن هل هذه الترتيبات البريطانية كافية لملء الفراغ ، وهل ستبقى فى المستقبل المنظور على الاقل . ؟

ولنا ان نتساءل عن موقف الولايات المتحدة منذ انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربى وخلال السنوات القادمة .. فى رأينا هذا

(٢٤) David Holden : Foreign Affairs Bullit.n, vol. 49 No. 4 Luly 1971, p. 730.

الموقف لابد أن يراعى التطورات الحادثة فى المنطقة ، الى جانب مراعـــاة الاستثمارات البترولية فى ابعاد الأطماع السوفييتية عن ان تمتد جنوبا عبر ايران الى الخليج العربى ، ولم يكن بوسع الامريكيين أن يلجأوا الى نفس الأسلوب الاستعمارى القديم الذى صار مكروها من المواطنين العرب ، ومن ثم لجأت الولايات المتحدة الى اساليب ومواقف غير مباشرة من شأنها ضمان تحقيق الاهداف والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية فى المنطقة ، منها تدعيم قوة كل من ايران — فى عهــد الشاه والملكة العربية السعودية ومنها التواجد العسكرى الامريكى فى المياه القريبة من الخليج العربى ، ومنها تدعيم الحكم الأسرى القائم فى اقطار الخليج العربى عن طريق عقد اتفاقيات سياسية وعسكرية وثقافية مــع حكام هذه الأقطار .

وعندما حصلت الاقطار الخليجية على استقلالها بعد انسحاب بريطانيا عـــام ١٩٧١م وصارت هناك عـــدة دول جديدة مستقلة فى المنطقة هى البحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة ، فانها مع هذا التعـــدد ترتبط مـــع بعضها ومع الأقطار الخليجية الأخـــرى مثل الكويت والملكة العربية السعودية وسلطنة عمان بعدة روابط منها : —

١ — ان كل هذه الأقطار منتجة للبترول وتمتلك جميعا اكبر احتياطى بترولى عالمى .
٢ — معظم سكان هذه الأقطار مسلمون .
٣ — انظمة الحياة الاجتماعية فيها محافظة والأنظمة السياســـية مطلقة .
٤ — لا يزال اقتصـــاد هـــذه الاقطار اقتصادا ناميا رغم وجـــود بعض الصناعات .
٥ — احتياج هذه الاقطار فى المستقبل كما هو فى الحاضر للخبرات الفنية العربية والأجنبية سيظل قائما .
٦ — لا تزال هذه الاقطار تعتمد على قوى خارجية للحفاظ علـــى امنها .

٧ — انشغال معظم هذه الاقطار بنزاعات حدودية واقليمية فيما بينها .
٨ — ما تزال هـذه الاقطـار عرضـة للتأثر بسـياسات الدول العظمى(٣٥) .

ولعلنـا لا نكون مبالغين أو ان نجانب الصواب اذا قلنا انه كان هناك تفاهم بين كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا حول السياسة الواجب اتباعها من قبل الاولى فى منطقـة الخليج بعد انسـحاب الاخيرة مـن المنطقة . وليس ادل على ذلك ان الصفقة التى عقدتها بريطانيا مع شاه ايران باعطائه جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة لامارة رأس الخيمة والشارقة العربيتين مقابل تنازل الشاه عن ادعاءاته نحو البحرين ، باركت الولايات المتحدة الامريكية هذه الصفقة ، وتجلت هذه المباركة فى الاسراع بعقد اتفاقية مع البحرين تمكن الاسطول الامريكى من الاحتفاظ بقاعدة « الجفير » التى كانت أصلا قاعدة بريطانية . وبررت الحكومة الامريكية اهمية الاحتفاظ بهذه القاعدة انها تساعد فى سد فراغ تركه الوجود العسكرى البريطانى المنسحب عام ١٩٧١م ، فضلا عـن أن القاعدة — من وجهة نظر الحكومة الامريكية — قد تكون عاملا للاستقرار فى المنطقة ، اذ قد تستخدم فى عرقلة وجود سوفييتى محتمل(٣٦) .

وتجلت أسس السياسة الامريكية فى الخليج العربى عقب الانسحاب البريطانى من المنطقة عـام ١٩٧١م فيما يلى :

١ — حماية استقلال الكيانات السياسية العربية التى ظهرت حديثا، واعنى بها الدول التى استقلت مثل قطر والبحرين والامارات التى اتحـدت فى الساحل العمانى .

---

(٣٥) اميل نخلة ترجمة فاروق عمر فوزى . العلاقات العـربية الامريكية فى الخليج العربى ص ٢٧ .
(٣٦) د . جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانية فى الخليـج العربى . المجلد العشرون من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

٢ — الحفاظ على حرية الوصول الى نفط الخليج بالنسبة لدول المعسكر الغربى ، اى ضمان استمرار تدفق النفط الى العالم الغربى مع ضمان سيطرة هـذا العالم على نفط الخليج العربى .

٣ — ضمان الاستقرار السياسى فى دول الخليج التى تحكمها نظم محافظة ، لأن من شأن هذا الضمان الاطمئنان الى استمرار تدفق النفط من المنطقة لصالح دول المعسكر الغربى ، والوقوف ضد أية مطامع سوفييتية .

٤ — عـدم الترحيب بأية حركة متطرفة ثـورية سواء كانت وافـدة أو قامت من الداخل وعلى سبيل المثال نددت الولايات المتحدة بثـورة ظفار اليسارية فى سلطنة عمان .

٥ — تأييد كل من ايران — فى عهد الشاه — والمملكة العربية السعودية دبلوماسيا وعسكريا لضمان الاستقرار فى المنطقة[٣٧] .

ويمكن القول أن الحكومة الامريكية تدرك منذ اعلنت بريطانيا عـن نيتها فى الانسحاب من منطقـة الخليج العربى أن خير سياسـة يمكن أن تتبعها فى منطقة الخليج هو الوقوف بعيدا كلما أمكن ذلك وعدم التدخل المباشر فى الخليج وترك شعوبه تحقق تطلعاتها المعيشية بنفسها غـير مقيدة ولو قليلا بأجهزة السيطرة الاجنبية القديمة . وحيث يقترب القرن العشرين من نهايته فلا يمكن العودة لظروف القرن التاسع عشر التى كان عليها الخليج العربى ولقد ادت بريطانيا دورها فى المنطقة ، وهو دور — فى رأى الحكومة الامريكية — لم يكن مشينا ، ولكن وقته قـد انتهى ، ومن ثم فنحـن الامريكيون — مستعدون أو يجب أن نكون مستعدين خـلال عدة سنوات من الاصلاح النشيط لاعادة تنظيم أمور اقطـار الخليـج العربى — بأسـلوب غـير مباشر اذ لم تتعرض لثورة[٣٨] .

(٣٧) اميل نخلة : المرجع السابق ص ٤١ .

(٣٨) David Holden : Foreign Affairs Bulliten, OP. Cit. 735.

وبعـــد عامين من استقلال اقطار الخليج العربى تأكدت السياســـة الامريكية نحو المنطقة فكانت كما جاءت على لسان وزير الدولة للشئون الخارجية المستر « جوزيف سيسكو » J. Sisco امام لجنـــة الشئون الخارجية فى الكونجرس الامريكى فى صيف عـــام ١٩٧٣م ، كما يلـــى : ــ

١ ــ مساندة الجهود المحلية الاقليمية المشتركة لتحقيق الاستقرار ولتشجيع التطور التدريجى دون تدخل خارجى .

٢ ــ الحل السلمى للمنازعات الاقليمية ، وفتح مجالات افضـــل للاتصال بين هذه الاقطار .

٣ ــ استمرار الوصـــول الى مصـــادر البترول فى الخليج وباسعار معقولة وبكميات كافية .

٤ ــ توسيع مصالح الولايات المتحدة التجارية والمالية فى المنطقة .

ــ واضيفت الى هذه البنود بنود اخـــرى جاءت على لسان نائب مساعد وزير الدفاع الامريكى وكانت كالآتى : ــ

٥ ــ ضبط القوة العسكرية السوفييتة داخل حدودها الحالية .

٦ ــ الحافظ على منفذ للوصول الى بترول الخليج العربى .

٧ ــ استمرار تحـــرك سفن وطائرات الولايات المتحدة الامريكية بحرية داخل وخارج المنطقة(٣٩) .

ولكن حدوث متغيرات فى منطقة الخليج العربى وفى المنطقة العربية بصفة عامة جعلت الولايات المتحدة تعيد حساباتها بالنسة لسياستها فى المنطقة العربية ككل او ان شئنا الدقة تعيد صياغة وسائلها او استخدام اساليب جديدة لتحقيق سياستها المشـــار اليها ، فعندما قامت دول الخليج العـــربى بقطـــع البترول عن الدول التى ساندت اسرائيل اثنـــاء حرب عـــام ١٩٧٣م ومنها الولايات المتحـــدة الامريكية ، والتى كان مركزهـــا

---

(٣٩) اميل نخلة : المرجع السابق ص ٤١ .

فى الخليج حتى ذلك الوقت يبدو وكأنه يحل بالتدريج محل بريطانيـــا(٤٠) . وعندما اعلنت البحرين اثناء الحرب العربية الاسرائيلية عـــام ١٩٧٣م عن الغاء التسهيلات العسكرية الممنوحة للولايات المتحدة فى البحرين ــ قاعـــدة الجفير العسكرية ــ لجأت الحكومة الامريكية الى اتخاذ اساليب اخـــرى تحقق سياستها فى المنطقة دون أن تنغمس الولايات المتحـــدة نفســـها فى مشكلات المنطقة بصورة سافرة او مباشرة .

فقد اقتنع الامريكيون بعـــد حـــرب ١٩٧٣م العربية الاسرائيليـــة أن المملكة العربية السعودية القوية عسكريا وايران القوية عسكريا كذلك يمكن أن تعملان كردع معقول ضـــد اى ثورة داخلية او تهديد خارجى للمنطقة وان مبيعات الاسلحة الامريكية لكل من السعودية وايران مفيدة للولايات المتحـــدة فقد تكلفت ايران اكثر من أربعة بلايين دولار ثمنـــا لاسلحة امريكيـــة فى المدة من عام ١٩٦٥م الى عـــام ١٩٧٣م ، وتراوح عـــدد الخبراء الامريكيين فى ايران بحـــوالى عشرة آلاف خبير . كمـــا تعاقدت المملكة العربية السعودية مع الولايات المتحدة لجعـــل البحرية السعودية اكثر معاصرة ولتسليح وتدريب الحرس الوطنى السعودى . وفى بداية عـــام ١٩٧٣م أصبح فى مقـــدور دول الخليج الجنوبية ــ البحرين وقطر والامارات العربية المتحـــدة ــ الى جانب سلطنة عمان واليمن أن تشترى السلاح الامريكى ، وكانت الولايات المتحـــدة قد سمحت ببيـــع السلاح الى الكويت قبل ذلك بعام واحد(٤١) .

ولكن احداث ايران فى أواخر عـــام ١٩٧٨م والتى انتهت بقيـــام ثورة فى بدايـــة عام ١٩٧٩م اقصت الشاه محمد رضـــا بهلوى عن الحكم واعلنت قيـــام الجمهورية الاسلامية التى اتخذت سياسة غـــير وديـــة علنية مع الولايات المتحـــدة الامريكية . وهـــذا الحدث لابـــد أن يكون له

---

(٤٠) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٣٩٤ .
(٤١) اميل نخلة : المرجع السابق ص ٥٣ .

رد فعل عنــد الامريكيين وسينعكس رد الفعــل الامريكى بالضرورة على منطقة الخليج العربى .

وهكذا اتضحت تطــورات السياسة الامريكية نحــو الخليج العربى حتى منتصف السبعينات من هــذا القرن . ويبقى الحديث عن جــــذور الصراع الدولى فى المنطقة المستقبل . ذلك أن هذا الصراع يتأثر بالوفاق الدولى كما يتأثر بالصراع العربى والاسرائيلى ، كما يتأثر بقيام الثــورة الايرانيــة والحــرب العراقية الايرانيــة كما يتأثر الصراع الدولى بالنسبة للخليج بوجود قواعد وتسهيلات عسكرية للاتحاد السوفييتى فى كل مــن اليمن الديمقراطية واثيوبيــا . كما يؤثر الاحتلال السوفييتى لأفغانستان على الصراع الدولى فى الخليج العربى .

كان الوفاق الدولى الذى اعلن عنــه بين كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى منذ عــام ١٩٧١م نظرا للتفوق الذرى الذى حصلت عليه كل من القوتين . يرتكز — الوفــاق الدولى — على ضرورة تصفية الحرب الباردة بين الدولتين بدعــوى أن العالم يتسع لنظم سياسية واقتصادية واجتماعية متعارضة . وان التعايش السلمى بين هــذه النظم امــر تفرضــه طبيعة العصر ، ومن هنا نشأ اهتمام كل من المعسكرين المتعاديين بالعالم الثالث(٤٢) .

ونتيجة للوفاق الدولى قسم العالم الى مناطق نفــوذ بين كل مــن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وعلى سبيل المثــال نجد للولايات المتحــدة نفوذا على بعض الأقطار العربية ، بينما يحتــل النفــــوذ السوفييتى المكانة الاولى فى الأقطار العربية الاخــرى ، ويعتبر النفــوذ الامريكى اكثر ظهورا فى اقطار الخليج العربية . ومن هنــا جاءت دعــوة الاتحــاد السوفييتى فى خريف عام ١٩٨٠م ردا على اعتراض الولايات

(٤٢) د . رافت الشيخ : أمريكا والعلاقات الدولية ص ١٣٥ .

المتحـــدة على الغزو السوفييتى لافغانستان ، تلك الدعـــوة القائمة بأن يتم حياد منطقة الخليج مقابل حياد افغانستان .

ونعتقد ان الوفاق الدولى سيظل مراعيا الى حـــد ما فى منطقـــة الخليج العربى فى المستقبل وبمعنى عـــدم تصادم النفوذ السياسى او القوة العسكرية لطرفى الوفاق بصورة علنية وسافرة ، وان كنا لا نستبعد تصدير الاتجاهات الشيوعية الى المنطقة على يـــد بعض ابنائها وبالتالى يحدث فى بعض الاقطار الخليجية ما حدث فى اليمن الجنوبية . وهذا ما يمكن ان تواجهه الولايات المتحدة عن طريق تواجـــد عسكرى امريكى اكثر فى المنطقة أو حولهـــا او تدعيم القوى المحافظـــة فى المنطقة بصـــورة اكبر مما هـــو حادث الآن ، أو تشجيع التيار الاسلامى الناهض على امل ان يتصـــدى هذا التيار للتسلل الشيوعى ، وبالتالى للاطماع والتحركات السوفيتية .

واذا كانت مصالح الولايات المتحدة البترولية فى منطقـــة الخليـــج العربى والجزيرة العربية فى اوائل السبعينيات من القـــرن الحالى كبـــيرة كان على الولايات المتحدة ان تراعى تزايد تلك المصالح بمزيد من المواقف الدفاعيـــة . اذ يوجـــد فى المنطقة اعظم احتياطى معروف للبترول فى العالم وحقول البترول فى هذه المنطقة اسهل الحقول وارخصها انتاجـــا وتستورد دول اوروبـــا واليابان واستراليـــا وافريقيا اغلب بترولهـــا من هذه المنطقة(٤٣) .

ومن الطبيعى ان تزداد الاستثمارات الامريكية فى مجـــال البترول ويزداد بالتالى احتياج الولايات المتحدة للبترول العربى الخليجى بصـــفة خاصـــة ، وبالتالى ايضا يزيـــد دخل الشركات الامريكية من عائـــدات البترول وكذلك تزيد الودائع والمدخرات العربية الخليجية فى بنوك الولايات المتحـــدة ودول أوروبا الغربية . وهذا كله يعرفه الاتحـــاد السوفييتى . وان كان يعرف ايضـــا انه اذا حاول الاسطول السوفييتى عبـــور الخليج

---

(٤٣) هانسون و بالدوين : المرجع السابق ص ١٨٤ .

العربى كعملية تهديد بالحـــرب او تنفيذ التهديد فان ذلك سيكون مخاطرة شديدة كما أن المضائق البحرية ذات المياه الاقليمية تؤثر على الحـــركة البحرية سواء من فوق أو تحت سطح البحـــر . كما أن الاتحاد السوفييتى يعلم ان الدول الخليجية تعتبر صديقة للولايات المتحـــدة والغرب بصفة عامة وبالتالى توجـــد مصالح مشتركة بين المنتجين للنفط والمستهلكين له ، وهـــذا كله ضـــد مصالح الاتحاد السوفييتى (٤٤) . ومـــن هنـــا فلا مجال لحركته فى المستقبل الا عن طريق الحركات السرية والثورات المحلية ذات الأيديولوجية الشيوعية .

واذا كان الصراع العربى الاسرائيلى قـــد جر القوى الكبرى فى العالم الى ساحة المنطقة من خـــلال تأييد الولايات المتحدة بصفة خاصـــة للجانب الاسرائيلى وتأييد الاتحـــاد السوفييتى للجانب العربى ، فان تأثر منطقة الخليج العربى بالصراع العربى الاسرائيلى أمر طبيعى بحكم انتماء المنطقة للأمـــة العربية . ومـــن ثم كان لأقطـــار الخليج العربى مواقف التأييـــد المادى والمعنـــوى لاقطار المواجهة العربية ، وقـــد ظهـــر الدور السوفييتى واضـــحا ، اذ كلما انغمست الولايات المتحـــدة أكثـــر فى تأييد اسرائيل تظهر المساعدات ومواقف التأييد السوفييتية ذات فعالية وخاصـــة عند شباب الامـــة العربيـــة . حتى ولو كانت المساعـــدات السوفييتية محدودة .

وبقـــدر تحرك العرب الواعى يمكن التأثير على الصراع الدولى حول المنطقة ومن ثم يجب التركيز على الموقف العربى فى المستقبل اذ لا يمكن الانتظار ليقرر الآخرون مصير المنطقة فى غيبة الوعى العربى . ومن ثم يحمل المستقبل نشاطا عربيا من أجل : —

---

(٤٤) مجلة السياسة الدولية : أكتوبر ١٩٨٠ . ص ١٧ — ١٨ .

١ — أن يتوقف الاتحاد السوفييتى عن مد اسرائيل بالقوة البشرية فى صورة المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتى الى أرض فلسطين .

٢ — تحرير سياسة الولايات المتحدة الامريكية نحو الشرق الأوسط من النفوذ الصهيونى الذى جلب الوبال على المصالح الامريكية ذاتها ، واضر ضررا بالغا العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الولايات الامريكية والأقطار العربية . كما هدد السلام العالمى والنمو الاقتصادى فى كل أنحاء العالم(٤٥) .

واذا تذكرنا ما تنفقه اقطار الخليج العربى من اموال لتدعيم الكفاح العربى ضد اسرائيل والصهيونية العالمية لادركنا تاثير الصراع العربى الاسرائيلى على تلك الاقطار حيث كان يمكن انفاق هذه الاموال فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية لشعوب تلك الاقطار . كما ان تأثيرات الصراع العربى الاسرائيلى سوف تستمر تهدد امن الخليج العربى فى السنوات المقبلة طالما ظل هذا الصراع مشتعلا وبالتالى فان اقطار الخليج ستظل متأثرة بالصراع العربى الاسرائيلى شاءت أم ابت الى أن ينتهى هذا الصراع فى المنطقة العربية لصالح العرب .

كان انفجار الثورة الأيرانية فى اوائل عام ١٩٧٩م كذلك من العوامل المؤثرة فى المنطقة فى المستقبل والمؤثرة على مواقف القوى الكبرى من المنطقة . ان الجذور التاريخية للاطماع الايرانية فى الخليج تعود الى قرون خلت ، وان شئنا الدقة الى ظهور النظام او المذهب الشيعى فى فارس أول القرن السادس عشر على يد الشاه اسماعيل الصفوى ومنذ ذلك الحين وفارس عامل عدم استقرار فى منطقة الخليج ، وكانت العراق ميدان الصدام الاول والاكبر فى هذه المنطقة مع فارس .

وفى عهد الشاه محمد رضا بهلوى ظهرت الأطماع الايرانية فى المنطقة بصورة اكبر . فالشاه يريد بعث الامبراطورية الفارسية

(٤٥) د . محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى ص ١٠٨ .

القديمة فى عهــده ، وبالتالى استكثر من شراء الأسلحة الامريكية حتى صـــارت لديه ترسانة هائلة جعلته يعلن انه لن يهدأ حتى يجعل ايران القــوة الخامسة فى العالم ، وقــد ساعده على ذلك السياســة التى لجأت اليها الولايات المتحــدة الامريكية عقب انسحاب بريطانيا من الخليج بتدعيم القــوة العسكرية لايران والمملكة العربية السعودية . وقــد كان التدعيم الامريكى لايران يفوق كثيرا التدعيم الامريكى للسعودية ، فايران مجاورة للاتحـــاد السوفييتى وهى عضو فى الحلف المركزى وهى لا تعادى اسرائيل بل تتعاون معها ، بينما السعودية قطر عربى يأخــذ من اسرائيل موقفا معاديا شأن بقية العرب .

وانطلاقا من قــوة ايران فى عهــد الشاه اخــذ يهدد منطقة الخليج العربى بالادعـــاء بملكية ايران لجزر البحرين العربيــة ، ولم يتخل الشاه عن هــذا الادعاء الا بعد ان تمت الصفقة بينه وبين بريطانيا باستيلائه على الجــزر العربية الثلاث ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة لدولة الامارات العربية المتحــدة ، والتنافس مع السعودية على زعامة اقطـــار الخليج ، وهو التنافس الذى دفع الولايات المتحـــــدة الامريكية الى التقليل من فعاليته وتأثيراته والعمــل على التقــــارب بين الحكومتين الأيرانية والسعودية الصديقتين للولايات المتحدة من اجل استقرار المنطقة فى مواجهــة التهديدات الخارجية او الثورات المحليــة المحتملة ، وذلك ضمانا لاستمرار المصالح الامريكية دون تهديد وفى حالة تنمية مستمرة .

كذلك لجأت حكومة الشاه فى ايران الى تحقيق مطامع لهـــا فى منطقة شط العرب العراقية ، حيث بادر فى عام ١٩٦٩م الى الغاء اتفاقية عام ١٩٣٧م الخاصة بالحدود بين ايران والعراق . وجدد الدعـــوى الى اقتسام مياه شط العرب . وقــد اتخــذ الشاه مواقف متصلبة من العراق آنذاك منها ما يتعلق باحياء النزعة القومية بين الطرفين وقد تصادف ذلك مـــع الانسحاب البريطانى من الخليج ووضـــع ترتيبات بين الســـعودية

وايران لكى يكونا اداة المحافظة على امن الخليج بما يتفق مع مصالح الغرب . وقد استبعد العراق من هذه الترتيبات(٤٦) .

استمرت المطامع الايرانية ببناء سدود على روافد نهر كارون لمنع المياه من التدفق الى بعض الاراضى العراقية التى تعتمد عليها فى الرى ، كما اخذ الشاه يشجع اكراد العراق خلال السبعينات ضد الحكومة العراقية . وهذا التشجيع مسئول الى حد كبير عن استمرار التمرد الكردى واتساع نطاقه رغم توصل الحكومة العراقية فى مارس ١٩٧٠م الى اتفاق مع زعماء الاكراد على مبدأ الحكم الذاتى ، وظل هذا التمرد الكردى قائما حتى تم الاتفاق بين ايران والعراق عام ١٩٧٥م ، ومن ثم انتهى هذا التمرد الكردى نهائيا ، مما يؤكد دور ايران فى اثارته وتأييده(٤٧) .

وتمثل رد الفعل العراقى نحو المطامع الايرانية فى المواقف التالية : ــ

اولا : عرض العراق رفع موضوع الخلاف بين البلدين حول مياه شط العرب الى محكمة العدل الدولية فى مواجهة الموقف الايرانى بالغاء اتفاقية ١٩٣٧م فى عام ١٩٦٩م كما ذكرنا .

ثانيا : جاء رد الفعل العراقى لاحتلال ايران لجزر الخليج الثلاث قويا وينطلق من مفهوم قومى يقوم على أن العراق هو المدافع عن عروبة الخليج ضد المطامع الايرانية .

ثالثا : كان العراق كنظام راديكالى ينعى على حكام الخليج والجزيرة العربية دورهم المحافظ المرتبط بالمعسكر الغربى ، وامام الأطماع الايرانية تغير الموقف العراقى الى مهادنة ثم تعاون من اجل ربط امن الخليج بالأمن العربى بصفة عامة .

---

(٤٦) مجلة السياسة الدولية : يناير ١٩٨١ م ص ٦٤ .
(٤٧) نفس المصدر ص ٦٥ .

وعندما سقط الشاه وسيطرت على ايران حكومة جمهورية بزعامة رجال الدين ظهرت المطامع الايرانية اكثر خطورة وتمثلت فيما يلى :

١ — أسفرت الثورة الايرانية عن وجه الشوفينية الفارسية التى لم تجد فيها الأقليات ما توقعته نظير تعاونها مع الثورة .

٢ — كما أسفرت عن وجه المذهبية الشيعية التى تجتذب ولاء الأقليات الشيعية فى الخليج وشيعة العراق .

٣ — وأسفرت أيضا عن وجه ادعت به انها تمثل حركة الاحياء الاسلامية العامة المناهضة للنفوذ الأجنبى ولعلمانية حزب البعث العراقى(٤٨) .

ومهما يكن من أمر فان الثورة الايرانية ستظل عامل عدم استقرار فى ايران ذاتها وبالنسبة لمنطقة الخليج العربى ، بل وبالنسبة للعلاقات الدولية فى المستقبل ، ذلك ان الصراع فى منطقة الخليج اصبح امرا واقعا وأن التوازن الذى كان قائما فى المنطقة قد اختل بسبب قيام الثورة الايرانية واذا كان هناك مستفيد على طول الخط من هذا التطور فهو الاتحاد السوفييتى الذى استطاع توسيع نطاق دائرة نفوذه فى منطقة المحيط الهندى والخليج العربى فى الوقت الذى خسرت فيه الولايات المتحدة خسارة فادحة بانهيار النظام الصديق فى ايران ، وهذا الصراع سيظل رهنا بما سوف يحدث من تطورات اقليمية فى المنطقة سواء فيما يتعلق بالدور المرتقب للنظام الثورى الايرانى او فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى ، كما سيظل رهنا ايضا بالتطورات التى سوف تلحق بالنظام الدولى وبمستقبل العلاقات المباشرة بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفييتى . وبمدى ما يمكن ان يؤدى اليه هذا الصراع الدائر فى الخليج من تهديد للوفاق الدولى (٤٩) .

(٤٨) نفس المرجع ص ٦٥ .
(٤٩) مجلة السياسة الدولية : اكتوبر ١٩٨٠ ص ٢٦ — ٢٧ .

ويجد الباحث صعوبة فى التنبؤ بالاحداث المستقبلة فى منطقة الخليج بسبب تلاحق الاحداث الحالية وفجائيتها ، وبالتالى يجد صعوبة فى التعرف على مستقبل العلاقات الدولية فى تلك المنطقة بصورة قاطعة واكيدة ، ومع ذلك فيمكن لنا أن نرسم صورة لهذا المستقبل فى علاقات القوى الكبرى بالخليج العربى ، من خلال الاحداث الراهنة ، فعلى سبيل المثال نجد الحكومة الامريكية تهادن ايران فى عهد الثورة ، فى الوقت الذى زحفت فيه جيوش الاتحاد السوفييتى واحتلت افغانستان منذ حوالى عام ، وبهذا الاحتلال صار هناك عامل جديد لعدم الاستقرار فى المنطقة وجعل الاتحاد السوفييتى يقترب اكثر من الخليج .

واذا كان رد الفعل الامريكى نحو احتلال الاتحاد السوفييتى لأفغانستان هو مزيد من التواجد العسكرى فى منطقة الخليج العربى والمحيط الهندى بل الشرق الأوسط عامة ، وشن حملة استنكار ومقاطعة عالمية للاتحاد السوفييتى الا أن ذلك كله لم يضر بالوفاق الدولى بين العملاقين الكبيرين اذ حرص الطرفان حتى اثناء هذه الأزمة على التمسك بالوفاق بينهما . ومن الطبيعى أن تكون الشعوب الصغيرة فى العالم هى ثمن هذا الوفاق .

ومن ذلك كله نستطيع التنبؤ بمستقبل العلاقات الدولية فى منطقة الخليج العربى بصفة خاصة ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة فيما يلى : ـــ

اولا : سوف يسعى الاتحاد السوفييتى الى زيادة نفوذه فى المنطقة وبالتالى تقليص نفوذ الولايات المتحدة ، وانه لن يضع حدا نهائيا لنفوذه فى المنطقة وبمعنى انه كلما حقق نفوذه فى جزء من المنطقة تطلع الى جزء آخر وهكذا .

ثانيا : لن يشن الاتحاد السوفييتى عدوانا عسكريا مباشرا ضد اقطار المنطقة ، وان كان هذا لا ينفى أنه قد يشترك فى تدخل عسكرى محدود لا يؤدى الى انهيار الوفاق الدولى ونشوب صراع مع الولايات

المتحدة الامريكية ، بل سيسعى الى تجنب المواقف التى تحمل فى طياتها خطرا مباشرا على مصالحها وعلى الوفاق الدولى مع الولايات المتحدة ، اى تجنب نشوب صراع مسلح مع الولايات المتحدة .

ثالثا : سوف يستمر الاتحاد السوفييتى فى تقوية الانظمة العسكرية فى المنطقة ومدها بالاسلحة والخبراء للتاثير عن طريقها على الحكومات المحلية والحركات الثورية ، وحتى يستطيع عن طريقها ايضا مواجهة الانظمة التى تعتمد على الولايات المتحدة ومواجهة اى تدخل امريكى فى المنطقة .

رابعا : لن يستبعد الاتحاد السوفييتى امكانية القيام بعمل مشترك مع الولايات المتحدة فى المنطقة اذا راى ان مصالحه تتطلب ذلك ، بمعنى انه لن يترك الولايات المتحدة تنفرد بالحركة فى المنطقة الا فى اطار الوفاق بين القوتين(٥٠) .

وفى المقابل نجد الولايات المتحدة تسعى فى المستقبل لرسم سياستها فى منطقة الخليج العربى وبالتالى فى منطقة الشرق الاوسط على اساس مجموعة من النقاط او البنود هى :ــ

أولا : الإعتماد المباشر على القوة الامريكية ، والتخلى عن السياسة التى ارساها الرئيس الامريكى « ريتشارد نيكسون » الداعية الى خلق قوى اقليمية تتولى بنفسها وبدعم امريكى الدفاع عن مصالحها الذاتية ومصالح الولايات المتحدة فى المنطقة ، خاصة بعد سقوط شاه ايران ، وبعد اجتياح السوفييت لافغانستان ، ويتم ذلك بتواجد عسكرى امريكى كثيف فى الخليج والمحيط الهندى يواجه التواجد العسكرى الكثيف المتد من افغانستان الى عدن الى اثيوبيا مطوقا منطقة الخليج العربى والقرن الافريقى ومدخل البحر الاحمر الجنوبى .

---

(٥٠) ج . س . هورويتز : الصراع السوفييتى الامريكى فى الشرق الاوسط ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ .

ثانياً : الاعتماد على طرفى اتفاقية كامب ديفيد مصر واسرائيل فى الحصول على تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة تتمكن من خلالها تعويض نظام الشاه وتطوير السلاح الامريكى بما يتلاءم مع بعد المسافة بين كل من مصر واسرائيل وبين منطقة الخليج ، وقد بدأت الولايات المتحدة بالفعل اتخاذ خطوات فى هذا الاتجاه .

ثالثاً : محاولة استعادة ثقة الأقطار العربية فى السياسة الامريكية من خلال توسيع نطاق مفاوضات السلام ، وبدفع اسرائيل الى تقديم تنازلات تكفى لاقناع الدول العربية للمشاركة فى هذه المفاوضات خاصة اذا حلت مشكلة القدس والاراضى العربية المحتلة وحقوق الشعب الفلسطينى بما يوافق عليه العرب ، ومن ثم يمكن للولايات المتحدة أن يخلق لهما وجودا مباشرا فى منطقة الخليج العربى ومن هنا تعمل على كسب ود ايران وقد تنجح فى ذلك اذا تمكنت من ارجاع ثروة الشاه المهربة الى ايران(٥١) . والافراج عن الارصدة الايرانية المجمدة واظهار الدلائل بأن هذا الاجراء الذى اتخذته الولايات المتحدة مع ايران لن يتكرر مع أية دولة من اقطار الخليج العربى بصفة خاصة والاقطار العربية الأخرى المنتجة للبترول بصفة عامة .

وخلاصة الصراع الدولى فى منطقة الخليج العربى فى المستقبل ، أن للولايات المتحدة الامريكية مصالح عظمى فى هذه المنطقة خاصة فى النطاق الاستراتيجى على المدى البعيد ، وهى مصالح بالتأكيد مهددة (٥٢) . ويجئ التهديد من جانب التسلل الشيوعى الى المنطقة معتمداً على الصراعات المحلية ، وهذا التسلل له برنامج مخطط له . وكما ذكر فان للروس سياسة توسعية ايجابية فى الخليج وفى شبه الجزيرة العربية بينما الانجليز يقتلعون أنفسهم ، ولا يفعل الامريكيون شيئا (٥٣) □

(٥١) مجلة السياسة الدولية : اكتوبر ١٩٨٠ ص٢٦ .
(٥٢) هانسون و . بالدوين : استراتيجية للغد ص ١٨٥ .
(٥٣) المرجع السابق ص ١٩٢ .

وإذا كان للقوى الكبرى مواقفها من احداث الخليج العربى ، وبالتالى رسم سياستها بما يحقق مصالحها ، فاين مواقف القوى المحلية العربية خلال السنوات المقبلة ؟ العراق والسعودية واقطار الخليج العربى الاخرى .. فالعراق اعلن مع بداية حربه مع ايران التى اشتعلت فى خريف ١٩٨٠ م ان مطالبه من تلك الحرب هى :

أ — الاعتراف بالسيادة العراقية على التراب العراقي ومياهه النهرية والبحرية .

٢ — انهاء الاحتلال الايرانى لجزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى فى الخليج العربى التابعة لدولة الامارات العربية المتحدة .

٣ — كف ايران عن التدخل فى الشئون الداخلية للعراق والدول الاخرى العربية فى المنطقة (٥٤) .

وهذه الحرب القومية التى اضطرت اليها العراق قد تكون بلا نتيجة حاسمة الا انها سوف تكون علامة فى المستقبل على الصمود القومى العربى وعلى استمرار التمسك بالحق القومى العربى مهما كانت قوة الادعاءات الايرانية ومما لا شك فيه أن هذه الحرب سوف تكون لها دروس مستفادة للاجيال العربية القادمة التى سوف تنظر الى العراق كحصن للعروبة يدافع عن قومية الخليج العربى .

واما المملكة العربية السعودية فانها تقدمت الى رأس العلاقات العربية فى الفترة التالية لعام ١٩٧٣ م انطلاقا من أنها اصبحت حسب احصائيات عام ١٩٧٧ م ثالث اكبر دولة منتجة للبترول فى العالم اذ يبلغ انتاجها ١٥٪ بينما يصل الانتاج الامريكى الى ١٦٪ والانتاج السوفييتى يصل الى ١٨٪ . ولهذا قامت بدور نشط فى الخليج والجزيرة العربية بانهاء نزاع الحدود مع دولة الامارات العربية المتحدة عام ١٩٧٤ م وتوسطت فى الخلاف بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية بين عامى ١٩٧٢م ، ١٩٧٩م . وطلبت معونة عسكرية امريكية للدفاع عن السعودية

---

(٥٤) مجلة السياسة الدولية : يناير ١٩٨١ م ص ٧١ .

ومن اليمن الشمالية وحتى أواخر السبعينات من هذا القرن لم تكــن المملكة العربية السعودية ولا اية دولة منتجة للبترول من اقطار الخليج باستثناء العراق تمتلك قوة عسكرية ذات اهمية ، ولعل هــذا يفسر صفقات الســلاح الهائلة التى عقدتها السعودية فى الســنوات الثلاث الاخيرة ، فالسعودية الآن هى الدولة المستوردة الاولى للسلاح فى العالم العربى (٥٥) .

الا ان المشكلة امام فعالية السلاح السعودى تكمن فى اســتيعاب هذا السلاح من جانب الشباب الســعودى ، كما تكمن فى نظام الحكم السعودى نفسه الذى يتعرض لانتقادات وربما ثورات داخلية تجعل من وجود السلاح على الارض السعودية مشكلة تحتاج الى حل قبل ان يصبح وســيلة للدفاع عن امن المملكة وامن منطقة الخليج العــربى ، وان كنا نعتقد أن تعاون السعودية مع اقطار الخليج والعراق بصفة خاصة — لا للتنافس او الخلاف — فى المستقبل يؤدى الى استقرار المنطقة ويقلل من تدخلات القوى العالمية فى المنطقة .

واما اقطار الخليج العربى الاخرى — الكويت — البحرين — قطر دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان . فانه رغم انها تشترك جميعا فى كونها اقطار منتجة للبترول وان تفاوتت كميات البترول الناتج من كل منها ، كما انها تشترك جميعا فى الشعور بالخطر الايرانى على امنها ، وانها ترتبط مع المعسكر الغربى بروابط اقتصادية وثقافية قــوية بل وروابط سياسية تتمثل فى الصداقة التى تجمع بين حكام هذه الاقطار وبين حكام المعسكر الغربى وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنســا . فلا يبدو انها ستنسى فى المستقبل القريب خلافاتهــا المحلية فيما بينها وتلتفت الى الاخطار المحدقة بالمنطقة سواء من جانب ايران او

---

(٥٥) مجلة السياسة الدولية : اكتوبر ١٩٨٠ ص ١٠٠ .

من جانب صراع الاتحاد السوفييتى والولايات المتحـدة الامريكية حـول المنطقـة .

وطالما بقيت المشكلات المحلية بين اقطار الخليج العربى قائمة تظل تلك الاقطار بلا فاعلية ، وتتمثل هذه المشكلات فى استمرار النزاع على الحدود بين كل من العراق والكويت منذ عام ١٩٦١ م ، والنزاع على الحدود بين كل مـن سلطنة عمـان ودولة الامارات العـربية المتحـدة وبين المملكة العربية السعودية ، وان كان هذا النزاع قد انتهى بالنسبة لدولة الامارات عام ١٩٧٤ م فانه لم يصل الى حل مع سلطنة عمان ، والنزاعات بين قطر والبحرين حـول جزر حوار والمياه الاقليمية ، وايضا الصراع حول المياه الاقليمية والجرف القارى بين معظم دول المنطقة (٥٦) .

والمأمول حل هذه الخلافات فى المستقبل بروح الاخوة العربية والقومية بما يؤدى الى التفاعل الايجابى للاقطار العربية الخليجية فى تحقيق استقرار المنطقة ، وان كنا يجب أن نؤكد على أن حتمية التطور فى مجتمعات تلك الاقطار سوف تؤدى الى ان يمسك الشباب بزمام الامور فى تلك الاقطار وبالتالى سيكونون اكثر حرصا على معاداة التدخل الاجنبى فى المنطقة .

---

(٥٦) نفس المرجع ص ١٣ .

مصـــادر البحـــث

أولا : الدوريـــات :

١ — مجلة السياسة الدولية . مجلة دورية تصـــدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام . القاهرة العدد اكتوبر ١٩٧٣ م مقال بعنوان : الخليج العربى ونظرية الفراغ للدكتور : صلاح العقاد .

٢ — مجلة السياسة الدولية : العدد ٦٢ اكتوبر ١٩٨٠ م مقال بعنوان : الامن والصراع فى الخليج العـــربى بقلم كل من أسامة الغـــزالى حرب ومحمد السـعيد ابراهيم ادريس . ومقال بعنوان : النظام الاقليمى العـــربى الجديد واحتمالات الثمانينات بقلم الدكتور علـــى الدين هلال عرض وتلخيص أسامة الغزالى حرب .

٣ — مجلة السياســـة الدولية : العـــدد ٦٣ ينـــاير ١٩٨١ م . مقال بعنوان : الاصول التاريخية للنزاع العـــراقى الايرانى بقلم الدكتور : صلاح العقاد .
ومقال بعنوان : التطور التـــاريخى للنزاع العراقى الايرانى ودوافع الحرب بقلم أسامة الغزالى حرب .

٤ — Foreign Affairs Bulliten, Washington, vol. 44 No. 4 July 1971. The Persian Gulf after the British raj, by David Holden.

٥ ـ المجلة المصرية للدراسات التاريخية العدد رقم (٢٠) لسنة ١٩٧٣ م مقال بعنوان : الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى اصول المشكلة وتطورها التاريخى بقلم : د . جمال زكريا قاسـم .

ثانيا : المؤلفـات :

١ ـ د . محمد الرميحى : البترول والتغير الاجتماعى فى الخليـج العـربى .

٢ ـ د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى . القاهرة ١٩٧٤ .

٣ ـ د . جمال زكريا قاسم : الخليج العـربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ م . القاهرة ١٩٧٠ م .

٤ ـ د . جمال زكريا قاسم : الخليج العربى فى تاريخه المعـاصر ١٩٤٥ ـ ١٩٧١ م . القاهرة ١٩٧٢ م .

٥ ـ د . رأفت الشيخ : امريكا والعـلاقات الدولية : القاهرة ١٩٧٩ م .

٦ ـ د . محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى ، تونس ١٩٧٧ م .

٧ ـ بنواميشـان : مترجم : عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة . بيروت ١٩٦٥ م .

٨ ـ هانسون و . بالـدوين : ترجمة د . محمد خـيرى بنونة : استراتيجية للغد .. الاستراتيجية الامريكية فى السبعينات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠ . القاهرة ١٩٧٢ م .

٩ — ج . س . هورويتز : ترجمة دار النفائس ببيروت ؛ الصراع السوفييتي الامريكي في الشرق الاوسط . القاهرة ١٩٧١ م .

١٠ — لوريمر : ترجمة مكتب امير قطـــر : دليل الخليج القســـم التاريخي ٧ اجزاء .

١١ — اميل نخلة : ترجمة فاروق عمر فوزي : العلاقات العربية الامريكية في الخليج العربي ، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٧٥ م .

١٢ — امينة الفت محمد حسن فهمي : صراع القوى في الخليج . رسالة ماجستير مقدمة لقسم العلوم السياسية بكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة الكويت تحـــت اشراف الدكتور عبد اللـــه النفيسي . الكويت عام ١٩٧٨ م .

(١٣) De Nova, J.A. : American interests and Policies in the Middle East, the University of Minnesota Press, 1968.

(١٤) Polk, W.R. : The U.S. and the Arab World, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1965.

(١٥) Lenczowski, G. : The Middle East in World Affairs, 3rd edition, Cornell University Press, 1971.

(١٦) The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East, edited by Georgiana G. Stevens 1964.

محتويات الكتاب

رقم الايــداع : ٨٣١٤٨٠٩

مطبعــة وزنكوغراف المعــارف
١٥ ش كامــل صــدقى ـــ بالفجالة
ت : ٩٣٢٩٧٣